مِنَ الكُتّابِ الأكثرِ مبيعًا في صَحِيفةِ «نيويورك تايمز»

د. واين داير

أستطيع أن أرى بوضوح الآن

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي وزينة حمامي






mohamed khatab

أستطيع أن أرى
بوضوح الآن

I Can See Clearly Now



أستطيع أن أرى بوضوح الآن

د. «واين داير»

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي
زينة حمامي



بناية يعقوبيان بلوك ب طابق 3 ـ شارع الكويت
المنارة ـ بيروت ـ 2036 6308
لبنان ـ تلفاكس: 009611740110
www.darelkhayal.com

التنفيذ الفني دار الخيال

الطبعة الأولى 2015

د. «واين داير»

أستطيع أن أرى بوضوح الآن

ترجمة:

د. محمد ياسر حسكي، زينة حمامي



إلى كل المُلهِمين الذين كتبتُ عنهم هنا.

الماس.. والحجارة..

مع الرهبة والامتنان العميق.

إلى أولادي الثمانية، كلّ الماسات:

«تريسي»، «شين»، «ستيفاني»، «سكاي»، «سومر»، «سيرينا»، «ساندس»، «ساجي».

أنتم أنوار حياتي..

يقول «ريتشارد فيلد»: «لو توقّفنا لحظة، من المُمكن إدراك نموذج مُعين في حياتنا، ويُصبح المحفّزون الذين أثروا فينا أكثر وضوحاً. نحن قادرون على أن نرى الحياة تتكشف أمامنا من طرفيها على حدّ سواء وصولاً إلى اللحظة الحالية. ولكن ما لم نصل إلى نقطة مُعينة من الإنجاز، فلن يكون الأمر مُمكناً، لأنّ كلّ شيء ما زال يُرى على أنّه سلسلة من الأسباب الظاهرة والنتائج».



• إنّه عيد الميلاد من عام 1941، بعد أسابيع قليلة من تفجير ميناء «بيرل» Pearl Harbor، جُرَت «أمريكا» إلى الحرب: كان اثنان من إخوة أُمّي يخدمون في الجيش، أحدهما في «أوروبا» والثاني في المُحيط الهادي. لم يعُد والدي مُتواجداً معنا على الإطلاق، فقد دخل إلى السجن في مُناسبات عديدة، بسبب صخبه ولهوه الدائم مع نساء أُخريات، وإفراطه في الشرب، وصداماته المُستمرة وانتهاكه للقانون، ممّا جعل العيش معه بالنسبة إلى أُمّي في النهاية مُستحيلاً. لقد تملّص ببساطة من مسؤولياته الأبوية ولم نسمع منه أيّ شيء مُجدداً. أصبحت أُمّي وحيدة الآن مع ثلاثة أطفال تحت سنّ الخامسة، وعليها أن تُطعمهم وترعاهم. لقد كانت تأخذ صبيانها الثلاثة إلى منزل والدتها كي ترعاهم الجدة بينما تذهب هي إلى عملها طوال اليوم.

كنتُ وأخواي الأكبر مني ننتظر مع أُمّنا وصول الحافلة إلى شارع «جيفرسون» في الجانب الشرقي من «ديترويت». كُنا نرتدي معاطفنا الثلجية، قفازاتنا، أحذيتنا المطاطية، أغطية الأذنين، ونقف في موقف الحافلة بجانب ما كان يبدو لنا جبلاً ضخماً من الثلج المجموع حديثاً. لقد غُطيَتْ الطريق بالملح من أجل إذابة الثلج المُتساقط باستمرار، فأصبحَت في فوضى كبيرة عارمة. عبرَت الشاحنة أمامنا نحن الأربعة، ورشتنا بقوّة بالطين إلى درجة أننا أُسقطنا من وضعية الوقوف على أقدامنا، وارتمينا بسلام وأصبحنا مغمورين بكومة كبيرة من الثلج.

انهارَت أُمّي لأنّ الملابس التي ارتدتها من أجل العمل تغطّت بالطين المالح والقذر.

لقد أصبحَت غاضبة جداً، وكان من الواضح أنّ حياتها خارجة عن السيطرة بسبب مُغادرة زوجها السابق، مع أنّها تبذل ما بوسعها من أجل تغطية نفقاتنا. لقد ساهم الكساد الذي طال أمده تزامناً مع الحرب العالمية في تعقيد وضعها العام. لقد كان من الصعب الحصول على عمل، وكان على والدتي أن تعتمد على المُساعدة الهزيلة التي تتلقاها من أسرتها، الذين أرهق كاهلهم أيضاً الانكماش الاقتصادي طويل الأمد. لقد كانت فترة صعبة حتّى في أفضل الظروف، بسبب نقص جميع أنواع البضائع، وتشويش الحرب في حدّ ذاتها.

كان أخواي مُنزعجين جداً أيضاً، ولكنّ «جيم» ذي الخمس سنوات كان يُحاول أن يُواسي أُمّنا، بينما كان «ديفيد» ذي الثلاث سنوات يبكي دون أن تقدر على إيقافه. بالنسبة إليّ، كنتُ أستمتع بكلّ وقت في حياتي. كان الأمر يُشبه حفلة مُفاجئة جميلة مع قلعة ضخمة من الثلج نقف جميعنا في أعلاها. نستطيع أن نمرح! أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا كلّ شخص غاضب ومُحبط.

عند ذلك تفوهتُ بهذه الكلمات: «إنّ الأمر على ما يُرام أُمّي. لا تبكِ. نستطيع جميعنا البقاء هنا كي نلعب بالثلج».

لقد كنتُ الطفل الذي نادراً ما يبكي، والطفل الصغير الذي يُحاول أن يُضحك كلّ شخص، ويجعله يشعر بحال جيدة بغضّ النظر عمّا يحدث. كنتُ الطفل الذي يصنع وجوهاً سخيفة كي يُغيّر البيئة حوله من جوّ الحزن إلى البهجة والسرور. كنتُ ذاك الصبي الصغير المُتأكّد أنّه **يجب أن يكون هنالك مهر صغير في مكان ما**، حتّى لو كان صندوق الرمل مليئاً بالروث. لم أعرف كيفية الامتلاء بالحزن، وكان يبدو أنّ سلوكي يميل طبيعياً إلى البحث عن الجانب المُشرق، وقليلاً ما يلتفت إلى الأشياء التي تجعل كلّ شخص كئيباً.

بالنسبة إلى أُمّي، كنتُ أفضل صبي صغير صادَفتْه أُمّي وعائلتها في حياتهم من حيث الاستقلالية والفضولية، ومن الواضح أنني وصلتُ إلى هذه المرتبة بسبب هذا المزاج السعيد السليم. كنتُ سعيداً جداً من أجل وجودي في هذا العالم. لقد كنتُ في عمر تسعة عشر شهراً تقريباً في حجم «ديف» الذي يكبرني بثمانية عشر شهراً. حاولتُ جعل أخي يضحك ويشعر بالأمان، لأنّه كان يبدو خائفاً ومريضاً وحزيناً مُعظم وقته، وكان

نادراً ما يبتسم حتّى. كنتُ أجدُ العالم مُمتعاً جداً، وأحبّ التجوال والاستكشاف.

كلّما كبرتُ، كان يبدو أنّه لا يُوجد شيء يُزعجني أو يُقلقني. كنتُ أنظر حولي وكان كلّ ما أراه يجعلني أصل إلى حالة التعجّب والروعة. كنتُ أريد أن يكون كلّ شخص سعيداً، وكنتُ أُريد أن يختفي كلّ اليأس في عائلتي. كنتُ مُتأكّداً أنّه لا يجب علينا أن نكون بائسين فقط لأنّ والدنا بهذا السوء. كنتُ أُريد أن أرى أُمّي سعيدة في روحها عوضاً عن كلّ هذا البؤس. كنتُ أُريد أن يتوقّف أخي الأكبر «جيم» عن القلق كثيراً بشأن أُمّي وبشأن أخويه الصغيرين. كنتُ أعتقد أنني لو استطعتُ أن أجعلهم سعداء فيحصلون على بعض المرح، فستذهب كلّ تلك الأشياء الأُخرى المُزعجة بعيداً.

لم أكن أستطيع استيعاب لماذا يبدو كلّ شخص عنيداً جداً. هناك الكثير من الأشياء التي تُثير الاهتمام. كنتُ أستطيع أن ألعب ساعات بملعقة أو صندوق كرتون فارغ. كنتُ أُحبّ الخروج من أجل التنزّه والتحديق في الزهور، الفراشات، والقطة التائهة التي تُداوم الحضور إلى فناء منزلنا. كنتُ في حالة من الهناء والتقدير والحيرة كلّ الوقت تقريباً. كنتُ أمتلك أيضاً تفكيراً قوياً خاصاً بي، فلا أدع أيّ شخص يُخبرني ما أستطيع فعله وما لا أستطيع فعله، كنتُ أُصرُّ على اكتشاف العوائق الخاصة بطريقتي. وعندما يُقال لي **لا** كنتُ أبتسم ببساطة، ثمّ أتحرّك من أجل القيام بما تُمليه عليّ داخليتي، بغضّ النظر عمّا قد يقوله أيّ شخص كبير.

كنتُ أبدو وكأنني في عالم خاص بي كُلياً، عالم مُبهج، مليء بالإمكانات والاكتشافات المُثيرة اللامحدودة التي أستطيع أن أصنعها بطريقتي. لا يهمّ مدى الجهد الذي سيبذله أيّ شخص كي يجعلني حزيناً، فلن يستطيع النجاح أبداً لأنني وصلتُ إلى هنا من النور الإلهي، ولا يُوجد شيء يستطيع أيّ أحد فعله من أجل إخماد هذا النور. هذه حقيقة مَن أكون: روح من الإله الذي لا ينسى أنّ الإله حبّ، وأنا كذلك.

أنا لا أستطيع إحصاء عدد المرات التي أخبرتني بها أُمّي عن قصة كومة ثلج «سلوشي». كانت هذه الذكرى المُفضلة لديها من أجلي، قبل أن تضطرّ إلى وضعنا أنا وأخي «ديفيد» في سلسلة من منازل الحضانة، بينما ذهب أخي الأكبر «جيم» كي يعيش مع جدتنا في الجزء الأفضل من العقد القادم في حياتنا.

عندما أنظر إلى الخلف في الأيام السابقة من حياتي الحالية، أستطيع أن أرى بوضوح أنّ تلك الحكمة القديمة: **لا تُوجد مُصادفات في هذا الكون**، هي حقيقة بديهية تُطبّق على نحو صحيح من لحظة خلقنا، وقد كانت قبل ذلك ايضاً. في العالم اللانهائي، ليس هناك في الحقيقة بداية ولا نهاية. إنّه فقط شكلنا الخارجي الذي يُولد ويموت، أمّا الشيء الذي وراء شكلنا فهو غير قابل للتغيّر وهو خالد لا يموت ولا يُولد.

كأبٍ لثمانية أولاد، أنا مُقتنع تماماً أنّ كلّ فرد منهم قد وصل إلى هنا بشخصيته الفريدة. لقد أتينا من حقل غير مرئي مليء بالإمكانيات اللامحدودة. هذا الشيء الذي ليس له شكل، وليس له حدود، هو أنا في هذا الجسد المُتغيّر باستمرار. إنّ جميع الإنجازات التي ملأت سيرتي الذاتية بدأت بأخذ شكل منذ لحظة خلقي، ثمّ طوال فترة تسعة أشهر من الوجود الجنيني، ثمّ منذ لحظة أخذي لأول نَفَس عند ولادتي وخروجي إلى الحياة. عدتُ بذاكرتي إلى ذلك الطفل ذي التسعة عشر شهراً الراقد على كومة الثلج، ولم أجد ولا خلية واحدة من تلك التي شكّلت هذا الطفل الصغير باقية على كوكب الأرض، ومع ذلك فإنّ «الأنا» التي كانت في ذاك الجسد هي «الأنا» اللانهائية نفسها التي يراها الجميع بعد مرور سبعين سنة.

حتى قبل أن أستطيع القراءة أو الكتابة، احتجتُ أن أكون شخصية مُنسجمة مع **الموسيقا** التي حضرَت إلى الوجود كي أعزفها. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنني كطفل احتجتُ أن اشعر أنّه باستطاعتي الوصول إلى الآخرين ومُساعدتهم كي يتمتعوا بشعور أفضل تجاه أنفسهم وظروفهم. لقد عرفتُ بطريقة أو بأخرى أنّ **السلوك هو كلّ شيء في الحياة**، حتى بالنسبة إلى الطفل الرضيع، لذلك فإنّ السلوك الذي وصفَته لي أُمّي والذي ميّز طفولتي كان بطريقة غامضة مُتصلاً مع الرسالة «الدهارما» التي كان عليّ إنجازها خلال حياتي.

في حالة الاستلقاء على قمة كومة من الثلج مع بقية أفراد أسرتي، رأيتُهم في حالة عميقة من البؤس، ثمّ فجأة اتخذتُ قراراً أن أُحاول جعلهم يصبرون على بعض الأشياء التي من المُمكن تحمّلها، من خلال جعلهم يضحكون أو دعوتهم إلى الاستمتاع عوضاً عن كونهم تعساء، وهو أمرٌ على درجة من الروحانية تُشبه تأليف الكتب عن

التحرر من فخ التفكير السلبي والاستمتاع بالحياة إلى أقصاها. إنّ الشكل هو إنسان راشد بجسم أكبر وأضخم، ولكنّ «الأنا» اللانهائية ذاتها تتواصل من خلال صنف جديد من العيون والآذان.

لقد شاهدتُ تفتّح أطفالي الثمانية ونهضتهم. لقد أظهروا جميعهم منذ الولادة شخصياتهم الفريدة، والتي تأتي رُبّما من سلسلة الحيوات السابقة، والاحتمالات الغامضة التي لا تنتهي. بيد أنّي أعلم بكلّ تأكيد أنّ العقل الإلهي الواحد المسؤول عن كلّ الخلق له يدٌ في هذا الغموض المُمتع. فمن الأبوين نفسهما، والبيئة نفسها، والثقافة نفسها أتى ثمانية أفراد مُتميّزين بسمات شخصية مُتميّزة. أنا أعتقد أنّ «خليل جبران» قد عبّر عن هذا الأمر بإتقان في كتابه «النبي» حين قال: «أولادكم ليسوا لكم، إنّهم أبناء وبنات الحياة المُشتاقة إلى نفسها، إنّهم يأتون من خلالكم ولكن ليس منكم، ومع أنّهم يعيشون معكم، ولكنّهم لا ينتمون إليكم».

لدينا جميعاً مُهمّة من نوع مُعين علينا أن نُنجزها في هذه اللحظة، عندما نقوم بنقلة من اللامكان إلى الآن هنا، ومن الروح إلى الشكل. لقد أدركتُ منذ زمن أهمية أن أسمح لأطفالي أن يعيشوا ما تُمليه عليه دواخلهم، مُدركاً بدقة أنّ ذلك هو ما قدمتُه لحياتي كلّها، اعتماداً على القصص التي كانت تُخبرني إياها أُمّي خلال حياتي كطفل رضيع، ثمّ وأنا طفل صغير. لم تكن أُمّي متفاجئة أبداً من الطريقة التي تفتّحَت بها حياتي، بسبب ما لاحظَته في طفولتي. يمتلك كلّ طفل من أطفالي خطّة حياة من الإله كذلك، وكان عملي أن أُرشدهم ، ثمّ أتنحى جانباً وأدع ما بدواخلهم من تفرّد «مهما كان» كي يقود مسار حياتهم.

أنا أعلم أنني أتيتُ إلى هذا الوجود من أجل إنجاز هدف قررته مُسبقاً قبل الشروع بهذه الرحلة من الشكل اللامرئي إلى الشكل المادي، ومن الروح إلى التصلب في الواقع المادي. كانت البداية مع أولئك الأشخاص الثلاثة غير السعداء الذين كانوا معي في تلك الحالة المُوحلة، كنتُ أُحاول بالفعل إجراء بحث مُبكّر، والتمرّن على عيش حياة أستطيع من خلالها المُساعدة والتأثير في حياة الملايين من الناس. عندما كنتُ في تلك الكومة من الثلج كنتُ أُحاول حدسياً جعل كلّ شخص يرى أنّه بيدنا اختيار كيفية نظرتنا إلى

الحالة التي كُنّا فيها. إنّ الأنا العليا داخل الطفل أرادَت أن يعرف الأخرون أنّ الأمر ليس سيئاً جداً على وجه الحقيقة، وأنّه **بإمكاننا تغيير الأمر برمته نحو الأفضل من خلال الضحك عوضاً عن أن نكون مُنزعجين.**

إنّ الخدمة الاعظم التي يُمكن تقديمها إلى الأطفال الذين يُظهرون سمات او اضطرابات في الشخصية لا تكون رُبّما مفهومة بالنسبة إلى الكبار حولهم، هي أن يسمحوا لهم بالتعبير عن انسانيتهم الفريدة. لقد كنتُ مسروراً بقدرتي على أن أعيش مُعظم العقد الأول من حياتي في بيئة خارج حدود التدخل الأبوي وحيث كان تدخل الراشدين في حياتي في حدوده الدنيا. انا أعلم أنني قدمتُ إلى العالم بما أدعوه رسالة «دهارما» كبيرة، مع مُخطط كبير كي أُعلّم الاعتماد على الذات ونظرية المحبة الإيجابية إلى عدد كبير من الناس حول العالم. أنا مُمتنّ جداً لظروف حياتي التي سمحَتْ لي أن أترك وحيداً إلى حدّ كبير وأن أتطوّر كما كنتُ أقصد في هذا التجسيد.

كما أنّ كلّ شيء نحتاجه من أجل التطوّر الجسدي بيد قوّة إلهية خفية شفافة، أثناء تطورنا تسعة أشهر في رحم الأم، كذلك أيضاً كلّ ما نحتاجه بيد المصدر نفسه بالنسبة إلى جميع جوانب وجودنا. لقد أتينا من حالة من كمال الخلق «الحبّ الإلهي» وخالقنا لا يحتاج مُساعدة من أجل العناية بكلّ هذا. فقط عندما نتدخّل في هذه البرمجة الإلهية نخرج عن مسار ادارك الإله وتحقيقه في دواخلنا.

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم هذا الكون بأكمله على أنّه غاية واحدة. أستطيع أن أرى الآن أنّ سمات شخصيتنا المُبكّرة وميولنا تظهر لأنّها تُمثل قيم ذواتنا العليا. في هذه الأعمار المُبكّرة ما نزال مُتصلين على نحو وثيق بالمصدر، لأنّه لم تسنح لنا الفرصة بعد كي نُنحي الإله خارج حياتنا، ونتخذ غطاء للنفس الزائفة، التي هي الأنا الزائفة «الإيغو» «The Ego».

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



إنه فصل الربيع من عام 1948 حيث بلغ «ديفيد» تسع سنوات، بينما كنتُ على وشك أن أبلغ الثامنة. أنا أصرخ بالقرب من مُوظفي الجمارك الذين يتفحّصون السيارات الداخلة إلى «كندا» في «سومبرا»، «أونترايو»: «أخي يغرق! أخي يغرق! عليكم أن تفعلوا شيئاً في الحال! في هذه الدقيقة!».

كانت المرة الأولى التي نسبح فيها في نهر «كلير» هذه السنة. في شهر آب الماضي كان هنالك امتداد رملي على بُعد خمسين ياردة بعيداً عن رصيف الجمارك على مقربة من المكان الذي كُنا نسبح فيه خلال زياراتنا الصيفية. كان الكوخ الذي نسكنه في «سومبرا» ملكاً لصديق جدتي وزوجها المُستقبلي «بيل دروري». أثناء هذا الشتاء أزاح تيار النهر السريع الامتداد الرملي بعيداً، وكان «ديفيد» مُحتجزاً في تيار النهر السريع دون أن يقدر على الوقوف. كنتُ أُشاهد برُعب كيف ينزل رأسه تحت الماء، وكانت يداه بالكاد ظاهرتين فوق سطح الماء. إنّه أخي وأفضل صديق لديّ ومُرافقي الوحيد في رحلات بيوت الحضانة العديدة منذ أن كنّا كلانا طفلين. إنّه يختفي تحت السطح وقد شُلّت حركتي لجزء من الثانية من هول الصدمة.

في هذه النقطة ركضتُ إلى كوخ الجمارك حيث كان بيل مُستلقياً، سمعني مُحقق الجمارك لطيف الوجه الذي كان يعرفنا، فركض مُباشرةً إلى قارب مربوط وشغّل المُحرّك وانطلق في اتجاه آخر بقعة شُوهد أخي فيها. حالما اقترب القارب من تلك البقعة التي أشرتُ إليها، ظهرت يد «ديف» الصغيرة لآخر مرة فوق السطح، ممّا أتاح لـ«بيل»

ومُساعده الفرصة كي يسحبوا أخي إلى القارب، ثمّ فتلوه ودفعوا الماء خارج رئتيه وفمه. راقبتُ لون بشرته يعود طبيعياً من اللون الرمادي الشاحب، لقد بدأ «ديف» يُصبح على ما يُرام. أنا مُمتنّ جداً أنّ الناس في كوخ الجمارك استجابوا إلى صرخاتي المذعورة في طلب النجدة. أنا مُندهش من السُّرعة التي شغّلوا فيها القارب وأنقذوا أخي.

في ذاك المساء عندما أخبرنا أمنا عن هذه الحادثة، كان «ديف» ما يزال واقعاً تحت تأثير الصدمة. في اليوم التالي، رفض أخي أن ينزل إلى الماء، واستمرّ معه هذا الشعور في المُستقبل المُتوقّع.

كانت ردة فعل أخي تجاه تجربة اقتراب الموت من أغرب الأشياء التي صادفتُها. لم يكن «ديف» يتجنّب السباحة فقط، بل كانت تظهر في جسمه عدة بقع من الطفح الجلدي لو حاول أحدٌ إقناعه بالعودة إلى الماء. راقبتُ أخي بحذر حيث أننا كنّا دائماً معاً، ولاحظتُ أنّه حين يهطل مطرٌ مُفاجىء وهو بالخارج، فإنّ كلّ قطرة من المطر تُلامس بشرته تترك بقعة من الطفح الجلدي. كان «ديف» مصدوماً نفسياً على نحو خطير بسبب هذه الحادثة، التي من المُؤكّد أنّها ستستمرّ بقية حياته. في سنّ البلوغ، استمرّت قطرات المطر تترك تذكارات سيئة على بشرته عن مُداعبة شبح الموت له في نهر «كلير» عندما كان في عمر التاسعة.

بعد حوالي ثلاثة عقود سريعة من الزمن، أصبح «ديفيد» في الجيش في تمركز الجنود في «كانساس، رايلي». كنتُ في رحلة برفقة ابنتي «تريسي» ذات السنوات التسع، كي أنشر كتابي «مناطقك الخاطئة». كنتُ في «سانت لويز» ثمّ في مدينة «كانساس»، ولذلك قررتُ أن أقوم برحلة إلى مدينة «جنكشن» في «كانساس»، كي أزور أخي الذي لم أره منذ سنوات عديدة. تمركز أخي في منطقة ما وراء البحار، وقام برحلتين إلزاميتين خلال حرب «فيتنام»، وتلقّى وسام النجمة البرونزية على خدمته الاستثنائية وشجاعته تحت النار.

تلك هي الطريقة التي وصف بها «ديف» ماحدث معه أثناء زيارتنا، في كتابه «**من الظلام إلى النور**». لقد توضّح لي أهمية صراعه مع الموت في عام 1948:

في عام 1976 كنتُ مُتمركزاً في «فورت رايلي، كانساس»، وعشتُ في مدينة «جنكشن». كان «واين» في المدينة يُروّج أفضل كتبه مبيعاً، والذي كان بعنوان

«مناطقك الخاطئة». كان هو وابنته «تريسي» يُقيمان في «ترافيلودج» في آخر الشارع القريب مني، وقد دعاني إلى السباحة في البركة.

أخبرني «واين» أن أُركِّز أفكاري على أيّ شيء آخر غير البقع الجلدية بينما كُنّا ننزل إلى البركة. كان يُتابع الحديث معي، ولم يكن لديّ فرصة كي أفكِّر بأيّ شيء آخر غير الذي كان يقوله. في الحقيقة، كان يتحدّث بهدوء بالغ إلى درجة أنني لم أكن أفهم ما الذي يقوله، ولذلك كنتُ أواصل الاقتراب منه أكثر فأكثر.

كان «واين» يتقصّد جذب انتباهي إليه. وقبل أن أُدرك ذلك، كنتُ في الماء أكثر من نصف ساعة. عندما خرجتُ من بركة السباحة وجففتُ نفسي، لم أجد أيّ بقعة جلدية على جسمي. كانت هذه أول مرة منذ سبع وعشرين سنة لم تُصادفني فيها حالة الطفح الجلدي وأنا أُمارس السباحة. مُباشرةً عدتُ إلى الماء مُجدداً مُدّة نصف ساعة إضافية وحصلتُ على النتائج نفسها. منذ ذلك الحين وأنا أستمتع بالسباحة ولم أُصادف أيّ بقعة جلدية مُجدداً.

بينما جلستُ على مقربة من الشاطئ أُراقب أخي يُسحب بعيداً في تلك الموجات السريعة، شعرتُ بحضور شيء لا أقدر على وصفه على نحو مُلائم هنا أو في أيّ مكان آخر في حياتي كلها. هذا الحضور هو هنا الآن في هذه اللحظة وأنا أكتب عن أهمّ الاحداث الهامة من حياتي. إنّه شعور عدم كونك وحيداً والشعور بقوّة تدفع الإنسان إلى التصرّف فورياً. في ذالك اليوم الربيعي المُتأخر لم يكن قد حان وقت «ديف» كي يُغادر هذه الحياة، وكنتُ أنا الشخص المُكلّف كي أضمن استمرار رسالته «دهارما» في الحياة.

لقد بقي ذاك المشهد حقيقياً بالنسبة إليّ حتّى الآن، وأصبح كلّ تفصيل فيه منقوشاً في داخلي. لقد تعلمتُ في تلك اللحظات القليلة عندما كنتُ مُنهمكاً في الحدث، أنّه باستطاعتي جعل الناس يستمعون إليّ، وأنني أمسكتُ في الواقع بقوّة الحياة من أجل التغلّب على الموت داخلي. لقد كان التأجيل بمثابة استدعاء المُصيبة، ولم يخطر في بالي خيار أن أقف وأبكي، أو أدع الخوف يقهرني. لقد شعرتُ بقوّة الحياة تدفعني بعيداً عن المشهد الذي كنت أُراقب ظهوره أمامي، وتجرفني إلى كوخ الجمارك، وتُصرّ على أن أصرخ بأعلى صوتي مُنبهاً «بل» المُستلقي.

لا أستطيع أن أقول ما هذه القوّة الغامضة، ولكنني أعرف أنّها شيء تواجد من أجلي في مُناسبات عديدة في حياتي. إنّه شيء غير مرئي أستطيع الاحساس به والتحدّث عنه في مُحاضراتي وفي العديد من الكتب الاحدى وأربعين التي ألفتُها. إنها المعرفة القوية، التي تُشبه الدليل السماوي الخفي الذي أثق به. إنّ تجربة صراع أخي مع الموت كانت أول شيء دلّني يقيناً على أنّي أكثر بكثير من كوني ذلك الطفل ذي السنوات الثمان المُنطلق في الحدث في ذلك النهر في «سومبرا، أونتاريو». إنّه حضور مُريح أشعر بتكراره أكثر فأكثر في حياتي الآن، وهو شيء لا أتجاهله مُطلقاً.

من منظور أوضح الآن وكلّما عدتُ بذاكرتي إلى ذاك الحدث في عام 1948، ثمّ إلى ما حدث في عام 1976 في «رابلي»، أستطيع ان أرى الرابط، ومدى ارتباطه بالدور الذي أخذته حياتي. لم أكن أعلم أنّ قصة اقتراب أخي من الغرق وردة فعل جسمه العنيفة ستكون فُرصة بالنسبة إليّ كي أُطبّق ما تعلمتُه حدسياً عن رابط التفكير مع الجسد وقدرته العجيبة المُذهلة على الشفاء. كنتُ خلال زيارتي لـ«ديف» في بداية استكشافي لقوّة التفكير وقدرته على إنجاز مُعجزات علاجية.

إنّ الربع الأول من حياة «ديف» والذي ظهرت فيه البقع الجلدية على بشرته سواء نزل في الماء أو اقترب منه، أمكن التغلب عليه في جلسة واحدة حيث تمّ إخضاع تفكيره للعلاج بدلاً من التفكير المُخيف في الحادثة. من منظور أوضح، أستطيع الآن أن أرى كيف أنّ وجودي على ذلك الشاطئ، والذي أدّى إلى إنقاذ أخي كان وسيلة من أجل إعطائي المعلومات والثقة كي أُصبح مُعلّماً ومُمارساً في مُعالجة التفكير المُرتبط مع الجسد. لقد ساعدَت تجربة الطفولة تلك على إرشاد كلينا، وقادتنا كي نستكشف ونُدرك ونُحقق القوّة التي نمتلكها من أجل إنجاز أيّ شيء نُركّز انتباهنا عليه بواسطة اللجوء إلى الحبّ بدلاً من الخوف.

بطريقة غامضة بعض الشيء يبدو كلّ شيء مُترابطاً. لقد أعطتني حادثة غرق أخي فرصةَ مُساعدته بعد سنوات عديدة، وعلاجه من ردة فعل الصدمة التي سببت له البقع الجلدية الشديدة، وأتاحت لي الإنطلاق في مهنة تعليم التمكين الذاتي.

← ←← ←← ←← ←

في عام 1950، كنتُ في الصف الرابع في مدرسة «آرثر» الابتدائية في «ديترويت». كانت هذه المرة الأولى التي أدخل فيها المدرسة وأنا أعيش مع أسرتي بعد أن التمّ شملها.

كلّ يوم وفي تمام الساعة الثالثة إلا ربع عصراً كانت مُعلمتنا السيدة «إنجلز» تقرأ لنا قصة The Secret Garden «**الحديقة السرية**»، لو تصرّف الصف كلّه خلال اليوم على نحو مقبول دون أيّ كلام خارج الدور. كنتُ أُنصِتُ بشدّة إليها، وعلى الأخص أنها كانت تروي القصة بطريقة تجعل فيها جميع الشخصيات تبدو حقيقة.

في غرفة الصف، كنتُ أجلس في المقعد المُخصص لي، أقرأ حركات تُذكّر جداول الضرب، وأُراجع تهجئة الكلمات الأسبوعية، وأنظر إلى الخرائط في درس الجغرافيا، وأتدرّب على كتابة الأحرف المُتصلة، وكلّ التفاصيل الأُخرى المُملّة اليومية في الصف الرابع. بيد أنني في سري كنتُ أتلهف من أجل البدء بالاستماع إلى «**الحديقة السرية**» في تمام الثالثة الا ربع، وأجلس في مقعدي وأُحدّق في الساعة على الحائط. بينما أنا جالس في مقعدي بعد اثنتي وستين سنة، أستطيع أن أرى كلمات «سيث توماس» في خيالي على وجه تلك الساعة في غرفة الصف.

كنتُ أبدو وكأنني الطفل الوحيد في الصف المهووس بمُتابعة قصة بعد الظهر، ولاحظتُ أنّ مُعظم زملائي يغفلون عن حقيقة أنّهم إن لم يُحسنوا التصرّف، فلن يكون هناك قصة. لقد أصبحتُ واعياً أنني في العاشرة من عمري لا أرى العالم بالطريقة التي

يراه بها الأطفال من حولي، واكتشفتُ أنّ الناس سيستمعون إليّ لو تحدّثتُ بإقناع، وتعلمتُ أيضاً أنني أستمتع بقضاء مُعظم وقتي في عالمي الداخلي، مُكتشفاً تلك الأفكار التي لا يبدو أنّ أمثالي ممّن هُم في سنّي يهتمّون بها.

هنا في الصف الرابع الابتدائي الذي تُعلمه السيدة «إنجلز»، أدركتُ مدى القوّة التي أمتلكها من أجل جعل الأشياء المُهمّة عندي تحدث. كنتُ كلّ يوم أختار دور فرض الصمت بالقوّة، الأمر الذي كانت السيدة «إنجلز» تُلحّ عليه كثيراً. عندما كان الصف يُصبح جامحاً قليلاً، كنتُ أترك مقعدي وأُذكّر المُزعجين أنّهم يُهددون وقت قصة «**الحديقة السرية**»، وأنني لن أستجيب إلى هذا السلوك التخريبي، فيستمعون ويهدؤون، ليس لأنّهم يُريدون الاستماع إلى القصة، ولكن لأنني أخذتُ دور السُلطة.

كنتُ أُدرك أنّ هذه التجربة المُضيئة في عمر عشر سنوات قد حدثَت مُسبقاً في دور الحضانة حيث كنتُ أعيش، وهي الآن تتكرر هنا مُجدداً في المدرسة. عندما كنتُ أتحدّث بثقة ولطف، أُصبح محل إنصات الأطفال حولي. كنتُ أُخضع أيّ طفل يُسيء التصرّف بطريقة تمنع السيدة «إنجلز» من القراءة لنا، إلى قانوني دون تهديدات أو قسوة. آه كم أُحبّ اغماض عيني فقط والاستماع إلى السّحر الذي كان بالنسبة إليّ حديقتي السرية الخاصة.

هذه القصة التي كُتبت بيد «فرانسيه هودجسون بورنيه» في عام 1911، تتحدّث عن اليتيمة «ميري لينوكس» ذات العشر سنوات، التي أُرسلت من «الهند» كي تعيش في «بريطانيا» بعد أن تُوفي والديها من جرّاء وباء الكوليرا. لقد وصلَت اليتيمة إلى «إنكلترا» وهي فتاة صغيرة سلبية، مجروحة وقاسية، وتشعر أنّ والديها لم يكونا يُريدانها. تصف القصة اكتشافها عالماً جديداً كاملاً غيّر نظرتها إلى حياتها. هنا أنا صبي في عمر العاشرة وقد أمضيتُ غالبية حياتي أشعر بمشاعر مُشابهة من أنني غير مرغوب، وأنا الآن أستمع إلى قصة تتحدّث عن طريقة أُخرى في النظر إلى الحياة، وتسحرني فكرة وجود مكان سري سواء في هذا العالم أو في دماغ أيّ شخص.

كنتُ أستمع بافتتان إلى مُحادثات «ميري» وصديقها البائس «كولن»، مع الزهور والطائر الذي يُسمّى روبن Robin «أبو الحناء». كانت طيور الروبن تطير حولي أيضاً، وهي تبني أعشاشها وتُغرّد من بعيد بينما كنتُ أمشي من المدرسة إلى المنزل في نهاية كلّ يوم. كنتُ أنشغل بالمُحادثات مع أصدقائي الطيور طوال الطريق إلى المنزل، وأعيش في خيالي الذاتي تلك الحديقة السرية، حيث يختفي المرض والضعف ويكون السلوك الإيجابي هو ترياق كلّ أشكال المُعاناة. كنتُ أشعر بقوّة بالكلمات المقروءة من قِبل السيدة «إنجلز» بإتقان، وأخلق حديقتي السرية الخاصة كي أهرب إلى عالم تكون فيه جميع الأشياء مُمكنة، وحيث أتحدّث مع الحيوانات والأزهار وأشعر بحضور السّحر الحقيقي في حياتي.

لم يكن القدوم إلى هذا المنزل الجديد من أجل العيش مع عائلتي مُريحاً مثل العيش في أيّ منزل آخر تقريباً. كان زوج أُمّي الجديد «بيل» يُفرط في الشرب، وكان عندما يسكر، يُصبح مُجادلاً وضيعاً. بيد أنني كنتُ أتدبر الأمر وأبقى مُتغافلاً عن توبيخه، بسبب وعيي الكبير أنني أستطيع أن أخلق في خيالي مساحة سرية تماماً مثل حديقة «ميري لينوكس» في «إنكلترا». في هذه المساحة لا يُسمح لأحد بالدخول دون إذن مني. كنتُ مفتوناً بفكرة أنّ الحياة ليست محصورة بما أرى وأسمع بحواسي. لقد اكتشفتُ أنني أستطيع أن أكون هنا في هذا العالم في جسدي، وأستطيع أيضاً أن أخرج من حدود جسمي المادي، وأعيش داخل عالمي الخاص بي.

كنتُ في **الحديقة السرية**، أسمع السيدة «إنجلز» تتحدّث عن علاج الناس المُصابين بأمراض خطيرة وأفكر في نفسي أنّه **إذا كانت «ميري» تستطيع فعل هذا، فأنا أستطيع ذلك أيضاً**، وإذا كانت «ميري» و«دايكون» و«كولن» وكلّ أصدقائها في الحديقة السرية يستطيعون التحدّث مع الحيوانات والاستماع إلى الأشجار، فأنا أستطيع فعل ذلك أيضاً.

بدأ خيالي بالتحليق، وكنتُ أتخيّل نفسي ساحراً يستطيع فعل أيّ شيء يُركّز عليه، وأرى ما يُرشدني في كلّ الطبيعة، وأتعلّم كيف أذهب إلى داخلي وأُنظّف عالمي الداخلي من أيّ شيء يتدخّل في نعيم سلامي الداخلي. لقد اتّخذتُ قراراً أنه لن يستطيع «بيل» أن

يُزعجني أبداً بجنونه أو كلامه المُفرط عن الأمور التي تُوجد في عقله الفاسد فقط. أنا أمتلك حديقة سرية خاصة بي، وقد أدركتُ أنني مُرتبط بها منذ سنوات العيش السابقة في بيوت الحضانة.

هنا في هذه البيئة الجديدة، كنتُ مع ثلاثة أشخاص نعيش في بيت صغير يُعتبرون على نحو أساسي من الغرباء بالنسبة إلى الشخص الرابع الذي يقضي أيامه ولياليه بشرب البيرة، وقد حصلتُ على هدية نافعة على نحو مُذهل، وهي الوعي بحديقتي السرية، ذلك المكان داخلي الذي لا يحوي قيوداً ولا عوائق، وحيث أستطيع أن أخلق لنفسي طريقة عيش منيعة من أيّ تأثيرات تُحبطني.

على امتداد السنين القادمة، كنتُ أعيش في بيئة مليئة بالإزعاجات اللفظية وغيرها وهي أمرٌ عادي بالنسبة لمَن يتعاطى الكحول، ولكني كنتُ آمناً داخل خيالي في المكان الذي كنزته، وكنتُ أتلهف كي أُخبر الآخرين عنه.

إن قراءة السيدة «إنجلز» لقصة **«الحديقة السرية»** قرابة ثلاثين دقيقة في ختام كلّ يوم مدرسي يبدو أمراً غير هامّ بعض الشيء بالنسبة إلى الأطفال الآخرين في الصف الرابع الابتدائي، بينما كانت بالنسبة إليّ هبة أشعلت النار داخلي والتي أنا مُمتنّ لها دائماً. كانت بداية وعي أمتلك بعض الشيء منه داخلي يفوق ما يجري خارج ذاتي، إنّها حديقتي السرية حيث كلّ الأشياء مُمكنة.

حتى بعد العقود الستة التي مررتُ بها، غالباً ما أعود بذاكرتي إلى الصفّ مع السيدة «إنجلز» وأُفكّر كيف كانت العناية الإلهية تعمل بالنيابة عني. بطريقة ما كانت تُرشدني إلى ذلك الصفّ قوّة تُخطط من أجل إشعال نار في داخلي بإمكانها أن تحثني على الكتابة والتحدّث عن أفكار قدمتْهَا تلك الرواية التي كُتبت منذ أكثر من قرن مضى. قبل البدء بكتابة **«أستطيع الآن أن أرى بوضوح»**، قررتُ أن أتمعّن في قراءة **«الحديقة السرية»** مُجدداً، كي أُذكّر نفسي بما أشعل هذه المُتعة المُلحّة في نفسي اليانعة. لقد أثار المقطع التالي الذي كتبه المؤلف عن «ميري لينوكس» ذات السنوات العشر انتباهي حقيقة: «كانت مُؤمنة عظيمة بالسّحر، وكانت تُؤمن في سرها أنّ «دايكون» يُمارس السّحر «من النوع الجيد» بالتأكيد على كلّ شيء

جانبه، وهذا سبب أنّ الناس أحبته كثيراً، وكانت المخلوقات المُفترسة تعلم أنّه صديقها)).

لقد عادت المُتعة التي أثارتها هذه الفكرة داخلي في عام 1950 كي تُصبح قوّة دافعة لجزء أساسي من العمل الذي سيشمل حياتي في فترة الرشد بأكملها. في الفترة التي كنت فيها غير واعٍ كنتُ أقضي حياتي في فحص واستكشاف فكرة وجود غرفة مُنعزلة داخلنا، لو اهتممنا بها وتذوقناها، فستُعطينا الطاقة كي نعيش حياتنا في مستويات غير عادية. في عالم خالٍ من المصادفات، وعالم مُنسق إلهياً، يبدو لي على نحو واضح أنّ السيدة «إنجلز» مُعلمة الصف الرابع ذات البصيرة، كانت في حياتي كي تُوقظ الشغف في داخلي كي أسلك طريقاً غير اعتيادية. لقد فتحت هذه التجربة حياتي على الشغف إلى العظمة وتحقيق المُعجزات، والإيمان أنّه لا تُوجد حدود لما يستطيع الإنسان انجازه لو أدرك قوى العالم غير المرئي، والتي هي حقّنا منذ ولادتنا.

كطفل في العاشرة من العمر، تعرّفتُ على فكرتين كانتا منارتين في الرحلة التي أصبحت قدري. كانت المنارة الأولى أنّ الناس تستجيب إلى المنفعة التي تهمّ جميع الأطراف، لو تحدّثتَ إليهم بثقة وأسلوب عدم الحكم عليهم. بينما كانت المنارة الثانية أنّ هنالك حديقة سرية تزخر بالسّحر والمُعجزات مُتوفّرة لأيّ شخص يُقرر أن يزورها.

بالطبع لم أكن أدرك في البداية أن الساعات التي جلستُ استمع فيها إلى قصة **الحديقة السرية** كانت في الحقيقة تُهيئني من أجل عمل الحياة. كانت تلك الساعات لحظات مُحفّزة بالنسبة إليّ. عندما كان يرنّ الجرس وينتهي الدرس، كنتُ أتسكّع في حديقتي السرية طوال الطريق إلى المنزل. لقد كان ذلك شعلة من الشغف وقتها، وما زلتُ أشعر بالدوار على الأغلب عندما أتأمّل ما نحن جميعنا قادرون على اكتشافه عندما نسمح لأنفسنا بالوصول إلى قوتنا الذاتية الكامنة.

في سنوات لاحقة، تذكّرتُ صفّ السيدة «إنجلز» بينما كنتُ أقرأ كتاب **Candid** **«التفاؤل»**، أفضل أعمال «فولتير» المعروفة. بعد تجوالها في العالم ورؤية أسوء ما في

البشرية، تتحدّث شخصية البطولة في نهاية هذه الحكاية الساخرة بامتعاض عن أنّ عنف ونهب الملوك لا يُمكن مُقارنته بالإنتاجية وحياة السلام عند أولئك الذين يهتمون بشأنهم الخاص ويُحسنون العناية بحديقتهم الخاصة.

كنتُ كلّ يوم أقرأ هذه المقطع لِـ«فولتير»، وأراني الطفل في عمر عشر سنوات، الذي يتأمّل حديقته السرية الخاصة المجهولة بالنسبة إليه، ويُجهّز المنصة من أجل حياة يُشجّع فيها الآخرين على تجنّب الحياة العادية والميل على نحو حقيقي إلى حدائقهم الخاصة.

◄►◄►◄►◄►◄



- أنا في مدرسة جديدة Marquette Elementary «ماركيت الابتدائية»، وهي مدرستي الخامسة على مدى سنوات عديدة. كنتُ أستمع إلى السيدة «كوبر» وهي تُخبرنا نحن طلاب الصف الخامس، أنّها مُستاءة قليلاً ومُنزعجة من طريقة تصرّفنا وسلوكنا. ثمّ ذهبَت أبعد من ذلك وقالَت أننا أسوء صفّ علّمته في حياتها.

بينما جلستُ في آخر الصف، وجدتُ نفسي مُستمتعاً بردة فعلها الغاضبة. لقد دارَت هذه الأفكار في رأسي بينما كنتُ أشاهد امرأة ناضجة تفقد السيطرة على نفسها: كيف أمكنها أن تدع سوء تصرّف مجموعة من الأطفال يكون مصدر إزعاج لها؟ إنّها المُعلّمة وهي الرئيسة، والتي من المُفترض أن تكون مسؤولة عن هذا الصفّ، إنّها تسمح لسلوك شخص آخر أن يتحكّم بسلوكها. كيف استطاعَت أن تصرف طاقتها على أطفال صغار جامحين بسبب أنّ هذا الصف مُملّ كثيراً؟ أنا أُدرك أنّ مُعلمتنا تُحاول أن تجعلنا جميعاً نتصرّف من خلال تقنية جعلنا نشعر بالذنب. لقد أدركتُ أنني لست كباقي الأطفال مُطلقاً بالطريقة التي اعتقدتُها.

عدتُ في ذهني إلى منزل السيدة «سكارف» في شارع «تاون هول 231» في «مونتانا كليمنتس، ميشيغن»، وهي دار الحضانة حيث عشتُ أقلّ من سنتين. لقد أتى العديد من الأطفال ثمّ غادروا في الفترة التي كُنّا أنا وأخي «دايفيد» نعيش هناك، بيد أنني أتذكّر فتاة صغيرة اسمها «مارثا» كانت تبكي على نحو هيستيري بعد أن تركها رجلان بالغان في الحضانة. لقد سمعتُ بالصدفة السيدة «سكارف» تُخبر

زوجها: «اذهب وابحث عن «واين»، فهو القادر على جعلها تهدأ».

دخلتُ إلى الغرفة وأخذتُ «مارثا» من يدها، وأخبرتُها كم هذا المكان جميل وكم ستستمتع بالعيش هنا. وجدتُ «دايف» ثمّ أخذناها في جولة إلى قنّ الدجاج، وإلى أشجار الخوخ والكرز وفي جميع أرجاء الحديقة. ثمّ أخذتُها إلى شجيرتي المفضلة، حيث كان يتفتح الليلك، وتنمو زنابق الوادي بالقرب من الأرض. أعطيتُها كلا الزهرتين وطلبتُ منها أن تشمّهما وتُفكّر في الحال بأفكار سعيدة. أمام عينيّ، تحوّلت «مارثا» إلى صديقة لعب سعيدة ومُبتهجة.

الآن في غرفة الصفّ مع السيدة «كوبر»، أُفكّر كيف كان شعوري بالاشتياق إلى أُمّي كبيراً في تلك السنين، وكيف كان عليّ الاعتناء بأخي الأكبر، الذي كان يتعرّض على نحو مُتكرر إلى المُضايقة من بعض الأطفال القُساة، لأنّه كان بحجم أصغر من عمره نتيجة اضطراب فقر الدم الشديد. أتذكّر أنه خلال كلّ تلك السنين، استخدمتُ أفكاري ببساطة كي أُحوّل الأحداث الحزينة إلى بركات، بينما أرى هنا امرأة ناضجة تخرج عن طورها بسبب إزعاج فوضوي صغير، ولم تعرف كيف تكون سعيدة عبر استنشاق عبير الليلك وزنبق الوادي الرائعين. إنّها تُريدني أن أشعر بالذنب بسبب عدم قدرتها على أن تجد المُتعة في كلّ لحظة؟!

لقد كنتُ أعلم أنّه في داخلي معرفة لا يبدو أنّ أحداً من الأطفال كان يعرفها. لقد كان من الواضح عندي تماماً أنّه ما من أحد لديه القدرة كي يجعلني أشعر بالسوء أو يسحبني إلى الشعور بالذنب بسبب ضعفه. كنتُ واعياً جداً أنني مُختلف، وكنتُ أعرف أنني أستطيع اختيار كيف أشعر في أيّ لحظة. كنتُ أسند رأسي على المقعد، وأعي أنني أستطيع اختيار السلام عوضاً عمّا اختارته السيدة «كوبر» لنفسها.

انتهى الدرس وتوجّهنا جميعاً إلى الملعب بعد الغداء. كانت «سو» مُنزعجة على نحو سيء بسبب الأشياء التي قالتها المُعلّمة للصف، وكانت تبكي هي وصديقتيها «جينيس» و«لوان». يبدو وكأنها شعرت أنّها كانت مقصودة كواحدة من المُحرّضين على الحدث الذي تحدّثت عنه السيدة «كوبر».

بدأتُ بالتحدّث إلى «سو»، مع إدراكي القلبي أنّه لديّ قدرة داخلي كي أجعلها ترى

هذه الحادثة على حقيقتها، عوضاً عن الطريقة التي تخيلتَها بها. سألتُها: «لم أنتِ مُنزعجة كثيراً؟، ألا تستطيعين أن تري أنّها كانت تُحاول فقط أن تجعلك تشعرين بالذنب؟»).

أجابت: «لأنّها كانت تنظر مُباشرة إليّ وتقول كم كنتُ سيئة وأنني جعلتُها تشعر بالسوء».

– «لماذا كانت تفعل ذلك برأيكِ؟».

– «كي تجعلنا نُحسن التصرّف».

– سألتُها: «هل تُريدينها أن تشعر بالسوء حتى نُحسن التصرف برأيكِ؟».

– «كلا، أنا فقط لم يُعجبني أنّها كانت غاضبة مني، وأنّها تعتقد أنني سيئة».

– «ما أهمية ما تعتقده هي عنك أنتِ؟».

– «عندما يكون أحدهم غاضبٌ مني، فهذا يجعلني أشعر بالسوء».

– «أليس كونها مجنونة مُشكلتها وحدها؟» أُريد أن أعرف».

– «كلا، لو لم تكن غلطتي لما شَعرَتْ بالسوء».

«ماذا لو أخبرتكِ أنّكِ كنتِ شجرة، هل ستكونين شجرة؟ وهل ستشعرين بالسوء لأنّها فكّرَت كذلك؟»).

«بالطبع لا» أجابت «سو».

أمضيتُ فترة الاستراحة في جعل «سو» تُدرك أنّ السيدة «كوبر» تُحاول التحكّم والسيطرة عليها من خلال التأثير على نقطة ضعفها. كنتُ أريد أن أُساعد رفيقتي الطالبة في فهم أنّه لا يُمكن لأيّ أحد أن يجعلها تشعر بالسوء دون أن تُعطيه هي الأذن بفعل ذلك.

أثناء عودتنا إلى الصف كان لدى «سو» ابتسامة خفيفة على وجهها، بيد أنني علمتُ في قلبي أنّه لديها درب طويل تسلكه قبل أن تتعلّم كيف تكون مُستقلّة عن حاجتها إلى الاستحسان. كنتُ أعلم كذلك بوجود شيء داخلي يُعطيني حرية لا يمتلكها الأطفال الآخرون. كنتُ أعلم أنّ ما أشعر به هو شيء أستطيع اختياره في أيّ ظرف، وأنّه لا

أحد يستطيع أخذ هذا الشيء مني، إلا إذا سمحتُ له بذلك. كنتُ أعلم أيضاً أنني أستطيع مُساعدة الآخرين كي يشعروا أنّهم أفضل، إذا تحدّثتُ إليهم ببساطة بمنطق سليم بالنسبة إليهم.

عندما أعود إلى تجربة الصف الخامس تلك، أُدرك الآن أنني أبدو مُرتبطاً مع تلك التجربة بطريقة لا تُشبه مَن هم في عمري. لقد بقي ذاك اليوم عندما كنا في الملعب مع «جانيس»، «لوان»، «سو» مطبوعاً دائماً في ذاكرتي. لقد كان واحداً من أحداث مُماثلة استطعتُ فيها تخطّي ما يحدث ومُراقبة نفسي وأنا أتصرّف بأساليب لم أرَ أيّ من الراشدين يفعلها من قبل، ناهيك عن مُثلائي ممّن هم في عمر أحد عشرة سنة. لقد بدت في ذلك الوقت أنّها الأشياء التي يجب عليّ فعلها، وقد زاد من شعوري المثالي مسألة عدم سماحي للأشياء الخارجية أن تُزعجني أو تُعيقني عن إحساسي أنني في أحسن حال.

من هذه النقطة المُفيدة، كان واضحاً بالنسبة إليّ أنني في نوع يُشبه مُخيم التدريب كي أُصبح مُعلّماً نشطاً مع مبادىء منطقية روحانية عالية. كنتُ أعلم أنّ لهذا العالم مصدر طاقة إبداعي يدعمه وهو بالمعنى الحرفي منشأ الأمور كلها. لا شيء يحدث مصادفةً في أيّ مكان، لأن هذا العقل الكوني مُستعد على الدوام، ويسير بطرق عجائبية من الاحتمالات الضخمة غير المحدودة.

تلك الأفكار الداخلية التي كانت تُحفزني كي أعتمد على فكري الخاص، وأُساعد زملائي في الصف كي يتجاوزوا نظرتهم إلى الأشياء بالطرق العادية، كانت جزءاً لا يتجزأ من خطة مصدر الكون من أجلي. تلك التجارب المُبكرة لا تزال حيّة في ذهني حتّى اليوم.

كانت تلك أرض التدريب الخاصة بي، وكانت تلك خطوات الطفل الذي يقترب في اتجاه حياة تعليم الاعتماد على الذات. عندما أعود بذاكرتي إلى أيامي الأولى على الأرض، أستطيع رؤية أنّ إمضاء العقد الأول من عمري في سلسلة من بيوت الحضانة كان جزءاً من خطة الإله الناجحة من أجلي. لقد كان قدري أن أقضي حياة النضج في التعليم وإلقاء المُحاضرات والكتابة عن الاعتماد على الذات، ومن هنا كان واضحاً أنني أحتاج

أن أتعلّم الاعتماد على نفسي كي لا أُصبح في حالة أضطرّ فيها إلى التنحي والابتعاد عن هذا الوعي. أيّ أرضية تدريب أفضل من الطفولة المُبكّرة من أجل تعليم النفس الاعتماد على الذات، الأمر الذي يتطلّب حسّاً من الاستقلالية ويحتاج إلى الاكتفاء الذاتي؟.

في ذلك الوقت، لم أكن واعياً بالتأكيد إلى التضمينات التي قدمتهَا لي تلك التجارب المُبكرة. الآن ومن موضع قدرتي على الرؤية بوضوح أكثر، أعرفُ أنّ كلّ شي واجهتُه، وكلّ تحدٍ، وكلّ حالة جميعها مواضيع مُذهلة تُشكل النسيج المُزخرف الذي يُمثل ويُعرّف حياتي، وأنا مُمتنّ من الأعماق تجاهها جميعاً.

▪ ◂▪ ◂▪ ◂▪ ◂



كان الطالب الآخر الجديد في تلك السنة، فتاة تعيش في نهاية الشارع الذي أسكن فيه، وكان اسمها «رودا»، ولكنني لم أتحدّث إليها بعد. استمرّ رفقائي يأتون إليّ ويهمسون وكأنّهم يعطونني معلومات سيئة وممنوعة عن هذه الفتاة الجديدة: «لا تتحدّث إلى «رودا» إنّها يهودية». لم أسمع تلك الكلمة سابقاً، ولذلك سألتُ: «ما هذه الكلمة؟» ما الذي تعنيه؟ ما الذي تمتلكه كي يجعلها غير مرغوبة بهذا الشكل؟، ولم يكن يمتلك أيّ أحد من زملائي جواباً. إنّهم فقط يعلمون أنّه تمّ تلقينهم شيء ما عن اليهود في مكان ما من شخص ما، وهذا يعني أنّهم لا يستطيعون أن يكونوا أصدقاء معهم. إنّهم جميعاً عازمون على تجنّب هذه الفتاة الجديدة بسبب تصنيف جعلها بطريقة ما منبوذة.

كانت «رودا» تعيش على بُعد نصف كتلة مني في شارع «موروس» في الجانب الشرقي من «ديترويت». في ذاك المساء، قررتُ أن أكتشف سبب كلّ هذا الجدل. قرعتُ الباب، فرحّبَت بي أمّ «رودا» والتي كانت في الحقيقة احدى زبائني على طريق توزيع الصُحف، حيث كنت أسلم صحف «ديترويت» كلّ يوم بعد الظهيرة على دراجتي الهوائية. اكتشفتُ أنّ «رودا» مثل بقيتنا، وكلّ ما في الأمر أنّها تُمارس مجموعة مُختلفة من العقائد الدينية.

لقد اختبرتُ الكثير من التجارب الدينية في بيوت الحضانة التي عشتُ فيها، وكانت مسألة كون الإنسان بروتستانتياً، كاثوليكاً، أو يهودياً، أو أيّ شيء آخر لا تعني لي مُطلقاً أيّ شيء. لقد كوّنتُ رأياً للتوّ أنّ ما يُسمّى بالتعاليم الدينية التي اختبرتُها لا تعني شيئاً. من أجل ذلك، تجاهلتُ رسالة يوم الأحد المدرسية التي تحمل الخوف والحكم على الناس، ولم أُعر انتباهاً لأيّ منها. كنتُ لا أرى حاجة إلى كلّ هذا الجنون في حياتي، وفي وقت لاحق قررتُ ألا أُشارك فيها، لأنّه في كلّ مرة كان يُطلب مني الذهاب إلى الكنيسة كنتُ أشعر بالسوء في نهاية تلك التجربة، وأنا أُريد أن أشعر أنني جيد أكثر من أيّ شيء آخر.

كانت عائلة «رودا» في غاية اللطف، وعندها قررتُ أنّ «رودا» ستكون صديقتي المُرحّب بها في الصفّ السابع.

مع قبولي لكلّ من «رودا» و«غاي»، أصبحَت تحضيرات قبولهما في الصفّ أكثر

سلاسة، وأصبح كلا الولدين مقبولاً كجزء من صفّنا، وتوقّف استخدام كلمة «يهودي» كعلامة ازدراء مُباشرة على ما أعتقد. كنتُ مُرتبكاً من استعداد الكثير من أصدقائي للحكم على شخص بناء على ما أخبرهم به أهلهم عن كلمة لم يفهموا معناها حتّى. عوضاً عن التفكير بأنفسهم، كانوا يستخدمون أدمغتهم كي يعكسوا ما أملاه الآخرون عليهم كي يُفكّروا به.

كنتُ محظوظاً جداً، أنّه ليس لديّ أشخاص كبار حولي يُخبرونني مَن أكره ومَن أرفض ومَن أُدين. برزت هاتان التجربتان مع «رودا» و«غاي» بوضوح عندما عدتُ بذاكرتي إلى بداية حياتي، وأدركتُ الآن أنني كنتُ أتهيأ من أجل أن أعلّم التعاطف والتحمّل في حياة النضج، على الرغم من أنني كنت غير واعٍ لأهمية هذا الأمر في ذاك الوقت. لم أكن في الحقيقة أشعر بالتميّز أو أنني أكثر تنويراً من الآخرين، كنتُ فقط واحداً من ثلاثين طالباً أو أكثر في الصفّ، وبدا وكأنّ الأشياء التي يجب فعلها تظهر في وقتها.

أستطيع أن أرى الآن بوضوح تامّ أنني أُرشَد كي أتصرّف بطريقة أو بأُخرى، على الرغم من أنني صبي صغير. كانت العناية الإلهية تقود المسرحية التي كنتُ فقط في المشهد الأول منها في ذاك الوقت. لا أستطيع أن أقول لماذا توليتُ القيام بهذا النوع من الأدوار في المراحل الأولى من حياتي، بدلاً عن التخمين بأنّ قوّة عليا كانت تعمل خلال سنوات التكوين. بينما كان العديد من أصدقائي ومعارفي يرغبون في استخدام نعوت الكراهية، كنتُ مُستاءً بالفطرة من تلك اللغة وأقف موقف العداء منها في داخلي عندما أسمعها، ولكنني لم أختر أن أقوم بثورة غضب كبيرة عندما يظهر سلوك كهذا، لأنني كنتُ أعلم في داخلي تماماً كما تعاملتُ مع الخوف الذي كان يُهدد أخي، أنّ القتال مضيعة للوقت ولا يدفع إلى إنجاز أيّ شيء. لقد سمعتُ أصواتاً مُختلفة في رأسي، ومُناداة داخلية تُشجّعني كي أكون أُنموذجاً عمّا وجدتُه صحيحاً.

كان موضوع التعاطف واللطف تجاه الآخرين معي منذ كنتُ صبياً صغيراً. رُبّما كان من بقايا حياة سابقة، ورُبّما نما من مشاعر مُبكرة من الهجر، حيث أردتُ أن أُعطي الحبّ بسبب شعوري أنّ الحبّ لم يكن يأتيني. من مُنطلق هذه النقطة أرى وكأنّ يد

العناية الإلهية على كتفي تُرشدني كي أتصرّف بطرق رحيمة منذ وقت مُبكّر كي أستطيع الكتابة والحديث عن أهمية نشر الحبّ إلى الجميع كجزء من رسالة الحياة.

مع ذلك عادت شعلة التحفيز تلك كي تتموضع داخلي، وهنا أُريد أن أعبّر عن تقديري من أعماق القلب لها، لأنّها لم تُشعل حياتي فقط على نحو غير محدود، وإنّما كانت مصدر راحة وشفاء بالنسبة إلى الملايين من الناس في العالم.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- «عندما أستظيف في برنامج The Tonight Show عرض الليلة وأتحدث إلى «ستيف آلن» سوف أكون ممتع أكثر من الذين كانوا في الليلة الماضية».

كنتُ أُجري مُحادثة مع أُمّي وأختي في وقت باكر من الصباح قبل أن تستقلّ أُمّي باص العمل ونتوجّه نحن إلى المدرسة. في عام 1954 أصبحتُ في عمر الرابعة عشر، وكنتُ أُشاهد برنامج «ستيف آلن» التلفزيوني كلّ ليلة تقريباً، وأُشاهد نفسي هناك في الاستديو أتحدّث مع «ستيف» وأُدردش مع شخصياته غريبة الأطوار. **لم أكن أعتقد أنني سأكون ضيفاً بل كنتُ أعرف ذلك.**

كنا نمتلك شبكة تلفاز صغيرة من نوع **Admiral** «أدميرال»، وكان الرائي بالأبيض والأسود هو أول تلفاز في الحيّ. على سطح منزلنا الصغير ذي الطابقين في شارع «موروس – 20217» كان هنالك لاقط للإشارة على حسب هبوب الريح. بالنسبة إليّ كان هذا هو أقصى حدّ للرفاهية، وقد أصبحتُ مُدمناً لمُتعة الليل المُتأخر بعد أن ينام جميع مَن في المنزل، أظلتُ السهر قرب تلك الأداة الغريبة وكنتُ أُخفض الصوت قدر الإمكان، لأنّ مُنبه أُمّي مضبوط على الخامسة صباحاً ولا أُريد إزعاجها، أو جعلها تنتبه أنني صاحٍ تماماً، بينما تظنني نائماً.

تلك الليالي التي كنتُ أُشاهد فيها «ستيف آلن» في **عرض الليلة** كانت أكثر من مُجرّد مُتعة بالنسبة إليّ. كنتُ في خيالي أدمج نفسي مع البرنامج بأكمله، وفي بعض الأحيان كنتُ أرى نفسي ليس كما في الوقت الحاضر صبي صغير يجلس في غرفة

الجلوس يُشاهد التحولات الإلكترونية، وإنّما أرى نفسي في المُستقبل كذلك.

لديّ شعور لا يُصدّق عن كوني مُرتبطاً بما سأفعله في المُستقبل حتى أنني في بعض الأحيان أنظر إلى الشاشة الصغيرة وأرى نفسي جالساً أتحدّث مع «ستيف» كشخص ناضج.

لا أستطيع زعزعة هذه الصورة مُطلقاً. أتحدّث عنها مع القليل من الناس فقط، وفي بعض الأحيان أستطيع الدمج بين الحاضر والمُستقبل، فتُصبح هذه الصور الداخلية عالمي الخاص.

رُبّما يبدو الأمر جنونياً بالنسبة إلى مُعظم الناس، ولكنّه **حقيقي جداً** بالنسبة إليّ. كنتُ أرى نفسي أستعمل شاشة التلفاز الصغيرة هذه كوسيلة من أجل الوصول إلى الناس وتعليمهم، ليس فقط في مدينتي أو في بلدي، بل في العالم بأكمله.

عندما أُشارك هذه الأفكار مع عائلتي وأصدقائي، يهزؤون من قلّة خبرتي، ولذلك بدأتُ أتمرّن على إبقاء هذه الصور الداخلية في الداخل فقط. لم تتركني هذه المعرفة أبداً، ليلة بعد ليلة، وكلّما شاهدتُ «ستيف آلن» في **برنامج الليلة**.

في عام 1976 نشرتُ كتابي Your Erronrous Zones «مناطقك الخاطئة» للعموم، وكنتُ أقوم بجولة محلية على نفقتي الخاصة على نحو عام، وأزور المدينة تلو الأُخرى، وأقوم بالمُقابلات الإعلامية بقدر ما استطعتُ ترتيب الأمور، لأنني كنتُ شخصية غير معروفة، وكلّ طلب قدمتُه من أجل الظهور بلقطة على التلفزيون المحلي قوبل بالرفض بحزم. من أجل ذلك، قررتُ أنّ الطريقة الأُخرى كي أصل إلى كلّ شخص في «أمريكا» هي أن أذهب إليهم مُباشرة.

حزمتُ كُتبي مع ابنتي «تريسي» البالغة من العمر تسع سنين، وقضينا أشهراً عديدة في الطرقات. قمتُ بكلّ مُقابلة استطاع «دونالد غولد» صديقي الخاص والوكيل الإعلامي أن يُرتبها. أخيراً تلقيتُ اتصالاً في شهر آب من رجل أعمال اسمه «هاورد بابوش» يعمل مُنسّقاً للمواهب في برنامج «**عرض الليلة مع جوني كارسون**»، وكان قد قرأ كتابي «مناطقك الخاطئة» للتوّ، وأراد أن يعرف إذا كنتُ قادراً على أن أُحضّر

نفسي من أجل مُقابلة مبدئية من أجل ظهور مُحتمل في برنامج «**عرض الليلة**». بالطبع قبلتُ مُباشرة ووصلت إلى «بوربانك، كاليفورنيا»، إلى استديوهات محطة «إن بي سي». تحدّثنا أنا و«هاورد» ساعات عديدة وأصبحنا في النهاية صديقين مُقرّبين.

بعد يومين، تلقيتُ مُكالمة من «هاورد» يُعلمني فيها أنني أُدرجتُ على الجدول من أجل الظهور مساء الاثنين القادم في برنامج «**عرض الليلة**» مع الضيف الكوميدي «شيكي غرين»، الذي يُمثل كثيراً في المسلسلات الهزلية في «لاس فيغاس». كانت فُرصتي الأولى كي أتحدّث مع الناس في «أمريكا» عن الرسالة التي أردتُ مُشاركتهم إياها في عالم كتابي «مناطقك الخاطئة». كنتُ أشعر بسعادة غامرة ونشوة لا أستطيع التعبير عنها مهما كتبتُ هنا. كان من المقرر أن أكون آخر ضيف، أو كما يُسمّى هذه الأيام «إضاءة كاتب»، وفي آخر خمس عشرة دقيقة من أصل خمسين دقيقة من وقت البرنامج الذي يُبث في الساعة الواحدة إلا ربع صباحاً.

في الليلة التي كان سيُسجل فيها العرض، عندما توجّهتُ إلى غرفة ملابسي، مررتُ على هاتف عمومي، وأجريتُ مكالمة مع السيد «ستيف آلن»، الذي كان ضمن الجدول كي يكون الضيف الأول في البرنامج. قدّمتُ نفسي إلى «ستيف» ومشيتُ إلى غرفة ملابسي ضمن سحابة من الذهول. **سأظهر على القناة المحلية على الرائي مع الرجل الذي أُعجبتُ به كثيراً منذ أن كنتُ صبياً في عمر أربعة عشر عاماً!**.

انتهى تصوير البرنامج في حوالي السادسة مساءً ومضى دوري مع «شيكي غرين» على نحو جيد. كان «شيكي» مُمتعاً ومُضحكاً ونجح في جعلي مُرتاحاً ومُنسجماً ومُستمتعاً.

توجّهتُ خارجاً إلى مطار «لاكس» في حالة من النشوة الخالصة، وبينما كنتُ على وشك الصعود في الطائرة سمعتُ نداء اسمي عبر نظام النداء العمومي، وأخبروني أنّه لديّ مُكالمة هاتفية طارئة. عثرتُ على هاتف، وكانت المُكالمة من «هاورد» الذي اتصل كي يُخبرني بعض الأخبار السيئة. للمرة الأولى في تاريخ «**عرض الليلة**»، تمّ استبدال البرنامج لأنّه في البرنامج الوطني الجمهوري في مدينة «كانساس»، قام المُرشح لمنصب نائب الرئيس «بوب دول» بتجاوز الوقت المسموح له، ولم تُغيّر

محطة «إن بي سي» المشهد، ولذلك فإنّ ظهوري المحلي الأول والوحيد على شاشة التلفاز قد انمسح. انتقلتُ من شعور النشوة إلى الغضب في بُرهة!.

في اليوم التالي الثلاثاء، اتصل بي «هاورد» وأنا في «ديترويت» كي يُخبرني أنّ «جوني كارسون» يرغب باستضافتي في «**عرض الليلة**» ليلة غد الأربعاء. يبدو أنّ «جوني» أُخبر في اجتماع صباح الثلاثاء عن هذا الضيف الجديد الذي كان رائعاً في الليلة السابقة، على الرغم من أنّ العرض لم يُبث.

استملتُ تذكرة طائرة العودة إلى «لوس آنجلوس»، كي أظهر مع «جوني» في ليلة الأربعاء. على الرغم من أنّه مضى وقت طويل من وقت البرنامج تحدّث فيه «جوني» مع «أورسون ويلز» و«روبرت بليك»، ممّا جعل الوقت المُتبقي قليلاً لي، من أجل ذلك قال لي «جوني» على الهواء: «أنا آسف لقد أطلنا الحديث هذه الليلة. هل بمقدورك البقاء والظهور مرة أخرى يوم الجمعة، وسنُعطيك وقتاً أكبر من وقت اليوم؟»، قلتُ: «نعم»، وظهرتُ مُجدداً مع «جوني» ليلة الجمعة، ثمّ ليلة الاثنين التالية حيث أعادوا عرض الحلقة التي توقّفت في الأسبوع الماضي والتي كانت مع «شيكي غرين!».

انتقلتُ مُباشرة من عدم الظهور على قناة التلفزيون المحلي إلى ثلاث لقطات في «**عرض الليلة**» خلال خمسة أيام. كانت هذه بداية سلسلة من سبعة وثلاثين ظهوراً عبر «**عرض الليلة**» خلال السنتين القادمتين، إضافة إلى الظهور الدائم في **برنامج «ميرف غريفين»، برنامج «مايك دوغلاس»، برنامج «ذا فيل دوناهو»، برنامج «حديث دينا شور الصحفي، دينا!»، برنامج «جون دافيدسون»، برنامج «اليوم»، برنامج «صباح الخير أمريكا» وغيرها.**

كلّما اقتربتُ من مركز الاتصال ذاك، وتذكّرتُ أنني كنتُ على وشك الظهور مع «ستيف آلن» في «**عرض الليلة**»، تكوّن لديّ شعور مُباشر لا يُقاوم في داخلي أنني صنعتُ مُستقبلي في الحقيقة، من خلال امتلاكي خلفية من المعرفة القوية عندما كنتُ في عمر الرابعة عشر. في الحقيقة، أنا مُتأكّد جداً أنّ الوقت في حدّ ذاته هو خدعة وأكثر بكثير من أن نكون قادرين على فهمه من خلال ارتباط التفكير مع الجسد.

ربما كانت **معرفتي** السابقة في عام 1954 أحد احتمالات الحدث المُستقبلي الذي أصبح حاضراً الآن وأُفكّر فيه على أنّه من الماضي. بيد أنّه لو كان الوقت وهماً، والوحدانية هي تعريف تجربتنا بالفعل، لكان يجب أن تكون فكرة الماضي والمُستقبل وهماً أيضاً. لو بدا الأمر أحمقاً ومُستحيلاً بالنسبة إليك، كما بدا كذلك كثيراً بالنسبة إلي، عندها فكّر فقط في حالة الحلم الخاص بك. هنا يُمكنك أن تطير، ويُمكن أن يكون جداك المُتوفيان منذ وقت طويل على قيد الحياة، وتكون قادراً على أن تكون طفلاً صغيراً أو شخصاً كبيراً، أو في أيّ عمر ترغب فيه لو ركّزتَ انتباهك عليه. تأمّل ذلك في ثلث حياتك، فأنت في بُعد اللاوقت وكلّ شيء مُمكن، والطريقة الوحيدة التي تعرف فيها بالتأكيد أنّك كنتَ تحلم هي أن تستيقظ ثمّ تنظر إلى الوراء إلى منامك.

في حياتي الآن ومن وجهة نظر أكثر يقظة، أعود إلى نفسي في عمر الرابعة عشر، فأرى أنني كنتُ أمتلك معرفة داخلية قد أصبحَت نية وارتبطَتْ مع المعرفة الكلية والخلق الكليّ والعقل الالهي، وسمحَت لي أن أُصبح ما كنتُ أُركّز وعيي عليه، كما كنتُ أفعل في حالة حُلمي. هذا إيماني بمدى قوّة أفكارنا ونوايانا على طول حياتنا.

أرى الآن من وجهة نظر أوضح، أنّ كلّ لحظة من وجودنا تحمل عدداً غير محدود من الإمكانيات. إنّ المعرفة الأكبر في دواخلنا عمّا سنفعله أو سنكون عليه سنعيشها بالفعل هنا وفي الحال، على الرغم من أننا لم نُجرّبها بعد في حقيقتنا اليومية. إنّ الفكرة التي تستمرّ هي فكرة تصطف مع العقل الإلهي، وتُصبح حقيقة ما نُسمّيه المُستقبل، وهي في الحقيقة جزء من الوحدة التي هي الواحد، فلا تقسيمات، هناك فقط تجربة واحدة، هي «الآن».

تذكّر أنّ كلّ شيء حدث لك في الماضي قد حدث فعلياً في لحظة الآن، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المُستقبل. كلّ شيء ستختبره في أيّ وقت سيحدث الآن. نعم، إنّ «الآن» هو كلّ ما هنالك، وعندما رأيتُ وشعرتُ بنفسي في برنامج **«عرض الليلة»** مع «ستيف آلن» في عام 1945، كانت تلك تجربة «الآن» التي تنتظر أن تظهر فقط. كان على هذه التجربة أن تظهر ولا إمكانيات أُخرى، منذ أن امتلكتُ تلك المعرفة عنها.

إنّ ما عرفتُه من هذه النقطة هو أنّه عندما أمتلكُ المعرفة المُطلقة داخلي بأنّ شيئاً سيحدث، أشعر أنّ لديّ إرشادات مُتوفّرة من مُعلّمين روحيين يعملون معي ويُحرّكون دفة سفينة حياتي في اتجاه رسالتي الخاصة «دارما» منذ لحظة تجسّدي في هذه الحياة. مع هذا الوعي أنا مُقتنع أنني في دورة تدريبية على التعليم الروحي منذ بداية مُبكّرة، وأنّ هذه المعارف التي كانت مُقنعة جداً بالنسبة إليّ كصبي صغير كانت في الحقيقة جزءاً من نمط التدريب ذاك. إنّ الماضي والحاضر والمُستقبل في بُعد غير زمني تحدث جميعها في الوقت نفسه ببساطة، حتّى وإن رآها بُعدنا المُستند على الزمن بصورة أُخرى.

اليوم، أنا أعرف أنّه لديّ إرشاد روحي معي يُوجّهني على طريق الحياة، ويُعلّمني إدراك الإله. ليس لديّ سبب كي أشكّ أنّ هذه المُساعدة الملائكية نفسها كانت معي سابقاً في عام 1954 عندما رأيتُ نفسي في المُستقبل.

يبدو أنّ هناك حقيقة أساسية في العمل في عام 1976 أرشدتني لاحقاً خلال حياتي كلها. عندما أنظر إلى الوراء وأرى ما كان يحدث عندما كنتُ أروّج كتابي «مناطقك الخاطئة»، أتذكّر أنني لم أشعر بأيّ احباط ولا مرة لأنني لم أستطع كسب ظهور على محطة التلفزيون المحلي. لقد قررتُ ببساطة الذهاب إلى العديد من المدن والقبول بالعروض المحلية التي استطعتُ تحصيلها مهما كانت، وترك الباقي إلى حيث تُوجّه القوى العليا جهودي. لقد تبعتُ نداءاتي الداخلية في كلّ أوقات حياتي، وخرج من ذلك الوعي ظهوري ثلاث مرات في أكثر البرامج المرموقة على التلفزيون المحلي خلال خمسة أيام، والانطلاقة إلى الشهرة المحلية بقية حياتي المهنية. لم أكن أُطارد النجاح بل كنتُ أتعقّب صورتي الداخلية.

كان كلّ ذلك مُلتفاً في حكمة استشهدتُ بها عدة مرات، كُتبت قديماً في القرن التاسع عشر من قِبل أحد أهمّ المُعلّمين الروحيين تأثيراً، والذي أنار طريقي واسمه «هنري ديفيد ثوريو»، لطالما رنّت كلماته بحدّة في شعوري: «لو تقدّم الانسان بثقة تجاه أحلامه، وسعى إلى الحياة التي يحلم بها ويتخيلها، فسيُقابل نجاحاً غير مُتوقّع في الساعات العادية».

أستطيع الآن أن أرى بوضوح، أنّ هذه الحكمة كانت تعمل ساعات إضافية في حياتي، وكانت بالتأكيد غير مُتوقَّعة وأكبر من أيّ احتمال تجرأتُ أن أتوقّعه. كنتُ أتقدّم بثقة تجاه حلمي الداخلي الخاص، وأعيش الحياة التي تخيلتُها لنفسي، وأحبّ كلّ دقيقة منها. لقد جعلتُ النجاح يُطاردني، وما زال يفعل ذلك منذ ذلك الوقت. إنّ الشيء الوحيد الذي كنتُ مُتأكّداً منه أنني أستطيع السيطرة على ما يدخل إلى خيالي، وأنني ببساطة سمحتُ لأيّ نجاح استمتعتُ به أن يأتي إليّ.

في لحظة عرض مرات ظهوري الثلاث في «**عرض الليلة**» مُدّة خمسة أيام، كنتُ قد استقلتُ للتوّ من منصبي بدوام كامل كمُدرس برتبة «بروفيسور» في جامعة كبيرة كي أدخل إلى عالم خاص بي، وأتحدّث إلى كلّ مَن يرغب بالاستماع. حقيقةً، لقد ترددَتْ كلمات «ثوريو» معي، كلّما تبعتُ حلمي وسمحتُ للكون أن يُعالج التفاصيل.

◆ ◆◆ ◆◆ ◆◆ ◆



- أقود دراجتي حول كتلة البناء المُتجمعة، مُحاولاً تجنّب المشي في فوضى منزلي. إنّ الحياة في المنزل في عمر الخامسة عشر مليئة بالفوضى، وتُصبح أسوء في نهاية اليوم.

تعمل أُمّي سكرتيرة لصالح شركة «كرايسلر» ومن الصعب عليها الحصول على المال الكافي من أجل دعم صبيانها الثلاثة، حيث أنّ زوجها ليس لديه اهتمام بالقيام بأيّ شيء غير الشرب والثوران العنيف، ممّا جعلها تُقرر أخيراً أنّه يكفي ذلك، فملأت الأوراق من أجل الطلاق من «بل درووري»، مُتأمّلة أن تجلب الهدوء وبعض السلام الذي طال انتظاره إلى منزلنا، وأن تستعيد اِسمها الأخير كي يكون تماماً كإسمي.

إنّ إدمان زوج أُمّي على الكحول يخرج عن السيطرة، وينفلت إلى الهجوم المُعتاد الذي يستخدمه مُعظم الثملين: الصراخ العنيف، الصوت العالي، سرعة الغضب. إنّه يُضايقني في أيّ شيء يجده مُزعجاً، أيّ شيء على الإطلاق. من أجل ذلك، أركبُ الآن دراجتي خلال انتظاره كي يستقلّ سيارته «الشيفروليه» طراز 1954 السوداء ويتوجّه إلى الحانة. ما زالت كلمات مُعلّمي المُرشد في الثانوية حاضرة في ذهني كلّما دُستُ عجلات دراجتي حول كتلة البناء: «أُريد أن تحضر أُمك إلى المدرسة وتتحدّث مع المدير، وحتّى ذلك الحين، أنت مُستبعد عن المدرسة».

عاقبتني السيدة «كاتر» لأنني رفضتُ تعبئة استمارة أُنموذج الأفراد بطريقة لائقة. عندما وصلتُ إلى السطر الذي يطلب اِسم الأبوين، كنتُ مُرتبكاً عمّا يجب كتابته في الفراغ. هل يجب عليّ كتابة اسم زوج أُمّي، أم اِسم والدي الذي لم أره أبداً؟، كيف

سأبرر تغيّر اسم أُمّي؟. شعرت بالانتهاك، ولم أشأ أن أضع أيّ شيء في هذه النماذج يجعل أُمّي تبدو سيئة، وكنتُ أكره أن يسألوني عن معلومات شخصية ترتبط بعائلتي. من أجل ذلك كتبتُ بحروف كبيرة فوق النموذج: «هذا شأني»، ونتيجة لذلك استبعدتني السيدة «كاتر» وطلبت أن تخسر أُمّي يوماً من العمل، وتركب ثلاث حافلات كي تجتمع مع المُدير السيد «إيروين وولف».

لم أكن أستطيع المُشاركة في أنشطة المدرسة ثلاثة أيام، عوضاً عن ذلك، كنتُ أجلس على مقعد في مكتب مُدير المدرسة. على الأقل هناك كتاب مُمتع على مقعد الطلاب المُعاقبين، وُضع هنالك على أمل تغيير المُتذمرين المُشاكسين الذين حُكم عليهم بالجلوس على هذا المقعد.

عدتُ مرة ثانية إلى المدرسة بعد أن شرحَت أُمّي لمُدير المدرسة السيد «كاتر» أنني أُحاول حمايتها، ووعدَتْ أنني سأحتوي نفوري من تعبئة النماذج، وأُعامل إجراءات التسجيل في كلّ فصل باحترام. لم أكن أعرف أيّ شيء عن السبب الذي أجج غضبي تجاه قوانين المدرسة. كان هناك ألم مدفون بعُمق من العيش مع «حظّ مُهين» في شكل إدمان كحول، جنباً إلى جنب مع الاحتمال الوشيك لانفصال العائلة من جديد، والخوف من ارسالي إلى دار الحضانة وخسارة التواصل اليومي مع أُمّي مرة أُخرى.

بعد بضعة أشهر، أعلمني مُدرّس العلوم في الصفّ التاسع أنّه عليّ عمل دفتر أجمع فيه أنواعاً مُختلفة من أوراق الشجر من الجوار وأُعيده له قبل نهاية هذا الفصل، وأنني لن أنجح في الصفّ وسيكون عليّ إعادة مادة العلوم لو لم أمتثل لهذا الأمر.

أنا في الخامسة عشر من العمر ولا آخذ المدرسة على محمل الجد، فالشيء الأكثر أهمية بالنسبة إليّ في هذا الوقت من حياتي هو عملي، وهو الشيء الذي يأخذ كامل الوقت إلى حدّ كبير. أعمل كمُساعد مدير، أمين صندوق، مُدير إنتاج، لحّام، أو في أيّ شيء مطلوب في متجر «ستال»، وهو مخزن صغير مُستقل يُلبّي طلبات السكان المحليين. كنتُ أُعطي جزءاً من كسبي لأُمّي، وكذلك لأخويّ، اللذين يعملان بجدّ كثيراً في عمليهما، ويتعثران عندما يتطلّب الأمر أن يكونا طالبين ممتازين.

عرضَت عليّ احدى فتيات صفّ العلوم «ماري جو ميركوريو» أن تقوم بجمع أوراق

الشجر من أجلي، وبذلك لن أمرَ بحالة خزي الرسوب في مادة العلوم من أجل سبب غير معقول. رفضتُ ذلك فقد أصبح الأمر مسألة أخلاق بالنسبة إليّ. أنا لستُ صانع مُشكلات بأيّ معنى في هذا العالم، بيد أنّ هناك شيء داخلي يتصرّف بقوّة، بل بعنف تقريباً، تجاه فكرة عمل واجبات تافهة تأخذ الكثير من الوقت بلا فائدة، وأقوم بها لأنّ كلّ واحد من الصفّ سيقوم بها دون أيّ اعتراض أو أسئلة لمسؤول الصفّ بشأنها.

أنا مُحبط من عناد أستاذ العلوم في أمر تجميع وإلصاق أوراق الشجر على دفتر القصاصات، ببساطة لأنّ كلّ تلميذ كان يقوم بهذا العمل دائماً. توسّلتُ إليه ولكن بلا فائدة، فقد بقي على موقفه التالي: **قُم بتجميع ورق الشجر أو سترسب في الصفّ، حتّى وإن حصلتَ على علامات عالية في جميع واجباتك المدرسية،حتى لو برهنتَ لي أنّك تعرف الاختلاف بين أوراق شجر البلوط وشجر الدردار والأشجار الدائمة الخضرة.**

سيطر الإحباط على سلوكي، وتحدّثتُ بقوّة: «هذا أمرٌ غبي للغاية. لديّ عمل بدوام كامل، وليس لديّ الوقت من أجل فعل واجب سخيف كهذا. لن أقوم بعمله».

مُجدداً ذهبتُ إلى مكتب المُدير كي أجلس في مقعد الطلاب الجانحين، ثمّ كان عليّ مُجدداً أن أدعو أمّي كي تترك عملها وتأتي من أجل مُقابلة ثانية مع السيد «وولف» كي تسمع لماذا لا يُمكن ولن يُمكن تحمّل وقاحتي.

بينما أنا جالس هناك، رأيتُ الكتاب نفسه الذي لفت نظري قبل أشهر قليلة. كان الكتاب نسخة بغلاف ورقي بعنوان «**العيش في الغابات**» للمؤلف «هنري ديفيد ثورو». في آخر مرة كنتُ فيها هنا تصفّحتُ الكتاب فقط، والآن، بينما أجلس على المقعد الطويل مُنتظراً موعدي مع الحُكم على رسوبي كي أكون كأيّ شخص آخر، قررتُ أن أقرأ كلّ شيء.

أنا أُحبّ كتابات هذا الإنسان! لقد بتّ مُستغرقاً كُلياً في نمط تيار الوعي الخاص بالكاتب «ثورو» حين وصف شعور أن تعيش في البرية وتتعلّم عن الحياة من خلال الإصغاء، وأن تكون داخل الطبيعة. لقد ازداد رفضي للمشاركة بما بدى لي امتثالاً أحمقاً من أجل الامتثال الأوامر فقط، بعد قراءة كتاب «**العيش في الغابات**» أثناء انتظار الفعل التأديبي. أنا مُرتاب قليلاً على نحو لا يُمكنني إنكاره بشأن الموقف الذي

أخذتُه، لأنّ الاستمرار به يعني حضور المدرسة الصيفية وإعادة مادة العلوم.

كنتُ أحضر إلى المدرسة كلّ يوم وأتوجّه إلى المقعد المطلي في مكتب المدير، حيث أُكمل قراءة قصة «ثورو» عن وقت عيشه في برية «ماساتشوستس». حلمتُ أيضاً بالعيش بسلام في الطبيعة دون قواعد سخيفة تُفرض عليّ. لقد ضعتُ في كلماته وكلّ ما تعلّمه من القوى الغامضة في الطبيعة، وقررتُ أنّ هذا الرجل الذي كتب منذ حوالي مئة سنة مضت أو أكثر هو بطلي. لقد تعلّمتُ أنّه ذهب إلى السجن عوضاً عن دفع الضرائب إلى الحكومة التي سمحَتْ بالعبودية وشاركَتْ في رعب الحرب الأمريكية المكسيكية. إنّه مُتمرد يثور ضدّ القوانين الغبية والسلوك اللاأخلاقي تجاه الآخرين.

أنا مُمتنّ جداً لمَن ترك هذا الكنز، ومُمتنّ لكلّ الحكمة التي تتدفق من هذا الرجل الذي يعتقد كما أعتقد أنا في شيء لم أختبره سابقاً في حياتي.

عندما أنهيتُ قراءة «**العيش في الغابات**»، وجدتُ مقالة في خلفية الكتاب بعنوان «**عصيان مدني**» Civil disobedience. لقد تبقى لي يوم واحد من الجلوس التأديبي على المقعد في غرفة المدير، ولذلك وجب عليّ قراءة هذه المقالة. أنا أكثر من مُتحمّس، بل أنا مذهول! يكتب هذا الرجل إلى قلبي مُباشرة. تتحدّث كلّ المقالة عن فكرة أساسية وهي أنّ كلّ شخص لديه حقّ وواجب أن يمتثل لضميره، وخاصة عندما تُفرض عليه قوانين غبية ومُرهقة من قِبل سلطة الحكومة.

أشعر وكأنني وجدتُ شريكي الروحي الأدبي، والرجل الذي أحترمه. عاش «ثورو» أفكاره إلى درجة قبل فيها أن يُسجن على أن يدفع ضريبة الفرد في مسقط رأسه في مدينة «كونكورد، ماساتشوستس». اتخذتُ قراراً أنني ذات يوم سأزور «كونكورد» وأغمر نفسي في العالم نفسه الذي يُنتج أناساً لديهم طريقة ثورية في التفكير.

أنا أفترض أنّ مُوظفي المدرسة، الذين قدّموا لي هذا الكتاب كي أقرأه في هذا المكان المُهمل، أرادوني أن أتّبع المبادىء التي كنتُ أقرؤها. أنا مُتشوّق إلى مُشاركة أفكار «ثوريو» مع السيد «وولف» في تشاور الغد المُخطط له مع أُمّي. أعتقد أنّه ليس غريباً جداً ان أجلس هنا للمرة الثانية بانتظار عقوبتي على ذنب إيماني بنفسي، وقدرتي على التمسّك بما أُؤمن به. أشعر بشعور طيب حيال هذه النصيحة

بخصوص أهمية إطاعة ضميري ومُمارسة العصيان المدني.

وصلَت أُمّي مُنزعجة على نحو واضح لأنّها أخذت إجازة من عملها من أجل مُقابلة أُخرى في المدرسة. قبل هذا الوقت عشتُ معها خمس سنوات، كانت كفيلة بأن تُكوّن لديها فكرة واضحة جداً أنّ ابنها «واين» لا يُشبه مُعظم الأولاد الآخرين عندما يتعلّق الأمر بإطاعة أوامر سخيفة، أو عندما يتمّ إخباره كيف يعيش حياته. كانت تثق تماماً بقدرتي على صنع قراراتي الشخصية، لأنّ هذا ما فعلته كثيراً منذ أن كنتُ صبياً صغيراً.

في هذه الزيارة الثانية للسيد «وولف» أريتُه ما كنتُ أقرأ في الأسبوع الماضي عندما كنتُ أنتظر قدري: «هل يجب على المواطن ولو لحظة أو أقلّ من ذلك أن يُسلِّم ضميره للمُشرّع؟ لماذا يمتلك كلّ شخص ضميراً عند ذلك؟ أعتقد أنّه علينا أن نكون رجالاً أولاً، ثمّ رعية بعد ذلك، والالتزام الوحيد الذي من حقي أن أقوم به في أيّ وقت هو ما أعتقد أنّه صحيح».

بُورك قلب أُمّي، فقد دعمَتْ الموقف الذي أخذتُه، تماماً كما فعلَت في الأشهر القليلة الماضية عندما شرحَتْ موقفي الصارم في رفض تعبئة النماذج العديدة التي ستجعلها تبدو بمظهر سيء.

سأقوم بحضور المدرسة الصيفية، ولكنني لستُ مقهوراً، أنا مُمتنّ من الأعماق تجاه الأيام التي استبعدتُ فيها من المدرسة، كي أقرأ كلمات هذا الرجل الذي أصبح أحد أكثر الشخصيات البشرية المُؤثرة في حياتي. كنتُ أتطلّع إلى أخذ مادة العلوم مرة أُخرى في الأسابيع القليلة القادمة.

كان هذان الحدثان اللذان ذكرتهما أعلاه أبرز حدثين حصلا معي خلال السنوات الأربع كلّها في المدرسة الثانوية. أعود بذاكرتي إلى الغضب الداخلي الذي شعرتُ به عندما توجّب عليّ تعبئة النماذج، كيلا أكشف شقاق الأسرة الذي فضّلتُ أن أُبقيه سراً، وأستطيع الآن أن أرى غنى الفوائد التي حصلتُ عليها. لقد ساعدتني تلك التجربة بمُفردها أن أُصبح والداً أفضل لأولادي الثمانية كلّما عارضوا شيئاً من القوانين المدرسية. أستطيع أن أتذكّر تلك المواقف مع القواعد والأنظمة التي لم تكن ذات معنى بالنسبة إليّ، ممّا يجعلني أشعر بالتعاطف مع إحباطات أولادي. لقد فهمتُ وأنا صبي صغير جداً أنّ اتباع

القوانين على نحو أعمى فقط لأنّها قوانين يجعلك تفقد السيطرة على حياتك كلّها.

أستطيع الآن أن أرى أنّ تلك المواقف المُبكّرة وأنا مُراهق في المدرسة الثانوية مع أولئك الذين حاولوا جعلي أطيع، كانت تمتلك مكاناً قبلي، ولذلك رُبّما أستطيع أن أكتب وأتحدّث عن شكل أعلى من الوعي. في وقت لاحق في الحياة، بدأتُ أعيش كرجل يحترم حكمة «تاو تي تشينغ»، المكتوبة من قبل «لاو تزو» في القرن الخامس قبل الميلاد، واكتشفتُ الشكل الأعلى من الوعي المنقول في «التاو». تُؤكّد هذه الفلسفة أنّ الفعل يكون من القلب، عندما تكون عظمة التاو «الإله» حاضرة، بينما عندما ينبع الفعل من القواعد، لا تكون عظمة التاو «الإله» حاضرة، ويكون الأمر علامة أكيدة على أنّ الفضيلة غائبة.

إنّ تورّطي المُبكّر في العيش بمجموعة قواعد بدت غالباً غير مُهمّة، كانت الغذاء الذي سمح لي بالكتابة والتحدّث عن أهمية الاعتماد على الذات. إنّ كوني شخصاً يافعاً لم يتبع الآخرين ببساطة ولم يفعل ما قيل له دون السؤال عن السلطة، أو عن سبب تلك القواعد في المقام الأول، أثمر خلاصة بنظرة مُختلفة اليوم. هناك شيء داخلي أدعوه أنا حاضر، وهو رابطي مع مصدر وجودي: التاو، العقل الإلهي، الإله، «كريشنا»، «المسيح»، الوعي ولا يهمّ الاسم. إنّ «حضور الأنا العليا» شيء يتحدّث إليّ بصوت عال جداً، كما يفعل ذلك دائماً، ولم يخذلني أبداً، وعلى الرغم من وجود أوقات استمعتُ فيها إلى دفاعاته الداخلية، إلا أنه كان يُجبرني أن أواجه مرة أخرى ما يبدو أنّها أسهم القدر الشائن، مع أنّها بالفعل كانت دروساً عظيمة تجسّدت كي أتعلمها.

إنّ حضور الأنا داخلي كان مُقنعاً للغاية، وقد كان كذلك عندما كنتُ صبياً صغيراً. إنني فقط لم أستطع أن أكون واحداً من القطيع، وعندما كنتُ أرى سلوكاً يُشبه قيادة القطيع كنتُ أدينه بطريقة تحتوي على الأنا أكثر ممّا أفعل الآن. كنتُ في وقتها صاخباً جداً، أجذب بعض الانتباه غير المرغوب إلى نفسي كي أتأكّد! أستطيع اليوم أن أرى بوضوح أنّ الاستفزازات الداخلية التي جربتُها في المدرسة الثانوية كانت نداءاتي المُبكّرة من أجل تعليم الآخرين ألا يكونوا ضحايا من خلال اختيارهم عقلية التفكير الجماعية.

كان الصيف الذي أخذتُ فيه مادة العلوم للمرة الثانية، تجربة تذكارية أُخرى من سنوات الدراسة الثانوية. كانت مُعلّمتي الجديدة امرأة في الثلاثينات تُدعى «أوليف

فليتشر» احدى أفضل الأساتذة الذين حظيتُ بهم في أيّ مكان. لقد أخذَت وقتاً كي تتعرف إليّ كشاب صغير لديه كلّ الإمكانية، بيد أنّه يمتلأ بالطعنات مع الارتباك ووجع القلب. لقد أخذتني إلى البولينغ، وهنا سقطتُ أرضاً! فالمُعلّمة كانت تهتمّ بي وأرادت أن تقضي وقتاً تتحدّث معي، بدلاً من أن تُحدّثني. لقد جعلتني السيدة «فليتشر» أنظر إلى داخلي وأُقدّر ما أجده هناك. لو لم أمضِ مع مُدرسة العلوم المُبدعة ونرمي معاً مجموعة أوراق الشجر، رُبّما لم أكن لأحظى بالفرصة كي أعرف هذه المُعلّمة المُهتمة الرحيمة التي جسّدت لي نوعاً من المُمارسات التي تبنيتها لاحقاً عندما أصبحتُ مُعلّماً.

كانت السخرية الكبرى في هذه القصة أنّه بعد ست عشرة سنة، أكملتُ دراسات الدكتوراة وحصلتُ على منصب أستاذ زائر «بروفيسور». كنتُ أُدرّس في كلية التربية صفّاً مطلوباً من أجل تخرّج الطلاب الذين كانوا يُدرّبون الأساتذة والذين يرغبون أن يكونوا إداريين في المدارس. هنا على ورقة القائمة كان هنالك اسم مألوف، وهو الرجل نفسه الذي أعطاني درجة الرسوب في مادة العلوم، لقد كان اسمه مُدرجاً في الدورة التي كنتُ أُدرّس فيها!. لم يكن الأمر صُدفة. لقد استمتعتُ بتخيّل أنني سأُرسله إلى «أستراليا» كي يُكمل مهمته في جمع أوراق الشجر، كشرط مطلوب لإنهاء الدورة. في الحقيقة لم أذكر تلك المُصادفة التي مرّت معي في الثانوية نهائياً ولا أعتقد أنّه تذكّرها أصلاً. أنا مُمتنّ دائماً تجاه التدخل الإلهي مهما كانت الطريقة التي يتحرّك بها، مثل وضع نسخة من كتاب «ثورو» في مكتب المُدير عندما كنت فقط في عمر الخامسة عشر. لا أستطيع شرح لماذا بدت كلمات هذا الرجل حقيقية بالنسبة إليّ في سنواتي المُبكّرة في المدرسة الثانوية، بيد أنّها كانت بداية حبّ استمرّ مدى الحياة تجاه فيلسوف أمريكي في القرن التاسع عشر أصدر كتابين فقط خلال حياته.

على مرّ السنين، قمتُ بالعديد من الزيارات إلى منازل كلّ من «رالف وولدو إميرسون» و «هنري ديفيد ثوريو» في «كونكورد، ماساتشوستس». في الحقيقة، كنتُ مُتحمّساً جداً في احدى الزيارات إلى مدرسة «ثورو» وقد أقنعتُ أمين ذاك المتحف الذي كان ذات يوم مكان دراسة «ثورو» ومنزله، أن يسمح لي بالاستلقاء على سريره

والجلوس على المقعد حيث كتب مقالة «العصيان المدني» التي أثارتني كثيراً حينما كنتُ مُراهقاً.

من منظوري الشخصي اليوم، أستطيع أن أرى بوضوح أكثر أنّ «إيميرسون» و«ثورو» كانا نقاط مراقبة ملائكية بالنسبة إليّ خلال مُعظم فترة نضجي، وكانت كلماتهم منارات ضوء في عالم ضبابي. لقد أصبحتُ في البداية واعياً لرسائلهم في التحوّل والوعي الأعلى عندما كنتُ صبياً صغيراً جالساً في مكتب المدير، ثمّ عرفتُ بعد ذلك أنّ شيئاً سحرياً كان يظهر في حياتي.

كانت لديّ قشعريرة في داخلي عندما دخلتُ إلى ذاك الاجتماع مع أُمّي والسيد «وولف»، لأنّه لديّ حليف صادَقَ عليه مُوظفوا المدرسة! وإلا لماذا تركوا ذاك الكتاب هناك على نحو ظاهر جداً من أجل أن أقرأه في الوقت الذي كنتُ أُعاقب فيه على بعض أنواع العصيان المدني؟. لقد شعرتُ بحضور «ثورو» معي عندها، وهو معي الآن وأنا أنقل لكم مدى قوّة تأثير ذوي الوعي الفائق عليّ في فترة المُراهقة في حياتي، وما زالوا حتّى اليوم.

يبدو واضحاً بالنسبة إليّ اليوم أنّ عملاق التفكير المُستقل هذا كان هناك معي بينما كنتُ أُشكّل سلوك الاعتماد على الذات أثناء فترة مراهقتي. كان معي هناك عندما ذهبتُ إلى منزله، واستلقيتُ على سريره، وجلستُ على مكتبه وتأملتُ في غرفته، وكان هناك معي عندما سجّلتُ البرنامج التلفزيوني المحلي في مسقط رأسه. هو معي الآن و أنا أكتب، يُذكّرني أننا لسنا وحيدين أبداً، وأنه بإمكاننا الاتصال في الجوهر الروحي مع أيّ مُعلّم تنفّسَ على ظهر هذا الكوكب، وأن نُحقق قدرنا بمُساعدته.

أنا أرى بوضوح أنّ المُقاومة التي أبديتُها في مراهقتي أصبحَت أساس الطاقة التي لا تقبل التوقّف، والتي أشعر بها في داخلي، وكانت طريقتي كي أقول «نعم!» جواباً على النداء بأن أُصبح مُعلّماً عالمياً في الاعتماد على الذات و الوعي الأعلى. يعمل التاو الأعظم «الإله» بطُرق خفية غامضة، وهذا يعني أنّ «ثورو» نفسه لم يتدخل في مُراهقتي ويضعني على الطريق كي أُكمل الرحلة.



- أنا أتحدّث إلى السيدة «أوليف فليتشر»، مُدرسة العلوم السابقة، التي أعطتني درجة «آي» في المادة نفسها التي رسبتُ فيها سابقاً بسبب اجتماع قوّة لا تُقاوم مع موضوع راسخ وضرورة أن أستسلم له. أخبرتُها: «سأكتب روايتي الخاصة هذه السنة، أنا أعلم أنني أستطيع الكتابة، ولديّ فكرة من أجل كتاب أُريد أن أجربها».

أنا مفتون بفكرة الوعي الفائق. في رأيي إنّها مرحلة من الوعي تسمح للتجلي اللحظي، والاتصال التخاطري، والشفاء الذاتي والقوى غير العادية بالاتصال مع الكائنات الملائكية. أنا أتخيّل شخصية خيالية تمتلك كلّ تلك القدرات الروحية. هذه الشخصية حققت إدراك الإله وتعمل في مهنة استكشاف الحفريات الأثرية. سميتُ كتابي The Anomalous Compatriot «**الزميل الغريب**» ، وكنتُ كلّ مساء أتسلل خارجاً إلى بقعة هادئة وأدع خيالاتي تنسكب، حتّى أصبح المُجلد الذي كتبتُه بخطّ يدي كبيراً، فخبأته بعيداً في السرّ في حقائب ورقية بنية في علية صغيرة في منزلنا. أنا أُحبّ تلك اللحظات الخفية المُخبأة حيث أهرب إلى الشخصية الخيالية التي أخلقها.

أنا أُحبّ القراءة وتجدني دائماً مُنهمكاً في قراءة كتاب جديد، بينما يكره مُعظم أصدقائي القراءة، ولا يعتبرون الكتابة شيئاً يُمكن أن يقوموا به كمهنة، بل يعتبرون الكتابة بصراحة من وجهة نظرهم للجبناء والحمقى.

في صفّ اللغة الإنكليزية كان لدى كلّ طالب مُجلّد من أجل حفظ تقارير الكتب التي قرأوها خلال الفصل. كلّما زادَت التقارير، زاد الاعتقاد بأنّ هذا الطالب مُزدهر.

عندما ينفذ مني المال كنتُ اكتبُ وأبيع تقارير الكتب مُقابل خمسة وعشرين سنتاً عن التقرير كي أدعم دخلي. عندما كانت الدرجة المُستحقة عن التقارير أقل من «B» «بي» كنتُ لا أُطلب مُقابلاً عن التقارير. أعمل الآن ككاتب وأشعر بالثقة أنّ لديّ مقدرة الكتابة، لقد اختبرتُ ذلك في عالم الربح والخسارة الحقيقي!.

أكتب عن أيّ موضوع وأعتقد أنّ كتابتي تلقائية، لأنّ يدي تتحرّك عبر الورقة، ولكنني في الحقيقة لستُ مَن يقوم بالكتابة. إنّه نوع من الارتباط مع الجزء غير المرئي مني يحدث عندما أجلس مع القلم البنفسجي في يدي وأسمح للكلمات أن تتشكل على الورق تحت أصابعي المُتحرّكة. أشعر تقريباً كأنني في المنزل عندما يكون لديّ واجب كتابة. أُحبّ امتحانات المقالات، وأُدرك أنّ قدراتي الكتابية ستُساعدني كي أتجاوز الهفوات التي قد أرتكبها في المواد التي أكتب عنها.

إنّ كتابتي هي بمثابة وجود صديق معي في كلّ الأوقات. أنا أُحبُّ مساحتي حيث أهرب كلّ يوم من أجل جلب شخصياتي إلى الحياة، حتى ولو كانت القصة أقلّ أهمية، ولكنّها فرصة من أجل الجلوس في مكان مُقدّس مع قطعة ورق بيضاء فارغة تُحدّق إليّ، الأمر الذي يجعلني مُستمتعاً. عندما أقضي الوقت في كتابة روايتي، أعتقد في نفسي: أنّ الكتابة ليست شيئاً أفعله، بل مَن أكون أنا. أنا أُحبُّ أن أشعر وأقول وأتذكّر أنني أكتب. إنّ الشيء الذي يُعطيني شعور الإنجاز الأعظم هو شعور أنني مُرتبط بما أنا على الأرض من أجله في المقام الأول، وهذا ماتعنيه الكتابة بالنسبة إليّ.

ما زلتُ أرجع على نحو مُتكرر إلى مساحتي الكتابية، كما فعلتُ منذ خمس وأربعين سنة، وأشعر أنني آمن و أقرب إلى مصدر وجودي عندما أكون مُحاطاً بالصور الشخصية و التذكارات في المكان الذي أصفه أنّه مساحة كتابتي المُقدّسة.

لقد كنتُ واعياً حتى في سنوات مراهقتي التي لعبَتْ الكتابة فيها دوراً كبيراً في حياتي. لقد أصبحتُ حيّاً في داخلي عندما قرأتُ «ثورو» و«إيميرسون» في المدرسة الثانوية، وأصبح لديّ شعور يُشبه الكمال، وشعور أنني أفعل ما أرسلتُ من أجل ان أفعله أثناء كتابة روايتي، أو مجموعة المقالات الشخصية عن مواضيع مثل «تجنب التفكير الجماعي»، «كلّ الأشياء مُمكنة»، «كيف تعرف الإله حقيقة وتعيش إلى الأبد». كانت

هذه هوايتي عندما كنتُ يافعاً، والتي أضفتُها بسعادة إلى جدول عملي بدوام كامل، وإلى وقت منهاج المدرسة الثانوية.

أنا أعلم أنني كلّما كتبتُ مُلخصات عن تقارير الكتاب لأصدقائي بأجر معين، كنتُ أشعر أنّ شيئاً مُميزاً يحدث. عندما كنتُ أكتب مقالات عن مواضيع ترفض أن تهدأ في أفكاري، كانت ردود الفعل التي أستقبلها تتكرر بصيغة «عليك حقيقة أن تأخذ الكتابة في عين الاعتبار»، لقد سمعتُ دائماً أنّ لديّ طريقة في وضع أشياء ذات معنى على الورق.

حالما واصلتُ طريقي والتحقتُ بالبحرية ثمّ بالكلية، استمتعتُ أكثر بأنّ كتابتي أعطتني نوعاً من التأكيد أنني لا أحتاج إلى شيء خارج نفسي من أجل أن أكسب دخلي. لقد أحببتُ معرفة أنني حملتُ الأدوات التي احتجتُها مهما كانت كي أُصبح في النهاية على نحو تام مُكتفٍ ذاتياً. لقد أردتُ ألا أذهب إلى مكان عمل حيث يتمّ إخباري بما عليّ أن أفعله وأُفكّر به، وأردتُ الاستماع إلى أصواتي الداخلية وكتابة ما أُفكر به بطريقتي الخاصة. لقد كنتُ أعرف أنني استطيع كسب عيشي دون كلّ المُتطلبات المُرهقة التي تبدو أنها تأتي مع كونك مُوظفاً.

كنت في ذاك الحين مُوظفاً أعمل منذ أسابيع عديدة على نحو جيد حوالي أربعين ساعة، ولم أشعر بالحرية. بيد أنني عندما كتبتُ ودفع الناس لي، وعندما أنهيتُ فصلاً من كتابي، وأدركتُ أنني استطيع بيع روايتي وأيّ شيء آخر أكتبه، شعرتُ كأنني مدعو إلى الجلوس في حضن الإله حيث أقول فقط ما أُريد أن أقوله فأُجازى عليه بالمُكافآت! أستطيع أن أرى الآن أنني كنت مُعداً كيلا يكون لديّ رؤساء عمل، ولا قضاة، ولا مُوظفين ولا قواعد، بل أن يكون لديّ فقط نداءاتي الداخلية الخاصة.

أنظر إلى الوراء إلى أوقات كتاباتي المُبكّرة وإلى وعيي الداخلي الذي تحدّث بصوت عالٍ معي عن الحرية التي سأعرفها يوماً. كنت أتّبع نداء روحي من خلال مُتابعة مواهبي ومشاعري الطيبة التي تنبثق دائماً عندما آخذ القلم بيدي، ومن خلال اعلاني لنفسي أنني سأكون كاتباً حتى لو لم يُشاركني أحد آخر الرأي نفسه. كان كافياً بالنسبة إليّ أن أدّعي ذلك وأُعلن نفسي خبيراً بما شعرتُ أنني مُتحمّس تجاهه.



يتصارع بعُمق مع هجران والده. حاولتُ أن أجعل أُمّي تصفه لي ولكنّها رفضت، واكتفت بالقول إنّه كان أحمقاً على نحو مُطلق، وإنّه رجل مُخادع سريع الكلام، يسرق المال أينما ذهب، ويرفض تحمّل المسؤوليات الأبوية. لقد تذكّرت أمّي أنّه عمل ذات مرة لصالح وكالة المكفوفين في بيع المقشات والفراشي مع ايصالها للزبائن، بيد أنّهم طردوه عندما تجاهل تسليم النقود التي جمعها.

على الرغم من أنه لم يكن لدى أُمّي أيّ شيء إيجابي تقوله عن هذا الرجل الذي هو أبي، بيد أنّي كنتُ أريد أن أعرفه. لقد أصرّت نقمتي وغيظي على أن أُواجهه وأطلب منه رواية القصة من وجهة نظره. كنتُ أُفكّر فيه كلّ يوم، وأتخيّل أنني يوماً ما سأركض إليه عفوياً، وأتحدّث مُطولاً معه عمّا حفّزه كي يُغادر ويترك امرأةً جميلة مع ثلاثة أطفال صغار تحت عمر خمس سنوات. كنتُ أُريد أن أعرف هل يعرفني، وهل لديه أيّ مشاعر حبّ تجاه أولاده الصغار الذين يكبرون بسرعة وينتقلون إلى طور الرجولة.

لقد حاولتُ أن أجده كي أتحدّث معه، فأجريتُ عدة اتصالات مع أقاربه، وجمعتُ والتقطتُ معلومات قليلة عن أماكن تواجده في مكان ما في عُمق الجنوب، بيد أنني لم أصل إلى الاتصال به. كنتُ أتصوّر أنني سألتقي في النهاية مع هذا الرجل الذي خرج من حياتي بغرابة، وأننا سنحلّ هذه الأمور الداخلية التي أحملها حول كوني مهجوراً.

سألت الكثير من الأسئلة باستمرار، وكنتُ أستطيع أن أرى أُمّي متخوفة جداً من فضولي تجاه أبي، فأخوتي لا يسألون، بل لا يُريدون ببساطة أن يعرفوا شيئاً أبداً. رُبّما يتذكّر أخي الأكبر «جيم» بعضاً من أفعال أبي السيئة مع أمنا ومعنا وهذا يُفسّر عدم رغبته، ورُبّما يُريد ببساطة أن يضع كلّ ذلك وراء ظهره.

تمتلك أُمّي الكثير من الحقد الظاهر على أبي، لأنّ أسئلتي كانت دوماً تُقابل بأجوبة كهذه: «لم يكن جيداً، من الأفضل لك ألا تعرفه». كنتُ أتوقّف عن مُتابعة فضولي عنه معها، ولكنّ روحي تتطلّع كي تعرف أكثر: أن أتكلّم معه وأسمع وجهات نظره وشروحاته، فقد أكتشف أنّه بالفعل يُحبّني على الرغم من أنّه اختار البقاء بعيداً. كنتُ أعتقد غالباً أنّه رُبّما اتخذ قراراً نبيلاً بأن يبقى بعيداً، لأنّه يعرف في قلبه أنّ وجوده في حياتي لن يكون مُمتعاً بالنسبة إليّ، وبذلك يتصف قرار مغادرته بالغيرية عوضاً عن اتصافه بالأنانية.

على أيّ حال، كان غياب الأب في حياتي أمراً كبيراً بالنسبة إليّ كمُراهق. أنا فضولي، وأُريد أن أجده بشدّة. لقد كانت المرارة التي أشعرها تنمو انفعالياً، وتتجلى في الأحلام المسعورة المليئة بالعنف الذي أُبديه تجاهه خلال غفوتي. لقد أخذتُ على نفسي عهداً أنّه حتّى ولو أعتقد كلّ فرد من عائلتي أنني يجب أن أُسقط المسألة وأكون مُمتنّاً على خسارة هذا الرجل وخروجه من حياتي، بيد أنّي سأتعقبه ويوماً ما سأتحدّث إليه رجلاً إلى رجل كي أحصل على الإجابات التي أرغب بها. أنا لستُ مقتنعاً بأن أدعَ الأمر يمرّ ببساطة، كما يُصرُّ كلّ مَن حولي. أنا أُريد أن أُقابله وأسمع منه مُباشرةً، وأُريده أن يعرف أنني موجود. نعم، أنا أُريد منه كثيراً أن يُحبّني.

في عيد الحبّ عام 1956، رنّ هاتفنا المُشترك، وكانت المُتصلة هي عمة لنا لم أُقابلها ولم أسمع عنها مُطلقاً، وكان اسمها «أودري»، وقد فهمتُ أنّها الأخت غير الشقيقة لأبي. أخبرتني أنّ جدتي «نورا مابل ويلهيلم» تُوفيَتْ هذا الصباح، وطلبَت أن أكون مع أخويّ من حملة النعش في مأتم هذه المرأة. لم أكن أعلم أنّ والدة أبي على قيد الحياة، بل لم اسمع اسمها يُذكر سابقاً، ولكنني وافقتُ مُباشرة.

لم يستند قراري على رغبتي في تقديم الإجلال إلى جدّة لم أعرفها، وإنّما كان قلبي يتسابق إلى احتمال مُقابلة والدي أخيراً. لا بُدّ أنه سيكون هناك في جنازة أُمّه، ولن يكون قادراً على الإختباء مني فترة أطول.

أنا خجل من أنني على الرغم من بلوغي السادسة عشرة منذ بضعة أسابيع، بيد أنّ إجازة القيادة التي حصلتُ عليها تسمح لي فقط أن أقود السيارة لو كنتُ برفقة شخص بالغ يحمل رخصة. لقد سمح لي «جيم» والذي كان أيضاً مُساعداً لحامل النعش، أن أقود سيارته إلى الجانب الغربي من «ديرويت» إلى منزل مليء بالغرباء. أنا هنا من أجل سبب واحد فقط: أُريد أن أرى مَن هذا الرجل الذي يكون أبي. بيد أنّه ليس هنا. هناك مراسم دفن في الكنيسة، ولكنّ «ميلفن لايل داير» لم يكن موجوداً. ثمّ قُمنا بجولة قصيرة في المقبرة، حيث ساعدتُ بحمل كفن امرأة هي جدتي، والدة أبي الغريب عني، وعلى الرغم من ذلك، لم يتواجد «ميلفن لايل داير» في المقبرة.

عُدنا جميعاً إلى المنزل في الجزء الغربي، مكان سكن جدتي الراحلة. كنتُ أتفجّر

بالإثارة، فأنا مُتأكّد أنّ والدي الغائب طويلاً سيظهر. حالما دخلنا مُجدداً إلى هذا المنزل من أجل العشاء، توقفَتْ سيارة فجأة عند المنزل وسلّمَتْ بعض الأزهار البائسة مع رسالة موجزة، ثمّ أُعلمنا جميعاً أنّ «لايل» في جنوب «ألاباما» أو «المسيسبي» غير قادر أن يكون في هذا الإحياء الأخير لذكرى والدته.

أنا مُكتئب، فقد أصبح والدي مفقوداً مرة أُخرى، وكان عليّ أن أُقدّم الأعذار من أجل «لايل» أمام مجموعة مُتنوّعة من أبناء الأعمام والعمّات الذين لا أعرفهم. أخبرتُهم أنّه خائف من أن يظهر، رُبّما كيلا ترمي به أُمّي في السجن عقداً من الزمن بسبب عدم دفعه نفقات دعم أطفاله المفروضة عليه في المحكمة.

أستغربُ ما الذي أفعله هنا في مراسم إحياء الذكرى، وألحُّ على أخوتي أن نُغادر. قبل أن نخرج، قالت ابنة عم لي اسمها «دوروثي» أنّ والدي كان لديه زوجات عديدة بعد أن ترك أُمّي، من ضمنهم شابة علّمها قيادة السيارات في مكان يُدعى «بلومينغ روز»، غرب «فيرجينيا»، وقبل ذلك تزوّج امرأة تُدعى «وانيتا»، مُمرضة وتعيش الآن في «ساندسكي، «أوهيو». استمعتُ بعناية، ثمّ ودعتُ هؤلاء الأقارب غير المعروفين، وأدركتُ مُجدداً أنّ هذا الرجل ليس لديه رغبة في التعرّف عليّ ولا على إخوتي، بل إنّ جنازة أُمّه لم تكن كافية لإغرائه في أن يظهر في حياتي.

أنا الآن أكثر تصميماً من السابق على أنني سأحصل على هذا اللقاء وجهاً لوجه مع أبي، وقد أصبحت لديّ فكرة جيدة تماماً عن المكان الذي قد يعيش فيه. أنا غير مُتأكّد من سبب هوسي الكبير بإيجاد هذا الرجل الذي لا يُريد فعل أيّ شيء معي أو مع إخوتي، بيد أنّي مُمتلىء بالتصميم.

بعد أن بلغت السادسة عشرة، اشتريتُ سيارة «بلاي ماوث موديل 1950» بمبلغ مئتي دولار وفرتها. لقد وضعتُ خططاً كي أقود إلى «بوون كاونتي»، غرب «فيرجينيا»، وأقوم بزيارة مُفاجئة لأبي وسائقة السيارات الشابة التي سمعتُ أنّه تزوّجها. عندما حان وقت الإجازة الصيفية، طلب مني رئيس العمل في Stahl market «سوق ستال» حيث كنتُ أعمل منذ ثلاث سنوات، أن أستلم العمل بدوام كامل كمُساعد مُدير، يتضمن ذلك إغلاق المخزن والتعامل مع الدفعات والإيصالات. ترافقت هذه الفرصة مع امتلاك

حساب وتأمين السيارة، ومع رغبتي في أن أكون مع صديقتي الجديدة، ممّا قادني إلى تأجيل رحلتي، وقررتُ عوضاً عن ذلك أن أبحث عن الزوجة السابقة المدعوة «وانيتا» في «ساندسكي»، «أوهيو».

قدتُ ثلاث ساعات إلى «ساندسكي» وقابلتُ زوجة أبي التي تعمل في مشفى محلي وتتحدّث بحزم ودون أيّ تردد. قالت بعنف: «لقد كان والدك رجلاً سيئاً، وكلّ ما أخبرتكَ أُمّك عنه صحيح، بل إنّه أسوأ من ذلك. لقد رفض العمل كي يدعم زواجنا، وكان دائماً يمتلك مشاكلاً مع القانون، ولم يكن لديه حسّ بالصواب والخطأ، وكان يُفرط في الشراب، وكان دنيئاً وفاسداً عندما يكون ثملاً، الأمر الذي كان يتكرر كثيراً. أنصحك بأن تُقلع عن رغبتك باللقاء معه. إنه انسان كاذب، وأنت افضل بكثير دون وجوده في حياتك».

أمضت «جوانيتا داير» كلّ اليوم برفقتي، وكان أكثر جزء مُخيب للأمل في هذا الأمر هو إجابتها المُباشرة عن سؤالي: «هل قال لك شيئاً ذات مرة عن صبيانه الثلاثة الذين هجرهم، وهل ذكر مرة ابنه الأصغر، «واين»؟». نظرَت إليّ بعينين مُهتمتين كامرأة تعمل مُمرضة في مشفى، وترى المآسي كلّ يوم: «لم أكن أعلم حتى أنّ لديه أطفال، على الرغم من أنّ زواجنا استمرّ سنين عدة».

يالها من غصة! لديّ أب لم يذكر أطفاله الثلاثة لزوجته؟ أيّ نوع من الرجال هذا؟ ألا يُحبّ هذا الرجل أحداً؟ كيف أكون على هذه الدرجة من الاختلاف عن رجل هو والدي البيولوجي؟. إنّ قلبي مليء بالحبّ تجاه الكثير من الناس في حياتي: أمّي، إخوتي، أصدقائي، والبؤساء خاصة، بل تجاه أبي أيضاً. لقد غادرتُ «ساندسكي» مُصمماً على سحق رغبتي في إيجاد أو فهم «ميلفن لايل داير».

عدتُ إلى «ديترويت» وصببتُ اهتمامي على حياتي كمُساعد مُدير في مخزن بقالة محلي، حيث كنتُ أكسب دخلاً جيداً وأُساعد أمّي مادياً. لقد واجهتُ عدداً لا يُحصى من العقبات في مُحاولة ايجاد هذا الرجل الهارب، الذي كان يترك حسرة أينما استقرّ مُؤقتاً، بيد أنّ الحنين إلى معرفته لم يخمد أبداً. لقد استمرّتْ الأحلام المُزعجة سنوات كثيرة.

مرّت عشرون سنة قبل أن أكون قادراً على اعتباره مُعلّمي الأعظم. بقدر ما أردتُ أن يظهر أبي ويُحبّني عندما كنتُ صبياً صغيراً، أنا أقدّر غيابه كأحد أثمن الهدايا التي مُنحت إليّ. إنّ عناده وهجره لي كان في الحقيقة جزءاً من قدومي إلى هنا من أجل تعليم الاعتماد على الذات، الذي هو فكرة حياتي الأساسية والوحيدة. لقد كنتُ أقوم بذلك بدقة منذ أن كنتُ طفلاً، وغلب هذا الأمر على عمل حياتي كلها.

من الواضح جداً أنه ليس هناك أخطاء في هذا الكون، فالنجوم جميعها في انتظام، وتقع الشمس على بُعد مُحدد من الأرض «بالميليميتر» كي تخلق وتُعزز الحياة. هناك نظام في هذا الكون، سواء نظرت بالتيليسكوب أو المايكروسكوب، يتحدّى الاستيعاب العقلي. كلّ ما في الكون تامّ حتى أصغر جزيء ذري داخلياً، وحتى أبعد جرم سماوي خارجياً. يدخل في هذا النظام كلّ ما يأتي في طريقنا كذلك، ومع ذلك ما يزال فهمنا لـ «لماذا» ليس واضحاً على نحو مُتكرر.

لقد احتجتُ أن أكون في موضع الاعتماد على نفسي، كي أُنجز هدفي الخاص، وأعيش رسالتي «دهارما» في أن أكون مُعلّماً روحياً في الاعتماد على الذات. لقد زوّدتني سنواتي التي قضيتُها في بيوت الحضانة بالفرصة كي أتعلّم ذلك مُباشرة. يجب عليّ الاعتماد على نفسي، فلم يكن هناك أحد كي يفعل هذا الشيء عني.

إنّ علاقتي بوالدي كانت العلاقة الوحيدة الأكثر أهمية في حياتي. إنّ رغبتي بأن يظهر من أجلي على جدولي الزمني، عندما اعتقدتُ أنني كنتُ أحتاجه حاجة ماسّة، كان عبارة عن عمل الأنا عندي. كلّ شيء يظهر في الوقت الإلهي، ونحن نحصل على ما نحتاجه على جدول قوّة أكبر بكثير من أنفسنا. هذه القوّة الخفية تُحرّك الأجزاء حولنا بطريقتها الخاصة، كي تُحقق الانسجام مع النظام الكامل، الذي يُحدد كلّ إنش مُكعب من المكان والزمان.

قد يبدو الأمر بعيد الاحتمال بالنسبة إلى البعض، ولكنني أُؤمن أنّ حياتي دون منفعة وجود الأب كانت مثالية في كلّ شيء. من وجهة النظر هذه أرى أنّ كتبي، مُحاضرتي، تسجيلاتي جاءت لأنّ والدي كان غائباً من حياتي. لقد كانت «الأنا» عندي تُريده، ولكنّ روحي عرفت أنّ لديّ هدفاً أبعد وأعظم كي أُنجزه.

تلك السنين التي أمضيتُها في صراع مع نماذا وكيف يُمكن أن يكون هذا الرجل مُتبلد الشعور كثيراً، وقاسياً جداً، وبعيداً جداً دائماً، انتهت بأنّه ليس لديّ أيّ خيار آخر غير الذهاب إلى الداخل وحلّ القضايا من أجل نفسي، أو العودة إلى نوع جديد من الحبّ الإلهي المُمارس من قِبل خبراء روحانيين عظماء، ومن قِبل الإله ذاته، الحبّ الغارق في التسامح. لقد أتى كلّ شيء احتجته كي أبقى في مسار حياتي، على الرغم من أنّ الطفل الذي كنتُ عليه لم يستطع أن يعرف ذلك في وقته.

اليوم، ومن منظور ماضي حياتي، أستطيع أن أرى أنّ كلّ شيء كان مثالياً كُلياً. لقد كنتُ ودون معرفتي بذلك في نوع من التدريب منذ البداية. رُبّما وافق والدي أن يأتي إلى هذا العالم من عالم الروح ويعيش حياته الخاصة بهذه الطريقة، كي يتعلّم ابنه الأصغر كيف يعيش حياة الاعتماد على الذات كطفل صغير، ثمّ كمراهق، ثمّ كشاب راشد.

إنّ كوني أُعطيتُ الفرصة كي أُرسل الحبّ والتسامح إلى أبي عن كلّ سلوك سيء ومُتقلب، كان رُبّما مرحلة تدريب من أجل مُساعدة الملايين من الناس كي يُبدلوا حياتهم مع نظرة مُنحازة إلى منظور فهم وتحقيق الإله في الحياة. أنا أشعر بوجود أبي على نحو مُتكرر، وكلّما أحسستُ به قريباً، يبدو الأمر كطيف لطيف من الحبّ غير المحدود، عوضاً عن عواصف القلق والغضب العنيف التي ملأتْ أفكاري سابقاً عن هذا الرجل.

نعم، لقد كان مُعلّمي الأكبر. أنا أعلم على نحو أكيد أنّ الإله يعمل بطرق خفية، وليس عن طريق المُصادفة. في الحقيقة، إنّه كذلك، وقد كان دائماً كذلك، كاملاً في كلّ شيء. أنا مُمتنّ جداً.

◂ ◂◂ ◂◂ ◂◂ ◂



في عام 1958 كان احتمال سحبي إلى الجيش والخدمة العسكرية كجندي مشاة أحد أكثر الاحتماليات المُروعة التي أستطيع تخيّلها لنفسي. إنّ كوني عامل مصنع في أحد شركات السيارات في «ديترويت»، حيث يعمل العديد من الشبان في عمر الثامنة عشر من جيراني بعد إكمال المدرسة الثانوية، هو أمرٌ يمتلك درجة قليلة من الإغراء بالنسبة إليّ. من أجل ذلك، اخترتُ أن أشترك في سلاح البحرية، كما فعل أخي «جيم» في السنتين الماضيتين، وها أنا بعد أسبوعين في «غريت ليكس» في «إلينوي»، أشعر بمرض في معدتي، وأتعجّب، ما الذي فعلته بنفسي؟.

في سريري المُغلف في الصباح الباكر، أخذتُ أُفكرَ في حياتي الجديدة. في الليلة الماضية واجهتُ العديد من الصراصير تزحف فوق ملابسي، شراشفي، وأغراض النوم، وعلى أشياء يُمكن ذكرها إلى ما لانهاية لو أردت. تُسيطر هذه الحشرات على المكان، وتعيش في الصدوع حتى يختفي الضوء، فتنطلق أسرابٌ منها كي تأكل الفُتات وتعيش أقذارها الليلية. أنا أتقيأ من منظرها وهي تنزلق على وجهي، بيد أنّ تلك الصراصير هي مُشكلة ثانوية.

لقد عشتُ في أماكن عديدة وتعلّمتُ مُبكّراً في حياتي ألا أحكم على ظروفي. ليس لديّ حساسية، ولا يُوجد طعام لا أُريد أكله، ولا أشياء أكرهها في الوظائف الجسدية. لم يكن الأمر أنني أُواجه صعوبة في التأقلم على العيش في مساكن ضيقة مُتلاصقة مع مئات الرجال في ثكنات Company 417 «كومباني 417» «السرية 417» هنا في المحطة

البحرية «غريت ليكس». لقد كانت الصراصير ورائحة الحمامات الكريهة لا شيء مُقارنة مع ما كان مطلوباً مني كعضو خدمة نشيط بدوام كامل في القوات المسلحة، حيث تحكم القواعد.

كانت القواعد تقتضي ألا أُفكّر في نفسي مُطلقاً، وأن أُطيع أيّ أمر يُعطى إليّ من أيّ مُشرف وألا أتساءل عن هذا الأمر. لقد كانت عواقب عدم الطاعة خطيرة، بما في ذلك الاحتجاز في السجن. هنالك سلسلة من الأوامر تعمل طوال الوقت، وعليّ تقبّل كوني الأدنى في الرتبة أفعل ما أُؤمر به، كما على كلّ شخص آخر أن يفعل أيضاً. لا تُوجد فردية هنا، إذ يجب عليّ أن أقول ببساطة: «حاضر، سيدي»، وأُطيع الأوامر.

إنّهم يُخبرونني في أيّ وقت أنام، ومتى أستيقظ، ومتى وماذا آكل، وماذا ألبس، وهو الشيء نفسه الذي يرتديه كلّ واحد هنا. يجب أن أحلق شعري بالكامل، وأن يكون حذائي لامعاً، وأن يكون وجهي نظيفاً، وأن أكون حليق الذقن، إذ يتمّ فحص ذلك عدة مرات في اليوم من المُشرف الذي يصرخ في وجهي أنني قزم ضعيف، وعليّ أن أرد على هذا بجملة «حاضر سيدي!»، يجب أن أتحمّل غضبه المُختلق وأُعطى بعض أنواع العقوبة السخيفة.

على الرغم من أنني في هذا الوقت الراهن لا أُفكّر بهذا المنطق، إلا أنني أعتقد لدرجة ما أنّ هذا المكان رُبّما لن يكون مكاناً لشخص تجسّد في هذا المجال الأرضي كي يُعلّم الاعتماد على الذات.

لا مهرب من هذه العقلية العسكرية. لقد علموني أنّه لا وجود للذات، وأنني سأعتمد على مَن هم أعلى مني وعلى قواعدهم من أجل كشف أيّ شيء قد أحتاجه، وأنني سأرتدي الزيّ نفسه في السنوات الأربع القادمة، وأنني إمّا أن أُطيع أو أذهب دون إذن، الأمر الذي ستكون عقوبته إمضاء فترة طويلة في سجن البحرية وإقالة غير مرغوب بها. لقد اخترتُ أن أقبل هذا القدر مع إدراكي أنني أكثر من مُجرّد جسد، وأنّه مهما قرروا أن يفعلوا بجسدي، فلديّ خيار أن أكون في حالة من السلام في داخلي. أنا أستطيع العيش مع القواعد.

لقد اخترتُ أن أكون مُطيعاً، بل أستطيع أن اعترف بالحاجة إلى هذا النظام في مُنظمة

صُممَت كي تعمل في شؤون الحرب. أن تفعل ما يُطلب منك دون أن تُفكّر أو حتى تسأل هو شيء ضروري عندما يكون تدمير العدو هو الهدف الإجمالي. لقد قررتُ أن أُذعن إلى هذه القوانين خارجياً، ولكنني لن أقبل بها في الداخل. سأُكمل هذه السنين الأربع بشرف، ولكن لن يكون لي أعداء داخل نفسي، بل سأبقى ثابتاً، ومُقتنعاً أنني رجل سلام، أُقدّر وأحترم شخصية كلّ فرد.

أنا في سلام مع طريقة العيش الصارمة هذه، وأثق بقدرتي على أن أكون مُعتمداً على ذاتي بينما ما أزال في مُهمّة ضمن المؤسسة العسكرية. أنا أمقت التنظيمات السخيفة والرقابة، وأعرف نفسي جيداً بما فيه الكفاية كي أكون مُتأكّداً أنني في النهاية سأكتشف طريقة كي أتجنبهم دون أن يعرف أيّ أحد ما أنا عليه الآن. إنّ كلماتي الداخلية آمنة، وسأقوم بتقبّل الأمر على أنّه لعبة مرحة كي ألتفّ حول جنون هذه الطريقة في الحياة.

أنا مُتحيّر عموماً ممّا أراه عند الزملاء البحارة الشباب، فحينما يُعطون لحظات قليلة من الراحة، لاحظتُ أنّ هؤلاء الشباب الناضجين سعيدون بقراءة كتب هزلية مثل «سوبر مان، كابتن مارفل، بات مان روبن، آرشي». لقد كان لدى مُعظمهم مُستويات قراءة واهتمامات مُختلفة تماماً عن اهتماماتي، ومع ذلك فهؤلاء هم الناس الذين أعيش معهم ليلاً ونهاراً.

في فترة إجازتنا الأولى، كانت لدينا الفرصة كي نقضي عطلة نهاية الأسبوع في «شيكاغو»، مع موعد مُحدد كي نرجع إلى القاعدة في يوم الأحد في العاشرة مساءً. ذهبتُ مرتدياً بزتي النظامية إلى المدينة بالقطار وأمضيتُ وقتي بالمشي فيها. تحدّثتُ مع العديد من التجار الذين كانوا قلقين من جني ربح من هؤلاء الشبان المتروكين حديثاً والذين يتذوّقون طعم الحرية لأول مرة منذ شهرين.

تزخر المدينة بصالونات الوشم على الجسد «التاتو»، الحانات، العاهرات، الهدايا التذكارية الرخيصة، والتي رأيتُ زملائي يتشاركونها على نحو واسع مع حريتهم الجديدة. عدتُ إلى القاعدة في «غريت ليكس» مُبكّراً، ثمّ بدأت الثكنات تمتلىء ببضع مئات من البحارة الثملين كثيراً. لقد وشم ثلاثة من أربعة من زملائي البحارة أجسامهم بوشوم كبيرة دائمة، وكان جميعهم يشتم ويصرخ بأغان عنصرية في حالة

خارجة عن السيطرة من الشرب والإقياء. تساءلتُ باستغراب: هل يقرأ أحدهم كتباً؟. هل سيُصبح هؤلاء فعلاً أصدقائي ورفقائي في السنين الأربع القادمة من حياتي؟.

كنتُ أعلم أنّه من المُستحيل بالنسبة إليّ أن أشوّه جسمي على نحو دائم برموز بحرية الولايات المتحدة، أو أيّ شيء آخر. لقد ازدريتُ منذ زمن سلوك شارب الخمر، وأنا الآن مُحاط به. أنا أكتب روايتي الخاصة، ومع ذلك أنا غارق الآن في عالم يزخر بالكتب الهزلية، والكتب التي تمتلئ بالتدنيس والانحياز. أنا أحتقر العنف من أيّ نوع، ولكنني أتحضّر الآن كي أكون أداة قتل، وأحمل سلاحاً أثناء خدمة الحراسة، وأحصل على شرف إبادة الأعداء المُحددين. لقد أصبحتُ أكثر ميلاً إلى الانعزال.

لقد سألتُ نفسي مرات ومرات: «ماذا أفعل هنا بحقّ الجحيم؟. هذا ليس ما وُجدتُ كي أفعله في هذا العالم. أنا أفهم سبب وجود الخدمة العسكرية، ولكنّ هذا ليس دوري. أنا مثل سمكة خارج الماء. أنا أُريد أن أكون شخصاً يعمل في خلق عالم تُصبح فيه الأسلحة والبارجات والأحقاد والأعداء أمراً مُنقرضاً».

أنا مُتحيّر لأنني صنعتُ هذا الخيار برغبة شديدة مني. لقد بدا ذلك وكأنّه بدقة الشيء الصحيح الذي أفعله عندما أتخرّج من المدرسة الثانوية، ولكن لم تكن لديّ أيّ فكرة عن أنّ نمط حياة الخدمة العسكرية مُصمم من أجل كبت كلّ أشكال التفكير المُستقل.

أنظر إلى الوراء إلى كلّ تلك الأوقات التي كنتُ فيها في صراع مع رموز السلطة الذين دفعوني بإصرار إلى عقلية التفكير الجماعي. كنتُ أفكر في اقتباس من E.E. Cummings «إي إي كامينغز» والذي أذكره من صفّ الإنكليزية في المدرسة الثانوية: «أن تكون لا شيء غير نفسك، في عالم يفعل ما بوسعه ليل نهار، كي يجعلك أيّ شخص آخر، يعني أن تُقاتل في المعركة الأصعب التي يستطيع أيّ إنسان القتال فيها، وألا تتوقّف عن القتال»، وها أنا ذا عالق في منظمة اخترتُها بحُرية، تتمحور حول مبدأ جعل كلّ شخص يُشبه أيّ شخص آخر.

خلال فترة تسويتي كي أُصبح مُعتاداً على مُتطلبات الحياة العسكرية الصارمة، شعرتُ وكأنني ارتكبتُ أكبر خطأ في حياتي في التسجيل على رحلة أربع سنين من هذه الخدمة العسكرية. من وجهة النظر البعيدة، بدا كلّ الأمر صافياً وشفافاً وواضحاً بالنسبة إليّ.

بينما كنتُ أتخذ قرار الالتحاق بالقوات المسلحة في عمر الثامنة عشر، أستطيع تذكّر شعوري أنني وبطريقة غامضة مُوجّه من يد غير مرئية. لقد كنتُ أعلم سلفاً أنّ هذا النوع من الحياة المُنظمة سيكون لعنة كبيرة عليّ، لأنني دائماً أيّدتُ حقّ أن أصنع خياراتي بحُرية دون أن يُخبرني أيّ أحد كيف أعيش وماذا أفعل. مع ذلك كنتُ أتحدّث مع مسؤول توظيف البحرية في مدينة «ديترويت» وأوقع اتفاق التجنيد في الأسابيع القصيرة القادمة. كان ذلك وكأنني قطعاً يجب أن أدخل في هذا الاندفاع المجنون، على الرغم من أنني علمتُ ايضاً أنّ المسألة ستكون صراعاً هائلاً بالنسبة إليّ.

ما أعرفه بالتأكيد أنّه من أجل أن يفهم الإنسان شيئاً فكرياً، يجب عليه دراسته، تحليله، التفكير به، تفحّص ما قاله الآخرون عنه، مُراجعة صيغ عنه، وأخيراً تصل إلى الخلاصة وتُقدّم الامتحان فيه. بيد أنّه من أجل أن يصل الإنسان إلى معرفة وفهم شيء ما روحياً، يجب على الإنسان أن يختبره، وليس هنالك أيّ طريقة أُخرى.

أستطيع ان أكتب تفاصيل لا نهاية لها عمّا يُشبه نكهات «الأفوكادو»، مُقارناً طعمه مع أنواع أخرى من الطعام، وأُقدّم لك في النهاية مُحاضرة مكتوبة عن هذا الموضوع، ومع ذلك فإنّ الطريقة الوحيدة من أجل معرفة إحساس طعم «الأفوكادو» هي أن تُجرّب أكله. حالما تأكله تُصبح واحداً معه، وتعرف ما وراء الشيء الذي لا إمكانية لإيصال تجربته إلى أيّ أحد آخر. أنا أعلم أنني لا أُحبُّ أن يُخبرني أحد كيف أعيش حياتي، وأعلم أنني احتججتُ ضدّ السُلطة التي تُملي عليّ، ولكن من أجل أن يتضح لي الأمر روحياً، ويصنع ذلك تأثيراً هائلاً عليّ، ويُرسلني في الاتجاه الصحيح من أجل تعليم الاعتماد على الذات والإدراك الذاتي كمُهمّة في الحياة، يجب عليّ أن أختبره مُباشرة.

لقد استشهدتُ دائماً بفكرة أنّ عواصف حياتنا، نقاط الضعف، الأوقات الصعبة، هي أشياء يجب عليّ أن أكون شاكراً لها. لقد عاش أخي «ديفيد» أكثر من خمسين عاماً على إدمان الكحول، وعلى إدمان النيكوتين القهري، والخجل الذي لا يرحم، والشكّ بالنفس، والنظرة الإلحادية إلى الحياة، ثمّ في عمر الثامنة والستين تمّ تشخيص إصابته بمرض «باركينسون»، وأُخبر أنّه لا أمل في شفائه، وأنّ المرض سيُؤدي به إلى الحياة كشخص عاجز، الأمر الذي قلب أموره إلى الأحسن.

لقد قرر أخي أن يتوقّف عن الشرب والتدخين، وبدأ بالكتابة كلّ يوم، وتخلّص من سمات شخصيته الخجولة، وبدأ يتحدّث إلى العموم أمام حشد كبير من الجماهير. لقد وجد الإله وتطوّع كي يخدم الآخرين ممّن هم أقلّ حظاً، ونشر كتابه الذي عزا فيه كلّ هذه التحوّلات في حياته إلى مرض «باركينسون» مُعلّمه الأكبر.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّه بالنسبة إليّ، ومن أجل الاستمرار بحزم على الطريق التي أمشي عليها في هذا التجسد، يجب عليّ أن أختبر وأعرف حقيقة الشيء الذي لا أُحبّه. إنّ تلك السنين في الخدمة العسكرية حيث كنتُ أتوقّع أن أنسجم وأصبح فقط كأيّ شخص آخر، قد أعطتني فرصة حقيقية كي أختبر الشيء الذي لا أُحبّه بعناد كبير، وأن أبحث وأعيش من منظور معرفة ما الذي عليّ فعله عندما كان ذلك الوقت الصارم صعباً بالنسبة إليّ. أنا مُمتنّ جداً تجاه تلك التجارب المُبكّرة.

إنّ كرهي الشديد تجاه كلّ هذه الاشياء الاستبدادية دفعني كي أكون مُتحمّساً للعيش وتعليم ما أُحبُّ وأُؤمن به. من هذا المُنطلق، أعرف أنّه يجب التعبير عن الامتنان تجاه أيّ أمر، حتّى تجاه الفريق الذي بدى لا يُطاق أبداً في وقت ما. لقد كان هناك سبب في دفعي إلى هذا الاتجاه، وكلّ يوم أنا مُمتنّ لذلك. في الوقت الحاضر، مع تشخيص إصابتي باللوكيميا «سرطان الدم»، أنا قادر على الترحيب به وأعرف أنّه سينقلني إلى مكان أعلى، تماماً كما فعلَت تجاربي في الخدمة العسكرية منذ خمسين سنة مضت.

- -- -- -- -



- إنّ المعسكر خلفي، أنا في «بينبريدج، ميريلاند»، أحضر دورة في المدرسة مدتها ستة أشهر كي أُصبح فنيّ راديو ومُستخدم أنظمة الكتابة السرية. إنّ الدراسة مُجهدة، فالدروس اليومية من الصباح الباكر وحتّى وقت مُتأخر من المساء، ويتطلّب الأمر دراسة ليلية أيضاً. تمضي أوقات الصباح في تعلم شيفرة «مورس»، وتحويل أصوات «الخط - النقطة» إلى حروف، ولدينا امتحان يوماً بعد يوم. تتضمّن الدروس أيضاً دراسة في اختصاصات الاتصالات، الالكترونيات، الفيزياء، تعلّم تشغيل أحدث المعدات، التشفير وفك التشفير، إجادة الطباعة. يتعلّم عقلي الباطن كيف يستجيب آلياً عندما أسمع الأصوات في سماعات الأذنين.

أنا مُلتزم كُلياً بمُتابعة مغامرة أكاديمية الستة أشهر هذه بتفوق، وأنا منتبه إلى أنني عندما أختار أن أتقدّم بنفسي فأنا أستطيع حرفياً أن أُتقن أيّ نظام. بالعودة إلى المدرسة الثانوية، عندما كنتُ أُحبُّ مادة دراسية فإنني أحصل على علامة A دائماً، وعندما أكون غير مُهتمّ، أنسحب ببساطة، ولا يهمّني سواء أخذتُ درجة النجاح أو الرسوب. هنا في مدرسة فني الراديو أنا بحّار شاب مُصمِم ليس فقط على اجتياز الدورة التدريبية، بل على أن أفعل ذلك بدرجة امتياز. عند التخرّج، كنتُ الأول على صفّي.

لقد كان صديقي المُفضّل في «بينبريدج» شاب في التاسعة عشر من العمر اسمه «راي دادلي» من «شيكاغو». كُنّا ندرس معاً ونرتبط كأخوين، وأصبحنا مُتلازمين على نحو أساسي، وعندما كُنا نُغادر القاعدة من أجل الذهاب إلى «بالتيمور» أو

«واشنطن دي. سي.» في عطلة نهاية الأسبوع، كُنا نفعل ذلك معاً.

نعود أنا و«راي» إلى القاعدة بعد عطلة نهاية الأسبوع في «واشنطن». إنّها الساعة العاشرة مساء يوم الأحد ويتوجّب علينا أن نكون في القاعدة في «بينبريدج» قبل مُنتصف الليل. قررنا أن نتوقّف في بلدة «هافر دو غريس» الصغيرة في «ماريلاند»، ونتناول طبقاً من الأرز المقلي، لأننا لم نتناول شيئاً طوال اليوم. إنّها وجبة رخيصة بالنسبة إلى بحّارين جائعين بزيّ بحرية «الولايات المُتحدة» قبل انطلاق المركبة كي تقطع عشرة أميال إلى القاعدة.

دُهشتُ عندما سمعتُ: «عذراً أيها الفتيان لا نستطيع أن نُقدّم لكما الطعام في هذا المطعم». سألتُ النادلة لماذا، فالمطعم يفتح حتى مُنتصف الليل، وهناك العديد من الجنود العائدين يأكلون. نظرَت إليّ بخجل وهزّت كتفيها ببساطة وأشارَت إلى صديقي المفضل، جنديّ البحرية الأمريكية الذي يخدم بلاده فرداً من القوات المسلحة، ثمّ أشارت على وجهي مُباشرة، وكأنّ شخصاً عاقبني بضربة باطلة. إنّ «راي» هو أمريكي أفريقي وفي هذه البلدة الصغيرة في «ميريلاند» لا يخدمون الناس إذا لم تكن بشرتهم بيضاء.

طلبتُ أن أتحدّث مع المُدير، ولكن لم يظهر أيّ أحد ذو سلطة إلينا. لا تُريد النادلة أن تُشاهد مشهداً بغيضاً، أنا غاضب ومُحرج من أجل صديقي. لقد عاش «راي» مع هذا النوع من التحيّز كلّ حياته، فأومأ إليّ أن نُغادر بهدوء من أجل تجنّب أيّ احتمال صراع خطير.

لم أختبر مُسبقاً رعب تحيّز عرقي كهذا. أنا مُتحيّر، وحزين بعُمق، ومجروح كثيراً من أجل صديقي، بل أكثر من ذلك، أنا غاضب بسبب حماقة رفض تقديم الطعام لإنسان يرتدي بزّة القوات المسلحة لبلده، ومُستعد أن يذهب إلى الحرب ويموت كي تُصبح فرصة الحياة والتنفّس بحُرية محفوظة لكلّ فرد، حتّى بالنسبة إلى مالكي المطاعم، والنادلات اللاتي يعملن هناك.

أعتذرتُ إلى «راي» ونحن نتوجّه إلى ثكناتنا في قاعدة «بينبريدج» البحرية، وأخذتُ عهداً على نفسي أنني أبداً ونهائياً لن أُقيّم أيّ شخص على أساس مظهره. أنا مهزوز حتى الصميم. لقد تغيّرتُ إلى الأبد. سأُكرّس حياتي من أجل غربلة العالم من مثل هذا التفكير المُغفّل. كنتُ كلّ يوم أقضي بقية وقتي في «بينبريدج»، وأنا مهووس بما أستطيع فعله

كرجل واحد من أجل القضاء على هذا النوع من السلوك الساذج. إنها مُهمّة حياتي. أنا مُلتزم بأن أكون رجلاً لا يُصدر أحكاماً على أيّ شخص.

ماتزال ليلة الأحد في «هارف دو غريس» تبرز كاحدى أكثر الليالي تأثيراً في حياتي، على الرغم من أنها كانت منذ أكثر من خمسين سنة مضت. تلك اللحظة التي نظرتُ بها إلى عينيّ صديقي «راي» ورأيتُ الألم الذي يستطيع أن يُسببه التحيّز، ألهمني أن أعاهد نفسي على الغاء الأحكام المُسبقة من طريقتي الخاصة في الحياة، وأُدخل الحبّ تجاه كلّ البشرية كحجر الزاوية في عمل حياتي.

من تلك الليلة فصاعداً، أصبحتُ واعياً كُلياً بميولي إلى عدم تصنيف الناس بناء على عوامل خارجية، وبدأتُ أشقُّ الطريق التي كنتُ قادراً فيها على أن أرى تكشّف الروح في كلّ شخص قابلتُه. في كثير من النواحي التي صادفتُها كبحّار في التاسعة عشر من العمر كان هناك تنسيق إلهي. كان عليّ أن أكون هناك كشاهدٍ ومُشارك غير مقصود من أجل أن أشعر برُعب هذا النوع من السلوك العائد إليّ.

لقد كانت تلك النادلة البائسة تتصرّف بطريقة طبيعية فُرضت عليها من ظروف التربية عندما كانت طفلة. لقد شاهدَتْ سوء التعامل مع الناس ذوي البشرة الداكنة وقبلَتْ ذلك على أنه الشيء الذي يجب فعله. لقد كانت أيضاً موظفة من نوع «أفعل ما أخبروني بفعله، إنه عملي». هذه العقلية كانت القوّة القيادية وراء الأفعال الشائنة غير المُنتهية على مرّ القرون. من أجل أن تُستبدل هذه العادات بسلوك التعاطف عوضاً عن التحامل، يجب على الناس أن يُفتشوا كيف تبرمجت عقولهم الباطنة، ثمّ يبدؤوا بتغيير هذه الطرق الاعتيادية الموجودة.

بالعودة إلى عام 1959 بدأتُ أفعل ذلك بدقة. لقد سمعتُ كثيراً ألفاظاً مثل «الزنجي، الاسباني، اليهودي، الاندونيسي، البولندي» حينما كنتُ أنمو في الأعوام مابين 1940 و1950، ومع ذلك لا ذاكرة لديّ عن أنني استعملتُ هذه اللغة أبداً في حياتي، بيد أنني شهدتُ هذا بانتظام ولم يُثر الأمر أيّ شعور بالغضب داخلي. لقد غيرتني تجربتي مع «راي دادلي»، فبدأتُ أتحوّل تدريجياً إلى الإعراب عن ازدرائي لمثل هذه اللغة دون ثورة غضب. لقد بدأتُ أقرأ كتباً عالجَت موضوع التعصّب والكراهية، وأدنتُ

سياسات البحرية حيث كان التميز العنصري سلوكاً مُقراً. عندما أنظر إلى الوراء إلى أهمّ موضوعين من مواضيع كتاباتي المُتابعة وإلى تطوّر نضجي، أجدُ أنهما يتجذران في تلك الليلة المُؤلمة في «ميريلاند».

أول هذه المواضيع هو تعليم الناس كيف يكون لديهم تفكير خاص بهم، مُستقل عمّا تعلّموا تصديقه. عندما أعلم أنّ الأمر خاطىء ولا ينسجم مع الحبّ الإلهي المُعتنق من قِبل المُعلّمين الروحيين المُوقرين، يجب بغضّ النظر عما تعلمتُه، أن أُفكر من أجل نفسي وأنطلق دوماً من مكان الحبّ. عندما أخبرونا أنّ الإله هو الحبّ، فلا يجب أن نقول ذلك فقط من مُنطلق عبادتنا أثناء الصلاة الدينية الأسبوعية الشعائرية، بل علينا أن نعيش هذا الحبّ.

يتضمّن الموضوع الثاني العقل الباطن حيث تتجذر عادات البالغين، وقد كتبتُه عندما كنتُ في مدرسة الراديو أتعلّم شيفرة «مورس». لقد تدربتُ وتدربتُ حتى تحوّلَت الشيفرة من العقل الواعي إلى مكان دائم في عقلي الباطن وأصبحت عادة. لم أستخدم شيفرة «مورس» أكثر من نصف قرن، بيد أنّ كلّ جزء من البرمجة استمرّ كي يكون حاضراً في وجودي، فأنا أستطيع أن أصل إلى أيّ كلمة أو جملة على الفور في تفكيري باستخدام النقاط و الخطوط التي كانت هنا منذ عقود عديدة.

على نحو مُشابه، جميعنا لدينا أفكار أُخرى نُسمّيها عناصر السلوك المنقولة، وهي تقود سلوكنا اليوم، وعلى الرغم من أنها قد لا تخدمنا، ولكنّها ما تزال تعمل هنا، تماماً مثل نقر شيفرة «مورس» الموجودة اليوم في اللاوعي الخاص بي. تلك النادلة في المطعم في «هارف دو غريسفي» عام 1959 كانت تتصرّف انطلاقاً من هاتين الفكرتين. لقد كانت تفعل ما أخبروها أن تفعله، على الرغم من أنّ لغة جسدها كانت تقول: «أنا لا أشعر حقيقة بهذه الطريقة، أنا أُنفّذ عملي فقط». لقد كانت أيضاً تتصرّف انطلاقاً من السلوك المنقول الذي لم تأخذ الفرصة كي تُصححه وتستأصله تماماً من عقلها الباطن.

مازلتُ استطيع ان أرى النادلة وصديقي الأمريكي الإفريقي «راي دادلي» في دماغي وأنا أكتب هذه الكلمات. أنا أؤمن أنهما أرسلا إلى حياتي في ليلة الأحد تلك من أجل مُساعدتي ليس على رؤية النور فحسب وإنّما كي أعلّم من مُنطلق أكثر إضاءة.

← ←← ←← ←← ←



- إنه منتصف شتاء عام 1959، لقد كُلِّفتُ مُؤقتاً بمُهمّة القيام بجولة مُوجزة في المحطة الجوية البحرية في نهر «بوتكسنت»، بالقرب من «ليكسينغتون بارك، ميريلاند». قررتُ ارتداء بذتي والسفر إلى بيتي في «ديترويت» كي أزور أُمّي، وصديقتي «ليندا»، التي التحقَت بجامعة «ميشيغان» في «آن أربور». إنّها مسافة حوالي خمسمئة وتسعين ميلاً تقريباً، وهي تأخذ عادة اثنتا عشرة إلى أربع عشرة ساعة. إنّ إرتدائي الزيّ الرسمي يعني عموماً أنّ أيّ شخص يُمكن أن يقف ويُقلني بغضّ النظر عن المكان الذي تركتُه.

لقد قمتُ بهذه الرحلة مرات عديدة، وأنا واثق أنني أستطيع الوصول إلى المنزل صباح السبت، وأُمضي يوماً ونصف في المنزل، ثمّ أُسافر مُتطفلاً عائداً إلى القاعدة من أجل أن أقوم بحظر تجوّل في مُنتصف الليل في يوم الأحد. إنها مسافة طويلة وتحتاج وقتاً طويلاً من الركوب المجاني على الطريق، ولكن لا بأس من ذلك فالحنين إلى المنزل يستحقّ هذا العناء، وأنا البحّار المُتيم الذي بدأ يعتاد على أن يكون بعيداً عن منزله فترات طويلة من الزمن.

بدأتُ رحلة عطلة نهاية الأسبوع ووجدتُ مركبة تقلني على طول الطريق إلى «واشنطن د. س.»، وبعد تنقلات عديدة وصلتُ إلى مدخل «بريزوود» إلى حاجز «بينسلفانيا». اقترب وقت مُنتصف الليل وانخفضَت درجة الحرارة على نحو كبير. في مرارة البرد قررتُ أن أستقلّ مركبة مُتجهاً غرباً، بيد أنّ السائق أعلمني أنه ذاهب فقط إلى

«باتلر، بنسلفانيا». إنه لا يُريد أن يُنزلني عند المخرج في منتصف الليل، لأنني سأتعرض لخطر الهلاك والتجمّد حتى الموت، فالحرارة تحت الصفر والرياح تعصف بشدة. أنا أرتدي معطف البحرية الكحلي، وأقف في الظلام على نحو غير مرئي بالنسبة إلى السائقين المُتوجّهين غرباً على الطريق الرئيسة وهذا قد يكون أمراً كارثياً أيضاً. يُصرّ هذا السائق الودود على إنزالي عند مواقف مطعم «بلازا» على الشارع الرئيس قبل المخرج من أجل التقدم بضعة أميال إلى الأمام، وقد وافقتُ على ذلك.

تقدّمتُ إلى المطعم حوالي الساعة الثالثة صباحاً، وتناولتُ فنجاناً من الشوكولا الساخنة، ثمّ توجّهتُ كي أجرّب حظي باللحاق بمركبة مُتجهة غرباً في مُنتصف الليل، وفي وسط ما تشعر أنّه اللامكان، والجوّ الأبرد الذي صادفتُه في حياتي، في طريقي إلى المُنحدر في الظلام المُتجمد، تجاوزتُ بحّاراً آخر يمشي عائداً إلى المطعم، بعد أن لم يُصادفه الحظ في تأمين مركبة وقد أخبرني: «إنه بردٌ قارس هنا في الخارج يارفيق. لم أستطع الوقوف مُطوّلاً هناك أيضاً، قد تُصاب بالتجمّد بسهولة إذا لم تكن حذراً».

شكرتُه وتمنيتُ أن يكون بخير، وتوجّهتُ إلى الشارع الرئيس. وقفت هناك مُدّة خمس عشرة إلى عشرين دقيقة ولم يُحالفني الحظ، وقد تجمّدتُ تقريباً، فقررتُ أن أعود كي أشعر بالدفء. عندما دخلتُ المطعم كان هناك شخص واحد فقط في المكان وهو البحّار الذي تحدّث إليّ قبل بضع دقائق وحذرني ألا أبقى خارجاً وقتاً طويلاً. تخيّل دهشتي عندما عرفتُ أنّ هذا البحّار هو أخي!.

لقد تعيّن أخي في «نورفولك، فيرجينيا»، وقد قرر أيضاً أن يجد مركبة مجانية تُقلّه إلى المنزل كي يرى أمّنا وخطيبته «مارلين» في عطلة نهاية الأسبوع. لقد نزل هو أيضاً في البقعة نفسها تحديداً. لم تكن لديّ فكرة عن أنّ غواصة «جيم» كانت في الميناء، فأنا لم أقم بأيّ تواصل مع أخي منذ شهور، فأماكن تواجده في الغواصة كانت تُعتبر معلومات سرية. تحدّث أخي إليّ وحذرني كي أنتبه دون أن يعرف مَن أنا. وقفنا معاً في حالة من الصدمة وعدم التصديق بتلك القوى الخفية التي كانت تعمل من أجل أن يُصبح هذا المشهد حقيقة.

التقينا بسائق العربة ذات الثمان عشرة عجلة والتي تعمل بالغاز وأخبرناه عن «الصدفة» المُذهلة التي حدثت للتوّ. لقد أثر هذا التزامن الذي جمعني مع «جيم» في منتصف اللامكان تحت هذه الظروف المُستحيلة بسائق الشاحنة الذي أوصلنا بعيداً عن طريقه مُباشرة إلى باب منزلنا الأمامي في شارع «موروس» في «ديترويت»، باكراً صباح يوم السبت.

لا أستطيع البدء كي أُخبركم عدد المرات التي شاركنا فيها تلك القصة أنا و«جيم» في الخمسين سنة الماضية، والخلاصة هي دائماً نفسها: إنها فقط احدى تلك الصُدف الغريبة التي تظهر وتتحدّى الشرح المنطقي. كان هذا الحدث يحمل معنى عميقاً بالنسبة إلى ذلك البحّار في عمر التاسعة عشر الذي كنتُه. لقد أدخلني ذلك إلى عالم من التزامن، والفيزياء الكمّية، وفكرة أنه لا تُوجد هناك صدف في عالم يُدار من العقل الإلهي.

اليوم أعود بذاكرتي إلى كلّ تلك الأحداث التي كان عليها أن تأتي مع بعضها على نحو تام، بالنسبة إليّ وإلى أخي كي نحصل على هذه المُصادفة في مُنتصف الليل منذ سنوات عديدة مضت، أنا لم أعُد مُستغرباً أبداً. لقد أصبحت حياتي مُزدحمة ومليئة بهذه الأنواع من المُصادفات، ولكن كانت هذه هي الصدفة الأولى الكبيرة التي شدّت انتباهي حقيقة، وغيّرت الطريقة التي نظرتُ بها إلى الأشياء إلى الأبد.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّه كان عليّ أن أُحرر نفسي من كلّ الشكوك عن إمكانية حدوث الاشياء مع بعضها بترتيب إلهي وفي الوقت الإلهي. لقد سيطرَتْ فكرة التزامن هذه على كتابتي وحديثي، وهو مُصطلح ابتدعه «كارل يونغ» كي يشرح ماسمّاه «الصدف ذات المغزى». إنّ الحدث المُتزامن الذي جذب انتباه «يونغ» حدث أثناء جلسة مع زبون كان يقصّ حلماً رآه، وقد عبر عن أهمية الخنفساء في الحلم، وقد توافق ذلك مع زبونة أُخرى حيث سمع كلاهما ضجيجاً، واتضح أنها خنفساء على النافذة تجذب انتباههما. أنا أرى الآن أنّ هذا الحدث المُتزامن مع أخي، والذي يذهب أبعد من التفكير المنطقي ويُقوي من فكرة الغرائب المُدهشة أمام الأحداث بالصدفة، كانت له ضرورة كي أستطيع أن أفتح نفسي على إمكانية أنّ كلّ الأشياء مُتصلة من أجل غرض

مُعيّن. لقد احتجتُ شخصياً أن أكون مُتحرراً من عقليتي الخاصة المُبالغ فيها في ذلك الوقت من حياتي.

من أجل أن أكتب في النهاية وأتحدّث عن عالم الروح، احتجتُ أن أعرف في عمر مُبكّر في سنّ التاسعة عشر، أنّه لا تُوجد حوادث مُصادفات في الكون الذي يُخلق ويُسيّر من قِبل قوى خفية لا تحتاج إلى الشرح العقلي. أنا أرى الآن أنه ليست لدينا فكرة كيف يُخلق أيّ شيء في هذا العالم المادي، وأنّ كل شيء مُتأصل من شيء يُدعى الروح، والتي لا يستطيع أحد أن يُعرّفها أو أن يقترب من شرحها بما في ذلك عقولنا العلمية العظيمة.

هنالك أسباب كثيرة كي تُؤمن بوجود عقل وراء الحياة. كما ذكر «ماكس بلانك» العقل العلمي العظيم الذي حاز على جائزة «نوبل» في الفيزياء: «إنّ كل مادة تُولد وتُوجد فقط بحكم قوّة تجلب جزيء النواة إلى الاهتزاز وتحمل في الوقت نفسه هذا النظام الشمسي المُصغر للذرة. علينا أن نفترض أنه خلف هذه القوّة يُوجد عقل ذكي واع، وهذا العقل هو منشأ كلّ هذه الأشياء». هكذا يكون الوجود، فذاك العقل فطري في كلّ خلق من هذا العقل، وهذا يعني أنه موجود في كلّ شيء وفي كلّ شخص وأنه يُدير المسرحية بأكملها.

هذا العقل غامض على نحو عظيم، وهو قادر على أن يخلق عوالم ومجرات على نحو فسيح يُذهل أكثر خيالات التفكير المُنفتح. يستطيع هذا العقل الحفاظ على الكون بأسره في توازن تامّ ويخلق الزهرة من السماد. إنّه العقل الذي يكمن في كلّ الأشياء وهو «الروح التي تُعطي الحياة» كما قال «المسيح». يستطيع هذا العقل الخفي أن يخلق المُعجزات في كلّ ثانية من كلّ يوم. إنّ جلب أخوين معاً في منتصف الشارع الرئيس في «بينسيلفانيا» هو إنجاز صغير مُقارنة مع خلق الحياة من اللاشيء وتجميع عدد غير محدود من المخلوقات السماوية كي تشغل الكون بأكمله. لا أستطيع تصوّر ساعة يد دون صانع ساعات، ولذلك فمن المُستحيل بالنسبة إليّ أن أُؤمن أنّ هذا الكون موجود من غير وجود عقل هو منشأ كلّ الأشياء وهو الخالق.

عندما أنظر إلى الوراء إلى تجربة التزامن تلك التي حدثت عام 1959، يبدو وعلى

نحو واضح بالنسبة إليّ أنّه يجب أن أفتح عينيّ على إمكانية التصميم الإلهي الذي يُساهم بمفاتيح تحلّ ألغاز أقدارنا. شعرتُ عندها أنّني وأخي «جيم» مُشاركين بتعاون مع القدر، وأنني بدأتُ أفهم مُشاركتي بوعي. لقد أردتُ أن تصطف حياتي بموازاة مع هذه الطاقة الخفية الخارقة، وبدأتُ أختار التفكير الذي يعي أنني أكثر بكثير من مُجرّد شكل إنسان، وأنني الروح نفسها، وأنّ الحياة داخلي إلهية حقيقة. حالما تراجعتُ من مكان إجمالي المعتقدات، ولاحظتُ روعتي الخاصة واتصالي بهذه الروح الخفية العظيمة، بدأتُ أكون مُشاركاً في خلق أحداث مُتزامنة أكثر وأكثر.

كانت هذه التجربة الاولى التي أستطيع فيها تذكّر كم أدهشتني رؤية أنّ الحياة ليست مادية وواقعية فحسب. كنتُ وما أزال مُقتنعاً أن الأحداث في هذه الطبيعة، ليست مُصادفة عرضية. منذ ذاك اليوم فصاعداً بدأتُ أُفكّر بطرق جديدة، ومع أني لم أُشارك هذا الوعي المُتيقظ الجديد مع أيّ أحد في ذاك الوقت، بيد أني عرفتُ أنني كنت ضمن شيء أكبر بكثير من المرور خلال إشارات الحياة كما لو أنها مُسلّمة إليّ.

لقد بدأتُ أسمع الصمت الذي بدا وكأنّه يهمس برفق عن حياتي الداخلية والأحداث التي تبدو عجائبية. لقد بدا واضحاً بالنسبة إليّ، أنّ هناك رابط تزامن لكلّ شخص وكلّ شيء، وأنّ كل ما في الحياة مُرتبط داخلياً. لقد فكرتُ في السائقَيْن اللذين أنزلاني و«جيم» عند موقف المطعم الرئيس وبدأتُ أراهم كجزء من «دراما» حياتي، وأرى نفسي جزءاً من حياتهم. كان هذا تفتحي نحو الوعي بالقوّة الإلهية التي تتحرّك من خلال حياتنا.

من وجهة نظري عندما أنظر إلى الخلف إلى ذلك الحدث بعد مرور الكثير من السنوات، أرى بوضوح أنني كنت بدأتُ أُحرر نفسي من الترتيب الزمني لطريقة «السبب - نتيجة» التي تدرّبتُ على التفكير بها. لقد بدأتُ أشجّع التفكير المُنفتح بحقّ على كلّ شيء والذي لا يتعلّق بأيّ شيء. لقد بدا أنني في عمر التاسعة عشر رحّبتُ باكتشاف هذه الفكرة التي ستغلغل في النهاية في عمل حياتي، مع الاستسلام لتلك المعرفة بأنّ كلّ ذلك هو الطريق التي يجب أن تكون.

كان «ألبرت أنشتاين» مُصيباً في قوله: «هناك طريقتان فقط كي تعيش حياتك.

الأولى أنه لا شيء يُعتبر مُعجزة، والثانية هي أنّ كلّ شيء مُعجزة»، أو كما قال «بوذا»: «لو استطعنا رؤية مُعجزة زهرة واحدة بوضوح، فستتغير كلّ حياتنا». هذا الحدث الإعجازي سمح لي أن أرى بوضوح وأبدأ بالمُشاركة في صنع حياتي الخاصة، وأُعلّم الآخرين كيف يُشاركون في صنع حياتهم أيضاً. عندما أنظر الآن إلى الوراء، أرغب في التعبير عن الشكر لكلّ المُشاركين الذين تعاونوا في إحداث هذه الروعة التي استيقظَتْ في داخلي.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- إنه صيف عام 1960، أنا أخصائي اتصالات على متن أكبر سفينة في العالم واسمها USS Ranger «يو. أس. أس. رانجر». كنا مُتمركزين في ميناء «آلاميدا، كاليفورنيا»، بعد رحلة ستة أشهر إلى القواعد البحرية والنقاط الساخنة في غرب المُحيط الهادي، تتضمّن «اليابان»، «هونغ كونغ»، «الفيليبين»، «هاواي»، والآن عدنا إلى البر الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية.

فجأة، أُذيع هذا الإعلان بدويّ عالٍ عبر مُكبرات السفينة: «توجّهوا إلى ظهر السفينة وقفوا كي تُشكّلوا عبارة: «هاي آيك» أي «مرحباً رئيس الولايات المتحدة»، حيث أنّ الرئيس «إيزنهاور» يطير فوق سفينتنا في الحوامة.

أنا في حالة من الغضب من أن يجتمع عدة آلاف من زملائي ويُشاركوا في هذا المشهد العبثي كي ينظر رجلٌ واحد من الأعلى ويرى هذه الرسالة المُشكّلة من قِبل مجموعة من البحّارة الذين يرتدون قبعات بيضاء. من المُستحيل أن أكون واحداً من مجموعة تتصرّف كسرب من الإوز يُنفذون الأوامر من أجل سبب غير منطقي لا أستطيع فهمه.

أنا أحتقر هذه العقلية، وأجد هذه النشاطات التافهة مُهينة بعُمق وتحطّ من كرامتي. أنا ضابط صغير من الدرجة الثالثة، مُحترف وموهوب وأحمل مسؤوليات ضخمة، ولكنّي غير قادر كُلياً على أن أُساق إلى مجموعة وأقف تحت حرارة الشمس كي أُشكّل حرف «آي» في «هاي آيك» من أجل أن أصنع عرضاً سياسياً من أجل الحزب الجمهوري أثناء هذه السنة الانتخابية.

إنه صراع دائم بالنسبة إليّ أن أحافظ على فرديتي بينما لا أزال أعمل ضمن منظمة تفعل كلّ شيء تستطيعه كي تقمع أيّ أفكار فردية. إنّ اسم هذه الطريقة هو التفكير الجماعي، والقواعد هي: افعل كما يُخبرونك ولا تسأل أيّ أسئلة، انس كبرياءك وذاتك ورغبتك بأن تحصل على تفكير خاص بك، أطِعْ جميع الأوامر، اقمَع أيّ أفكار عصيان مهما كانت الأوامر مُزعجة. أنا أعلم أنه تبقّى لديّ أقلّ من سنتين في الخدمة، ثمّ سأكون حراً من هذه العقلية. أنا أُريد أداءً مُشرفاً، وأُريد أن أذهب إلى الكلية وأُصبح مُعلّماً. أُريد أن أصنع هذا من خلال ما تبقّى من تطوعي في الجيش مُتجنباً أيّ مُجابهات تمسّ كبريائي الداخلي. بيد أنّ الأمر كبير الآن ولا أستطيع ان أسمح لنفسي ببساطة أن أُشارك في هذه التمثيلية.

لقد نجحتُ في السنتين الماضيتين في تجنّب مُعظم التدريبات العسكرية التي تُسبب الاستياء لروحي، وتعلّمت كيف أكون في أماكن أُخرى على نحو شرعي عندما كانت تُجرى عمليات التفتيش المُهينة، ولم أتحدّث عن ذلك مع أيّ أحد. كنتُ أعرف كيفية عدم اثارة الأمواج وعدم جذب الانتباه إلى نفسي، وكنتُ أدعو ذلك أن تكون **فعّالاً بهدوء**. كنتُ أعرف ما الشيء الذي يُغضب روحي، ولا أحتاج إلى أن أتعرّض إلى ذلك الغضب. أنا أحتقر عمليات التفتيش، ولذلك كنتُ أكتشف موعد البدء بها وأُوظّف نفسي من أجل القيام بشيء آخر بينما يأخذ التفتيش مجراه. عندما كانوا يُخبرونني أنّه عليّ أن أحمل مسدساً وأقف في مُهمّة حراسة، كنتُ آخذ ورقة إذن وأكون في مكان آخر، فأنا أحتقر المُسدسات وأدوات الموت، ولا أُريد أن أُجري حديثاً عنها، بل أنا ببساطة لا أُريد امتلاك أدوات القتل الدنيئة تلك شخصياً في أيّ وقت. أنا مسرورٌ من نفسي من جرّاء اكتشاف كيف أبقى داخل النظام، بينما أتجنّب أجزاء النظام التي تُدنس معايير شخصيتي الداخلية.

بينما توجّه ألفان من البحّارة المُجندين إلى سطح السفينة كي يتمّ إخبارهم كيف يقفون من أجل تشكيل عبارة «هاي آيك». توجّهتُ إلى الاتجاه المُعاكس إلى أسفل ظهر السفينة، حيث أستطيع أن أجلس في عزلة ريثما يهمد هذا الجنون فوقي. هناك الكثير من الناس ولن يتفقدونني، ولن يعرف أحد أبداً أنني غير موجود، كما لن يعرفوا مدى الازدراء الذي يُحدثه هذا الأمر في داخلي.

أنا فقط لا أستطيع فهم كيف يستمرّ الناس الذين يشعرون بالقوّة مثلي بهذا، ويسمحون

لأنفسهم أن يتمّ استخدامهم بهذا الأسلوب. من ناحية أُخرى، أنا أُفكّر، لو أنّ كلّ شخص تعامل مع هذه الأنواع من المواقف كما فعلتُ أنا، فسيكون من المُستحيل بالنسبة إليّ أن أفعل ما أفعله الآن. إذاً وبطرق كثيرة وعديدة أنا مُمتنّ تجاه كلّ هؤلاء الذين يستمرّون ويُطيعون. يسمح لي ذلك أن أهرب عن الأنظار وأبقى غير مُلاحظ وأُحافظ على ذرة من الكرامة دون التعبير عن نفسي أمام الناس الذين اختاروا أن يُطيعوا.

أنا أُمارس التأمل بهدوء، وأقرأ رواية هي حالياً على لائحة الكتب الأفضل مبيعاً. أنا مُستغرق في قصة «أتيكوس فينش» الذي يُقاتل النظام ويُكافح التعصّب. هذه قراءتي الثالثة لكتاب «هاربر لي» بعنوان to Kill a Mockingjay **«أن تقتل الطائر المُقلّد»**، وعلى الرغم من أنّ الكتاب صدر منذ أشهر قليلة، إلا أنّه ليس كتاباً تقرأه مرة ثمّ تضعه جانباً.

كان «أتيكوس فينش» فرداً ذي نزاهة عالية، مُحامياً بطولياً من أبناء الجنوب في «ألاباما»، وقد وقف ببطولة مع كلّ ما هو صحيح. لقد أسرني موقفه عندما كان يُخبر ابنته «سكاوت» أنه لن يستطيع رفع رأسه مُجدداً أمام أطفاله مرة أُخرى إن لم يربح هذه القضية، ثمّ شرح أنه يجب عليه أن يربحها حتّى وإن اعتقد أيّ شخص آخر أنه على خطأ. عندما كنتُ أُعيد قراءة **«أن تقتل الطائر المقلّد»** تحت ظهر السفينة، كنتُ مسروراً من نفسي بسبب عدم تعاوني مع سرب البحّارة في الأعلى. كنتُ أشعر بشجاعة خياري في أن أستمع إلى ذلك الصوت الهادئ داخلي والذي يقول: «ليس عليك أن تكون كأيّ شخص آخر، هناك طريقة أُخرى».

لا أزال أستطيع أن أرى نفسي أجلس في غرفة المرجل تسعة المعزولة تحت ظهر السفينة أقرأ كتاب «هاربر لي». كنتُ وأنا ابن العشرين عاماً مُتعجّباً من الشخصية الخيالية التي تتحدّى الضغط عليها كي تُصبح كأيّ أحد آخر، وتستمع بدل ذلك إلى الصوت العنيد داخلها الذي يدعوها أن تتبع قلبها وتكون الشخص المُقدّر لها أن تكون.

إنّ موضوع قصة «هاي آيك» يعرض نفسه من خلال كلّ المواضيع في سيرتي الذاتية منذ أكثر من أربعين عاماً الماضية. أنا أشعر أنّ النداء الداخلي المُلحّ والمُستمرّ كي أُقاوم الطاعة كان مُصمماً إلهياً كي يُظهر لي هدف حياتي. لم أعرف أيّ شخص بعد التحدّث إليه ساعة أو أكثر، لا يشعر أنّ لديه مُهمّة مُوحاة إلهياً. لقد شعرتُ بذلك على نحو عميق خلال

حياتي، وأعرف الآن أنّ التجربة التي اختبرتُها مع رواية «هاربر لي» الحائزة على جائزة «بوليتزر»، وأنّ تذمري وهروبي من المشهد الظاهر على ظهر سفينتي كان لحظة بارزة في حياتي. إنه أمر واضحٌ بالنسبة إليّ اليوم بعد خمسين سنة أو أكثر، تماماً كما كان عندما رجعتُ إلى مهاجع النوم بعد أن أصبح كلّ واحد منبوذاً من مُهمته المُضحكة في الأعلى.

غالباً ما أُفكّر في كلمات «بول»: «لا تتكيّف مع هذا العالم، بل كُن مُتغيّراً مع تجدد عقلك»، (انجيل الرومان 12.2)، وأتفكّر بالتعاليم الصوفية العظيمة التي تُرشدنا «أن تكون في العالم، ولكن ليس من العالم». لقد كتبتُ غالباً عن الفكرة أننا لسنا أجسامنا، ولكننا وجود غير محدود يسكن جسداً جديداً في كلّ لحظة من كلّ يوم نعيشه، وبينما كنتُ أهرب من المُتطلبات التافهة التي تزرعها الخدمة العسكرية على جسدي، فإنّ جزءاً مني كان يعرف أنني موجود أيضاً في العالم كجسد، بيد أنّي لم أكن في عالم الجسد والأشكال، بل كنتُ أذهب ما وراء الشكل، في عملية تحوّل هناك على متن سفينتي.

أستطيع أن أرى أنّ تلك المُحفّزات القوية كي أكون فعّالاً بهدوء، وأتجنّب النشاطات التي بدت خرقاء بالنسبة إليّ، كانت تمرينات تدريب مُبكّرة من أجل تعليمي الثقة الذاتية بالنفس. في هذه النقطة، أنا مُمتنّ من الأعماق أنّ رواية «هاربر لي» **«أن تقتل الطائر المُقلد»** ظهرَت في وقتها، ومُمتنّ تجاه القرار المأخوذ من قِبل القوى التي كانت تقود مراسم «هاي آيك»!. لقد احتاج إدراكي تلك الحوادث كي يُلهمني البدأ في كتابة مقالات أصبحَت أخيراً كتباً تُشجّع ملايين الناس حول العالم كي يكون لديهم الشجاعة فيستمعوا إلى نداء صوتهم الداخلي.

منذ عقد مضى، عندما أصبح ابني في الثالثة عشر من العمر، كتبتُ له رسالة عمّا يعنيه أن يصل إلى هذا العمر ويُصبح رجلاً، كما يُعلّم ويُذكر في الكثير من الأعراف الروحية. أنهيتُ رسالتي بإعطائه هذه الحكمة الراجحة: «لو اتبعتَ القطيع، سينتهي بك الأمر أن تطأ الروث»، وقد قصدتُ بالروث هنا أن تعيش مع نفسك وتتجاهل ما تعرف أنه صواب وصحيح، وتتبع عوضاً عن ذلك توجيهات «الفضلات» من الآخرين الخائفين من أن يُغادروا القطيع ويُريدونك أن تكون مثلك مثل أيّ شخص آخر.

● ●● ●●● ●● ●



تعينتُ في منصب في جزيرة «غوام» في جنوب المحيط الهادي مُدّة ثمانية عشر شهراً على الأقل من فترة تطوعي، وترقيتُ إلى رتبة ضابط صغير من الدرجة الثانية وأنا مشرف على مركز وحدة البحرية في مدينة «آغانا».

كنتُ أقرأ قصص وافتتاحيات صحيفة الأخبار اليومية «غوام»، عن سياسة التمييز في القاعدة البحرية. كان المواطنون الذين يعملون في مخازن التجزئة يمتلكون امتياز التسوّق من تلك المنافذ، وبذلك فهم قادرون على أخذ فرصة الاستفادة من الحسومات الكبيرة المُقدمة إلى كلّ الأفراد العسكريين في الخدمة العملية، بيد أنك إذا كنتَ مُوظفاً مدنياً وصدف أنك من أصل «غوامي»، لا تعود تنتفع بهذه الميزة. إذا كانت بشرتك داكنة وكنت «غوامياً» تُصبح مُستبعداً. مرة أُخرى ظهر هذا النوع من التمييز في حياتي، وفي هذه المرة كان مُصادقاً عليه من قِبل بحرية الولايات المتحدة التي أعمل فيها أيضاً.

في صباح السبت، لاحظتُ هذا الإعلان على الصفحة الخلفية من الورقة:

هذه دعوة كي تُعبّر عمّا في نفسك. الجائزة الأولى خمس وسبعون دولاراً للرسالة الرابحة التي تتحدّث عن إدانة سياسة البحرية الأمريكية في التسوّق من المنافذ البحرية والتمييز الحاصل بحقّ المُوظفين المدنيين الذين هم من أصل «غوامي».

أعلم أنني سأربح الجائزة لو دخلتُ هذه المسابقة، وستكون هذه مكافأتي الأولى على شيء كنتُ أفعله يومياً في السنوات العديدة الماضية. أنا أمتلك مجموعة شاملة من المقالات التي كتبتُها عن تشكيلة واسعة من المواضيع.

إنّ كتابة المقالات هو أكثر من هواية بالنسبة إليّ، فقد أصبح شغفاً. أنا أكتشف المواضيع في كلّ مكان. فقد يجذب انتباهي مثلاً سلوك لا أستطيع حتى ولو بعد بلايين السنين أن أشارك به بنفسي، ومثال ذلك، مقطع اخباري عن أناس يرتدون قبعات سخيفة ويترنمون بإسم مُرشح في مؤتمر سياسي، يقفزون على أقدامهم في خط ويهتفون! هذا المقطع يتطلب مقالة عن ميل الناس العاديين إلى التصرف بحماقة عندما يكونون مع آخرين يفعلون الشيء نفسه.

أشعر أنه من المُهمّ جداً أن تثق في شخصيتك الفردية وتعيش من منظور كونك استثنائياً وليس عادياً. لقد كتبتُ بضع مئات من المقالات دون وجود أيّ فكرة عمّا سأفعله بها، أو حتى لماذا أكتبها. إنه ببساطة شغفي، وهذا النداء الداخلي يعمل دون ارادتي في داخلي، وأنا أُنهي خدمتي هنا على هذه الجزيرة في جنوب المُحيط الهادي.

أرسلتُ اشتراكي إلى مُسابقة كتابة الرسالة في وقت مُبكّر من المساء. بعد أسبوعين تلقيتُ مُكالمة من الصحيفة الاخبارية تُعلمني أنني قدّمتُ الرسالة الرابحة. أخذتُ على نحو واضح موقع الداعم لمواطني «غواما» المحليين وأدنتُ سياسة البحرية في استبعاد أناس عن امتيازات خاصة على أساس أصلهم ولون بشرتهم. استلمتُ جائزة الخمسة وسبعين دولاراً، وظهرَتْ صورتي على الصفحة الأمامية من صحيفة أخبار «غوام» اليومية بزيّ البحرية الرسمي حاملاً جائزتي،ثمّ حدثت فجأة أسوأ الأمور على الإطلاق.

استلمتُ العشرات من المُكالمات الهاتفية الغاضبة، من ضمنها مُكالمة تهديد بالموت. يبدو أنّ المواطنين الذين مُعظمهم أقارب وتابعين لموظفي خدمة القوات المسلحة الذين على رأس عملهم، مُنزعجون جداً من فكرة أنّ المُواطنين الغواميين سيُعطون الاستحقاقات نفسها التي يتمتعون بها. لقد ظهر التعصب العرقي من خلال النعوت التي وجّهتْ إليّ بسبب دعم هؤلاء «الهمجيين» «غير الأمريكيين».

أنا مصدوم، فقد وقفت رسالتي ببساطة مع الحقوق المُتساوية التي يضمنها الدستور، مثلها مثل أيّ شيء عادل. لماذا ينبغي أن يمتلك أيّ أحد فوائد مُميزة ويُرفض اعطاءها للآخرين ببساطة بسبب مكان ولادتهم؟ لو كانت ستُمنح إلى المواطنين، فينبغي أن تُمنح إلى الجميع. يبدو ذلك واضحاً جداً وبسيطاً بالنسبة إليّ.

لقد قام القائد العسكري للقوات البحرية في جزر «الماريانا» باستدعائي، وأخبرني أنني انتهكتُ القانون المُوحد للقضاء العسكري، والذي يقتضي أن أتقدّم بآرائي إلى المُشرفين عليّ من أجل الموافقة عليها قبل نشرها على العموم. لأنني توجّهتُ مُباشرة من نفسي وعبرتُ عن رأيي الذي تعارض مع سياسة البحرية الموجودة، ولأنني ظهرت في الصورة بالزي الرسمي، ولأنني تلقيتُ المال لقاء كتابة ذاك الرأي، فقد يتمّ عرضي على محكمة عسكرية مُحتملة، أو رُبّما تُخفض رتبتي العسكرية، أو رُبما يتمّ تسريحي بأقل من مرتبة الشرف من القوات المسلحة. كلّ ذلك بسبب رسالة بسيطة عبّرتُ فيها عن رأي كان بمنتهى الوضوح بالنسبة إليّ.

لديّ أسبوعان فقط كي أتغلّب على هذا الأمر قبل أن يتخذ القضاء العسكري للقوات البحرية قراره، لذلك انطلقتُ مُباشرة إلى التصرف. كتبتُ رسائل إلى المُحررين في جريدة أخبار «ديترويت» وجريدة حرية الصحافة في «ديترويت»، الصحيفتين اللتين سلمتهما باليد عندما كنتُ في عمر العاشرة، وقد فصّلتُ فيها ما يحدث هنا في «غوام». لقد كتبتُ أيضاً رسالة مُطولة إلى رئيس الولايات المتحدة الامريكية، «جون كيندي»، مُوضحاً سياسة التمييز الموجودة هنا في «غوام»، وأخبرتُه كيف تمّ تهديدي لأنني وضحتُ الآراء التي تحدّث عنها هو ببلاغة في خطابه الافتتاحي منذ سنة مضت. لقد أخذتُ نسخاً عن هذه الرسائل، ولم أرسل أيّ منها بالبريد الالكتروني.

لقد تمّ استدعائي من قبل شاب حامل للراية وهو مُساعد العميد البحري القائد العسكري للقوات البحرية هنا في جزر «الماريانا». بدأ بإعطائي مُحاضرة عمّا قد يحدث لي، وأخبرني أنني اقترفتُ انتهاكاً خطيراً وأنهم فكروا بتوبيخي جدياً وفي عقوبة إضافية مُحتملة.

أنا مهذب ولكنني مُصمم بشدة. أنا أُؤمن كُلياً أنّ البحرية هي وسيلة من أجل الخروج عن الصفّ ومُمارسة التمييز، وهو شيء تعهد القائد العام بأن يقضي عليه في بلدنا، وأنا أفترض أنّه يقصد القضاء عليه في القوات المُسلحة أيضاً. أخبرتُ هذا الضابط أنني لستُ خائفاً من تهديداتهم، مع أنني لا أُريد أن أُعرّض موعد تسريحي القادم للخطر، ولا أتمنى قطعاً أن أخضع إلى مُحاكمة عسكرية من أجل أنني ربحتُ

مسابقة كتابة رسالة عن أن هذا النوع من الانحياز غير مُلائم وغير شرعي، بيد أنني لن أتراجع.

أريتُه نسخاً عن الرسائل التي كتبتها وأخبرته بهدوء وحزم أنّ الأمر قد يُصبح قبيحاً جداً، ليس فقط بالنسبة إلى قائد البحرية العسكري، بل بالنسبة إلى بحرية الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها، والتي ما زالت إلى ما قبل سنة تُمارس سياسات التمييز العنصري على متن سفنها في البحر وفي قواعدها خارج البلاد، وأنني كنتُ شاهداً على هذا الانتهاك من خلال تطوعي. أخبرته أنه لو تمّ احالتي إلى القضاء، فسأُرسل هذه الرسائل حتماً عند إجراءات البدء.

قيل كلّ هذا الكلام في جو لطيف جداً وبيئة ودية. أنا مُقتنع أنّه لا تُوجد نية إطلاقاً عند المُشرفين عليّ من أجل تنفيذ أمر الإحالة إلى المحكمة العسكرية. أنا أثق أنهم يقومون بتخويفي بسبب الكمّ الكبير من الشكاوي التي استلموها عن بحّار مُتطوع كانت لديه الجرأة كي يتحدّث أمام العموم عن سياسة راسخة في البحرية.

غادرتُ مكتب حامل الراية ولم أسمع أيّ كلمة عن هذا الأمر بعد ذلك أبداً، على الرغم من أنّ التهديد عبر المُكالمات الهاتفية والرسائل استمرّ يقضّ مضجعي.

على الرغم من أنني كنتُ في أول العشرينيات من عمري، كنتُ مُتوجّهاً كي أكون شخصاً يُمكن أن يصنع التميّز ويقف في وجه السلطة من أجل ما يُؤمن به، ويفعل ذلك دون خوف. تذكّرتُ غضبي بسبب طريقة مُعاملة أقلية من الناس على نحو غير عادل، وكنتُ أتعلّم نتيجة اعتراضي الداخلي في المسائل التي تحتاج إلى «نعم»، فشخص واحد بضمير يقدر على أن يكون ودوداً ويُحدث التغيير. نعم، عندما عدتُ إلى «ديترويت» كطالب جامعي جديد، استلمتُ رسالة من صديق يُخبرني أنّ سياسة التميز تجاه المواطنين الغواميين قد أُلغيت، وأنهم حصلوا على الامتيازات نفسها كسائر المُوظفين المدنيين. كانت هذه تجربة هائلة في تطوّري الشخصي برزَت حتى اليوم بعد خمسين عاماً، كأحد الدروس العظيمة التي كان عليّ أن أتعلّمها. ثمّ بعد كلّ شيء، صاغت هذه التجربة عندي مهنة التحدّث والكتابة بأكملها.

بطريقة ما، تعاون الكون في وضعي في «غوام» في آخر ثمانية عشر شهراً النهائية

من مهنتي البحرية. لقد شعرتُ على تلك الجزيرة بمعرفة غامرة أنني لا أستطيع أن أكون كاتباً فحسب، ولكن بإمكاني أن أكسب عيشي من خلال الكتابة ايضاً. عندما أرسلتُ مُشاركتي في مسابقة أخبار «غوام» اليومية، لم يكن لديّ أدنى شك أنّني سأربح الجائزة المالية. لقد أحسستُ بمصدر طاقة خفي معي عندما كتبتُ مقالتي عن سياسة البحرية الخاطئة وسوء المعاملة تجاه الأقليات. عندما أُعلمتُ بربح الجائزة، قلتُ لنفسي: «أستطيع فعل أيّ شيء بقوّة القلم، وليس تغيير السياسات فحسب، بل أستطيع التأثير في حياة الناس بكتابتي أيضاً». تلك المسابقة الصغيرة على تلك الجزيرة البعيدة رسمَت لي طريقاً كي أنخرط في الكتابة بطريقة كبيرة.

من خلال مهنة التحدّث والكتابة، كنتُ أُخبر الجمهور قبل كلّ شيء أن يثقوا بأنفسهم، وأن لا يسمحوا لأيّ قوّة خارجهم أن تُبعدهم عمّا يشعرون أنه حقيقتهم. عندما كنتُ واقفاً في الغرفة الخارجية للعميد البحري أُقدّم حجتي أمام ذلك المُوظف البحري الشاب، كان الأمر المفتاحي في الدور الذي يجب أن ألعبه. كان الأمر وكأنّ مصدر وجودي يقول لي: «هذا قرار حياتيّ حاسم، فأيّ طريق تتمنى أن تُمضي حياتك فيه؟». لم يكن الأمر شيئاً أفعله كي أصنع مرحلة، بل كان نقطة تحوّل من أجلي، ولم يكن هناك مجال كي أنسحب وأستسلم إلى الخوف.

لقد ساهمت هذه التجربة بدفعي إلى مهنة الكتابة. أنا أشعر أنّ حامل الراية الشاب وُضع هناك كدليل إلى كلّ ما كان مُقدراً أن أتبناه في المُستقبل. راقبتُ وجهه عندما ابتسمَ من عدم خوفي من خططه في التعامل معي بأسلوب عسكري فظّ. عرفتُ أنه حليف لي، وشعرتُ بتيقن أنه سيفعل ما طلبتُه ويجعل هذا الأمر السخيف يختفي.

في نهاية تطوعي في الخدمة العسكرية، أُعطيتُ الفرصة كي أكتب في صحيفة ويدفعون لي عن ذلك، إضافة إلى اختبار عزمي وتصميمي. أُعطيتُ الفرصة كي أختبر قوّة جرأتي وعدم رغبتي في تسوية القيم، وأن يكون لي دور فعّال في قلب سياسة لا أخلاقية. كثيراً ما أُقدم الشكر إلى كلّ الافراد الذين انحازوا كي يجلبوا كلّ شيء ويُطلقونني إلى العمل الذي كنتُ أقوم به منذ سنين عديدة، وإلى الشخص في صحيفة أخبار «غوام» اليومية الذي قرر أن يُجري هذه المسابقة، وإلى القوى التي حتّمت أن أتعيّن في ذلك

المكان المعزول، وإلى الناس الذين اتصلوا كي يُهددونني، وبالتالي كثفوا من عزيمتي، وإلى الشاب حامل الراية، وإلى كلّ شيء.

من وجهة النظر هذه، أستطيع أن أرى بوضوح أنه كان مُقدراً لي أن أفتح تلك الصحيفة في صباح السبت في «غوام» وأقبل التحدي في مُسابقة كتابة رسالة. أنا مُمتنّ جداً تجاه كلّ لحظة من تلك التجربة التي علمتني: «لا تستسلم أبداً، ثِق بنفسك، تعلّم أنه بإمكانك تغيير العالم، لا تخَف، تواصَل واخدُم هؤلاء الذين هم في حاجة إليك، لا تدَع أيّ أحد يُحدّثك عمّا تشعر به بعُمق داخلك، وخاصة عندما يُحاولون تهديدك».



• إنّ الجلوس المُفرط أثناء العمل مع مُعدات الاتصالات مُترافقاً مع الرطوبة الاستوائية سبب لي ألماً شديداً، وظهر بعض التورم في قاعدة عمودي الفقري، والذي تمّ تشخيصه على أنه كيس شعري، وهو أمر شائع عند الشباب. في الحقيقة، هذا التشخيص أكثر شيوعاً لدى الذكور تحت سنّ الرابعة والعشرين، وهناك حسب الطبيب البحري الذي التقيتُه في «غوام»، شريحة كبيرة من الشباب يُعانون من هذه المصيبة.

قدمتُ طلباً إلى المشفى في «آغانا»، حيث تمّ تعييني هناك ثلاثة أيام من إجل إجراء العملية الجراحية البسيطة لي. كانت واجباتي أن أُساعد في مُعالجة الشبان الآخرين الذين أجروا عملياتهم: أُساعد في تنظيف الجروح، تغيير الضمادات، وأُساعد البحّارة الضعفاء في الحمام المقعدي.

في الصباح الأول، تعينتُ للعمل مع بحّار شاب أجرى عمليته في اليوم السابق. وقف أمامي وأرخى ثوبه، ورأيتُ مشهداً لن أنساه. لقد أُجريت الجراحة له على جانبي الردفين، وكان اللحم المسلوخ مكشوفاً في قاعدة عموده الفقري. لقد أخبروني أن أُجفف وأُنظف الجرح بعد مساعدته في حمامه المقعدي، ثمّ أضع مرهماً على اللحم العاري بواسطة ضمادة. كان هنالك على الأقل عشرة رجال أو أكثر، وكلّهم أُجريت لهم العملية نفسها في الأيام القليلة الماضية، وكان أولئك الذين يُعالَجون ويشعرون بقليل من الألم يُساعدون أولئك المشلولين عن الحركة.

انكمشتُ من مشهد كلّ تلك الجروح ومن كمية اللحم التي قُطعت تاركةً عاهات

دائمة على أجسام المرضى. كان كلّ ما لديّ هو ألم وقليل من الانتفاخ، بيد أني أنظر إلى ما يبدو لي نظام عمليات جراحية جذرية ستترك ضرراً دائماً عندي لو أجريتُ عمليتي خلال يومين. لقد اتخذتُ قراراً هنا وفي الحال أنّ هذه العملية ليست لي، وأنني لن أدع سكين الأطباء الشباب السعيدة تعمل على مُؤخرتي.

تركتُ جناح الكيس الشعري وقابلتُ رئيسة المُمرضات، وأعلمتُها أنّ التورم الذي كان لديّ قد اختفى وليس لديّ ألم، وأنني لن أحتاج إلى تدخلهم الجراحي الآن ولا بعد ذلك. رأيتُ الطبيب وأخبرتُه القصة نفسها، وقد أصرّ على أن أبقى ليلة أخرى كي يرى هل سيستمرّ شفائي الأعجوبي المُفاجىء إلى اليوم التالي بعد الفحص. بقيتُ طوال تلك الليلة، وأنا أتصوّر أنني شُفيت. إنّ فكرة أن أُجرح بهذا الشكل العنيف حفّزتني كي أمضي في القيام بمُغامرتي الأولى في الشفاء الذاتي.

في الصباح التالي أخبرتُ الممرضة والفريق الطبي أنني شُفيت، وأنه ليس لديّ أيّ أعراض مهما كانت. رفضتُ أن أسمح لهم بفحصي مرة أُخرى، وصددتُ جهودهم من أجل حملي على توقيع أُنموذج إذن جراحي. لقد تحررتُ ونُقلتُ بسرعة إلى الحافلة، وأُرسلت إلى محطة الاتصالات البحرية من أجل أداء الواجب. طول طريق العودة في الحافلة كانت مُؤخرتي لا تزال تُؤلمني، بيد أني كنتُ ألاحظ تناقصاً هاماً في الأعراض التي أوصلتني إلى مشفى المجانين ذاك في البداية.

خلال الأسابيع القادمة أجريتُ حمامات مقعدية خاصة، وتدرّبتُ على نوع من تقنية التخيّل التي قرأتُ عنها في كتاب نُشر مُؤخراً استعرته من المكتبة، عنوانه Psycholinguistics Control «**علم التحكّم النفسي**» ألفه طبيب اسمه Maxwell Maltz «ماكسويل مالتز»، فرضيته الأساسية أنّ اتصال العقل مع الجسم هو جوهر الشفاء الذاتي الناجح. لقد حثّ المؤلف مرضاه بعد الجراحات التجميلية على أن يسعوا إلى النتائج الإيجابية من خلال التخيّل الشديد، وأكّد على أنّ تعديل الشخصية يستطيع أن يخلق شفاء أعجوبياً.

مارستُ بجد المبادىء التي عرضها د. «مالتز» في كتاب «**علم التحكّم النفسي**». خلال أربعة أيام اختفى كيسي الشعري وأصبحتُ خالياً من الأعراض، وغير محتاج لأيّ علاج طبي بعد الآن.

لا أستطيع أن أُخبركم عدد المرات التي عبّرتُ فيها عن امتناني تجاه ذلك الكيس الشعري الذي ظهر في منطقة العصعص عندي عام 1961، وتجاه الشبان الثلاثة الذين كان عليّ علاج أسفل ظهورهم خلال يومي الوحيد في المشفى البحري في «غوام». كان الأمر مدخلاً إلى القوّة التي يستطيع التفكير أن يُؤديها في شفاء كلّ حالات التشخيص الطبي. لقد أصبح كتاب د. «ماكس مالتز» بمثابة كتاب مُقدّس بالنسبة إليّ خلال تلك الأزمة.

أعود إلى التفكير كيف أنني شفيتُ نفسي تماماً من خلال استخدام التخيّل المُركّز، وأستطيع أن أرى أنّ كلّ الناس المُشاركين في حياتي خلال تلك التجربة في «غوام» كانوا حقيقة من أكثر المُعلّمين أهمية بالنسبة إليّ. لقد أصررتُ بعد تلك الازمة على أن أستخدم تفكيري كي أتصوّر نفسي صحيحاً وخالياً من الأمراض، وأبقى بعيداً عن العقلية الطبية إلا في الظروف الأكثر إيلاماً.

أستطيع أن أرى بوضوح أنني احتجت تلك التجربة المُرعبة في المشفى من أجل أن اكتشف القوى العجيبة والغامضة الكامنة في وعينا. كنتُ أشاهد العديد من أصدقائي الشباب ينصرفون إلى مأزق العملية الجراحية، فأتحدّث إليهم عمّا تعلمتُه من «د. مالتز» وأُخبرهم: «غيّروا نظرتكم عن أنفسكم، بإمكانكم أن تُشفوا أنفسكم! لقد فعلتُ ذلك حقيقة من خلال رؤية نفسي مُعافاً. جرّبوا ذلك». بيد أنّهم غالباً ما كانوا يرفضون الاستماع بسبب الصورة التي يحملونها عن أنفسهم أنهم غير بارعين وغير كفوئين عندما يتعلّق الأمر بقدرات الشفاء الذاتي لديهم.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّ التجربة التي وصفتُها في مشفى البحرية عندما كنت بحّاراً في عمر أحد عشر عاماً كانت مُهمّة للغاية كي أُصبح في النهاية مُعلّماً في العلاج بقوّة ارتباط العقل مع الجسد. حالما ترسّخ ذلك على نحو تامّ داخلي، أمضيتُ الجزء الأفضل من الخمسين سنة في حياتي مُستخدماً هذه التقنيات في الشفاء الذاتي من خلال التخيّل. لقد شجّعتُ الكثير من الناس كي يُغيّروا مفاهيمهم الذاتية ويبدأوا برؤية أنفسهم بداية المُعجزة الإلهية. على نحو واضح، كنتُ مُعدّاً كي أُؤمن وأعلّم غيري أنّه مع الإله كلّ الأشياء مُمكنة.

شاركتُ المراحل حول العالم مع أطباء مُدرّبين ببراعة ممّن انضمّوا إليّ في تعليم رابط العقل مع الجسد. بالتدريج بدأ حقل رابط العقل مع الجسد يُحكم السيطرة، وأصبح الناس أكثر استعداداً كي يعتمدوا على قدراتهم الذاتية قبل مُتابعة الأدوية، الجراحة، وغيرها من الإجراءات الاجتياحية. بالنسبة إليّ، عاد هذا الحقل المُذهل من الاستفسار هنا في «غوام» حيث حصلتُ على الهام إلهي بينما كنتُ أحدّق في دماء مؤخرة بحّار شاب بعد عملية جراحية، فاتّخذتُ قراراً أنه يجب أن تكون هنالك طريقة أُخرى.

أنا أُقدّم الشكر إلى هذا التجلّي والالهام الالهي، وكذلك إلى «ماكس مالتز» على نشر كتابه «**علم التحكّم النفسي**» تماماً في الوقت الصحيح في حياتي. بعد أكثر من خمسين سنة وبعد تشخيص إصابتي بسرطان الدم «اللوكيميا»، ما أزال أستخدم التقنيات التي تعلمتُها هناك في «غوام» عام 1961، وأنا أؤمن وأُعلّم قوّة العقل على شفاء أيّ شيء نضعه في خيالنا مع ادراك مُنتظم للإله. لقد أكّدت على هذا الدرس أثناء تربية أولادي الثمانية كذلك.

عندما أنظر إلى الوراء، أستطيع أن أرى بوضوح لماذا كان عليّ أن أخوض تلك التجربة المُخيفة في ذلك الوقت، واليوم أؤكّد من جديد أنّ ما عرفتُه كان صحيحاً: كلّ شيء يظهر في حياتنا من أجل سبب، على الرغم من أنه قد يبدو من المثالية أن ترى الأمور بهذه الطريقة.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



إنه صيف عام 1961، وأنا على وشك ركوب طائرة الدعم العسكرية من أجل عبور المُحيط الهادي. إنّ خالي «بل فوليك»، مُعلّم في مدرسة «هايوارد»، «كاليفورنيا»، يُودعني بعد إجازة إسبوعين، قضيتُها معه ومع عائلته.

كنتُ خلال الأسبوعين الماضيين مع خالي الذي يعمل فنيّ راديو على سفينة مُهدمة في المحيط الهادي خلال سنين الحرب العالمية الثانية العنيفة. استمتعتُ برفقته ومراقبة أسلوب تدريسه، فهو المُدرس الأكثر شعبية في مدرسته لأنّه جعل المادة الدراسية حيّة. كنتُ أُحبُّ مُشاهدته يُدرّس ورؤية التأثر الذي يُبديه طلابه نحوه. كنتُ في حالة ذهول. إنه مرح وذكي، ومُلتزم بعمله بعُمق، تماماً كطلابه الصغار.

أمضينا ليالٍ معاً نتبادل الاختبارات في كلّ أنواع المواضيع. تبادلنا المزاح جيئة وذهاباً، وقد حاولتُ أن أُربكه هو وزوجته «باربرا» بالألغاز التي اخترعتُها. كنتُ أحبُّ تبادل الألغاز الفكرية والفلسفية كلّ مساء، وأُحبُّ الجو الذي أكون فيه برفقة أناس واسعي الاطلاع ومُحفّزين، وأُحبُّ خالي، الرجل الأكثر تأثيراً في حياتي إلى حدّ بعيد. لقد كان بالنسبة إليّ قدوة فكرية، بل كان بمثابة الأب.

قبل الصعود، أخذتُ عهداً على نفسي، وقلتُه بصوت عال: «سأُمضي الثمانية عشر شهراً القادمة في «غوام» أُحضّر نفسي من أجل الالتحاق بالجامعة كي أُصبح مُعلّماً».

أنا أعيش في داخلي التوقّع والإثارة. أنا أُريد أن أُدرّس، وسوف أُدرّس. سأذهب إلى

الكلية وأحصل على الشهادات الضرورية من أجل جعل هذا الحلم يُصبح حقيقة. لا شكّ أنني وجدتُ ندائي، وكان خالي «بل» هو مُلهمي.

لديّ سنة ونصف في «غوام» كي أُجهّز نفسي لما سأقوم به عندما يحين موعد التسريح في الرابع من أيلول 1962. هناك ثمانية عشر شهراً كي أكتشف طريقة من أجل الحصول على قبول الجامعة، الأمر الذي سيكون تحدياً كبيراً، لأنّ صورة المدرسة الثانوية لا تُنبىء أنني جاهز لامتحان القبول في الجامعة. ألزمتُ نفسي على اكتشاف طريقة تجعلني قادراً على دفع نفقات الكتب والمُحاضرات، إضافة إلى إقناع الجامعة أنه عليهم التغاضي عن سجلات مدرستي الثانوية، وأن يُخاطروا ويعترفوا بي كطالب بدوام كامل.

قررتُ في يومي الأول على الجزيرة أنني سأوفّر تسعون بالمئة من مُرتبي خلال بقية وجودي في البحرية، وأعيش بالعشرة بالمئة المُتبقية، فجميع وجبات طعامي مدفوعة، وليس لديّ أجرة أدفعها أو ملابس أشتريها، كما أنني لا أشرب الكحول ولا أُدخن السجائر. أنا مُصمم على أن أدخر مالاً كافياً من أجل تغطية كلّ مصاريف المُحاضرات مُدّة أربع سنوات من دراسة الجامعة، بالإضافة إلى أن أكون قادراً على شراء سيارة مُستعملة عند تسريحي. أنا مُتأكّد أنني سأكون قادراً على الحصول على عمل بوقت جزئي عندما أدخل الكلية.

استلمتُ وصل أول راتب وذهبتُ إلى مدينة «آغانا»، وفتحتُ حساب توفير، وأودعتُ كلّ المبلغ ما عدا العشرة بالمئة من الدفعة. أنا أرتعش من الفرح، أنا في طريقي!. أنا أرى نفسي كطالب في الكلية، وأعلم أنني لن أرتدع عن هذا الالتزام.

كلّ شهر من الشهور الستة عشر القادمة كنتُ أمضي خلال هذه الطقوس، وأُراقب حسابي المصرفي ينمو، وأحصل على وقت مُمتع من إثباتي لنفسي أنني قادر على تكديس الثراء حتى من راتبي كمُتطوع في البحرية. أنا أُراقب باهتمام كيف يُسرف الكثير من زملائي البحّارين في صرف أموالهم، فيسكرون ويعيشون خارج إرادتهم، وبالكاد يصلون من راتب إلى آخر. هذه ليست طريقتي، أنا أعيش حقيقتي الخاصة المُستقلّة في عالم مُختلف كثيراً عن كلّ الناس الذين أعمل معهم في مركز اتصالات البحرية في «غوام». أنا أعيش في الرؤية التي أمتلكها لنفسي.

تُزوّدني المكتبة الصغيرة في قاعدة البحرية بمصدر كتب أستعيرها وأقرأها أثناء وقت فراغي. أقرأ بشوق، وأُدوّن باختصار الكلمات التي لا أستطيع تعريفها. في الليل وقبل أن أذهب إلى النوم أستخرج تعريف الكلمات وأُدوّنها في ملف تطوير المُفردات الخاص بي. أنا مُتشبث بهذا النشاط، وملفي يُصبح أكبر. أنا أُمضي الليالي في تكرار وقراءة لائحة شرح الكلمات الآخذة في النمو بتمعن، وألاحظ أنّ الكلمات الجديدة تبدأ بالظهور في مقالاتي وفي الرسائل التي أكتبها على الصفحة الرئيسة. أنا أبدو يوماً بعد يوم كشخص مُثقف اجتاز التعليم الثانوي.

أنا أُمضي وقتاً طويلاً من الزمن في المكتبة وأُقرر أنني سأقرأ خمسمئة كتاب على الأقل أثناء تواجدي في «غوام» وأحصل على قائمة مراجع تنمو بسرعة. أنا أقرأ بشراهة كلّ شيء تحتويه المكتبة، وقد أصبحت مساحة النوم خاصتي في الثكنة مُحمّلة بكلّ الكتب التي أقرؤها.

أنا لا أقول شيئاً عن نواياي لأيّ أحد من أصدقائي. إنّهم يرونني «دودة قراءة»، وأنني نوع خاص من المُثقفين. أنا أتصرّف بناء على صورتي الداخلية وأحضّر نفسي من أجل دراسة الجامعة. أنا أرى نفسي كمُعلّم، وأستاذ جامعي، وأتصرّف بناء على تلك الصورة الداخلية كلّ يوم.

لقد قرأتُ كتباً عن كلّ مادة يُمكن تخيّلها، وحضّرتُ نفسي من أجل فحص الدخول إلى الجامعة التي حملَت اسمي من باب الصدفة Wayne State University «جامعة واين ستيت» في موطني في «ديترويت». كنتُ أستمتع بالقراءة على نحو خاص عن الناس الذين تخطّوا كونهم أناساً عاديين من الكتّاب العظماء، الشعراء، الفلاسفة، العلماء، المُخترعين، الموسيقيين، الرياضيين، والذين يبدون أنّهم ليسوا خارج المعايير. إنّ فكرة العيش في ظروف غير عادية والتفوق والعلو فوق «العادي» تبدو أكثر جاذبية بالنسبة إليّ.

أنا أقضي القسم الأكبر من وقت فراغي في الكتابة، ولقد جمعتُ مجموعة كبيرة من المقالات عن مواضيع مُتعددة. تبدو هذه المقالات وكأنها تكتب نفسها من خلالي، فأشعر أنّ القلم يُسرع عبر الصفحات متزامناً مع ازدياد المُتعة في داخلي من فكرة أن أُصبح كاتباً بنفسي. لم أكن أُشارك مقالاتي ومُفرداتي المُتزايدة مع أيّ أحد، فهذه

مُغامرتي الشخصية الخاصة. يبدو أنني اكتشفتُ طريقة كي أخرج من اللحظة الحالية، وأنا أشعر بالفعل وكأنني أعيش الحياة التي أتخيّلها بإشراق كبير في دماغي. أنا كاتب، ورجل مُثقف. أنا مُعلّم.

في النهاية، أصبح العديد من أصدقائي المُقربين مُهتمّين بمُحتوى قراءتي اليومية وكتاباتي. أصف بعضاً من الأفكار التي تتسلل إلى داخلي، وأذكر من بين الكثيرين على الأخص: «ويليام بليك»، «إيميلي ديكنسون»، «أفلاطون»، «فريدريك نيتشه»، «هنري ديفيد ثورو»، «رالف والدو إيميرسون»، «توماس وولف». أتحدّث عن حياة هؤلاء المُفكرين العظماء وما ينقلونه في كتاباتهم، وأتحدّث عن الفلسفة الوجودية، والفلسفة المثالية، وغيرها من المذاهب الغربية مع مجموعة أصدقائي الصغيرة. لقد بدؤوا ينظرون إليّ كخبير في هذه المجالات، وأنا لا أفعل أيّ شيء كي أعكر ثقتهم بي. أنا خبير لأنني قادر على أن أتحدّث كخبير عن اهتمامي بهؤلاء الخبراء المشهورين!.

بناء على طلب أصدقائي، أُرتب من أجل إدارة مُحاضرة أمام مجموعة صغيرة. أتى ستة شبان، وقُمنا بمُناقشة قدتُها عن «ألبير كامو»، الفيلسوف والكاتب الفرنسي الذي تُوفي مُؤخراً. تحدّثنا عن The Myth of Sisyphus «أسطورة سيزيف» والفكرة التي قدمها «كامو» عن أنّ «كلّ الحقائق والأفكار العظيمة لها بدايات سخيفة، وكثيراً ما تُولد الأعمال العظيمة في زاوية شارع أو في الباب الدوار لمطعم». ناقشنا العظمة الكامنة فينا كلنا.

كنتُ مُندهشاً أنّ أصدقائي أرادوا المزيد. في الأسبوع التالي حضر إثنا عشر شخصاً، بما فيهم ضابط ليس من المفترض أن يختلط مع صفوف المُتطوعين. لقد بدا ببساطة أنني فيلسوف مُقيم في قاعدة البحرية، بسبب إرادتي أن أعيش دون خوف، أو أُضيّع نفسي بأعمال مُتوفّرة لكلّ شخص ضمن المكتبة في القاعدة. كنتُ أُحبُّ هذه المُحاضرات المسائية حيث نستطيع التحدّث عن أفكار تُلهمني وتدلني على عظمتي الداخلية.

حالما اقترب وقت تسريحي، تعرفتُ على ضابط الثقافة في مركز اتصالات البحرية، والذي كتب رسالة إلى قسم القبول في جامعة «واين» يطلب فيها أن يسمح لي أن أتقدّم إلى امتحان القبول الجامعي هنا في «غوام» وأن يُدار الامتحان ويُراقب من قِبله في مكتب الثقافة.

بعد عدة أشهر من الجدل «قبل وجود الهواتف الجوالة أو الكومبيوترات» والمُكالمات الخارجية، تمّ عمل الترتيبات وأُضفت على الجدول من أجل امتحان يوم كامل. في نهاية يوم الاختبار كنتُ أشعر بالثقة فعلياً أنني أحسنتُ صُنعاً. لقد كانت فعلياً كلّ أسئلة المفردات هي كلمات ظهرت في ملف تطوير المُفردات الضخم الذي كنتُ أجمعه.

بعد شهر، استلمتُ رداً من مكتب القبول في جامعة «واين» التي تحدثتُ وتراسلتُ معها خلال الستة أشهر الماضية أو ما يُقارب ذلك. لقد أبليتُ بلاء حسناً في امتحان القبول، مع أنّ سجلاتي في المدرسة الثانوية لا تُنبئ على امكانية النجاح في مستوى الجامعة. كانت الخلاصة أنني يجب أن أحضر كلية المجتمع، ثمّ أتقدّم بطلب النقل فور إكمال المنهج الدراسي مُدّة سنتين. لم يكن هذا هو الرد الذي تصورتُه.

تحدّثتُ إلى ضابط الثقافة الذي أرسل توصية فائقة المديح إلى مكتب القبول مُفصّلاً العمل الذي كنتُ أقوم به. لقد وصف مجموعة الدراسة التي كنتُ أقودها وأُعلّمها، ومدى التزامي بالتعليم العالي. أجريتُ مُكالمة خارجية أُخرى وتناقشتُ مع مكتب القبول ذاته الذي كان يتعامل مع قضيتي، وبعد كمّ هائل من الجدال والمُفاوضات، استلمتُ برقية تُعلمني أنهم سيقومون باستثناء لأنني جندي عريق وقد أصبحتُ مصدر إزعاج كبير. سيعترفون بي على أساس مشروط، ثمّ سيُعيدون تقييم حالتي بعد ثلاثة أرباع السنة الأكاديمية.

أنا مقبول، أنا في قمة السعادة!.

عندما أنظر إلى الوراء أستطيع أن أرى بوضوح أنّ الثمانية عشر شهراً التي قضيتُها في «غوام»، والتي سبقَت تسجيلي كطالب كلية بدوام كامل، كانت فعّالة على نحو مُذهل في صنع الحياة التي كانت أمامي.

كان هناك شيء في ضوابط حياتي حطّ بي في شمال «كاليفورنيا»، حيث قضيتُ العديد من عطل نهاية الأسبوع ووقت الإجازة في منزل «بل» و«باربرا فوليك». لقد كان وقتي الذي أقضيه مع أصغر إخوة أُمّي مُرتباً بطريقة إلهية، وأنا الآن مُتأكّد من هذا. كانت هذه دروسي الافتتاحية في قوّة فكرة النية. لم أكن أُريد أن أُصبح مُعلّماً إلى أن

راقبتُ خالي «بل» في الحديث وفي عملية التعليم، ومنذ ذلك اليوم أصبحتُ قادراً على أن أعلن ذلك كحقيقة حاضرة وأعيشه من خلال هذا العقل الداخلي.

لقد كانت هذه النية في رؤية نفسي مُعلّماً إلهاماً من قِبل خالي «بل»، وقد سمحَت لي أن أذهب بعيداً وأُعلن نفسي مُعلّماً عندما وصلتُ إلى «غوام». لقد كان الأمر بالنسبة إليّ حقيقة تدفعني برفق كي أتقدّم بطلب الالتحاق إلى الجامعة، بينما أنا فعلياً أُعلّم صفوفاً في القاعدة. لقد زوّدَت النية ذلك الدافع كي أُنظّم حياتي كلّها حول فكرة زرعتُها في وعيي عندما كنتُ بحّاراً في عمر عشرين سنة يمتلك شهادة الدراسة الثانوية فقط. بعد آلاف المُحاضرات العمومية عن كلّ أنواع المواضيع المُغطاة في واحد وأربعين كتاباً التي كتبتُها، لا أزال أرى كلمات النية التي عقدتُها في عام 1961 مطبوعة على شاشتي الداخلية: أنا مُعلّم.

لقد ظهر أنّ العقل العالمي يعرف أنّه يجب أن أكون مُحققاً على نحو كبير، وأنني في دهشة من طاقته السّحرية داخلي الآن ودائماً. لقد كان تعليم الناس كي يتصرّفوا كما لو أنّ ما يرغبون بتجليه هو حقيقة حاضرة هو الموضوع الرئيس في عمل حياتي. عندما حملتُ فكرة كوني مُعلّماً في خيالي، كان الشيء الوحيد الذي استطعتُ فعله هو العمل على تلك النية. أنا مُمتنّ بعُمق تجاه تلك القوى التي جمعتني مع خالي «بل» في ذلك الوقت الحاسم من حياتي. لقد كان من المُقدر لنا أن نكون صديقين مدى الحياة. أنا أيضاً أُقدّر حقيقة أنني كنتُ قادراً على مُكافأة هذا الرجل الجميل على ما قدمه إليّ عندما كنتُ بحّاراً شاباً ذاهباً إلى جزيرة في المُحيط الهادي حيث كنتُ سأخضع إلى تحوّل هائل وأنتقل من الاتجاه الذي كان عليه مسار حياتي.

لقد تصرّفتُ في «غوام» بصبر وثبات انطلاقاً من تأكيدي الداخلي أنا مُعلّم، وكانت رحلتي النصف شهرية إلى البنك كي أوفّر تسعين في المئة من مُرتبي تتحد مع تلك النية. مع حلول الوقت التي تركتُ فيه البحرية جمعتُ كلّ المال الذي سأحتاجه كي أحضر الكلية. لقد كنتُ قادراً على شراء سيارة Studebaker Lark «ستوديبيكر لارك» مستعملة، والتي بقيت معي حتى إكمال درجة الماجستير. إنّ الأمور كانت أكبر من ذلك، فقد تبنيتُ فلسفة تجاه المال والإدخار وضعتني على طريق الاستقلال المادي في

الحياة. لقد كان الكون بطريقة ما يُعلّمني كيف أعيش وأُنجز رسالتي الروحية «دارما» دون السماح لنفسي بأن أُصبح مُثقلاً بالديون، لقد كان هذا الدرس نافعاً في أن يُبقيني مُركّزاً على الهدف عوضاً عن اكتشاف كيفية تسديد الديون الأمر الذي قد يُشوشني عن مُهمتي هنا في هذه الحياة الحالية.

بالعودة إلى «غوام»، كنتُ مدفوعاً من قِبل العقل الكوني، الذي أوصى أنّ الحكمة لا علاقة لها بعظمة إمكانيات الانسان. أن تُصبح خبيراً يعني أن تكون غير خائف من أن تُعلن نفسك واحداً، ثمّ تتصرّف على أساس ذلك التصريح الداخلي. لقد كانت هذه المُحاضرات المُبكّرة ومجموعات الدراسة عن مذهب الوجودية والفلسفة مُقدّمة لمهنة تجعلني قادراً على أن أقف أمام الناس وأتحدّث بمنطق سليم، وكنتُ أعرف أنّ الأمر حقيقي في أعماق داخلي. كنتُ مُوجّهاً من قِبل قوّة خفية هناك في عام 1961 عندما سعيتُ بثبات كي ترتقي نيتي إلى مستوى تأكيدي الداخلي أنا مُعلّم. رفضتُ أن أقبل أيّ ردّ ما عدا جملة تهانينا! أنت مقبول في جامعتنا.

لا أستطيع تحديد تلك الشعلة التي لم تسمح لي أن أستسلم، بيد أنني أعلم بالتأكيد أنها جزء من الإله. كنتُ أشعر أنّ «ضابط العلَم الروحي» يرفض أن يتراجع في قراره، حتّى عندما كان كلّ شيء حولي يقول: «تراجع عن ذلك، واين!»، وكان ذلك الدافع الداخلي يدفعني ويدفعني من خلال حياتي، ليس لأنني مُميّز، ولكن لأنه يتلقّى أوامره من النية التي في خيالي. كان مُهندس العمل يتصرّف بناء على ما أعتقد أنه حقيقة حاضرة الآن، وبناء على ذلك، لا يُوجد استسلام بسبب القدر الذي يجب أن يُنجز أو يكون.

عندما وصلتُ إلى الجامعة في أيلول عام 1962 من أجل التسجيل كطالب جامعي جديد، ذهبتُ إلى مكتب القبول وبحثتُ عن الموظف الذي كان لطيفاً جداً في إخضاع القوانين كي تتناسب مع الاعتراف بي كطالب بدوام كامل. كنتُ دائماً أُفكّر بشجاعة ذاك الرجل النبيل الذي قام بعمل استثناء والسماح لي أن أدرس في الجامعة. لقد أخبرني أنه كان ببساطة يتصرّف من خلال شعوره الباطني. إنّها اشارة خفية وإذا لاحظتَ، فإنّ تلك القوّة الخفية نفسها التي كانت تدفعني هناك في «غوام» كيلا أستسلم، كانت تدفعه أيضاً كي يتغاضى عن القواعد. بعد انقضاء ربعي الأكاديمي الأول أُزيلت حالتي

المشروطة، ولم تعد هناك أيّ علامات نجمية جانب اسمي بعد الآن.

ثمَ في الرابع من أيار عام 1970 في اليوم نفسه الذي ظهر فيه الرعب في جامعة «كينت ستايت» في «أوهيو»، حيث قُتل أربعة طلاب وجُرح تسعة من قبل قوات الحرس الوطني التي أطلقَت الرصاص الحي على تجمّع طلاب شباب كانوا يحتجّون على الإخفاق في «فيتنام»، اجتزتُ امتحاناتي النهائية وأصبحتُ د. «واين داير»، عضو هيئة تدريس مُساعد في جامعتي. لقد تحوّلتُ خلال ثمان سنوات من طالب جامعي جديد إلى أستاذ جامعي برتبة «بروفيسور».

مع امتناني تجاه كلّ ما حدث، كنت قادراً بعد أربعة عقود أن أرهن مليون دولار كرأسمال منحة جامعية من أجل الطلاب «غير المُؤهلين» كي يدخلوا الجامعة، وبذاكرتي مُوظف القبول الذي فعل الشيء نفسه من أجلي. ما الذي أعرفه على وجه اليقين؟ ليست هناك صدف في هذا الكون اللامتناهي، والذي تقود فيه الروح صنع كلّ القرار.

عندما استلمتُ توجيهاتي كي أُغادر من سفينتي «يو إس إس رانجر» كنتُ على ظهر السفينة فترة أقلّ من سنة، ولم يكن وارداً أن يُنقل المجند في البحرية بعد هذه الفترة القصيرة من الخدمة، وخاصة أنه تبقى لديّ وقت قصير من خدمتي الالزامية وهو ثمانية عشر شهراً. لقد بدا واضحاً أنّ يد القدر الخفية تقوم بعملها، وكان مُقدراً لي أن أقضي السنة ونصف الأخيرة في «غوام»، حيث أصبحتُ وجهاً لوجه مع مُستقبلي، والذي كان بطريقة غامضة مُقرراً ومنتهياً، وكلّ ما عليّ فعله كان الاستماع، والسماح لنفسي بأن ألحق به على الطريق.

في الكون، حيث يحدث كلّ شيء في الحال، ليس هناك ماضٍ ولا مُستقبل، وكلّ شيء موجود في الوقت نفسه. لم أعرف في ذاك الوقت، ولكنني كنت أعيش ما عبّر عنه «لاو تزو» بإيجاز كبير: «أنت لا تفعل أيّ شيء، أنت فقط ما يُفعل به». أنا أتصوّر أنّ يداً ضخمة وصلَت إلى الاسفل وانتزعتني من السفينة وهبطَت بي إلى «غوام»، حيث اجتمعتُ مع كلّ ما احتجتُه كي أنجز رسالتي الروحية «دارما» والتي وقّعتُ عليها منذ فترة طويلة قبل أن أظهر على هذا الكوكب في عام 1940. لو أنني بقيتُ بعيداً على متن سفينة «يو إس إس رانجر»، كنتُ عشتُ رسالة روحية أُخرى، وما كنتَ لتقرأ هذا الكتاب.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أكبر أنّ كل شيء كان ويكون وسيكون في قمة الكمال، كما قال الرومي: «بِعْ ذكاءك واشترِ الحيرة». كنتُ مُتحيّراً وأشعر بالرعب من كمال قضاء أربع سنين من تطوّري في مُنظمة عسكرية مثلَت النقيض تماماً لكلّ ما تعلمتُه وناضلتُ كي أكون عليه. بيد أنّ الكمال الإلهي وضعني أيضاً في جزيرة جنوب المحيط الهادي حيث استطعتُ تعزيز جاهزيتي من أجل طريق جديدة في الوجود.

لقد وصلتُ من وجهة نظر أوضح بكثير، إلى معرفة أنه لا تُوجد طرق خاطئة إلى أيّ مكان. لقد واصلتُ النظر إلى الوراء بروعة واستغراب من كمال كلّ شيء.

ـــــــــــ



- أنا الآن جندي عريق في عمر الثانية وعشرين عاماً أحضر مُحاضرات الكلية للمرة الأولى، ويبدو ذلك أسعد وقت في حياتي كلها. أنا أُحبُّ المشي بين الصفوف على أرض الجامعة، ناظراً إلى كلّ الأبنية في قلب المدينة حيث ترعرعتُ. إنه شرف عظيم لي بعد أن أمضيتُ السنوات الأربع السابقة على متن سفينة، أو في ثكنة منشأة عسكرية. أنا أشعر بما هو فوق النشوة. أنا أُحبُّ حضور المُحاضرات ولا أستطيع تخيّل أنني أُريد تفويت أيّ دروس. أصلُ مُبكّراً كلّ صباح وأُمضي جزءاً كبيراً من الوقت في المكتبة الضخمة، وكذلك في البحث عن مساحة من أجل موقف السيارة كلّ يوم!، ولكن ليس لدي أيّ شكوى.

إنّ الشيء الذي أشعر به أكثر هو الفخر. لم تكن فكرة حضور تعليم عال مطبوعة في وعيي أبداً من قِبل عائلتي، ولم يكن هذا توقعاً. لقد كان ذلك اختياري الشخصي الخاص أن أسلك هذا الطريق في هذا الوقت من حياتي.

يجب عليّ إنهاء عمل بدوام كامل كأمين صندوق لصالح شركة «كروجر» لتوريد البقالة بالتجزئة. أنا مُمتنّ تجاه فرصة العمل مساءً، إذ أدرس لوقت مُتأخر في الليل، وأحضر الكلية أثناء النهار. إنّ مُحاضراتي مدفوعة بالكامل، وقد جمعتُ ما يكفي في ادخاري كي أُغطّي نفقاتي الجامعية حتّى أتخرّج.

إنّه ربعي الأكاديمي الثاني في جامعة «واين ستيت». على الرغم من أنّ هذه الأرباع الجامعية تستمرّ مُدّة أحد عشر أسبوعاً فقط، إلا أنّ هناك مواضيع كبيرة مُزدحمة فيها.

في الربع الماضي حصلتُ على درجات فوق المتوسط في كلّ من المُقررات الأربعة التي أكملتها، والتي تتضمّن الإنكليزية 101، الأدب الأمريكي حيث أحببت اكتشاف «تيودور ترايزر»، «ويليام فولكز»، «إرنست هيمينغواي»، «مارك توان»، «إف. سكوت فيتزجيرالد»، والآن أدرس الإنكليزية 102، وهو صفّ الإنشاء. أشعر أنني لن أُواجه أيّ مشاكل مهما كانت، فأنا «مهما يكن» كاتب!، أكتبُ منذ أن كنتُ مُراهقاً، ولقد أتممتُ رواية، ولديّ ملف مُمتلىء بالمقالات التي كتبتُها.

مع ذلك، فإنّ هذا التألق من التوقّع الحماسي أن تكون كتابتي مُجازة من قبل بروفيسور جامعة يُدرّس في جامعة كبيرة كان قد بهَتَ على نحو كبير، عندما أعلن زميل مُتخرّج حديثاً تعيّن كي يُدرس مادة الإنكليزية في صفّ المُبتدئين هذا: «يجب عرض كلّ شيء تكتبه حسب نمط الجمعية النفسية الأمريكية «إي بي إي»، ستخسر درجات عند أيّ تناقض، في أيّ وقت تستخدم كلمة «مُمتع» ستنال درجة الرسوب على ورقتك. يجب أن تكون المقالات الأسبوعية المطلوبة لهذه المادة مع هوامش ومدعومة بشيء آخر كتبه شخص ما».

إنه غير مُهتم بما يُفكّر به ويكتبه الطلاب في هذا الصفّ؟ يجب أن يُرشد الطلاب من كُتيب صُمم كي يجعل كلّ شخص يكتب ويبدو تماماً كأيّ شخص آخر؟ لا إبداع، لا آراء؟. لقد وجدتُ الأمر يستحيل على التصديق، ولكن يبدو لي أنّ «يواكيم رايس»، الذي يُدرّس هذا الصفّ، مهووس بكُتيب النشر الخاص بالجمعية النفسية الأمريكية، فكلّ ورقة يجب أن تتوافق مع المعايير الصحيحة الموضوعة في الكُتيب. يجب أن يتقيّد كلّ شيء من القواعد، الترقيم، الشواهد المرجعية بشكل معين، ولا يُسمح بإبداء أيّ آراء من الطلاب.

كانت ورقتي الأولى عبارة عن شرح قصيدة، وقد حصلتُ فيها على علامة رسوب. كان هنالك علامات شطب حمراء على أخطائي التي أنقصت درجة الورقة كما رآها السيد «رايس» مثل الحاشية، علامات الترقيم، الهوامش غير المُناسبة، ثمّ كانت لديّ الجرأة كي أشرح معنى القصيدة بطريقة وجدها السيد «رايس» غير صحيحة.

أنا غاضب، وأكره أن يُنتقد كلّ شيء أكتبه ويُرفض بسبب ما يبدو لي لغواً فارغاً. كتبتُ رسالة إلى مُؤلّف القصيدة، وهو بروفيسور في جامعة «ويسكونس»، ووضعتُ

معها نسخة من ورقتي التي تُفصّل شرحي الشخصي عمّا أراد إيصاله من خلال قصيدته. أنا شاعر أيضاً، وقد كتبتُ العديد من القصائد أثناء سنواتي في «غوام». أنا مُهتمّ بعُمق بأعمال «الرومي» و«حافظ»، الشاعرين الصوفيين من بلاد «فارس» واللذين جلبت كلماتهما إكسيراً مُهدئاً لروحي.

استلمتُ رسالة حارة من بروفيسور مادة الشعر يُهنئني فيها على شرحي. لقد أحبّ المقالة وتأثر بما فهمتُه من قصيدته. كان هذا الرجل مُتحمّساً في رده على رسالتي، من الواضح أنّ الشعراء لا يتلقون الكثير من الرسائل!.

أخذتُ الردّ من الشاعر إلى السيد «رايس»، الذي كان على نحو واضح مُنزعجاً جداً مني، فأنا طالب الكلية الجديد غير الخبير الذي تجرّأ كي يشكّك به وبنظام تصحيحه. لم أُقرّب نفسي إلى مُعلّمي، الذي يراني وقحاً ويرفض حتى أن يُفكّر في تغيير علامتي.

مرّ أسبوعان، ومن أجل امتحاننا النهائي، كان يجب أن نُقدم ورقة بحث إلزامية في آخر الأسبوع من الربع الدراسي. كتبتُ مقالة عن الثورة الهنغارية عام 1956 والدور الذي لعبه «جانوس كادار»، المُتعاطف مع الشيوعية في هذا الصراع. كان عندي اهتمام خاص بهذا الحدث، لأنّه عندما حصل كنتُ طالباً في عمر السادسة عشر في المدرسة الثانوية، وكنتُ أُحاول تتبع هذا الحدث أفضل ما استطعتُ. أنا فخور بهذه المقالة وأعتقد أنها مكتوبة على نحو جيد، وقد اتبعتُ فيها نمط الجمعية النفسية الأمريكية في الكتابة.

ما يزال السيد «رايس» مُستاءً من محاولاتي كي أحصل على تحسين درجتي على مقالتي الأولى. لقد شعر وهو الخرّيج المُساعد بالاستياء من فكرة أنّ أحد طلابه الجدد سيأخذ استثناء على أيّ من بياناته أو إجراءات وضع العلامات. لقد أخبرني الآن أنّ مقالة بحثي ذات السبع وخمسين صفحة عن دور «جانوس كادار» في الثورة الهنغارية الحالية ليست من كتابتي الأصلية. لا بُدّ وأنني انتحلتُها في رأيه، على الرغم من أنه لا يملك أيّ دليل على مُخالفة كهذه. لقد وضع لي علامة «D» «دي» على البحث، وعندما استلمتُ درجتي النهائية بالبريد بعد أسبوع وجدتُ أنّ لديّ درجة «دي» للمادة أيضاً، وهي درجة تجاوز الامتحان، بأقلّ من درجة مقبول.

أنا أكثر من غاضب. لم أنتحل أيّ شيء. كنتُ أكتب مقالات ورواية لأكثر من ستة أعوام. لقد عُوقبتُ على شيء أعتبره كفاءة عالية في الكتابة.

أجريتُ مُحاولات عدة كي ألتقي بالسيد «رايس» في الربع الدراسي التالي، ولكنّه رفض. طلبتُ من رئيس القسم أن يستمع إلى قضيتي، فسمع بانتباه. أريتُه مقالة بحثي وحدثتُه عن الاتهام بالسرقة الأدبية، ولكنّه أعلمني أنه لا يستطيع فعل أيّ شيء. إنه ليس في منصب يُمكّنه من قلب الدرجات التي يُعطيها موظف، لقد أخبرني أنني أستطيع إعادة أخذ المادة واستبدال درجة «دي» بدرجة العلامة التالية.

عدتُ إلى التفكير بدفتر أوراق الشجر السابق وتذكّرتُ أنني أعدتُ أخذ مادة العلوم، وأنني تركتُ كبربائي يُزعجني فقط كي أُثبت أنني كنتُ على حق. لقد قررتُ أن أترك الأمر، فوقفت علامة «دي» على أنها العلامة الوحيدة غير المُقنعة عبر فترة السنوات الثمان منذ كنتُ طالباً جامعياً جديداً وحتى إتمام الدكتوراه.

لقد علّمتني أيامي كطالب جامعي، وخاصة تلك الأيام المُبكّرة، درساً قوياً اخترق كتابتي وكلامي خلال حياتي. لقد تحدّثتُ غالباً عن الاستعارة في عبارة «ذيل القارب»، حيث أنّ خلفية القارب ليست أكثر من ذيل يُترك في الخلف، ولا قوّة لديه في الحاضر، ولا يُمكنه أن يقود القارب. إنّه ذيل وليس لديه تأثير على القارب مهما كان.

لقد علّمني الحضور والتفوق في صفوف الجامعة تلك أكثر مما تعلمتُه من المواد التي درستُها. لقد أصبحتُ وأنا أمشي في حرم الجامعة واعياً أنه ليس على ماضيّ أن يُملي عليّ مُستقبلي. كانت الحماسة التي أشعر بها والنجاح الذي أحصل عليه في مُحيط الجامعة غير مُتوقّع بالتأكيد اعتماداً على ماضيّ أنا. من خلال استخدام القارب كرمز حياتي، لم يكن ذيل القارب هو القوّة التي تقود حياتي. لم أعُد أحتاج تاريخاً شخصياً بعد الآن: إنّ ماضيّ كان فقط «ماضي» ولم يعُد عاملاً بالنسبة إليّ بعد الآن. كنتُ أتصرّف على نحو جيد بغضّ النظر عمّا أشار إليه سجلي في المدرسة الثانوية، وعن حقائق خلفيتي وتربيتي. لقد احتجتُ أن أعرف هذا مُباشرة بالتجربة، وبطريقة أو بأخرى كنتُ مُنقاداً إلى هذا الإدراك.

من يومي الأول في الحرم الجامعي لم أنظر إلى الوراء، وفهمتُ أنني أستطيع أن أكون

أيّ شيء أضع تركيزي عليه، وأنّ أيّ شيء أستطيع وضعه في خيالي أستطيع تحقيقه. كان عليّ اختبار هذه الحقيقة قبل أن أستطيع تدريسها، وتستطيع أن تثق بي بناء عليها. كنتُ كلّ يوم أمشي في هذا الحرم الجامعي في حالة مُبهجة من الروعة، وأرى أنّ ماضي حياتي كانت في الحقيقة لا شيء أكثر من ذيل تركتُه في الخلف. أنا الآن مسؤول عن الاتجاه الذي ستأخذه حياتي.

أنا أرى تجربتي مع السيد رايس في الإنكليزية 102 الآن على أنها تجربة أُخرى من تجارب التعلّم العظيمة التي ظهرت مُتنكّرة على شكل حادثة مُحرجة تجلب الغضب. لقد بدا وكأنّ جزءاً مني يُفكر أنني عدتُ إلى الخدمة العسكرية، حيث أخبروني ألا أُفكّر من أجل نفسي، وأن أفعل كما يُخبروني، وأكتب حسب كُتيب الارشادات.

إنّ القانون المُوحّد للقضاء العسكري على نحو أساسي مثل نمط «إي بي إي» لطلاب الكلية والذي يقول: اكتب حسب الرمز المُصمم من قِبل الجمعية النفسية الأمريكية. لا تكُن مُبدعاً، لا تُفكّر خارج الصندوق، اكتُب مقالاً يُشبه تماماً أيّ مقال قدمه طالب إلى بروفيسور الكلية. كانت الكتابة بهذه الطريقة تُملي نتائج في كتب وأوراق تبقى غير مقروءة، وكانت مراجع الاستشهاد والحاشية وكلّ شيء تخلق كتابة مُملّة لا تتمتع بالحيوية بالنسبة إلى القارىء. كانت الكتب المكتوبة بهذا النمط تُقرأ غالباً من قِبل أكاديميين آخرين، وتُسهم مبدئياً بتوسيع الزيادة الكبيرة للمخطوطات غير المقروءة التي تجمع الغبار على رفوف المكتبة.

لقد أردتُ لكتابتي أن تُمتّع القراء وتُلهمهم، وأردتُ من القراء أن يُريدوا المزيد، وألا يشعروا أنهم لا يُطيقون الانتظار حتى ينتهوا!. أن تكون مُجبراً على أن تكتب بنمط غير إبداعي كهذا يتناسب مع نمط مُحدد مُسبقاً، أعطاني تجربة قيمة وعلّمني ما لم أكن أرغب به لنفسي، وسمح لي أن أختبر ما لا أُريد أن أكون عليه بلا شكّ. لقد اكتشفتُ هنا في الإنكليزية 102 مع السيد «جاكيم رايس» أنني أُريد أن أكتب إلى حشد كبير من الجماهير، وليس إلى مجموعة مُتحذلقة من الأكاديميين واسعي المعرفة.

لقد شعرتُ بألم كبت إبداعي الخاص من أجل أن أُرضي وأتناسب مع نمط محتوم من الكتابة. نعم، لقد استسلمتُ ومضيتُ في فعل ذلك، وكنتُ إلى جانب ذلك مُتحمّساً

أيضاً كي أقوم بالكتابة بالطريقة التي وصفها قلبي لي. لقد كتبتُ حسب الاقتراحات، ولكنّ خيالي كان يتغذى كلّ يوم برغبتي كي أكتب بالطريقة المُعاكسة تماماً للطريقة التي أُجبرتُ أن أكتب بها من أجل مُتطلب الكلية من قِبل طالب مُتخرّج عنيد. لقد بدا أنّ هذا الرجل اختار أن يشرب كلّ شراب «كول ايد» المؤسساتي، وأنّ هذا العمل الجاد قد أسر روحه.

من بعيد أستطيع أن أرى بوضوح أنّ حادثتي مع البروفيسور والشاعر «ويسكونسن» كانت نتاج حياتي تقريباً، وعلى نحو خاص من مُنطلق الأنا «الايغو» في ذلك الوقت. لقد أردتُ بشدّة أن أُبرهن أنني كنتُ على حقّ، على الرغم من أنّ كلّ جهودي كانت مُخرّبة للذات على نحو واضح. عوضاً عن كونها آتية من مكان الفهم والحبّ، اخترتُ أن أضع كلّ جهودي كي أجعل أستاذي في الجامعة خاطئاً. إنّه من عمل الأنا المُسيطرة الحمقاء!. تسعى الأنا إلى التحدّث بقسوة مع الشرطي بالزيّ الرسمي عندما يُوقفك من أجل مُخالفة مرورية، بغضّ النظر عمّا إذا كنتَ على حقّ أم لا. لقد كنتُ غاضباً جداً من أنّ هذا الرجل وجد شرحي للقصيدة خاطئاً، فكانت ردة فعلي عن طريق وضع إشارة عليه وحتى مُحاولة إحراجه عن طريق إعطائه دليلاً على تفوقي.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنني احتججتُ أن أمتلك سلسلة من أنواع الحظوظ السيئة خلال حياتي. في النهاية فهمتُ الرسالة التي كانت موضوعاً مركزياً في عمل حياتي: عندما يكون لديك خيار أن تكون على حقّ أو تكون لطيفاً، اختر اللطف دائماً. إنّ العيش من إحساسك الروحي الأعلى هو خلاصة ما يعنيه أن تكون شخصاً مُحققاً لذاته.

كنت أنظر للسيد «جاكيم رايس» على أنه عدو وعليّ أن أغلبه، حتى ولو كانت النتيجة الوحيدة انتصاراً باهظ الثمن. لقد تعلمتُ في البحرية أن أكون فعّالاً بهدوء، وقد نفع هذا معي دائماً. في جامعة «واين ستايت» كنتُ مشغولاً بالصراع في معركة خاسرة ضدّ المنظومة. ما أعرفه الآن هو أنني يجب أن أُعامل كلّ شخص بالحبّ واللطف، حتى وإن تصرّف بطريقة لا أُحبّها. عليّ أن أتعلّم كيف أسمح للأنا العليا الداخلية عندي أن تُصبح السلطة المُهيمنة في حياتي، وكانت الطريقة الوحيدة التي استطعتُ أن أفهم بها هذا الدرس هي أن أُروض الأنا عندي.

علي أن أعترف أنني شعرتُ بالعظمة وأنا أُثبت لنفسي وللسيد «رايس» أنني كنتُ على حقّ في هذا الأمر. بيد أنّ كوني على حقّ كان يجب أن يأخذ مكاناً خلفياً وراء كوني لطيفاً، وأن أُبقي عينيّ على أهدافي الحقيقية في صفّ الإنكليزية، والتي تضمّنت إتمام الصفّ بعلامة جيدة، وإزالة عقبة إضافية من طريق هدفي الأكبر في تحقيق أنا موجود، والتي أعلنت عن نفسها من خلال أنا مُعلّم!. مع هذه الأنواع من النكسات كنتُ أتدرّب على تدريس «سخف الاعتماد على الأنا»، وكم هو حقيقة خيارٌ سيء أن تفعل ذلك.

الآن أستطيع أن أُعطي تقديري الصادق بخصوص علامة «دي» الوحيدة التي بدَت مثل بقعة من السمّ المُختلف كُلياً عن سجلي اللامع في الكلية. أستطيع أن أرى بوضوح أنني كنتُ أستحقّ هذه الدرجة غير مُقنعة كُلياً. لقد أحدثتُها وكان عليّ تحمّل المسؤولية عنها على نحو كامل. لقد حرّضتُ هذا الرجل، ونظرتُ إليه كمُنافس وتهديد لصورتي الذاتية ككاتب كفوء. لقد وضعتُه في مكان سيفعل منه أيّ شيء يستطيعه كي ينتقم من شخصيتي المُتغطرسة.

نعم، لقد حصلتُ على درجة «دي»، وعلى الرغم من أنّ هذا الأمر كان منذ نصف قرن مضى، فإنّ وجود هذه الرسالة القرمزية على سجل الكلية بقي كرسالة تذكير ثابتة كي أختار دائماً البدء من اللطف والحبّ.

لو كان لـ«واين داير» في السبعينيات أن يتحدّث إلى «واين داير» في العشرينات، كان سيُذكّره بالحقيقية العظيمة التي كان يُدرّسها خلال مهنته الاحترافية: عش كما لو كُنتَ مُنفصلاً عن النتيجة. افعل الأمر برمته لأنه يتناغم مع أناك العليا، ويستجيب إلى توسل الصوت الداخلي، وليس بسبب المُكافآت التي ستأتي في طريقك. إنّ درجة «دي» في السجل غير مُتصلة كُلياً مع شخص يعمل بكفاءة. كنتُ سأنصح نسختي في عمر الثانية والعشرين أن يكون سعيداً بمعرفته أنّه كتب مقالة عظيمة وأن يأخذ بهجة الشعور الذي يأتي مع فرح الكتابة والتعبير عن نفسه. هذا درس كان عليّ أن أتعلّمه بطريقة صعبة.

نعيش في عالم يضع قدراً هائلاً من الضغط على تعريف النجاح من خلال المُصطلحات الخارجية. لقد قضيتُ الكثير من السنين في مهنة حيث كان هناك الكثير من المُطاردة بعد النجاح في مُصطلحات الأنا «الإيغو» المُحددة: ما مقدار المال الذي أكسبه؟ ما

موقع كتابي على لائحة الكتب الأكثر مبيعاً، كم عدد الأسابيع التي بقي فيها هناك؟ هل تلقيتُ ترقية؟ هل حصلتُ على العمل الذي سعيتُ إليه؟ ما الذي يعتقده الناقدون عن كتابي، وكم عدد النسخ التي بعتُها؟ لقد كانت هذه والمئات غيرها من الأفكار التي تقودها الأنا «الإيغو» أنموذجية بالنسبة إلى المُؤلفين الذين يُركّزون على مُؤشرات النجاح الخارجية. على مدى خمسين عاماً كنتُ مغموراً في عالم الأعمال هذا، وتعلّمتُ أن أترك الأمور تمضي.

إنّ انشغالي بتلك العلامة السوداء غير المرضية على سجلي، كان تجربة تعليمية كبيرة. إنّ ترويض الأنا التي تُعرّف نفسها على أساس السمعة والانجاز والملكية، كان أحد أفضل الدروس في حياتي. الحقيقة أنّ تجربتي كطالب جامعي جديد في عمر الثانية والعشرين في صفّ إنشاء الإنكليزية يدلّ على أهمية أنّ مُحاولة كبح مُتطلبات الأنا لعبت دوراً في حياتي.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ درجة «دي» تقلّصت في الأهمية من مسافة مُراقبة خمسين سنة. الحقيقة أنني استطعتُ شرح قصيدة وفهمها كما أشار إليها الشاعر، وأنّه كانت لديّ الطاقة والإرادة كي أستثمر نفسي في كتابة مقالة بحث علمية اعتُقد أنّها مُنتحلة لأنّها كانت مكتوبة على نحو جيد، وحلّ ذلك مكان العلامة السخيفة على سجلي والتي لا علاقة لها بمَن أكون، أو بما أنجزتُه في هذه الحياة.

لقد احتجتُ أن أتعلّم هذا الدرس جيداً. وكان الانفصال عن النتيجة هو هدفي النهائي، وكانت هذه التجربة المُبكّرة أحد الحوادث الهامة التي احتجتُها من أجل أن تصل هذه الرسالة إليّ بوضوح، حتّى أستطيع في النهاية أن أُصبح مُعلّماً في تحقيق الذات.

← ←← ←← ←← ←



أرادت أن تُبقي التحيزات القديمة نفسها والكراهية قائمة. تعجّبتُ من الشجاعة التي أظهرها في حملته عندما وعد بتنفيذ القيادة الأخلاقية والتشريعية من أجل مُقاومة التمييز العنصري والفصل العنصري في المدارس.

فقط قبل أشهر من الآن شاهدتُ بفخر، كيف كان الحرس الوطني في «ألاباما»، بناء على توجيهات الرئيس «كنيدي»، يتدخلون من أجل حماية طالبَين زنجيين كي يدخلوا البناء في جامعة «ألاباما» ويُسجّلوا. لقد راقبتُ حينما وقف مُحافظ «ألاباما» «جورج والاس» جانباً، وبدأ عهد جديد من المُساواة بالظهور.

في الحادي عشر من حزيران عام 1963، سمعتُ الرئيس كيندي يُلقي هذا الخطاب على التلفاز:

إنّ قلب السؤال هو هل سيُعطى كلّ الأمريكيين حقوقاً مُتساوية وفرصاً مُتساوية، وفيما إذا كنا سنُعامل التابعين الأمريكيين تماماً كما نُريد أن نُعامل. لو أنّ أمريكياً لا يستطيع تناول الغداء في مطعم مفتوح للعموم لأنّ بشرته داكنة، ولا يستطيع إرسال أطفاله إلى أفضل مدرسة عمومية مُتوفّرة، ولا يستطيع التصويت من أجل المُوظفين العموميين الذين سيُمثلونه، ولا يستطيع باختصار التمتّع بالحياة الكاملة الحرّة التي يُريدها جميعنا، فهل سيكون أحدٌ من بيننا سعيداً بتغيير لون بشرته والوقوف في مكانه؟.

لقد وضع هذا الخطاب نقطة تحوّل لبلادنا، وبداية القيادة نحو إصدار قانون أصبح فيما بعد قانون الحقوق المدنية لعام 1964.

جلستُ في سيارتي على مدخل الطريق المُنحدر إلى الطريق السريع وأنا أتذكّر كيف بدا هذان الطالبان الزنجيان عندما ذهبا من أجل التسجيل في الصفوف. تذكّرتُ صديقي «راي دادلي» الذي حُرم من مقعد في مطعم في «هارف دي غريس» عندما كان مُرتدياً زيّ البحرية الأمريكية الرسمي منذ بضع سنين مضت. أنا حزينٌ على خسارة تلك الآمال التي قدّمها الرئيس.

لقد قرأتُ عن بطولة «جون كينيدي» خلال الحرب العالمية الثانية في كتاب «النقطة 109» للمؤلف «روبرت دونوفان»، وكيف أنقذَت أفعاله الطاقم بعد أن قُطعت

سفينته نصفين من قبل طوربيد ياباني. لقد التهمتُ كتاب «كينيدي» الخاص «**لمحات في الشجاعة**»، والذي ركّز فيه على سير حياة ثمانية سيناتورات في كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية والذين أبدوا شجاعة في مُواجهة الضغوط التأسيسية. كان لديّ آمال كبيرة أن يُطبق هذا النوع من الشجاعة على العديد من القضايا الاجتماعية في بلدنا المُقسّمة في العُمق. تذكّرتُ الخوف الذي اجتاح الأمة خلال أزمة الصواريخ الكوبية، وكيف قاوم هذا الرئيس الشجاع الشاب رئيس الوزراء السوفييتي «نيكيتا خروشوف» وتجنّب وقوع كارثة نووية.

أنا أُؤمن بهذا الرجل. لقد شعرتُ بالقرب منه، وقد كتبتُ له خلال ارتباكي في حادثة «غوام» حيث كانت إهانة التحيّز ترفع وجهها البشع في حياتي. كان «جون كينيدي» ذاك الرجل الذي اعتقدتُ أنه سيُصحح هذه الفوضى لو أُعلم بها. بدأتُ أرفع السرعة ببطيء وأدخل الطريق السريع، مُتوجّهاً شرقاً إلى منزلي حيث كنتُ أعيش مع أمّي، إلى حين حلول زواجي في السنة القادمة.

بينما كنتُ أعمل في مخزن «كروجر» في المناوبة المسائية من الرابعة وحتى التاسعة، رأيتُ أنّ كلّ شخص يدفع لديّ عند آلة المحاسبة كان في صدمة، وكان القليلون فقط قادرين على الكلام. نظرتُ إلى عينيّ امرأة بينما كنتُ أُسلمها باليد باقي نقودها، وعندما التقَت أعيننا، انهار كلانا بالدموع. لقد اخترق الصمت كلّ شيء، ولم يستطع أحد الكلام من غير أن يذرف الدموع. أنا مُتأثر بهذه المأساة بطريقة غريبة عني كُلياً. يبدو كأنّ حياتي ستُحدث نقلة كبيرة نتيجة أحداث هذا اليوم.

لقد كنتُ ضمن هذا الحدث التاريخي لأنه أثر في اتجاه حياتي الشخصية والعملية. ذاك اليوم في نوفمبر 1963 صنع تحوّلاً هائلاً بالنسبة إليّ بطرق عديدة. حتى ذلك الحين، فعلياً كان كلّ شيء في حياتي يُؤثر في مُستقبلي ذي طبيعة شخصية. كانت تجاربي في بيوت الحضانة، في دار الأيتام، في المدرسة الثانوية، في البحرية بالنسبة إليّ «لحظات واين داير» من اليقظة إلى اتجاه جديد ووعي جديد في حياتي الشخصية. أما الاغتيال السياسي للرئيس «كينيدي» فلم يقتل فقط رجلاً أُعجبتُ به جداً، بل قتل شيئاً في داخلي أيضاً.

لقد بدأتُ هناك أُفكّر في خطة حياة يكون لها تأثير تاريخي وعالمي، ولم يعد الأمر فقط يخصّ مُستقبلي الوشيك كمُعلّم. لقد بدأتُ أُفكّر في مصطلحات كيف يُمكنني أن أُؤثر في وعي الكوكب كلّه؟. لقد رأيتُ نفسي منذ ذلك اليوم فصاعداً رجلاً مع صوت الرحمة من أجل الخير الأعلى. لم أكن أعرف كيف أو ماذا قد يكون دوري، ولكنني عرفتُ أنّ شخصاً واحداً بضمير يستطيع أن يُحدث فارقاً وأنا كنت ذلك الشخص. لم لا؟ فكرتُ كما فكّر «جون كينيدي» قبل أن أسمع هذا الرجل بزمن طويل. ارتعشتُ عندما فكرت بإعطاء صوت لهذه الأفكار، وأن أجعل هذا الصوت مسموعاً حول العالم. بدأتُ أرى نفسي قائد العالم «ليس قائداً سياسياً» بل شخصاً مليئاً بالرحمة تجاه كلّ شخص، وشخصاً يرغب الآخرون بالاستماع إليه.

عندما أنظر إلى الوراء إلى حادثة اغتيال الرئيس «كينيدي»، الآن وبعد خمسين سنة، أستطيع أن أرى أنه كان مُقدراً له أن يتنازل عن حياته من أجل أن يُتمّ رسالته الروحية، وإلا لم يكن قانون الحقوق المدنية سيتوجّه نحو الإقرار عام 1963. كانت أرجحية «جون كينيدي» في انتخابه مُجدداً تتقلّص، لأنّ الجنوب كان يتمرّد على نظرته العنيدة تجاه التعصّب العنصري وحقوق الناخب. كانت العرقلات من قِبل أعضاء مجلس الشيوخ الجنوبي مضمونة تقريباً، ولكن عندما مات «جون كينيدي» ونعَت الأمّة هذا الرجل العظيم، تبدّل المزاج الكليّ في البلاد. تحت قيادة الرئيس الجديد، الذي أُعيد انتخابه بأغلبية ساحقة في عام 1964، بدأت رياح التغيير تعصف بقوّة.

لقد بدأ السياسيون الذين تعهّدوا بأن تكون «العنصرية إلى الأبد» يتبدّلون تحت ضغط الشعب اليقظ والمُتنوّر، وصوّتوا بالفعل من أجل الحقوق المُتساوية، والتحرّك في اتجاه مُجتمع أعظم. أنا أُؤمن أنه لا تُوجد مُصادفات في هذا الكون المُرتب روحياً. إنّ موت الرئيس «كينيدي» في ذلك اليوم قد فتح الباب أمام حقوق مدنية طال انتظارها، حقوق الناخب، الرعاية الصحية لكبار السن، المدارس المُحسنة، الوعي أنّ الحقوق المُتساوية ليست فقط كلمات يُتحدّث عنها، ولكنّها أفعال يجب أن نقوم بها كلّنا. كانت هذه الطريقة الوحيدة كي يتغير وعي بلادنا.

لقد كنت مأخوذاً في هذا الوعي الجديد. لقد رفع المدّ المُتصاعد كلّ القوارب، وقد

شعرتُ مجازاً أنني ارتفعتُ بواسطة هذا الحدث المأساوي. لقد تظاهرتُ كالكثيرين من أجل الحقوق المدنية وعارضنا أن تلوح الحرب في الأفق في «فيتنام». كمُعلّم داخل مدينة «ديترويت»، وفيما بعد كمُتحدّث من أجل إنهاء مجاعة العالم من خلال «مشروع الجوع»، سعيتُ كي تتغيّر شخصياتنا غير العادلة وغير الضرورية. لقد ركّزتُ في حياتي ككاتب ومُتحدّث على رفع تفكير الناس بأنفسهم كعاديين ومحدودين، كي يثقوا بوعي جديد أنه داخل كلّ فرد يُقيم شخص غير محدود يستطيع إنجاز أيّ شيء يضع انتباهه عليه.

إنّ رؤية الرئيس «كينيدي» للدولة التي يجب أن تكون مأهولة بمُواطنين يُريدون أن يعطوا ويخدموا أكثر من أن يأخذوا ويستقبلوا، هي رؤية أشترك فيها أيضاً. لقد كان عليه أن يموت من أجل أن ينقل البلاد كلّها إلى اتجاه جديد أكثر رحمة وهذا جزء من كمال كوننا، الأمر الذي يُمكن مناقشته على نحو لا نهائي، بيد أنه كذلك في الحقيقة. **لقد مات**، وجميعنا أصبحنا أناساً أفضل نتيجة لذلك. لقد بدأتُ أنا أيضاً رحلتي في اتجاه أن أكون شخصاً أفضل، وأُمارس مهنة تتركّز على الخدمة والتعاطف والحبّ تجاه كلّ شخص. رُبّما كانت حياتي تمتلك تركيزاً مُختلفاً واتجاهاً آخر، لو أنّ الأحداث في «دالاس» في ذاك اليوم لم تحدث.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



– أنا في فصلي الدراسي الأخير في الكلية. لقد حضرتُ ما يُقارب من مئة مُحاضرة في السنوات الأكاديمية الأربع، ولم أُفوّت أيّ درس ولا مرة. أنا مُلتزم بنظام الطالب بدوام كامل، وسعيد جداً، وفخور، ومحظوظ بكوني هنا في موضع حيث تفويت حتى درس واحد لم يُؤخذ أبداً في عين الاعتبار.

في حين أحببتُ جوّ هذه الجامعة المبنية على نحو صحيح في مُنتصف مدينة داخلية كبيرة ومُزدحمة، كنتُ مُندهشاً بما يبدو لي أنه نوع من اللامبالاة من ناحية كلية التعليم. من النادر أن تجد أساتذة جامعيين مُتحمّسين حقيقة لمادتهم التعليمية، أو مُهتمّين بإلهام الطالب. لقد لاحظتُ مدى عدم الاهتمام الكبير في العديد من المواد التي أخذتُها. كانت أفكار كهذه تتدفق إلى وعيي على نحو مُتكرر: يبدو لي أنّ كلّ هؤلاء الأساتذة الجامعيين كانوا فقط يقومون بحركات من أجل القيام بعملهم، مع الكثير من الملل، والقليل من المُتعة لما يُدرّسونه.

أعود إلى التفكير بخالي «بل فوليك»، الذي كان مُلهم رغبتي في أن أُصبح مُعلّماً. لقد كان صفّه مُبهجاً بسبب الضحك والمُتعة التي أثارها. لقد أحبّ «بل» طلابه، وأحبّ مادته التي يُدرّسها، وكان يعيش رسالته الروحية الخاصة بينما يستمتع كلّ طالب عنده بوقته. إنّ الكلمة المفتاح هنا هي **الحبّ**. أعتقد، أنّ هذا ما بدا مفقوداً في هذه الدروس. كلّ أستاذ كان يقوم بحركات: لا يُوجد حبّ هنا. كان الطلاب يأخذون المُلاحظات عن المواد بإخلاص قد يظهر في الفحص النصفي أو النهائي، ولكن من

ناحية أخرى إنهم غير مُبالين على نحو واضح بهذا العمل برمّته والمُسمّى مجازاً التعليم العالي. لم يكن المُعلّمون يُعلّمون، بل يُقدّمون المادة وبساطة عبر حركات. إنّهم يقومون بعملهم، ويتظاهرون مُعظم الوقت، على الرغم من أنهم غالباً يختصرون الدروس بأنفسهم، وهذا يبدو واضحاً من الملل الذي يتغلغل الصفّ بأكمله.

لاحظتُ هذا النقص في الحماسة من قِبل كلّ شخص تقريباً من ضمن ما يبدو أشبه بلعبة قد انتهت. أنا أراقب وأسأل نفسي: ألا يستطيعون رؤية أنه لا أحد مُتحمّس لما يقولونه؟. وأنّ الطلاب يشعرون بالأسر في الحضور، إذ عليهم أن يكونوا هنا ولا يُغادروا حتّى ينتهي الدرس. لماذا لا يجعل المُدرسون الجامعيون هذه المادة وهذا الصفّ يُصبح حيّاً؟.

أنا أتخيّل نفسي أحصل على امتياز بارز كي أكون أمام الصفّ مُعلّماً مع هذا الحضور الأسير. كنتُ أُمثل هذا الخيال في عقلي تقريباً كلّ يوم عندما أكون في غرفة صفّ مليئة بالطلاب الذين يستحمّون في بيئة تعليم دافئة. كنتُ أتخيّل نفسي أجعل الغرفة تعود إلى الحياة وأُقدّم المادة بنمط مُطوّع. كنتُ أرى نفسي أُعلّم الطلاب كي يكونوا مُتحمّسين ومُلهمين ويتعلّمون المنهاج الدراسي، حتّى وإن كانوا يعتقدون المادة غير مُهمّة. هذا هو الخيال الذي أختبره كلّ يوم.

راقبتُ المُدرسين ببعض الازدراء، بالطريقة نفسها التي فعلتُها قبل بضع سنين في المدرسة. كنتُ أشعر بالأسف فعلياً من أجلهم لأنّهم يبدون واقعين في شرك نمطيتهم يوماً بعد يوم، وسنة بعد سنة. في المدرسة الثانوية كان هناك الكثير من المُعلّمين في نهاية مهنتهم يقضون وقتهم حتّى حلول التقاعد. كنتُ أرى البعض يقومون بالشيء نفسه في الجامعة وأتعجّب: **أين كبرياؤهم؟ كيف يستطيعون أن يكونوا أمام الصفّ ولا يُريدون أن يُمتّعوا طلابهم ويجعلونهم مُتشوقين من أجل تعلّم هذه المادة؟.**

لقد وعدتُ نفسي أنّني لن أكون هكذا أبداً، فأنا أُحبُّ جعل الناس يضحكون، فكلّ المُعلّمين الجديرين بالذكر الذين كانوا لديّ، امتلكوا قدرة عجيبة على أن يغرسوا تعاليمهم من خلال المُزاح. كنتُ أعدُ نفسي أنني عندما أتحدّث أمام مجموعة «أيّ مجموعة كانت» فإنّ الجمهور سيُحبُّ وجوده معي. لن أقوم بحركات فقط، ولن أقومَ بعملي من أجل أن أتلقّى وصل دفع الراتب كلّ أسبوعين. سأُبقي الحبّ حيّاً، الحبّ

لما أعلّمه، الحبّ لطلابي، وأيضاً على نحو خاص ملحوظ، الحبّ الذي أُكنّه لنفسي. أنا مُصمم أن أحترم مَن أكون عليه وألا أُصبح أبداً مُعلّماً أقوم بعملي على شكل تمثيلية باهتة لا تُحدث فارقاً. إنّها صورة مُجحفة سأكرهها عندما أُعرّض نفسي لمثل هذا العار.

كلّ يوم، في الصفّ بعد الدرس، أشعر أنني مأسور بتأملي التخيّلي الخاص عن كيف سأجعل هذه المادة تبدو حيّة. أنا مدفوع برغبة قوية كي أجلب المُتعة، المرح، والمُزاح إلى تجربة التعلم.

في النهاية تعيّنتُ في ثانوية «بيرشينغ»، في نظام المدراس العمومية في «ديترويت»، كي أقوم بتعليم الطلاب آداب الاقتصاد لمجموعة مؤلفة من خمسة وثلاثين من الخريجين الكبار، وكان أستاذي المُشرف هو السيد «زيغموند بويتور». لقد كنتُ سعيداً بحقّ، فالسيد «زيغ بويتور» مُعلّم خبير، وهو رجل يُجسّد كلّ ما أطمح أن أكون عليه. إنّه محبوب من قِبل طلابه ويُعتبر أفضل مُعلّم في الكلية بشهادة رئيسه.

بعد الأسبوعين الأوليين، أطلق «زيغ» لي العنان، فأصبحتُ المُعلّم الوحيد بقية الفصل. يُمكن أن يكون علم الاقتصاد مادة مُملّة على نحو لا يُصدّق، أو على الأقل كان كذلك بالنسبة إليّ في الصفّين اللذين التحقتُ بهما كطالب قبل التخرّج. بيد أنه لديّ الآن فرصة كي أُطبّق ما كنتُ أتخيّله خلال السنوات الأربع السابقة بينما كنتُ جالساً في العديد من غرف الصفّ المُملّة. أنا في الجنة!.

أنا أُحبُّ هذا الفصل أكثر من أيّ شيء حتّى هذه النقطة. أنا أُحبُّ هذا الصفّ، أُحبُّ الطلاب، بل بدأتُ أُحبُّ الاقتصاد!. لقد شعرتُ بسعادة غامرة عندما أحضر الطلاب لي حقيبة جلدية وبطاقة جميلة مُعبّرين عن حماستهم للدرس ولي أيضاً «كمُعلّم»!. أنا مُتأثر في العُمق. أنا مُتحمّس. أنا مُعلّم، وأنا في طريقي كي أكون خطيباً أيضاً.

بينما كنتُ أجلس في مجموعة غير منتهية من الصفوف حيث بدا عدم الإكتراث هو السائد من جهة الأستاذ ومن جهة الطلاب أيضاً، لم أكن أُدرك أنّ هذا الأمر هو أرضيتي المُبكّرة في التدريب. لم أُدرك أنّ هذا الطريق كان أساس تدريبي المُبكّر كي أكون خطيباً عاماً. عندما أعود إلى الوراء، أستطيع أن أرى نفسي بوضوح جالساً في غرفة

الصفّ يُساورني الشكّ بسبب الملل الذي بدا غير ضروري أبداً. لماذا، كنتُ أستغرب: أليس المُعلّم مَن يجعل هذا مُمتعاً؟ أليس واضحاً كم يبدو الأمر مُملّاً لكلّ واحد في الصفّ؟الآن أعرف من بعيد، أنه كان عليّ أن أشعر بهذه المشاعر من الإحباط، التي كانت تُوقظ شيئاً داخلي لا يُمكن إسكاته أو تجاهله. لقد كان مُقدراً لي أن أقوم بدور الخطيب في حياتي.

لقد احتجتُ أن أستعدّ في ذلك الوقت، وكانت الطريقة الأكثر تأكيداً في تحضيري هي أن أكون في مكان وأشارك في شيء بغيض بالنسبة إليّ. مرة أُخرى، إنه ذلك الموضوع القديم من وجوب اختبار ما لم أكن أريده أن يكون، من أجل أن أعرف حقيقة ما الشيء الذي أردتُ أن أفعله. لقد كان الأمر مثل أيّ تجربة في حياتي عبارة عن نعمة وفيرة مُتنكّرة. هذه التأملات الداخلية التي كنتُ أسمع وأشعر بها كانت نداءات الاستيقاظ الخاصة بي.

عندما تحدّثتُ إلى زملائي عن هذه المشاعر، نظروا إليّ بتعابير مُتحيّرة. لقد كان هذا هو النظام بالنسبة إليهم، وكانت المُحاضرات المُملّة جزءاً من الكلية. كنتُ قليلاً ما أعرف أنّ استيائي الداخلي كان صوتاً من الكون يقول لي: «راقِبْ هذا بحذر، اشعُر بالألم، قُم بالالتزام بناء على ما تشعر أنك ستتعلم منه كي تُصبح خطيباً بارعاً مُمتعاً ومُقنعاً».

بعد أن تحدثتُ في المنتديات العامة حوالي أربعة عقود، حيث كان الحضور يدفعون مالاً يُحصّلونه بشقّ الأنفس كي يحضروا، أشعر بالسعادة من جراء حصولي على الفرصة كي أكون في صفوف المدرسة الثانوية والجامعية، التي حفّزت تلك الأصوات الداخلية التي تقول: «انتبه والتزم بأن تجعل رسائلك تُصبح حيّة. كُن مُتحمّساً وراقِب جمهورك واجمَع الأدلة كي ترى هل ينتبهون ويُمتّعون أنفسهم، وإن لم يكونوا كذلك، عليك أن تُغيّر ما تفعله في الحال».

على مدى السنين كتبتُ وتحدّثتُ غالباً عن أهمية العاطفة في مُهمات الإنسان. أن تكون فاتراً بالنسبة إليّ فهذا يعني أن تفقد الاتصال مع مصدري. إنّ الشخص الذي يقف أمام جمهور دون حماسة لما يُقدمه، تكون أفعاله مُنفصلة عن روحه، وعن الإله في

الداخل. في الحقيقة، إنّ جذر معنى كلمة حماسة هو «الإله في الداخل».

عبر عقود من التحدّث أمام مجموعات كبيرة من الناس، تعلّمتُ أنه عندما أستسلم وأسمح لنفسي أن تتوجّه من قِبل المصدر الإلهي، يبدو كلّ شيء في مكانه. عندما كنتُ أتقدّم كمُتحدّث على وشك أخذ مكبر الصوت، كنتُ أكرر هذا السطر من «**دورة في المُعجزات**» لنفسي: «إذا عرفتَ مَن يمشي جانبك في كلّ الأوقات على هذه الطريق التي اخترتها، فلن تستطيع مُطلقاً اختبار الخوف أو الشكّ مرة أُخرى». كانت هذه تذكرة لي كي أتمسّك بصورة انحيازي إلى مصدر إبداع الكون، وكي أتحدّث من شغفي.

ما كان يحدث لي في غرف الصفّ التي كانت بلا أحاسيس، هو أنني كنتُ مُحفَزاً من قِبل روحي كي أبقى على صلة بإحساسي الداخلي بالروعة والتقدير تجاه كلّ ما أنا عليه، ومن خلال ذلك، استطعتُ أن أُصبح مُتحدّثاً يُريد الناس سماعه.

أستطيع أن أتذكّر أنني كطالب قبل التخرّج كنتُ أُفكّر أنني سأُحبُّ التفوّق مهما كلفني الأمر وخاصة في الكتابة والتحدّث. لقد سمعتُ أنّ الكتّاب لم يكونوا عموماً مُتحدّثين عظماء، وأنّ أولئك الذين تفوّقوا في فن الخطابة كانوا عموماً غير عظماء في التعبير عن أنفسهم على الورق. لقد تعلّمتُ خلال السنوات أنّ العظمة تتبع حقيقة ما أختار أن أؤمن به عن نفسي وقدراتي. أنا أعرف أنّ لديّ القدرة على التفوّق في أيّ شيء أختاره.

ليس هناك شيء منقوش على الحجر يقول إنّ كوني خبير بحث مُحترف يعني أنه يجب أن تنقصني الكفاءة في التحدّث أمام الجمهور. لقد لعبتُ التنس في عمر واحد وثلاثين عاماً، وقررتُ في أول يوم لعبتُ فيه أنني أحببتُ هذه اللعبة وبإمكاني أن أُصبح لاعباً بمهارات عالية لو خصصتُ وقتاً لذلك، وقد فعلتُ ذلك على مدى خمس وثلاثين سنة. على نحو مُشابه، في المدرسة الجامعية عرفتُ أنّ قدرتي على الوصول إلى أيّ مرحلة من الشهرة كان مُطلقاً. أستطيع أن أعيش شغفي، وأكون مُحبّاً لما أفعله، ولم يكن هناك شيء يُرجعني إلى الوراء ما عدا مُعتقداتي الخاصة عن قيودي.

أستطيع أن أرى شيئاً واحداً بوضوح كامل عندما أنظر إلى الوراء إلى نفسي في تلك الصفوف مُراقباً الملل يظهر على وجوه مَن حولي. من هذا المنظور أفهم أنّ كلّ تجربة من حياتي، بغضّ النظر عن الكيفية التي اخترتُ أن أُعالجها بها في ذاك الوقت، كانت شيئاً قيّماً جداً يُعلّمني. هناك دروس في كلّ لحظة، وأنا الآن أعلم بالتأكيد أنّه لا يُوجد شيء اسمه مادة غير مُمتعة أو لحظة اعتيادية. هناك فقط أناس غير مُستمتعين. لقد تعلمتُ عبر العديد من الأمثلة منذ عدة سنين مضَت ألا أكون واحداً من هؤلاء الناس غير المُستمتعين. أن يشعر الإنسان بالضجر هو إهانة للأنا العليا عنده، والتي هي بالتعريف «الإله في الداخل».

• •• •• •• •



- في سنة 1968 كنتُ مُتزوجاً ولديّ طفلة عمرها سنة اسمها «تريسي»، التي وُلدت في خضم أعمال الشغب التي دمّرت جزءاً كبيراً من مدينة «ديترويت». أنا أيضاً في برنامج الدكتوراه في جامعة «واين ستيت» بعد إكمالي درجة الماجستير منذ سنتين.

منذ أن حصلتُ على درجة البكالوريوس والماجستير من «واين ستيت»، كان أحد مُتطلبات برنامج دراسة الدكتوراه، أن أُكمل فصول مُتعددة في جامعة «ميشيغان»، كي تُعطيني بعض التنوّع في تدريبي التعليمي عموماً. أنا مُسجّل حالياً في صفّ المدرسة الصيفية المُسمّى «علم نفس الإدراك»، وفيه تركيز كثيف على فرصة استخدام التنويم المغناطيسي في مُعالجة ضعف الإدراك الحسي. استخدمتُ أُنموذج التنويم المغناطيسي الذاتي كي أتخلّص من عادة التدخين التي اعتدتُها في المدرسة الجامعية، وأنا أطمح كي أتلقى تعليمات التنويم المغناطيسي وتجربة التدريب العملي.

إنّ بروفيسور هذا الصفّ، نشيط للغاية وباحث مُختص، وقد قام بتطبيق التنويم المغناطيسي الجماعي علينا بالأمس. كنتُ في حالة من النعيم، وكان عقلي في حالة تعزيز وشعرتُ بالسلام. كنتُ واعياً كُلياً لكلّ شيء يحدث ولم أشعر أنني توقّفتُ عن التحكّم، ومع ذلك وجدتُ نفسي أتّبع مُقترحاته طوعاً، وأفعل كلّ شيء اقترحه عليّ دون السؤال عن أيّ شيء. شعرتُ أنّه لم يكن عليّ عمل ما أخبرني أن أفعله، ولكنني فعلتُه على أيّ حال.

اليوم، سنشهد تجربة تحكّم التفكير بالجسد. إذ وافقت إمرأة في بداية الأربعينيات

من عمرها على أن تخضع كطالبة إلى تجربة التنويم المغناطيسي من أستاذنا الذي سيقوم بإجراء الاختبار. وضعها على كرسي أمام الصفّ ثمّ أدخلها في في حالة التنويم، ثمّ شرح أنّ الجسم البشري لا يستطيع القيام بتميز واضح بين درجات الحرارة الباردة جداً والحارة جداً. لقد أخبرنا بوجود المرأة المُنوّمة، والتي تبدو طبيعية تماماً وغير مُتأثرة بأيّ إيحاء تنويمي، أنّ شخصاً معصوب العينين تمّ لمسه بأداة فائقة البرودة، أو بأداة مُلتهبة لا يستطيع إخبارنا عموماً عن نوع اللمس الذي تلقاه، ثمّ شرح لنا أنّ الحرارة الفائقة والبرودة الفائقة يُمكن الشعور بهما على نحو مُتماثل.

كنا جميعاً مُهتمّين بينما أكمل الأستاذ شرح علم نفس الإدراك واستجابة الجهاز العصبي ببساطة. إنّ الساخن والبارد هما مجرد اختلافات إدراكية تعتمد على بنية الشخص الملموس.

قام بعصب عينيّ المرأة وتقدّم كي يلمسها بأداة معدنية باردة جليدية، وأداة أُخرى ساخنة الملمس. أولاً الباردة ثمّ الساخنة، ثمّ تشكيلة من المُحاولات المخلوطة. كانت المرأة دقيقة في تخمينها بنسبة خمس وسبعين في المئة أثناء التجربة، ثمّ نزع الغطاء عن عينيها، وناقش النتائج مع الصفّ.

لاتزال المرأة في حالة التنويم. أخبرها أنه سيُريها أيّ أداة حرارة سيستعمل، وعلّمها أن تقول ببساطة حار أو بارد بسرعة عندما تشعر بها. أراها أداة مُتجمدة، ثمّ دبوساً مُلتهباً وقال أنه سيلمس ذراعها الداخلية، وأنه عليها أن تقول بصوت مرتفع كيف أثرت فيها كلّ لمسة.

وضع الغطاء على عينيها مرة أُخرى وأخذ المعدن البارد، وقال بلطف بالغ: «هذه الأداة الباردة، أخبريني كيف يبدو الشعور»، أجابت إنه بارد ومُروع قليلاً. ثمّ أخذ الدبوس المُلتهب ووضعه بالقرب من وجهها حتى تستشعر الحرارة، وقال: «سألمس ذراعك قليلاً فقط، وأُريد أت تُخبريني عن استجابتك مُباشرة». بعد أن وضع الدبوس بالقرب من وجهها، اقتنعت المرأة أنه على وشك أن يلمسها بالشيء المُلتهب. وضع الأستاذ الدبوس المُلتهب على منفضة سجائر زجاجية على الطاولة أمامه، وبدلاً عنه لمس ذراعها بممحاة في نهاية قلم رصاص أخذه من جيب قميصه. كانت المرأة في حالة من

الرعب وتشكّلت تقرحات على ذراعها، على الرغم من أنها لُمست فقط بممحاة قلم رصاص بدرجة حرارة الغرفة.

قال زميل مُتعجّب: «هل رأيت ذلك؟ إنه أمرٌ لا يُصدّق. لا أستطيع أن أُصدّق أنها فعلت ذلك بتفكيرها». أنا مُندهش، وعيناي مفتوحتان على مصراعيهما وكذلك فمي، عندما راقبتُ مُباشرة قوّة التفكير المُذهلة على الجسم، إذ كانت المرأة بإيمانها فقط وليس بأيّ شيء آخر، قادرة على أن تُنتج آثار الحرق على ذراعها!.

شرح الأستاذ أنّ الكثير من نشاطنا الإدراكي مُسيطر عليه من مُعتقداتنا التي نحملها. ثمّ وصف تأثير الدواء الوهمي، حيث أُجريت التجارب على استخدام حبوب السكر مع الذين يُعانون من التهاب المفاصل والذين يعتقدون أنه دواء للمفاصل، وقد قامت حبوب السكر بتخفيف الالتهاب!.

كانت هذه التجربة هي لقائي الأول في سنّ البلوغ مع فكرة أنّ مُعتقداتنا تستطيع أن تكون مفتاح شفاء، بل أكثر من ذلك حتّى، أنا مُتعجّب من أنه إذا كان الخارج أو الأفكار المجرورة ثقافياً غير مُرتبطين مع العقل القوي اللامحدود عندنا، رُبّما كما أتفكّر، بإمكاننا أن نُقنع أنفسنا بقدراتنا الخاصة على اظهار أيّ شيء.

كان ذاك اليوم الصيفي من عام 1968 نقطة تحوّل في حياتي. لقد وضعني على عتبة حقيقة واحدة آمنتُ بها مُدّة ثمان وعشرين سنة، وحطّ بي في مكان مُمتلىء بالإمكانيات التي لا يُمكن تخيّلها.

على الرغم من أنه كان حقلاً مُمتلئاً بالاستفسارات الجديدة نسبياً، إلا أني أنهيتُ قليلاً من القراءة في موضوع رابط العقل مع الجسد، وخاصة في مجال الطبّ. مع ذلك، لم يُبعدني تساؤلي الفكري عمّا شهدته في غرفة الصفّ في جامعة «ميشيغان» في ذلك اليوم. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنني احتجتُ أن أكون هناك كي يكون هذا الوعي الجديد مغروساً بثبات في كلّ من العقل الواعي والعقل الباطن. أن تقرأ عن شيء ما هو أمر، بينما عندما تُجرّبه مُباشرة فهو أمرٌ آخر مُختلف تماماً.

كنتُ أتعجّب من ذلك اليوم في الصفّ: إذا كان الأمر مُمكنًا، فماذا يقدر التفكير على

تحقيقه أيضاً ممّا يعتقده الناس مُستحيلاً؟. هذا الحدث الوحيد في جامعة «ميشيغان» في ذاك اليوم الصيفي من عام 1986 كان مكان ولادة تدريسي عن شيء أصبحتُ أسمّيه: «حياة بلا حدود» بعد سنوات قليلة على طريق حياتي. بعيداً عن كوني مُعلّماً كتب وتحدّث بشغف عن موضوع أنّ الإنسان غير محدود بسبب الطاقة اللامحدودة في أدمغتنا وتفكيرنا على تخيّل أيّ شيء ثمّ جعله حقيقة، فقد ترك تأثير هذه التجربة مع الممحاة و«فقاعة الحرق» أثراً لا يُنسى عليّ شخصياً.

لقد هيأتُ تفكيري على أنني قادر على خلق أيّ شيء أضعه في خيالي وأحفظه هناك بحماسة. قررتُ أنه ليس عليّ أن أُصاب بالبرد، أو التعب، أو حالات عجز مادية، وبالنسبة إلى الجزء الأكبر من الحياة كنتُ قادراً على أن أُظهر إلى حدّ كبير كلّ شيء تخيلتُه. لقد كان ذلك كما لو أنّ مصباحاً انطفأ داخلي عندما رأيتُ النظرة المصعوقة على وجه المرأة عندما شاهدَت ما الذي حققه إيمانها القوي.

فكّرتُ أنها عندما آمنَت بقوّة شديدة بشيء، فقد استطاعت خلق أثر «فقاعة الحرق» بهذا الإيمان، فلا يُوجد سبب كي لا أبدأ بتدريب عقلي على الإيمان بكلّ أسلوب من الإنجازات المُذهلة.

كنتيجة لتلك الحادثة من التنويم المغناطيسي، أدرجتُ فيما بعد هذا المبدأ في مُحاضراتي العمومية. لقد شجّعتُ الناس على زراعة طريق من الاعتقاد يتغلّب على الاعتقاد المشروط في حدودهم.

لقد شعرتُ دائماً أنّ يداً كبرى من القدر وضعتني في ذلك الصفّ في عام 1968. بينما أنا جالس هنا أكتب اليوم، وقد مضى أكثر من أربعين سنة منذ ذلك الشرح في بداية سنوات دراستي في الدكتوراه، لديّ صورة واضحة عن كلّ الذي اتّضح في ذلك اليوم، وكأنه حدث فقط هذا الصباح. لقد كان ذلك تغيّر الحياة من أجلي لأنني عرفتُ أنني أستطيع أن أُنشيء أثر «فقاعة الحرق» في دماغي الخاص. لم أكن أعرف عندما مشيتُ نحو ذلك الصفّ في ذلك اليوم أنّه سيُزودني بصورة ستُؤثر في حياتي مهنياً وشخصياً من الآن فصاعداً.

كانت هذه الصورة قوية جداً بحيث أنها تركت أثراً عليّ، بحيث تربى كلّ أطفالي

على أن يكون لديهم تفكير مفتوح على جميع الإمكانيات، وكذلك كلّ طلابي العديدين وملايين القراء بسبع وأربعين لغة حول العالم. لقد بدا أنّ ذلك الصفّ قد أثار تموجات نحو اللانهاية، وأثر في عدد غير محدود من الناس كي يثقوا في أنفسهم وقوّة تفكيرهم على جعل أيّ شيء يحدث.

فكّرتُ في ذلك الوقت أنه لو وصلَت مجموعة كافية من الناس إلى إمكانية التفكير غير المحدودة، فإنّ مسار سلوك البشرية بأكمله سيتغيّر نحو الأفضل. لم لا؟ يبدو أنّ عقلنا غير المرئي يُؤثر في كلّ شيء في العالم المادي، ولذلك لماذا لا نحلم حلماً كبيراً ونعمل نحو عالم تملؤه أعداد هائلة من الناس الذين يُفكّرون بحقّ ويتصرّفون بهذه الطريقة الجديدة؟. أعلم أنّ هذا الأمر يبدو مُبالغاً فيه قليلاً، ولكنّ هذا ما كان يدور في خلدي في ذاك اليوم عندما غادرتُ الصفّ وتغيّرتُ كطالب دكتوراه وشاب مثالي.

نعم، أرى بوضوح من هذه النقطة المُفيدة أنّ الجسد هو خادم الدماغ. لقد سمعتُ وقرأتُ عن ذلك، وأبديتُ قليلاً من الاهتمام بهذه الفكرة الهائلة، حتّى اختبرتُها حقيقة أمامي. حتّى الأحداث في حياتنا التي تبدو عادية، إذا كنّا قادرين عى أن نُوجّه الاهتمام ونتعجّب، يُمكن أن تُوثر على حياتنا وحياة الآخرين. إنّ حدث الفقاعة من أثر الحرق والممحاة كان تجربة هائلة أثرت في كلّ ما كنتُ سأحدّثه في السنين القادمة.

لقد بدأتُ من هذا اليوم فصاعداً أُصبح أكثر وعياً بكيفية استخدام أفكاري، لأنني شهدتُ مُباشرة قوّة الفكرة في خلق أثر مادي. لم أستطع إخراج الفكرة من دماغي أنّ كلّ فكرة لديّ تحتوي نوعاً من فرصة التغيير الهائلة. أتذكّر أنني مشيتُ إلى سيارتي بعد ذلك الدرس، مُفكّراً أنني يوماً ما سأكتبُ كتاباً كاملاً عن هذه المادة. لم اعرف حينها أنّ الإثبات الذي حصلتُ عليه كان طرفاً سيُطلقني كي أكتب مكتبة صغيرة عن قوّة أدمغتنا وتفكيرنا المذهلة. إنّ صورة المرأة في الصفّ لم تتركني أبداً، وما زالت تقريباً نصفَ قرن من الزمن تتلألأ على شاشتي الداخلية.



- بعد أن أتممتُ درجة الدكتوراه، توظّفتُ كمُستشار توجيهي في ثانوية «ميرسي» في «فارمينغتون»، «ميشيغان». كنتُ أحبُّ هذه المدرسة حيث كانت هنالك ألف فتاة مُسجّلين في الكلية التحضيرية للمناهج التعليمية التي تُديرها الأخوات الراهبات في «ميرسي». لقد أحببتُ عملي وهو التزويد بخدمات الإرشاد والمشورة لحوالي ثلاثمئة طالبة من الصفّ التاسع حتى الصفّ الثاني عشر.

إنه يوم الأربعاء بعد عيد العمال من عام 1968. تحدّثتُ في قاعة الاحتفالات ليلة أمس إلى الآباء وقدّمتُ خطط المدرسة للسنة الدراسية. إنّ فرصة أن أُقدّم خطاباً وأُمتّع الحضور في أمسية مُقنعة جعلني أشعر بالتحليق.

أخبرتني «نانسي آرمسترونغ»، احدى طالباتي: «لقد سمعَتك أُمّي تتحدّث ليلة الأمس، وأرادَت مني أن أُعطيك هذا الكتاب كهدية تقدير، ووصتني أن أقول لك إنها أحبّت خطابك إلى الآباء». شرحَت «نانسي» أنّ أمها عضوة في نادي كتاب الشهر، وقد تلقّت هذا المُجلد الضخم كهدية بعد شرائها عدداً مُحدداً من الكتب. لا تعتقد السيدة «آرمسترونغ» أنها ستقرأه أبداً، وبسبب مضمون حديثي في الليلة السابقة، كانت مُتأكّدة أنني سأستمتع باقتنائه في مكتبتي الخاصة.

كان عنوان الكتاب **The World of Psychology volumez** «**عالم علم النفس**»، **المُجلد الثاني، الهوية والدوافع**، من تحرير «ج. ب. ليفيتاس»، من منشورات «جورج برازيللر» في عام 1963. إنه مُلخص احدى وأربعين مقالة كُتبت من مجموعة مُتنوّعة من

المؤلفين، من ضمنهم «أفلاطون»، «ويليام باتلر ييتس»، «فريدريك نيتشه»، «ألدوس هكسلي»، «مارغريت ميد»، «كارل يونغ» والعديد من المُساهمين البارزين. كان المزيج مُمتعاً: شعراء، علماء نفس، أعلام من الأدب، وفلاسفة. إنه يصبّ تماماً في مساري، حيث كنتُ مُستمتعاً بقراءة الشعر، المقالات، التعليقات وما شابه ذلك، في طريق الهواية التي مارستها في العديد من أشكال الكتابة منذ كنتُ طفلاً.

اتصلتُ بالسيدة «آرمسترونغ» وشكرتُها على هديتها المدروسة. ثمّ أدركتُ أنه لديّ أربع ساعات حرة قبل أن أحتاج كي أكون في حرم جامعة «واين ستيت»، كي ألتقي مع المُستشارة من أجل رسالتي في الدكتوراه، د. «ميلدريد» «ميلي» بيترز، من أجل مُناقشة خطتي من أجل العمل في السنتين ونصف المُتبقيتين من دراسات الدكتوراه. لقد قررتُ للتوّ الاتجاه الذي أُريد أن أسلكه. أحتاج ببساطة أن تُوافق د. «بيترز» على خطتي، والتي تُحدد كلّ عمل الصفّ القادم، تدريبي العملي، مُتطلبات فترة التدريب، موضوعي في أطروحة الدكتوراه. أنا مُهتمّ بطريقة علاج «كارل روجرز» المُعتمدة على العميل، وكذلك بعمل «ب. إف. سكينر» المُتركّز على السلوك، وقد قررتُ مُتابعة مجالات البحث التي ترتكز على طريقتيهما.

التقطتُ المجلد الذي أعطتني إياه «نانسي» هذا الصباح، وقلبت على الجزء السابع وكان عنوانه «الرجل الكامل»، ورأيتُ أنّ هناك اقتراحات مُقدمة من «جون ستيوارت ميل»، «رالف والدو إميرسون»، «روبرت براونينع»، «س. إ. مونتاغيو»، ولكنّ أحد المقالات لفت نظري بصورة خاصة عن «الأشخاص المحققون لذواتهم»، تأليف «أبراهام ماسلو». غرقتُ في هذه المقالة لسبب غير مفهوم، وهي عبارة عن ثمان وعشرين صفحة، وتتطلّب ساعتين من الوقت من أجل قراءتها بعُمق. أطفأتُ الهاتف بعد قراري أنه يجب عليّ قراءتها قبل اجتماعي في السابعة مساءً مع د. «بيترز». بعد أن قرأتُها، حصلتُ على أغرب إحساس بأنّ حياتي على وشك الانتقال عبر تحوّل جذري.

تصف المقالة أشخاصاً يُسمّيهم د. «ماسلو»: «المُحققون لذواتهم». وقد عرّف هؤلاء الأشخاص النادرين والمُتفردين بهذه الطريقة:

ما يستطيع الإنسان أن يكون عليه، يجب أن يكون عليه. هذه الحالة التي قد ندعوها التحقيق الذاتي، تُشير إلى الرغبة بالرضا الذاتي، أي النزعة من أجل أن يُصبح مُتحققاً في مقدراته الكامنة.

وصف «ماسلو» النداء الداخلي الفطري لهذا النوع من الناس كي يُصبحوا كلّ شيء يقدرون أن يكونوا عليه، وكم هو صعب بل مُستحيل بالنسبة إليهم أن يكبحوا هذه الرحلة. عندما تابعتُ القراءة، وصف الكاتب على نحو مُفصّل الصفات المُحددة لمُحققي الذات المُختلفون على نحو كبير عن الناس العاديين. اقترح «ماسلو» أنهم غالباً مُصنفون كأنانيين أو غير تقليديين، أو كما بدا لي، أنّ أفعالهم وشخصياتهم يجب أن تكون سامية وممدوحة بدلاً عن كونها مقموعة أو مُحبطة.

لاحظ «ماسلو» أنّ الشخص المُحقق ذاتياً لديه رغبة قوية في الخصوصية، يكتسب المُقاومة بشدة، ولكن لديه دائماً عذوبة في التقدير، ولديه رغبة عبقرية في مُساعدة الجنس البشري. مع ذلك، «عندما يصل الأمر إلى حدوده، بطرق أساسية مُعينة يُصبح مثل الغريب في أرض غريبة. هناك أناس قليلون جداً يفهمونه حقيقة، ومع ذلك فإنّ الكثير قد يُحبّونه».

أنا مفتون بتسليط الضوء على المادة كلّها تقريباً. أشعر وكأنني أقرأ عن الصفات التي شعرتُ بها دائماً داخل نفسي، والتي غالباً ما كانوا ينتقدونني عليها. أنا مفتونٌ جداً بما أقرأه وأشعر كأنني وسط تجربة صوفية مُحيطية. إنه هو. هذا هو الاتجاه الذي أُريد أن تأخذه دراساتي المُتقدمة.

عندما قرأتُ الخاتمة عرفتُ أنني أيضاً يجب أن أكون ما أستطيع أن أكونه، وأتعجّب من تزامن تلقّي هذه الهدية قبل إنهاء خططي مع مُستشارتي في الدكتوراه. أيضاً وعلى مُستوى آخر أعرف أنّ إحضار «نانسي» لهذا الكتاب من أمّها مُرتبط بعض الشيء مع حاجتي إلى قراءة هذه المقالة اليوم. أعدتُ قراءة خاتمة د. «ماسلو» مرة بعد مرة، وأعرف أنني لا أُريد بعد الآن أن أُركّز على ما كنتُ مُتأكّداً منه قبل قراءة هذا المقال. أنا مُتأكّد قطعاً ما أُريد دراسته الآن.

أخذتُ نسخة من آخر مقطع من أجل اجتماعي مع د. «بيترز».

في هذه المقالة، كما في طرق أخرى، يكون الناس الأصحاء مُختلفون تماماً عن الناس العاديين، ليس فقط في الدرجة العلمية، ولكن في النوع كذلك، وهما يخلقان نوعين مُختلفين من النفسيات. لقد أصبح واضحاً أكثر فأكثر أنّ دراسة الأشخاص المُقعدين، الضعفاء، غير الناضجين، المُعتلين يُمكن أن يُنتج فقط علم نفس وفلسفة مُقعدة، وأنّ دراسة الأشخاص المُحققين ذاتياً يجب أن تكون أساس علم نفس أكثر عالمية.

إنّ قلبي يخفق بشدة: أشعر وكأنني على وشك دخول طور جديد في حياتي. أريتُ د. «بيترز» خطتي في العمل وكانت كلّها مطبوعة وجاهزة للتوقيع منها، ثمّ أخبرتُها عمّا قرأتُه للتوّ. أنا مدفوع بحماسة من فكرة التركيز على الأشخاص الأعلى أداءً، ورسمتُ استنتاجات عمّن سنكون عليه، ليس اعتماداً على الأشخاص العاديين، بل على الأشخاص الفائقين المُحققَين ذاتياً.

أُريد أن أكتب عمّا فهمته للتوّ. أنا أرى العديد من سمات شخصيتي غير العادية والميول في وصف «ماسلو» عن الأشخاص المُحققين ذاتياً. لقد كنتُ دائماً مُستقلاً عن الآراء الجيدة للآخرين، وتبعتُ ميولي، وكنتُ خارج الصندوق بتفكيري حسبما أتذكّر. أنا أُحبُّ فكرة الحصول على معايير عالية والتي لا تستند على ما تُمليه التربية، بل تستند على ما أشعر في داخل نفسي أنّه مُمكن.

سألتُ د. «بيترز»، والتي كانت احدى أكثر الأشخاص تحقيقاً لذاتها ممّن سررتُ بمعرفتهم، فهي إمرأة حصلت على درجة الدكتوراه، بينما كان هنالك عدد قليل من النساء يُؤخذون لمثل هذه الحالة العلمية الرفيعة، لقد شجّعتني هذه المرأة دائماً كي أتبع مواهبي بغضّ النظر عمّا يُمليه النظام. سألتُها إن كنت أستطيع أن أُغيّر خطة العمل الموجودة على مكتبها، وأُتابع مجال التحقيق الذاتي في دراسات الدكتوراه خاصتي. أجابت من غير ارتباك: «نعم». مزّقنا الخطة القديمة، وبدأتُ فصلاً جديداً كُلياً في حياتي.

لقد كان عمال القدر يعملون وقتاً إضافياً في سبتمبر 1968. تحدّثتُ بهذا الحديث إلى الآباء لأنّ مُديرة المدرسة كانت تشعر بالمرض وطلبَت مني أن أحلّ محلها في آخر دقيقة. لو لم يحدث هذا، كانت حياتي بأكملها ستبدو على الأغلب مُختلفة كثيراً ممّا كانت انطلاقاً من هذه النقطة المُواتية وإلى خمسة عقود لاحقة.

عندما سلّمتني «نانسي» ذاك المُلخص عن تعاليم الأساتذة الروحيين العظماء، شعرتُ أنني مسحوب إليه بسبب غير مفهوم. عندما انتهَت المدرسة في حوالي الساعة الثانية، جلستُ على مكتبي أُفكّر ما إذا كنتُ سأتوجّه إلى الأسفل إلى مكتبة الجامعة، أو أُراجع خطة عمل الدكتوراه مرة أُخرى في مكتبي. لقد بدا ذاك الكتاب الأسود القابع على مكتبي وكأنّ لديه طاقة بكلّ ما فيه تحثني: خُذني واقرأني، لديّ شيء مُهمّ جداً أقوله لك. عندما صادفتُ مقالة د. «واسلو» عن الأشخاص المُحققين ذاتياً، تحدّثت إليّ كذلك: «اقرأني وافعل ذلك في الحال».

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ هذه الأنواع من النداءات المُتهوّرة تقريباً، كانت من عمل شيء أكبر من نفسي، شيء مُتصل به أنا بشغف. لقد أصبحتُ أثق في هذه الرسائل وفي التعاون المُتزامن مع القدر.

في الوقت الذي كان يحدث فيه كلّ ذلك مضيتُ ببساطة إلى ما أُقاد إليه دون إعطاء الأمر الكثير من التفكير. أنا واثق اليوم أنّ «نانسي آرمسترونغ» إلى حدّ ما، والدتها، مُديرة مدرستي، الشخص الذي قرر اهداء هذا الكتاب كجائزة، والكثيرين بطريقة غامضة تمتنع عن التعريف بالنسبة إلى فهمي العقلي، كانوا مُشاركين في جعلي أُشاهد طريقي. أنا أؤمن بذلك وأثق به، والآن من هذه النقطة أنا أكثر قدرة على أن ألتقط الرسالة بينما تحدث. لم يأخذ الأمر مني سنوات بعد هذا الأمر حتى حصلتُ على الرؤية بأنّ كلّ شخص وكلّ شيء مُتصل ببعضه البعض، ومتصل مع «التاو» أو العقل الكوني الواحد الذي تنشأ منه كلّ الأشياء وتعود إليه.

بعد ذلك الاجتماع القدري مع مُستشارتي الجميلة د. «بيترز»، كانت قد خلقت بالفعل منهاجاً جديداً كُلياً في برنامج الدكتوراه من أجل أن أستطيع إنجاز ما شعرتُ أنه يحترق بحرارة داخلي. لقد صممَتْ البرنامج الجديد من أجل العديد من طلاب الدكتوراه القادمين، وقد سجّل على الأقل اثنا عشر شخصاً فيه. كنتُ قادراً على أن أكون جزءاً من برنامج التدريب على الدكتوراه الذي ركّز على استخدام جلسات مُعالجة استشارية لمجموعات صغيرة من أجل تدريب الناس الذين كانوا يميلون في اتجاه احتضان مبادىء عمل «ماسلو» الرائد في التحقيق الذاتي. لم أعُد أُريد ببساطة

التماهي مع مُتطلبات درجة الدكتوراه، فلديّ تركيز ملأني بالشغف.

لقد أصبح «أبراهام ماسلو» رمزاً كبيراً في حياتي، وألهمني كي أنظر إلى علم النفس من منظور يختلف مئة وثمانين درجة. بدلاً من دراسة ما كان ضعيفاً، عاجزاً، أو محدوداً في العملاء، وصنع تخمين يعتمد على التغلّب على الأمراض، بدأتُ أنظر إلى الصفات الأعلى في التحقيق الذاتي وأشجّع العملاء «على نحو أساسي المُستمعين والقراء» على أن يطمحوا إلى عظمتهم الفطرية ويتوقوا إلى هذه الذرى. فكرتُ أنه لو كان البعض بيننا يستطيعون أن يُحققوا ذاتهم، عندها أستطيع أن أكون كذلك أنا وأيّ أحد آخر ممّن فهموا أنّ الأمر مُمكن. لقد أصبح هذا هو التركيز الجوهري في حياتي المهنية، والبوصلة التي ضبطتُها من أجلي كي أعيش المبادىء التي صوّرها «ماسلو» بدقة في كتابته.

لقد قضى د. «ماسلو» حياته يبحث عمّا يُشكّل الصحة الفكرية الإيجابية، بينما اهتمّ مُعظم ما جاء في علم النفس الذي درستُه قبل مدخلي إلى كتاباته بالشذوذ العقلي والمرض. في دراسات الدكتوراه خاصتي وفي كلّ كتاباتي تقريباً، أصبحَت فكرة تحقيق الذات وعلم النفس الإنسانية هي التركيز الأساس. لقد كان مُقدراً لي أن أنشر هذه الفكرة إلى كلّ شخص له القدرة على تنمية الروعة الخاصة به أو بها.

لقد شعرتُ طوال حياتي أنّ لديّ شيئاً فريداً داخلي، وعندما قرأتُ مقال «ماسلو» كنتُ أعرف أنني يجب أن أجعل هذا الأمر نقطة محورية لدراستي في الدكتوراه وما بعدها. أستطيع تذكّر إحساسي بالإلفة مع ما وصفه بخواص الأشخاص المُحققين لذواتهم. فيما بعد، عندما كنتُ أكتب «**السماء هي الحدّ**»، خصصتُ مقاطع بأكملها من أجل تعليم الأفكار التي كانت مُستوحاة من مُعلّمي الخاص الذي تحدّث إليّ من خلال مُحاضراته وخاصة كتاباته. لقد كتبتُ ما الذي تُريده حقّاً من أجل أطفالك؟ كدليل للآباء الذين يُريدون أن يزيدوا من عدد الأطفال المُحققين لذواتهم ويُصبحوا كباراً تُوجّههم الإنسانية. كلّ ذلك استند على ما علّمني إيّاه ذاك الرجل.

تُوفي د. «ماسلو» إثر نوبة قلبية في الثامن من حزيران 1970، وقد تلقيتُ درجتي النهائية في اليوم نفسه، وأصبحتُ منذ ذلك اليوم أُعرف بالدكتور «واين داير». كان ذلك وكأنه مرر عصا القيادة إليّ وقال: «لقد شرحتُ فكرة تحقيق الذات إلى العالم

الجامعي، خذ العصا الآن وعلّم هذه الفكرة إلى الجماهير».

لقد ألّفتُ الكثير من الكتب وأعطيتُ الآلاف من المُحاضرات فيما بعد، ولكني لا أزال أرى نفسي أتلقى من **عالم علم النفس، المجلد الثاني** كتاب والدة «نانسي آرمسترونغ»، ثمّ أدع نفسي أتلقى الإرشاد من تلك القوى التي تعمل دائماً في كلّ جوانب حياتنا وفي كلّ الأوقات. لقد استمرّ هذا الكتاب كي يكون كنزاً قريباً على مكتبي بينما أجلس وأكتب بعد خمس وأربعين سنة.

هذه المجموعة من المُلاحظات العميقة التي قدّمها بعض العلماء الأكثر محبة وتبجيلاً عندي، ألهمتني كتابة نوع مشابه من الكتب أنتجتُه في التسعينيات سُمّي the Wisdom of ages «**حكمة العصور**». كتبتُ ستين مقالة تعتمد على اقتراحات ستين عالماً بارزاً خلال القرون الخمسة وعشرين الماضية، وعن كيف أنّ تعاليمهم تستطيع التأثير في القارىء حتى اليوم. لقد كان العديد من هؤلاء الناس الضليعين مُساهمين في الكتاب الذي تضمّن تلك المقالة عن تحقيق الذات لـ «أبراهام ماسلو». لقد أصبح كتاب «**حكمة العصور**» برنامجاً تلفزيونيا خاصاً عُرِض في كلّ مكان من البلاد في الوقت الرئيس سنين عديدة، وشُوهد من ملايين الناس. لقد حصل كلّ ذلك بسبب الأحداث التي حصلَت في مكتبي سابقاً في عام 1968.

من الواضح جداً لي اليوم أنّ كلّ شيء، وكلّ حدث، وكلّ شخص، مُتصل بطريقة لا يُمكن تفسيرها. بل لا يُوجد وقت، فعام 1968 وعام 2018 كلاهما واحد، على الرغم من أنّ تفكيرنا الجسدي يراهما مُنفصلين بفارق خمسين سنة. نحن جميعنا مُتصلون بكلّ شخص وكلّ شيء في الكون. ما أفعله يُؤثر في كلّ شخص، وكلّ أفكاري وأفعالي ليست مسموعة من «التاو» العظيم فقط، وإنّما تصنع تأثيراً مُستقلاً عن حدود الزمن. أنا لا أستطيع البدء بإعطاء شرح خطي أو كتابي عن كيف ولماذا حصلت الأحداث الموصوفة في هذا المقطع، بيد أنّي من هذه النقطة أستطيع أن أرى بوضوح أنها لم تكن فقط رحلة حياتي، ولكنها حياة الملايين من الناس الذين تأثروا بقراءتي لمقالة د. «ماسلو» بعد ظهر شهر أيلول.

اليوم، في أيّ وقت أشعر فيه أنني مُضطر إلى فعل شيء ما «شيء أختبره بشغف» فأنا

أعير ذلك كلّ الاهتمام. عندما أميّز أنه نداء من روحي، أعرف بالتأكيد أنه شيء يجب أن أفعله. إنه الإله يُناديني بطريقة فريدة وغامضة على نحو مُذهل. إنه ذاك النداء الذي انتبهتُ له والذي يدفعني كلّ يوم كي أكتب هذه المقالات القصيرة.

أنا مُتصل بك عزيزي القارئ، وعلى الرغم من أنّه قد لا يكون بيننا أيّ رابط مادي، إلا أنه هناك طاقة تتدفق بيننا. لا أحد بيننا يعلم ما التغيّر الذي قد يحصل من جراء هذه الطاقة، أو ما هو البُعد الذي سيصله مداها. أنا أعلم ذلك بالتأكيد كلما رأيتُ بوضوح أكثر فأكثر.

► ◄► ◄► ◄► ◄



- إنها السنة الأخيرة من دراسات الدكتوراه. من أجل التدريب العملي، أنا أقود طلاب دكتوراه مُبتدئين في مجموعة استشارية بينما أقوم في الوقت نفسه ببحث من أجل نشر أطروحة الدكتوراه خاصتي.

الدكتور «جون فريند»، عضو جديد نسبياً في هيئة التدريس في جامعة «واين ستيت»، وهو أيضاً عضو في لجنة مُناقشة رسالتي للدكتوراه. لقد حصل د. «جون فريند» على درجة الدكتوراه في جامعة «نيويورك»، حيث كان مُشاركاً في منهج للمشورة والعلاج سُمّي **«العلاج العقلي الانفعالي»** المُدرّس من قِبل «ألبرت إليس»، الذي كتب العديد من الكتب، وقاد ورش عمل وتدريب في معهد «ألبرت إليس» في الشارع الشرقي 65 في مدينة «نيويورك».

سلّمني د. «جون» كتاباً وقال: «أُريدك أن تقرأ هذا الكتاب ببطء وإمعان شديد، لأنّه سيُبدّل آراءك عن كيفية مُساعدة الناس بطريقة مُستنيرة وجديدة». كان الكتاب الذي أعطاني إياه د. «جون» هو Guide to Rakonal living **«الدليل إلى العيش العقلي»**، واحد من أكثر من خمس وسبعين كتاباً ألّفه د. «إليس» للعموم.

شعرتُ وأنا أقرأ الكتاب الصغير وكأنه يتحدّث إليّ، وكأنه لا شيء آخر في تدريبي وعملي الدراسي، لإذ يُوضح كيفية قراءة الشخصية في مُصطلحات كيف تُساعد العملاء في تحقيق ذاتهم العليا. إنها الذات نفسها التي كتب عنها د. «ماسلو» على نحو مُقنع ومُؤثر جداً. ما يجذبني أنّ د. «إليس» يأتي بالمواصفات من أجل تعليم الناس كيف

يُحققون قمة هرم «ماسلو» للاحتياجات: وهي التحقيق الذاتي.

إنّ جوهر العلاج العقلي الإنفعالي هو الفهم الأساسي بأنّ المُعتقدات غير الواقعية وغير العقلانية تُسبب مُعظم المشاكل العاطفية، وتكون مُهمّة المُعالج هي مُساعدة العميل كي يُكافح ويُغيّر المُعتقدات غير العقلانية، ويتحدّى التفكير المُنهزم ذاتياً، ويُروّج الحديث الذاتي العقلاني على نحو فعّال. إنّ جوهر المُعتقدات غير الواقعية التي يحملها مُعظم الناس من فترة الطفولة إلى سنّ البلوغ والتي تُسبب الاضطرابات العاطفية تتضمّن:

(1) يجب أن أُؤدّي على نحو جيد كي أكون مقبولاً من قِبل أيّ أشخاص آخرين مُهمين في حياتي (2) يجب أن أُعامل بإنصاف، وإلا فإنّها مُصيبة ولن استطيع تحمّلها ببساطة (3) يجب أن تتماشى الظروف معي، وإلا فإنّ ذلك سيكون مُروعاً وسأكون بائساً وغير قادر على تحمّل ذلك.

أنا ألتهم هذا الكتاب وموضوعه الرئيس: نحن مسؤولون عن الطريقة التي نشعر بها، ولدينا في داخلنا القدرة على تغيير الطريقة التي نرى بها الأحداث في حياتنا. بلغة بسيطة منطقية يُقدّم د. «إليس» أدوات علاجية تُبرهن للعملاء والمُعالجين أنه ليس ضرورياً أن تكون مُضطرباً عاطفياً أو قلقاً. لقد أكّد على نحو مُتكرر أنّ الأفكار التالية: يجب أن أتعامل على نحو جيد، يجب عليك أن تُعاملني على نحو جيد، يجب أن يكون العالم كما أُريده أن يكون، هي أفكار عصابية جمعها تحت تصنيف «نزعة الوجوب».

أنا مأخوذ كُلياً بالبساطة والمنطق اللذين يُعلّمهما د. «إليس». أعدتُ تشغيل التسجيلات المُسجّلة له والتي يشرح فيها جلسات علاج الناس الذين يُعانون من كلّ أنواع الإضرابات العاطفية الخطيرة، وبدأتُ في استخدام هذه التقنيات مع العديد من عملائي في الجامعة وفي المدرسة الثانوية، وكانت النتائج مُذهلة.

لقد كنتُ أُحاول عمل مشورة تتضمّن مُعالجة تتمحور حول العميل، ونظرية تحليل نفسي إذ أكون مُستمعاً تأملياً على نحو أساسي. إلى الآن، كنتُ أشعر بالإحباط من أجل عملائي، ومن أجل نفسي أيضاً، ولكن حالما بدأتُ أكون تفاعلياً، وأقدّم البدائل إلى عملائي، حدثت تغيّرات إيجابية على الفور تقريباً.

أشعر أنني أكثر سعادة وأنني قادر على أن أُحدّث نفسي بالفعل بعيداً عن بعض نماذج التفكير الدائمة التي لا تخدمني. أخذتُ هذا الكتاب معي أينما ذهبتُ وقرأته مرات ومرات، ودرستُ فيه المنطق ورأيتُ أنّ مُعظم الاضطرابات العاطفية تحدث بسبب مجموعة من المُعتقدات الجنونية، والتي عندما تتغيّر ينتج عنها اختفاء حالة الاضطراب. أنا مأسور بكيفية نسج د. «إليس» لتعاليم د. «ماسلو» عن التحقيق الذاتي، مع «بوذا» و«لاو تزو» وكلّ الفلاسفة الشرقيين، و«أبكتيتوس» و«ماركوس أوريليوس» من العصور الرومانية القديمة. هذا الكتاب الصغير هو أكثر الكتب التي تفحصتُها تأثيراً وقوّة.

د. «فريند» الذي قدّم هذا الكتاب إليّ، لم يكن فقط عضواً في لجنة الدكتوراه، وعضو هيئة في دراساتي الاحترافية، بل أصبح صديقاً مُقرباً كذلك. إنه يُعطيني الدليل «بل أكثر من ذلك»، يُعطيني الإذن كي أدخل في جدالات لطيفة مع عملائي حول طبيعة ما يُزعجهم، وأُريهم دون خوف كيف أنّ تفكيرهم هو فعلاً السبب في اضطرابهم العاطفي. من أجل ذلك أنا أُخبرهم: «غيّروا تفكيركم، هاجموا المنطق الذي يدعم انزعاجكم المُستمر، غيّروا فلسفتكم على نحو أساسي، وسوف تُحسّنون كلّ شيء عن حياتكم. من خلال تغيير الطريقة التي تُعالجون بواسطتها أيّ حدث، بل كلّ الأحداث عندما تنهض في حياتكم، تستطيعون أن تعيشوا حياة سعيدة مُنجزة خالية من الاضطراب العاطفي».

أخذتُ مُلاحظات من هذه الطريقة الجديدة في مُساعدة الناس ومُساعدة نفسي، وجلبتُ هذا المنهج إلى تعليمي، مشورتي، جلسات تدريبي في الجامعة أثناء التدريب العملي، تشربته، عشتُ فيه. كتبتُ ملاحظات لنفسي عن كتاب أُحبُّ كتابته يوماً ما كتابته يجمع بين التحقيق الذاتي، ونظرية العلاج العقلي الانفعالي، والفلسفات الغربية والشرقية القديمة التي كنتُ أدرُسها قرابة عقد من الآن. أنا مُمتنّ كلّ يوم تجاه الدكتور «جون فريند»، الذي أحضر هذا الكتاب المُذهل إليّ، وأصرّ أن أقرأه ببطء وتمعّن.

أنا الآن واضح جداً في الطريق الذي سيأخذه مُستقبلي الاستشاري، تعليمي، وكذلك كتابتي، بل أكثر من ذلك، أنا مُتحمّس لأنه لديّ أداة جديدة من أجل حياتي الشخصية، فلن ألوم أبداً بعد الآن أيّ أحد عن أيّ اضطراب عاطفي أختبره. لقد غادر اللوم حياتي.

أنا أعلم أنني لو غيّرتُ الطريقة التي أُعالج بها أيّ حدث، وقد كانت لديّ هذه القوّة دائماً حتى عندما كنتُ طفلاً صغيراً، عندها أستطيع تصحيح نفسي مُباشرة على الأغلب.

لقد وُضع كتاب «**الدليل إلى العيش العقلي**» بين يديّ للتوّ من قِبل رجل تحوّل من كونه مُعلّمي وزميلي إلى أعزّ أصدقائي، فهو الرجل الذي أُرسل إليّ على نحو دقيق في الوقت الصحيح من حياتي. بعد عدة سنين أخبرني «جون» أنه شعر بأنه مُجبر على نحو غير مفهوم على أن يُقدّمني إلى فكرة العلاج العقلي الانفعالي عندما كنت أحد طلابه في دراسات الدكتوراه. لقد كانت لديه رؤية أنها ستُؤثر في كتاباتي المُستقبلية عندما غادرتُ المنطقة المألوفة في جامعة «واين ستايت» وباشرتُ بتنفيذ ندائي الاحترافي الخاص.

لقد حملتُ اقتباس «آلبرت إليس» المُفضّل عن «ماركوس أوريليوس» في محفظتي سنوات عديدة، واستخدمتُ هذه الفكرة في كتاباتي وخطاباتي على مدى أربعين سنة: «إذا كنتَ حزيناً بسبب أيّ شيء خارجي، فإنّ الألم ليس بسبب هذا الشيء نفسه، ولكن بسبب تقييمك الشخصي له، وبهذا فإنّه لديك القوّة من أجل الإلغاء في أيّ وقت». هذا يُعتبر إلى حدّ بعيد مفارقة مع ما علمته المدارس السلوكية والتحليل النفسي، والتي قالت إنّ اضطراباتنا يُمكن اعادتها إلى عوامل عائلية وثقافية، ونحن غالباً عاجزون عن التغلّب على هذه التأثيرات الخارجية، ولذلك يجب علينا أن نتعلّم التعديل والعمل من خلال هذه الصدمات المُبكّرة.

لقد كنتُ غارقاً جداً في نوع التفكير الذي يقول إننا مسؤولون عن كيفية علاج الحدث الخارجي، إنه ماعرفتُه حدسياً سابقاً في المدرسة الابتدائية عندما جادلتُ أصدقائي بألا ينخدعوا بجهود الكبار من أجل السيطرة عليهم عاطفياً. لقد تمّ تعريفي الآن على طريقة ونظرية تفاعلية من أجل مُساعدة الآخرين كي يختاروا عظمتهم الخاصة. لديّ حالياً ثلاث مجموعات مُذهلة من الأفكار تنتشر داخلي: التعاليم الفلسفية العظيمة للشرق والغرب، مبدأ التحقيق الذاتي والعيش في مراحل رائعة وحقيقة خلق المُعجزات، نظرية ومنهجية لتأويل كل ذلك بطريقة عملية، من أجل أيّ شخص ومن أجل إحداث أيّ تغييرات مرغوبة والتغلّب على أيّ من «بل على كلّ» العقبات المُتأصلة.

بدأتُ أُفكّر بتأليف كتاب في المُستقبل يمزج كلّ هذه الطرائق ويكون جذاباً للجماهير. استطعتُ أن أرى أنّ هذا! كان أكثر من مُجرّد The Power of Positive Thinking «**قوّة التفكير الإيجابي**» لـ«نورمان فينسينت بيل» الذي قرأتُه للتوّ. لقد شعرتُ أنني امتلكتُ طريقة في تقديم الأفكار المنطقية بحيث يستطيع أيّ شخص راغب استعمالها في تغيير السلوكيات الانهزامية لديه والعيش انطلاقاً من عظمته الخاصة. إنّه يحتاج فقط أن يرغب بتغيير الطريقة التي يُفكّر بها، ويتصوّر نفسه قادرٌ على تفعيل عظمته.

عندما أنظرُ إلى الوراء إلى الأشخاص والأحداث المُساهمة في تشكيل تفكيري، يبرز شخصان: أولهما «أبراهام ماسلو» وفكرته الجوهرية أنّ هنالك أشخاص بيننا يصلون إلى حالات سامية من الوعي ويعيشون حياة مُمتعة تُؤثر في العالم الذي يعيشون فيه والأشخاص حولهم. عندما قرأتُ «ماسلو»، أردتُ أن أكون أحد تلك الأرواح الجليلة التي سمّاها المُحققة ذاتياً. مع ذلك، آمن «ماسلو» كنتيجة لبحثه أنّ هذا الوضع السامي في أعلى هرم الاحتياجات كان محصوراً على قلة مُختارة. لقد أغلقت نظرية العلاج العقلي الانفعالي لـ«آلبرت إليس» الفجوة الموجودة في وعيي حول مَن يستطيع أن يُصبح مُحققاً ذاتياً.

بعد قراءة ودراسة «**الدليل إلى العيش العقلي**»، كنتُ مُقتنعاً أنّ هذا النداء النبيل مُتوفّر للجميع. لقد أصبح واضحاً على نحو مُتزايد بالنسبة إليّ أننا ببساطة نحتاج أن نخرج فقط من طريقتنا الخاصة، ونتغلّب على الظروف التي أصبحنا مُعتادين أن نُؤمن أنها تتحكّم بكيف تُصبح حياتنا كما من المُفترض أن تكون. عندها بإمكاننا إعادة برمجة مبادئ أنفسنا والعيش من وجهة نظر جديدة. حالما نقضي على الأفكار الخاطئة، من المُمتع أن نبدأ باختيار عظمتنا الخاصة وهي حقنا المُتأصّل منذ الولادة إذا رغبنا في ذلك. أنظر إلى الخلف بامتنان عميق واحترام تجاه كلّ ما تعلمتُه من عمل د. «إليس»، بينما كنتُ على وشك إطلاق نفسي إلى عالم النشر والخطابة.

على الرغم من أنني لم أضاهي نمطه العلاجي القاسي والصريح غالباً، إلا أنني كنتُ مُتأثراً بفخر بمنطق د. «إليس» وكلّ ما امتلكه كي يُعلّمنا تجاوز العقبات العاطفية إلى

حياة تحقيق الذات. كنتُ أشعر أنّ ملاكاً حارساً همس في أذن «جون فريند» كي يضع ذاك الكتاب مُغيّر الحياة بين يديّ منذ خمس وأربعين سنة. منذ ذلك الوقت لم آخذ أبداً باستخفاف أيّ كتاب بدا وكأنه يظهر في حياتي، خاصة إذا شعرتُ بنوع من الطاقة الخاصة المُرتبطة بالكتاب في ذلك الوقت.

يعمل الإله بطرق خفية غير منظورة، وما يبدو أشبه بحدث غير هام، يُمكن أن يكون قوّة دفع إلى تحوّل هائل نتيجة لما يظهر على أنه فعل غير منطقي للعطاء. من هذه النقطة الهامة، أستطيع أن أرى أنّ هدية «جون» لي كانت احدى تلك اللحظات السّحرية التي غيّرت الحياة.

• •• •• •• •



- أنا في الربع الجامعي النهائي من دراساتي للدكتوراه في عام 1970. أنا على لائحة إكمال كلّ المُتطلبات الكثيرة لدرجة الدكتوراه. لقد اكتملت أطروحتي تقريباً، وسأقوم بمُناقشتها في حزيران بعد حوالي تسعين يوماً تقريباً من الآن.

أنا في دورة مُتقدمة عن تشخيص ومُراجعة الحالات المرضية، وهي مادة مطلوبة من أجل إكمال درجة الدكتوراه. هناك ستة طلاب في هذه الدورة يلتقون كلّ مساء خميس من السابعة إلى العاشرة. أستاذنا هو الرجل الأكثر شهرة في حرم الجامعة، وإنه لشرف حقيقة أن أكون جالساً معه. لقد أخذتُ مُقررين دراسيين معه سابقاً ووجدتُه أكثر الأساتذة البارزين في سنواتي الثمان السابقة في تعليمي العالي.

أنا أعتبر نفسي محظوظاً في هذه الدورة، لأنها الدورة الأكثر طلباً في الجامعة، ويكون الدخول إليها بالقرعة لأنه هنالك العديد من مئات الطلبات وهي دورة تُقدّم مرة واحدة في السنة. أنا مُتأكّد تقريباً أنّ مستشارتي د. «ميلدريد بيترز»، صديقة هذا الأستاذ المُقربة، قد فعلت شيئاً في الحقيقة كي أكون رابح القرعة المحظوظ.

نُقدّم كلّ أسبوع حالات دراسة إلى الناس في الدورة الجالسين حول طاولة كبيرة. يُقدّم الطلاب أفكارهم وتخميناتهم التشخيصية، ثمّ يُعطي الأستاذ بعد ذلك تقييمه. كنا نأخذ جميعنا المُلاحظات بنشاط بينما يتحدّث الأستاذ، وكنا في هيبة من هذا الرجل ذي الشهرة العالمية بسبب معرفته الواسعة وذكائه التشخيصي.

كان الرجل «بأحرف كبيرة» الذي يُدرّس هذه الدورة هو الدكتور «فريتز ريدل»،

والذي يُعرف بلقب «أبو التثقيف النفسي الحديث». لقد أصدر العديد من الكتب، أكثرها شهرة هي مجموعة **«الأطفال الذين يكرهون»** وكتاب **«الضوابط من الداخل»**.

ولد د. ريدل في «كلاوس»، «النمسا» في عام 1902 وحصل على درجة الدكتوراه في جامعة «فيينا»، ودرس مع «آنا فرويد» و«أوغست إيكورن»، وقد ترك «النمسا» في أواخر الثلاثينيات بسبب الاحتلال النازي وطريقة تعاملهم مع الطلاب عندما احتلّوا البلاد. إنّه يُعرف أيضاً بعمله مع الصبية الجانحين وبتعليمه أنّ الحبّ والعاطفة هما مُتطلبان أساسيان في علاقة المُعالج مع المريض. تحقيقاً لتلك الغاية، أخذنَا كي نزور منزلاً رائداً وجده في «ديترويت» كمركز مُعالجة سكني للصبية الصغار التائهين نفسياً واجتماعياً.

لقد كبرتُ كي أُحبّ هذا الرجل بطرق عديدة. إنه ينضح عاطفةً، ودائماً يُقدم المُتعة ويستخدم المزاح في عروضه التقديمية. لقد استبدّت بي كتابته وأشعر أنّ لديّ علاقة مُميزة جداً معه. لقد أخذني تحت جناحه، وكان يزورني على نحو مُتكرر كي نلتقي بمُفردنا معه ونناقش بعض القضايا التي أُقدّمها في الدورة.

هنا في هذه الدورة الأسبوعية، تظهر العبقرية الحقيقية لهذا الرجل مساء كلّ يوم خميس. أنا كذلك أُحبُّ وقتي مع هذا الأستاذ العظيم الذي جلب بصيرة مُذهلة لكلّ حالة دراسة قدمناها في الدورة. كان يتحدّث مع الاشارة إلى عمل «أبراهام ماسلو» ويُشجّعني كي أُفكّر بكلّ شخص بمُفرده على أنه كائن إلهي قادر على تحقيق الذات لو تمّت مُعاملته بالحبّ والعاطفة، حتى ولو لم يكن يستحقّ ذلك. خلال الفصل بأكمله، أكّد د. «فريتز ريدل» على هذا الأمر على نحو مُتكرر: **حتى ولو لم يكن يستحقّ ذلك.**

د. «ريدل» رجل لا يُمكن التنبوء به، معروف جيداً بحسّه الفكاهي غير العادي. لقد كانت صفوفه ودوراته مرحة دائماً ومُمتعة ويغلب عليها الالتزام بالحبّ والعاطفة أيضاً كعنصرين أساسيين من العلاقة العلاجية.

في منتصف الربع الجامعي، وجدنا هذه الكلمات مكتوبة على السبورة:

هذا امتحانك النصفي. لديك ثلاثين دقيقة كي تكتب إجاباتك التي ستُحدد إن كنت ستبقى في هذه الدورة المُتقدمة.

نظر إلينا نحن الستة، وكنا جميعنا جالسين هناك مع كتبنا الزرقاء المفتوحة، جاهزين بإخلاص من أجل الكتابة في مُدّة ثلاثين دقيقة، وقد سلّمنا مقطعاً يقول:

وصل رجل مُحقق لذاته إلى حفلة عشاء يرتدي فيها كلّ شخص الزيّ الرسمي: فساتين السهرة، البذلات الرسمية وأربطة العنق، يلبس الرجل سروالاً، حذاء تنس، كنزة بأكمام قصيرة، قبعة بيسبول. ماذا يفعل؟

نظر إلينا د. «ريدل»، وأخبرنا أنه سيعود خلال ثلاثين دقيقة، وغادر الغرفة فجأة.

نظرنا كلنا الستة إلى بعضنا نظرات فضولية، وبدأنا الكتابة بنظرات مُتحيرة على وجوهنا. بعد ثلاثين دقيقة بالضبط، عاد مُعلّمنا إلى الغرفة وطلب من كلّ شخص أن يقرأ بصوت مُرتفع ما كتبه. جميعنا قلنا الشيء نفسه إلى حدّ كبير، مُحاولين أن نبدو علميين ونسترجع ما تعلّمناه عن هذه فكرة التحقيق الذاتي: لن يُحمّل الأمر أكثر مما يحتمل، ولن يُعبّر عن نفسه، بل سيتصرف ببساطة وكأنه لا شيء يُضايقه. سينشغل بالمُحادثة وسيكون نفسه على الرغم من أنه ليس مُرتدياً مثل أيّ شخص آخر. لن يحكم على الحالة أو يشعر بالارتياح منها، لأنه لا يحكم على الآخرين أو على نفسه بالمظاهر. **لن يكون مُضايقاً من أنه مُختلف حقيقة، لن يعتذر أو يُبرر نفسه.** كلّ كتبنا الزرقاء نقلت إلى حدّ كبير هذه الأنواع من الاستجابات لسؤال الامتحان النصفي.

بعد أن استمع د. «ريدل» إلى كلّ واحد منا، التقط حقيبته الجلدية وضربها بعنف على طاولة الدورة بسُخط مُتكلّف وعصبية من إجاباتنا: «لقد رسبتم جميعكم في هذه المادة. لم تتعلموا أيّ شيء. كلّ ما كان عليكم فعله هو أن تكتبوا ثلاث كلمات على أوراقكم»، ثمّ أخذ طبشورته بيده، واستدار إلى السبورة، وكتب بحروف كبيرة: هو لن يُلاحظ. ثمّ ترك الغرفة خمس دقائق بينما جلسنا نبتسم بخجل ونُحدّق في بعضنا البعض.

عاد د. «ريدل» إلى الغرفة وجلس وأعلن أنه ليس هناك امتحان نصفي حقيقة في هذه الدورة!. أمضينا الساعتين التاليتين بمُناقشة الفارق الهائل الموجود بين الأشخاص الذين يُصنفون كأناس عاديين وأولئك المُحققين لذواتهم.

لقد كان الأمر جيداً أكثر من أربعين سنة منذ أن أخذتُ هذه الدورة، ولم أنسَ أبداً

الدرس في تلك الكلمات الثلاث التي كتبها د. «فريتز ريدل» على السبورة مساء يوم الخميس ذاك: هو لن يُلاحظ. لقد التصقَت تلك الكلمات وأثرت بي بعدة طرق، وتوغّلَت فيّ مع مرور الوقت، وبعد كلّ تلك السنين أستطيع أن أرى بوضوح الآن كيف اخترقَت كتابتي، تعليمي، وروحي أيضاً.

يرى الناس المُحققون لذواتهم تجلي الإله في كلّ شخص يلتقون به، ويذهبون إلى ما وراء المظاهر. إنهم أصدقاء مع أيّ وكلّ شخص بغضّ النظر عن الطبقة، الثقافة، المُعتقد السياسي، العرق، الانتماء الديني. كما أشار «ماسلو»: «في واقع الأمر، يبدو دائماً وكأنهم غير واعين لهذه الاختلافات التي تبدو بالنسبة إلى الشخص العادي واضحة جداً ومُهمّة».

عندما غادرتُ الجامعة وكنتُ أقود إلى المنزل في تلك الليلة، أخذتُ عهداً على نفسي أنّ هذا سيكون طريقي في الحياة. سأفعل كلّ ما أستطيعه كي أُلغي أيّ أحكام أسستُها على المظاهر. أكّد د. «ريدل» دائماً على ضرورة الاتصاف بالحبّ، القبول، المودة تجاه الجميع، في العلاقات العلاجية وفي حياتنا الخاصة. لقد اعتاد أن يقول لنا أنّ المُعالجة هي إمّا إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، ولو كنا نُحاول المُساعدة ونحن في مستويات روحية أدنى من عملائنا، فلن نكون فقط غير قادرين على مُساعدتهم، بل سيتركون جلسات الاستشارة في حال أسوء ممّا كانوا سابقاً.

بعد تلك التجربة لما سميتُه «امتحاني النصفي الزائف» أدركتُ أنني تعلمتُ من هذا التدريب الصغير أكثر ممّا قد أتعلمه من قراءتي أو بحثي. كانت هذه لحظة توقيع بالنسبة إليّ، أو ما قد سمّاه «فريتز»: «تجربة الذروة». في المدرسة الثانوية حيث كنتُ مُوظفاً، كان لي الفخر بأن أكون عضو هيئة التدريس الوحيد الذي لم يكن لديه أيّ أحكام تجاه أيّ من الطلاب. لقد كان المهووسون، المُشاغبون، الهمجيون مُرحبٌ بهم في مكتبي مثل الطلاب الذين يبدون كالنجوم اللامعة التي يُغلّف منظرها ورائحتها وأداؤها هالة من التميّز الوردي. لقد توقّفتُ عن مُلاحظة أيّ اختلافات بينهم، وبقي الشيء ذاته حقيقة في جميع تفاعلاتي. لقد زهوتُ دائماً بنفسي لأنني أتجنّب إصدار الأحكام ولأنني مُتحرر من التحيّز، ولكنني أُدرك الآن أنني كنتُ ألاحظ المظاهر على نحو كبير.

من خلال سنواتي الجامعية واجهتُ الكثير من سلوك تفحص الحركات على جزء من الكلية وزملائي الطلاب وكان حافزي أن أكون مُختلفاً، وبطريقة ما كنتُ أعرّف الأمر على أنني أفضل. لقد كانت مُقابلة «فريتز ريدل»، هذا النجم الروحاني العالمي من «النمسا»، نوعاً من تجربة الذروة بطريقة مُعاكسة. كنت مُتيماً بحضور حقيقية هذا الرجل، وأحببتُ مُحاضراته كثيراً، حتى أنني حضرتُها في الحقيقة عندما لم أكن مُسجّلاً في تلك الصفوف. كنتُ أتعلّم منه من تواجدي في حضوره فقط، فطاقته العالية كانت مُؤثرة جداً. لقد جعلني أُريد أن أكون مُعالجاً أفضل، ومُعلّماً أفضل، والأكثر أهمية، إنساناً أفضل. لقد كان ذاك الرجل الذي يهتمّ بالناس، وخاصة المظلومين. لقد أمضى مُعظم وقته في الوصول إلى المُحتاجين وإلى أولئك الذين وُصفوا بالجانحين.

لقد كانت دروس د. «فريتز ريدل» واضحة من خلال كلّ كتاباتي، وبعد سنة من عام 1971، مع إصدار كتابي التدريسي الأول. لقد كان بارعاً سواء كان الأمر أمام مجموعة من ألف طالب في قاعة مُحاضراته الكبيرة، أو مع مجموعة من ستة طلاب دكتوراه، أو حتى خلال مُحادثة خاصة في مكتبه. لقد أحبّ عمله، وأحبّ موضوعه، وأحبّ بحق أولئك الذين كان يرى أكثر من أمرين سلبيين عندهم.

لقد رأى حقيقة العظمة الكامنة في كلّ شخص، وكان دائماً بعيداً عن الخارج، يُمعن النظر في ذلك الفضاء الداخلي حيث تقوم الروح بالعمل. لقد كان عملاقاً من الإنسانية، ورجلٌ أردتُ مُحاكاته بطرق كثيرة جداً. لقد علّمني أحد أعظم الدروس في حياتي: «أن أرى تجلّي الإله في كلّ شخص، وعندما يتعلّق الأمر بالمظاهر الخارجية، أن أكون مُعلّماً إنسانياً لا يُلاحظها حتّى».

أنا دائماً مُمتنّ كثيراً تجاه حضور هذا الرجل في حياتي، وتجاه الطريقة التي أرى فيها بوضوح أكبر وأكثر بسببه. فلترقد بسلام، يا مُعلّمي الحبيب.



- إنه عام 1971. لقد استمتعتُ طوال السنوات الأربع الماضية بالعمل كمُستشار في مدرسة ثانوية رائعة، حيث كنتُ أحياناً أقوم بدور المدير بالنيابة. كان مُرتبي مُرضياً، وكنتُ أستطيع أن أزيد دخلي عن طريق اعطاء برنامج المُرشد في التعليم في المساء وفي أيام العطل.

لقد أكملتُ جميع مُتطلبات درجة الدكتوراه، وكنتُ أستطيع أن أبقى بسهولة في «ديترويت» كي أُمارس المهنة بمُستقبل رائع. لو بقيتُ هنا كنتُ ترأستُ القسم الاستشاري في النهاية، وحصلتُ على عمل اضافي يعود عليّ بمردود أكبر من عملي بدوام كامل، وزادت السعادة بكوني أستاذاً مُساعداً في جامعة «واين ستيت»بدوام جزئي. كنتُ أُدرّس صفوف التخرّج من الجامعة مرة في الأسبوع، وكنتُ أُحبُّ شعور أنني البروفيسور «داير». لقد كنتُ منذ وقت قصير طالباً جامعياً جديداً، أطوف حول الحرم الجامعي مُحاولاً اكتشاف إجراءات التسجيل المُربكة في الجامعة التي تضمّ أكثر من خمس وأربعين ألف طالب، أما الآن فقد مُنحتُ درجة «البروفيسور»، مع كلّ المزايا المُرافقة لمنصب رفيع كهذا «كنتُ أشعر أنه رفيع بالنسبة إليّ على الأقل».

لقد درّستُ في جامعة «واين ستيت» بدوام جزئي في الأرباع الجامعية الأربعة الماضية، ولديّ علاقة جيدة مع رئيس القسم. كانت تقييماتي رائعة وتقدّمتُ إلى منصب بدوام كامل، ولكن لم يكن يُوجد شاغر في هذا الوقت. كنتُ أيضاً مُسجّلاً

على قائمة التعيين «حالما يُوجد شاغر» كأستاذ في جامعة كبيرة في «ويسكونسين». اتصل بي رجل نبيل اسمه «بوب دويل» كي يُخبرني: «لقد حصلتَ على عرض كي تشغل منصب تدريس بدوام كامل كأستاذ جامعي مُساعد في جامعة «سانت جون». هل ترغب بالانتقال إلى مدينة نيويورك؟». كنتُ أعرف بالتأكيد أنني أُريد أن أُدرّس في مُستوى كلية، الأمر الذي كان يعني أنني على أعتاب فرصة كبيرة، وقرار حياتي رئيس. لقد كان قبول هذا العرض من د. «دويل» رئيس قسم الاستشارة التعليمية في جامعة «سانت جون»، يُمثل إلى حدّ بعيد صراعاً بالنسبة إليّ.

لقد كانت «ديترويت» هي المكان الوحيد الذي عرفتُه في حياتي، ما عدا سنواتي الأربع التي قضيتُها أجوب العالم في البحرية. كانت «ديترويت» هي المكان الوحيد الذي أُسميّه وطناً. أنا مُتزوج ولدي ابنة عمرها أربع سنوات، ويعيش أخواي وأُمّي أيضاً هنا. لم تكن زوجتي مُتحمّسة بشأن اقتلاع نفسها من عائلتها والانتقال إلى مدينة بعيدة. كانت زوجتي تعمل مُساعدة طبيب أسنان، وتكسب مالاً جيداً، وكانت هي أيضاً تعرف «ديترويت» فقط كموطن لها على مدى احدى وثلاثين سنة من حياتها.

كنتُ أعلم أنني أُدعى إلى مرحلة جديدة في حياتي، والتي كنتُ أعمل في اتجاهها منذ قررتُ الدخول في الحياة الجامعية، ولكن كان هناك جزء مني يُريد البقاء، حيث أنا، كي أعمل في البيئة التي طالما كانت مألوفة بالنسبة إليّ. كنتُ أتصارع مع هذه المُعضلة كلّ يوم. كنتُ أعتبر انتقالي إلى مكان لا أعرف فيه أيّ أحد، مُقابل مرتب أقلّ بكثير ممّا أكسبه الآن من أجل مُتابعة حلمي، أمرٌ يعتبره كلّ شخص غيري خياراً أحمقاً. كنتُ مُرتبكاً ليلاً ونهاراً، وكان لديّ أيام قليلة فقط كي أُقرر وإلا فاتني العرض.

كان سوق العمل ضيق جداً في هذه المرحلة من الوقت، وكانت هنالك فرصٌ قليلة في الجامعات من أجل الأساتذة في أيّ مكان في البلاد. لم يكن هنالك أحدٌ يحصل على وظيفة، وها أنا لديّ عرضين في جعبتي بعد مُقابلة واحدة فقط مع كلا هاتين المدرستين الهامتين. كنتُ أشعر بالسعادة، ولكنني أعيش الصخب الداخلي كلّ يوم. كنتُ في حال فوضى بسبب ترددي وشكّي، وكان الشيء الأسهل فعله أن أُخبر نفسي: اِنسَ أمر تغير

الأماكن، فهو مُجهد جداً، بالإضافة إلى ذلك، لديك كلّ شيء يمشي في طريقه في «ديترويت»، فلماذا تُفسد كلّ هذا عن طريق اقتلاع نفسك وعائلتك كي تتبع حلماً هو ببساطة صعب التحقيق إلى حدّ كبير؟.

المُعضلة الثانية التي واجهتُها بشأن اختيار العرض التدريسي هي امتلاك الجرأة الكافية كي أُقرر في النهاية أنني سأرتحل بعائلتي، وأفعل هذا الشيء الذي يُسبب لي الكثير من الضغط. أنا مُعتاد جداً على الغرب الأوسط، ومدينة «ويسكونسن» أكثر قرباً إلى بلدتي من مدينة «نيويورك» البعيدة. عرضتُ مُعضلتي على مُديرتي في المدرسة الثانوية، فأضافت المزيد من القلق إلى الوضع من خلال عرضها أن تُقدّم لي زيادة كبيرة في الراتب لو فكرتُ في البقاء في منصبي الحالي. الآن عليّ أن أُقرر هل سأعمل كبروفيسور في الجامعة، وإلى أيّ مدينة سأذهب، أم يجب عليّ فقط أخذ تلك الزيادة الكبيرة في الراتب ونسيان أمر كلّ الحماقات الأُخرى كي أصل في النهاية إلى الاستقرار مرة وإلى الأبد؟ بدأ الوقت ينفد، ويجب عليّ أن أتخذ قراراً حتى يوم الغد.

ذهبتُ إلى غرفة شبه خصوصية في مكتبة الجامعة كنتُ أستخدمها يومياً تقريباً خلال سنوات دراساتي العليا، حيث أستطيع الدخول إلى مكان هادئ داخل نفسي والتأمل ساعة أو أكثر. عندما عدتُ فجأة إلى الوعي العادي، وجّهني صوت داخلي كي أعبر الشارع وأتحدّث مع الدكتورة «ميلدرد بيترز». لقد كانت معي كلّ الطريق خلال دراساتي الدكتوراه، وأعادت ترتيب منهج برنامج الدكتوراه من أجلي في السنوات الأربع الماضية، وكانت مثل الوالدة والدليل بالنسبة إليّ.

ذهبتُ كي أرى «ميلي» وأشرح لها ماذا يحدث. استمعَتْ إليّ بطريقتها الجميلة والحنونة وسألتني سؤالين حلاّ كلّ مُعضلتي حقيقة على الفور: «هل ستكون قادراً على العيش مع نفسك «واين» إذا لم تأخذ الخيار الذي يُمثل التحدّي الأكبر؟ إنّه الشي الذي تفعله دائماً، إنه نداؤك، لماذا أنت في حرب مع ذاتك العليا؟».

أنا أُدرك أنّ السبب الوحيد في مأزقي هو أنني سمحتُ للخوف أن يحتلّ عالمي الداخلي. لطالما عرفتُ في قلبي وأكّدتُ أنا مُعلّم. أنا أُحبُّ أن أكون أستاذاً جامعياً. لقد عرفتُ أنّ ذلك قدري منذ الوقت الذي ذهبتُ فيه إلى مُقابلتي الأولى مع «بوب دويل»

في المؤتمر الوطني لجمعية التوظيف والتوجيه الأمريكية في الربيع. لقد عرفتُ أنّ درجة التدريس الجامعي ستُعرض عليّ حتى قبل مُقابلتي، ولو كان عندي أيّ شك، فقد زال بعد لقائنا الأول معاً.

لقد كان الأمر محسوماً، بيد أنّي في تفكيري بدأتُ **بصنع مُصيبة** حول العواقب المُحتملة من تركي ما كان مألوفاً جداً بالنسبة إليّ. كتبتُ مقالة عمّا أسميتُه «الخوف من المجهول»، حيث كنتُ هنا الآن أعيش ذاك الخوف بدلاً من الثقة في الشعور المُحبب الذي اختبرتُه عندما تصورتُ نفسي أستاذاً جامعياً في مدينة «نيويورك».

عندما ذكّرتني «ميلي» أنني أُحبُّ فكرة التحدي، أدركتُ أنّ ذلك بالضبط ما تُمثله «نيويورك» بالنسبة إليّ. سمعتُ داخلي كلمات الأغنية الشعبية التي تقول: «إن استطعتُ فعلها هنا، فسأفعلها في أيّ مكان». إنه شعور شاطح، فمدينة «نيويورك» هي التحدي الأكبر الذي أستطيع أخذه. إنها التفاحة الكبيرة، وأنا ذاهب كي أفعلها هناك!.

اتصلتُ بزوجتي من هاتف «ميلي» وسألتُها هل تُريد القيام بهذا معي. كانت مُترددة ولكنّها مُوافقة، لأنّها تعرف أنّه شيء يجب أن أقوم به.

بعد شهرين من ذلك كُنا نعيش في «نيويورك». أنا في أكبر مدينة في البلاد أُعلّم طلاب درجة الماجستير في قسم الاستشارة والتوجيه التعليمي أثناء الدورة الصيفية. أنا مُتحمّس كي أحصل على مكتبي الخاص، وجدول كامل من الصفوف، وموقف خاص لسيارتي!. لقد كان تركي الحياة الوحيدة التي عرفتُها خلفي أحد أكبر التحديات في حياتي. لقد تجوّلتُ في المجهول، وأنا مُتحمّس لأنني في النهاية استجمَعتُ الشجاعة كي أترك المألوف خلفي.

أذكر أنّ جدي كان يعمل في المصنع نفسه، ويعيش في الشارع نفسه مُدّة حياته بأكملها، ومع ذلك أستطيع لمس ذلك الشعور العميق داخله بعدم الانجاز أو التحقيق. استرجعتُ فكرة العمل كمُعلّم في «ديترويت»، وإجراء مُحادثة مع صديق يُخبرني أنه تبقّى لديه ثلاث عشرة سنة فقط من العمل في المدرسة ثمّ يستلم ساعته الذهبية وفوائد تقاعده. استرجعتُ الشعور السقيم الذي شعرتُ به عندما فكّرتُ بفعل الشيء ذاته ثلاث عشرة سنة كي أتقاعد براحة فقط.

أنا مسرور جداً أنني صنعتُ هذا التحوّل العملاق في حياتي. إنّ الحياة هنا في مُجملها غريبة جداً عني، حركة السير، العادات، اللهجات، الصخب، وضجيج كلّ ذلك، بيد أني في سلام وأعلم أنني أستطيع فعلها هنا.

عندما أنظر إلى الوراء إلى تلك الأيام عندما شعرتُ بكثير من التوتر الداخلي أكبر من قدرتي على صنع القرار من أجل ترك المألوف والتوجّه نحو المجهول. أستطيع أن أرى بوضوح أنه كان هناك شيء قوي جداً يعمل داخلي لا يُمكن تجاهله. أتيتُ هنا مع موسيقا أعزفها، وفكرة الوصول إلى نهاية حياتي والموت مع هذه الموسيقا بقيت تدوي داخلي على نحو أكبر ممّا أستطيع تحمّله. أنا أثق بهذه المشاعر الداخلية وأؤمن أنها تتضمن نوعاً من الإرشاد الإلهي الذي في هذا المثال أرسلني إلى الدكتورة «بيترز».

عرفَت «ميلي» بدقة ما تقوله لي في ذلك الوقت، وكأنها هنا تُوجّهني وأنا أكتب هذه الكلمات. أشعر بحضورها كلّ يوم تقريباً، تبتسم لي على الرغم من أنها تركت هذا العالم المادي منذ سنين عديدة. لقد علمَتْ أنه كانت لديّ رسالة روحية كبيرة في الحياة وأنني يجب أن أعيشها: في الحقيقة، كانت غالباً تُخبرني أنّه لديّ نوع من العظمَة داخلي وأنه مُقدر لي أن أكون صوتاً كبيراً من أجل التحوّل في عالمنا. في الحقيقة إنها الآن ملاك أتحدّث إليه عندما يكون لديّ قرارات كبيرة عليّ اتخاذها، وأعلم أنّها كانت ملاكاً راسخاً من أجلي طوال سنواتي كطالب دكتوراه في الستينيات.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ هناك ملائكة أوصياء يظهرون في حياتنا في أوقات مصيرية. من هذه النقطة من الواضح بالنسبة إليّ ولو أنني لم أُدرك ذلك حينها، أنّ الدكتورة «ميلدريد بيترز» أرسلت إليّ بواسطة قوى إلهية علمَتْ أنني سأحتاج إلى نور يُوجّهني أثناء اتخاذ القرارات الكبيرة في حياتي. لقد استرجعتُ مرات عديدة كيف فكّرتُ بالتراجع عن أفكاري السامية، بينما كانت «ميلي» تظهر وتُوجّهني في الاتجاه الصحيح الذي يتطلبه قدري.

في ذاك اليوم من عام 1971 كنت في اضطراب داخلي حول أين سأذهب وكيف سأجعل كلّ ذلك يحدث، بينما تلك المرأة التي أحلف أنها امتلكت قدرة النظر إلى

المُستقبل، أبعدَت كلّ تحفظاتي بنظرتها الثاقبة ووضعتني على الطريق المُستقيمة. كانت نتيجة ذلك القرار حتى هذا التاريخ واحد وأربعون كتاباً منشوراً، عشرة عروض في التلفزيون العام، وأكثر من ألف مُحاضرة للعموم، والمئات من البرامج المُسجلة التي ساعدت الملايين من الناس في تحسين حياتهم. أستطيع أن أراها كلّها من هنا، مثلما أرى «ميلي» تبتسم لي الآن. لقد كنتُ سعيداً ليس فقط بأن أحظى بمُستشارة مُحترفة قديرة للغاية، ولكن بوجودها جانبي بقية أيام حياتي.

هنالك شيء ما أعرفه اليوم ولم أكن واعياً له في السنوات الأربعين الماضية وهو التعليم المُكتسب من **دورة في المُعجزات**. تُعلّمنا هذه الدورة أن نصنع قرارات عن طريق سؤال أنفسنا: «هل أقوم بفعل هذا بدافع من الخوف أو الحبّ؟»، عندما نكون في حالة خوف، فلا مكان للحبّ، وعندما نكون في حالة حبّ، لا مكان للخوف. عندما أزلتُ الخوف من عالمي الداخلي، شعرتُ بشعور عميق من السلام. بكلمات أُخرى، كنتُ قادراً على أن أنطلق من الحبّ. كنتُ قادراً دون خوف على النظر إلى مدينة «نيويورك» على أنها مُغامرة عظيمة أكثر من كونها شيئاً مُفزعاً.

إن الخوف هو مُمارسة عقلية واستجابة اعتيادية بقيت في العقل الباطن من الطفولة المُبكّرة، تظهر عندما نستبق المجهول. أعرف من منظوري الآن أنّ الحبّ هو ما يتبقى عندما أدع الخوف يرحل. لقد طبّقتُ هذه الحكمة من «دورة في المُعجزات» في اتخاذ قرارات هامة خلال حياتي. عندما يأتي شعور الشدّ والدفع والذي يتضمّن التردد والشك، أُذكّر نفسي أنّ القلق هو استجابة شعورية، وهو قادم لا بُدّ إما من الحبّ أو من الخوف، بيد أنّ الحبّ غير مُجهد، ولذلك فإنّ من يتحكّم الآن هو الخوف. ثمّ أذهب ببساطة إلى مكان مُحبب داخلي، فيتبدد التردد. لقد وجدتُ أنني لو تركتُ نفسي تهدأ وتتأمل في القضية، فإن التوجيه المُحبّ سيظهر، ولقد كان هذا التوجيه الحبيب بالنسبة إليّ يأخذ غالباً شكل شخص له وجود سماوي في حياتي.

من الواضح من بعيد حيث أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه كان عليّ أن أذهب إلى مدينة «نيويورك». بينما لو ذهبتُ إلى «ويسكونسن» أو بقيتُ في «ديترويت»،

لاختلفت حياتي بل وحياتكَ أيضاً عمّا هي عليه اليوم. لقد سمح لي قهر الخوف أن أتبع حلمي عندما ظهرَت تلك العوائق الفكرية.

أنا أعيش حسب القول المأثور القديم الذي فهمتُه بصدق اليوم: «قرعَ الخوف الباب، فأجاب الحبّ، ليس هناك أحد». لقد لاحظ شخص من أعظم مُعلّميّ وهو «رالف والدو إميرسون» ذات مرة: «ينتصر مَن يُؤمن أنه يستطيع»، و «لم يتعلم درس الحياة بعد مَن لم يعلو على الخوف كلّ يوم». في ذلك اليوم، تعلّمتُ واحداً من أعظم دروس الحياة.

• •• •• •• •



- أنا أستاذ جامعي بدوام كامل، أُعلّم طلاب مُتخرّجين في جامعة «سانت جون». هذه سنتي الثانية، وما أزال أُحبُّ البقاء في هذا العالم الجامعي. أنا حرٌّ في تعليم صفوفي كما أختار، وأُدرّس غالباً مُعلّمي المدارس المُهتمّين بأن يُصبحوا مُستشارين مدرسيين، وأُشرف أيضاً على خمس أو ست طلاب دكتوراه كمُستشار لهم وأُوجّه أبحاثهم نحو أطروحات الدكتوراه. أنا أمتلك مُمارسة استشارية خاصة كذلك، وأُمضي الجزء الأعظم من وقتي في كتابة مقالات من أجل الصحف المُتخصصة.

أخبرني رئيس قسمي الدكتور «بوب دويل»: «من أجل أن تتلقى ترقية وتحصل على منصب أساسي، عليك أن تُظهر كفاءتك الجامعية عن طريق النشر في صحف مُتخصصة وكتب جامعية». إنه عام 1973، وأنا جزء من نظام يُعرف بـ «انشُر أو تهلك». إذا لم يكن لديّ أرصدة من المنشورات سأخسر عملي، وأعمالي التخصصية هي أدنى من مُعدلها المُعتاد.

أقوم بنوع من الكتابة كرهتُه عندما كنتُ طالباً جامعياً جديداً، عندما كنتُ أكتب بنمط الجمعية النفسية الأمريكية من أجل أن أُرضي مُساعد مُعلّم مُتخرّج في مادة الإنكليزية 102. كنتُ أُريد أن أكتب إلى الجماهير، وأن أنشر كتبي الخاصة عن عيش حياة تحقيق الذات، وكان لديّ مليون فكرة تجري في دماغي عمّا يُمكن أن يصنع الكتاب الرائع والأفضل مبيعاً. أنا مُنجذب على نحو خاص إلى كتابة كتيب يدعو الناس الذين يرون أنفسهم أناساً عاديين كي يخلقوا رؤية جديدة لأنفسهم. أُريد أن أُشجّع القراء

كي يكتشفوا إمكانيتهم من أجل عيش مستويات استثنائية من الوعي. لقد كتب الدكتور «ماسلو» عن هذه الإمكانية في كتابه «**نحو علم نفس الوجود**»، الذي نُشر منذ عقد مضى، والموجود دائماً معي في حقيبتي الجلدية. بالإضافة إلى ذلك، أرسل بإخلاص مقالات إلى العديد من الصحف، وأجمع سيرة ذاتية مُثيرة للإعجاب من الكتابة المُحترفة.

تقدّمتُ إلى ترقية لمنصب مُساعد أستاذ جامعي بعد إنهاء سنتي الجامعية الأولى، ولكن تمّ رفض ترقيتي، إلا أنني تلقيتُ التشجيع من اللجنة التي تأخذ في عين الاعتبار طلبات كهذه كي تُتابع في المجال نفسه. أنا مُحبط من نوع النشاط هذا في حياتي. أنا أُحبُّ مسؤولياتي في التعليم، وأنا محبوب من الطلاب. لقد وضعتُ قسطاً عظيماً من الحبّ والجهد في نشاطي التعليمي، فأنا أُحبُّ أن أكون أمام صفّ. أنا أُمارس العهد الذي قطعتُه على نفسي منذ عقد مضى، عندما جلستُ في كثير من المُحاضرات الرتيبة، وأفعل كلّ ما أستطيعه من أجل جعل صفي يُصبح نشطاً ويتمتع بالحيوية. أنا أستخدم المرح والنكات، وأعرض نوعَ الاستشارة التي أُحبُّ أن أرى طلابي المُتخرّجين يُمارسونها. أنا أُحضّر أشرطة تسجيل لمُعالجين مشهورين وأجعل صفّي مكاناً ممتعاً عموماً. لقد كان حجم صفّي ثلاثين طالباً تقريباً، ولكن لم يكن من النادر أن يظهر لديّ ستون شخصاً في الصفّ، لأنّ صفّي كان يجذب العديد من الضيوف المدعوين من طلابي المُتخرّجين.

بدأتُ بتسجيل مُحاضراتي على أشرطة تسجيل، وكنتُ في خلفية تفكيري أعلم أنّ المادة التي أُدرّسها والنظريات التي أوظفها ستجذب الجمهور العام، بالإضافة إلى مُعلّمي المدراس الراغبين في أن يُصبحوا أساتذة جامعة مُساعدين في مجال الاستشارات. كنتُ أُريد أن يكون لديّ تسجيل لهذه المُحاضرات الرائجة من أجل استعمالي الشخصي عندما أكون جاهزاً كي أكتبها، بدلاً عن النشرات الدورية المكتوبة المُملّة. كنتُ أتأمل فعل ذلك في المُستقبل القريب.

أكملتُ سنتي الجامعية الثانية، وفي هذه المرة قررَت لجنة الترقية أنني جدير بلقب أستاذ جامعي مُساعد. شاركتُ في التأليف مع زميلي في «ديترويت» الدكتور «جون فريند»، فألّفنا كتاباً مع مجموعة من الأساتذة الجامعيين الآخرين بعنوان counseling

Effective in groups «الاستشارة الفعّالة في مجموعات». أنا الآن كاتب ناشر، وقد سمح لي رصيد النشر هذا بأن أُدعى «أستاذ جامعي مُساعد في علم النفس الاستشاري».

في السنة التالية ألّفت كتاباً جامعياً آخر مع «جون»، نُشر من قبل صحيفة جمعية الإرشاد والتوظيف الأمريكية، وهي الجمعية المُحترفة للعلماء والمُحترفين في هذا المجال، وهي مُنظمة مرموقة ضمن المجتمع الجامعي. كان الكتاب بعنوان Counseling techniques that work «تقنيات الإستشارة الفعالة»، وكان من المُتوقّع أن يُلاقي قبولاً حسناً إذ أنه كتيب مطلوب في فصول التخرّج في الدراسات العليا في كل أرجاء البلاد.

أنا مشغول بكتابة كتاب دراسي ثالث وافقتُ على التعاون في كتابته مع «جون فريند». أنا أكتب بانهماك في كلّ لحظة فراغ، وأرسل المُسوَّدة الكتابية الأصلية مقطعاً بمقطع إليه من أجل التحرير، ولكنني لم أستطع حمله على الاستجابة، فقد أصبح «جون» أكثر انشغالاً بسبب إدمانه على الشرب. عندما كنتُ أتصل به من أجل مُناقشة المُسوَّدة الكتابية، أجده في الغالب غير مُتماسك ويتحدّث بنوع من الحديث المخمور الذي أذكره من أيام زوج أمّي منذ سنوات كثيرة مضت.

كتبتُ الكتاب بأكمله والذي كان بعنوان Group Counselling for personal mastery «الاستشارة الجماعية في الإتقان الذاتي»، ولكنني لم أستطع جعل الرجل الذي وافقتُ على الكتابة معه يتعاون معي فيما أعتبره جدولاً حسّاساً. قررتُ أنني لا أُريد أن أكون في موقع الاعتماد على شخص آخر من أجل إكمال كتابتي بعد الآن. أنا الفعل الوحيد ولن أُقيم شراكة بعد الآن مع أيّ أحد.

تخليتُ عن فكرة نشر هذا الكتاب في هذه الفترة، وبدأتُ أركّز كلّ طاقتي الذهنية على تأليف كتابي الخاص، ليس من أجل المجتمع الجامعي، بل من أجل الجمهور العام. لقد قرأتُ لـ «ديل كارنيغي»، «نابوليون هبل»، «نورمان فينسنت بيل»، وشعرتُ أنني أستطيع تقديم كتاب يذهب أبعد من إلهامهم ونُصحهم. لقد أحببتُ وأُعجبتُ بكلّ هؤلاء الرجال وبما قدموه، فأنا أراهم رُواداً في نادٍ ساحرٍ أنوي الانضمام إليه.

كتبتُ ثلاثة كتيبات، لم يُنشر الأخير منها بعد، ولكنني أعرف أنه سيُنشر يوماً ما.

كتبتُ حوالي خمس وعشرين مقالة ظهرت في صُحف تخصصية، كما أنني شاركتُ في إنتاج اثنتا عشرة سلسلة على شريط كاسيت بعنوان «**استشارة الجماعية في الإتقان الذاتي**». لقد شعرتُ أنّ هذه المرحلة من رحلتي قد اكتملت، وأنّ رؤيتي قد تغيّرَت.

كان العالم الجامعي بما يخصّ التحفيز والمُكافأة، يُصبح غير كافٍ أكثر فأكثر. أنا أُحبُّ الصفّ والطلاب، بيد أنّ سياسات الحياة الجامعية تركني جامداً. لقد كانت اجتماعات اللجنة، سياسات المكتب، الضغوط من أجل تولي منصب، المُتطلبات الإدارية التي تبدو سخيفة، وجبل من العمل الورقي والمُلاحظات في صندوقي الداخلي، جميعها تُخمِد جوهر إبداعي. لقد انتهيتُ من الكتابة التي تتوجّه إلى جمهور محدود، والتي أقوم بها من أجل منزلة أو ترقية، بدلاً من أن أقوم بها كي أُحقق الإنجاز والرضى الذاتي. كنتُ أشعر أنني أُخمِدتُ في نواحٍ عديدة من الحياة، وأُدرك أنني أحتاج أن أخرج بعيداً عن هذه البيئة على نحو مُؤقت.

أنا أعلم أنّ عملي خرافي وقد يُقدّم البعض أيّ شيء من أجل الحصول عليه، ولكنني شعرتُ أنني أُنادى إلى فصل جديد في حياتي. كنتُ أعرف الإشارات، وأعلم أيضاً أنني لا أستطيع تجاهلها دون دفع ثمن باهظ، وتذكّرتُ أنني قرأتُ سؤالاً يُنادى ضميري الآن: هل عشتَ خمس وسبعون سنة، أم عشتَ سنة واحدة خمس وسبعون مرة؟.

كنتُ على أعتاب نقلة وتحوّل لا أستطيع ولن أتجاهلهما، ولم أكن أُريد فعل الشيء نفسه مراراً وتكراراً، مُجمّعاً سيرة ذاتية من التكرار. كنتُ أُريد أن أتوسّع، وأحتاج أن أمرّ خلال الكثير من التجارب. كنتُ أحتاج على نحو خاص أن أكون حُراً من التفاهة، ومن المُتطلبات غير المُشوّقة التي فُرضت عليّ بالضرورة كوني حاصل على امتياز الأستاذ الجامعي.

عندما أنظرُ إلى الخلف بذاكرتي إلى السنين التي كنتُ فيها أستاذاً جامعياً، أعرف الآن كم هو مُهمّ أن تتجنب شرك تقييم النجاح والسعادة على أساس المقاييس الخارجية.

لقد حصل كلّ شيء في صالحي منذ البداية وحتى بلوغي مُنتصف الثلاثينيات، فقد حصلتُ على عمل وكنتُ على نحو مُؤكّد سأحصل على منصب، والذي يعني عملاً مضموناً في الحياة في مهنة تعتبر مثل هذه الضمانيات شيء نادر. كانت لديّ تقييمات

عديدة من جميع طلابي ومن المُشرفين في الجامعة، وكان عميد الجامعة يذكرني على نحو مُتكرر بكثير من التقييم والتقدير من أجل التميّز الذي كنتُ أجلبه للجامعة. لقد جمّعتُ سيرة نشر ذاتية أُحسد عليها، مع عقود كتيبات مُستقبلية موجودة على مكتبي في انتظار توقيعي. وكان لديّ نظام عمل يتمتع بأقصى قدر من الراحة يُمكن للإنسان أن يطلبه، فقد كان مطلوباً مني أن أكون في حرم الجامعة يومين في الأسبوع فقط، وكنتُ أتمتّع بعلاقة عظيمة مع زملائي، وأحصل على تدريب رائع في العلاج.

لقد كانت ظروف عملي مُمتازة بالتاكيد، ومع ذلك كان هنالك شيء يحترق داخلي، ويتطلّب انتباهي الكامل. لقد بدا عالمي الخارجي عظيماً، بيد أنّ عالمي الداخلي حيث أقوم بكلّ معيشتي، شعر بعدم الكمال وعدم الراحة.

تذكّرتُ شخصية «ليو تولستوي» المذكورة في قصته الشهيرة «**موت إيفان إيليتش**». على فراش موته، نظر «إيفان إيليتش» إلى عينيّ زوجته، المرأة التي يكرهها لأنها قامت بالعديد من ترتيبات حياته دون استشارته أو مراعاة مشاعره، وتسائل: «ماذا لو كانت حياتي بأكملها خاطئة؟».

أرسل هذا المشهد رعشة من خلالي، فلم أستطع تخيّل حياتي وأنا أكتب للجامعة، وأتساعد في الكتابة مع رجل قلبه ليس في العمل، وأُعلّم دورات في غرف الصفّ نفسها، وأحضر اجتماعات منهج الكلية نفسها مدى الحياة. عند ذلك كان يُمكن أن تكون حياتي حقيقة «خاطئة»، كما خشي «إيفان إيليتش» على فراش موته. لم أكن أعرف ذلك حينها، بيد أنّ ذاتي العليا كانت تُحاول جذب انتباهي بجهد كي تجعلني أعيش دون خوف.

◄◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



▪ عرضَتْ جامعة «واين ستيت» برنامج تخرّج في علم النفس الاستشاري من أجل الأفراد العسكريين المُؤهلين وذويهم في «ألمانيا». كانت فكرة البرنامج الحالي أن يجلب الجامعة إلى الطلاب، بدلاً عن جعلهم يأتون إلى الجامعة. سألوني إن كنتُ أُفكّر في التدريس في برنامج ما وراء البحار هذا مُدّة رُبعين جامعيين، فأجبتُ بالموافقة. إنه ربيع عام 1974 وأنا في إجازة تكليف من جامعة «سانت جون» في مدينة «برلين» المُقسّمة.

هذه هي المرة الأولى لي في «أوروبا»، وأنا أتمتّع تماماً بالحرية التي أشعر بها بعيداً عن كلّ المُتطلبات المُزعجة المُرتبطة بمنصب جامعتي هناك في «نيويورك». أنا أُدرّس منهجاً جامعياً كاملاً في «برلين»، وأُحبُّ هذا العمل وهذه المغامرة بطريقة كبيرة جداً.

لطالما سحرتني «ألمانيا»، فأخوة أُمّي الاثنين كانا مُشاركين في الحرب العالمية الثانية كلاهما: خالي «ستيوارت»، الذي عشتُ في عمر الثامنة معه ومع أطفاله الأربعة، كان سجيناً نازياً في الحرب مُدّة سنتين. وكذلك أيضاً خالي «بيل»، مُلهمي في الذهاب إلى الكلية وفي أن أُصبح مُعلّماً، والذي خدم في المحيط الهادي في المُدمّرة البحرية. لقد سمعتُ قصص الرعب عن المحرقة، وشاهدتُ الأفلام عن مُعسكرات الموت، ووجدتُ دائماً أنّه لا يُمكن استيعاب أنّ شراً كهذا قد حصل يوماً، وخاصة في فترة حياتي. رُبّما في العصور القديمة، ولكن ليس عندما كنتُ صبياً صغيراً في دار الأيتام. هل يبدو مُمكناً أنّ هناك مُعسكرات نُصبت بهدف إبادة شعب بأكمله من البشر، فقط بسبب اختلافاتهم الثقافية والدينية.

كنتُ أُصارع فكرة أنّ هذا البلد المليء بالناس المُتحضرين سمح لمثل هذا الحقد أن يسري بوفرة بينهم. كنتُ في كلّ مكان أذهب إليه أتحدّث مع الألمانيين وأسأل السؤال نفسه: «لقد كان ذلك منذ بضعة سنوات فقط، كيف حدث هذا؟»، ولكن لم يتحدّث أحد عن ذلك. كان هناك عارٌ جماعي واضح لدى جميع الرجال والنساء الذين عاشوا هذه الفترة.

قررتُ أن أتعلّم المزيد عن هذا. كنتُ أشعر بالشك والجنون من أنّ سلوكاً عديم الضمير كهذا أمكنه التأثير في شعب بأكمله. ما الذي كانوا يُفكّرون به؟ لماذا لم يكونوا قادرين على إنهاء هذا الجنون قبل وصوله إلى مثل هذه الأبعاد الأسطورية؟. كان هذا أُنموذجاً عن عقلية التفكير الجماعي الذي كرهتُه كثيراً وكنتُ على مستوى فردي صغير أتصارع مع مدى الفظاعة التي يُمكن أن يُصبح عليها. .

اشتريتُ ما ألّفه «ويليام شيرر» عن تاريخ ألمانيا النازية، بعنوان «**صعود وهبوط النظام النازي**، والذي نُشر لأول مرة عام 1960. قرأتُ الكتاب كلّه في غضون أيام قليلة وأصبحتُ الآن حزيناً أكثر من قبل. يبدو أنّ مسار تاريخ البشرية امتثل بطاعة عمياء إلى قواعد الفضيلة العليا عند التفكير النازيّ الألماني، وكنتُ ألاحظ ذلك في كلّ مكان. يبدو أنّ كلّ شخص فعل ما أُمر به، ولم يسأل أحد عن السلطة المُفترضة. هناك قواعد وعلى الجميع أن يُطيعها من غير سؤال. كنتُ أرى هذا الخضوع الآلي في كلّ مكان، ولم يكن يبدو أنّ هناك أحد في «ألمانيا» يسأل عن أيّ شي أبداً.

لقد منحني جدول تدريسي وقتاً من أجل السفر، فأمضينا أنا وزوجتي أيام عطل نهاية الأسبوع في زيارة أماكن في منطقتنا في رحلات مُختصرة بالقطار. ذهبنا إلى «بافاريا»، «الدنمارك»، «السويد»، «النرويج»، «النمسا»، «فرنسا»، «هولندا»، «سويسرا». كنتُ أمتلك رتبة ضابط عسكري، ولذلك أستطيع زيارة شرق «برلين» وجميع مدن شرق «ألمانيا» المحكومة شيوعياً. كانت الاختلافات بين الشرق والغرب مُطلقة، ولم أستطع أن أُخرج من دماغي صور المحرقة التي سحقَت كلّ الأدلة على الشخصية الفردية، وقمعَت البشر بما فيه الكفاية، وجلبَت جنون التطهير العرقي، وجعلَت الإبادة الجماعية

حقيقة مقبولة. أنا أكثر من مهووس بهذه القصة، ويجب أن أرى ذلك بنفسي. أخذتُ قراراً أن استقلّ القطار إلى «ميونيخ» وزيارة «داخاو».

فور وصولي أخبرتُ سائق سيارة الأجرة أنني وزوجتي نرغب بالذهاب إلى مُعسكر الموت السابق الذي حُفظ كتذكار عمّا حدث منذ حوالي تسع وعشرين سنة، كيلا ينسى العالم ما حدث أبداً. كان سائق سيارة الأجرة رجل في الخامسة والخمسين من العمر أو ما يُقارب ذلك، وقد رفض أن يأخذنا إلى المُعسكر. من الواضح أنه شارك بطريقة ما بجزء من تلك الأهوال في العشرينيات من عمره، وكان العار والخزي عظيمان إلى درجة أنه اختار أن يخسر الأجرة على أن يزور هذا المكان.

أخذنا سائق أجرة آخر وأوصلنا إلى «داخاو» مكان أول مُعسكر للقوات العسكرية افتُتح في «ألمانيا»، والذي بُني في عام 1933 من أجل السجناء السياسيين، ثمّ تحوّل فيما بعد إلى محرقة جثث ومكان للقتل الجماعي وصور الشرّ التي قام بها الحزب النازي. بدلاً من التفكير بأنفسهم، فعل الشعب الألماني ما طُلب منه أن يفعله على نطاق واسع حيث أخذ الملايين منهم من أجل تنفيذ أوامر شريرة لرجل مجنون ورجاله المُخلصين.

غمرني شعور بالحزن و اليأس بينما كنا نمشي عبر أراضي «داخاو»، وشعرتُ بألم الحقد الذي نُفذ هنا في الأفران وغرف الغاز، وحيث ذُبح البشر يوماً بعد يوم سنين عديدة على مرمى البصر من مدينة مُزدهرة تبعد كيلومترات قليلة فقط. كانت هذه النتيجة النهائية لأناس جرى غسيل دماغهم كي يحطّوا من قدر الآخرين الذين يُفكرون أو يعبدون أو يتصرّفون بطريقة تختلف عن الأغلبية.

شعرتُ أنّ تنفّسي من الهواء يُصبح أصعب وأصعب، وكأنني أُريد أن أتقيأ. إنّ الخوف واليأس ما زالا هنا في هذه المهاجع القديمة، وأكشاك الاستحمام، والأفران، وحتى في أرصفة الشوارع التي أمشي عليها. شعرتُ كأنني هنا من أجل سبب مُعين.

كان التشويش الداخلي أكبر من ردة الفعل العادية على مشهد رعب كهذا، لقد عرفتُ أنني تغيّرت إلى الأبد. كنتُ أتخيّل اليوم الذي بدأتْ فيه هذه الحرب في الأول من أيلول 1939، عندما غزا «هتلر» أراضي «بولندا». لقد وُلدتُ بعد هذا التاريخ بتسعة

أشهر، في العاشر من أيار 1940. شعرتُ أنني بطريقة غامضة مقصودٌ في كوني هنا، ولم أستطع إخراج هذه الفكرة من دماغي. لقد دُعيتُ إلى هذا المكان الضائع والذي هو الآن مُتحف المحرقة التذكاري كي يترك انطباعاً دائماً في نفسي.

بعد أسبوع من هذا الحدث استقليتُ قطاراً إلى «آمستردام» وزرتُ المنزل حيث اختبأتْ «آن فرانك» في المُلحق السريّ، وكتبَت يومياتها الشهيرة التي أصبحَت ظاهرة حول العالم عندما قارب جنون الحرب العالمية الثانية على الانتهاء. صعدتُ على الأدراج وشعرتُ مرة أُخرى بالألم الذي ما زال ينبعث من سياجات السلالم الحديدية ومن الأرض ومن البناء بأكمله، وكأنّ هذه الطاقة المُخزية لم تختفِ بعد. ما تزال الطاقة هنا في المنزل الذي هو الآن مُتحف في ذاكرة عائلة «أوتو» و«إيدث فرانك» وكذلك بالنسبة إلى عدد لا حصر له من الضحايا الذين ذُبحوا خلال السنوات نفسها التي كنتُ فيها صبياً صغيراً أنمو بسلام في بيوت الحضانة وراء المُحيط. لستُ فقط أنظر إلى الصور وأقرأ التذكارات، بل أتصل مع خوف أولئك الذين عاشوا هنا. مرة أُخرى، شعرتُ أنّ الهواء كثيف ولم أستطع التنفّس، وكان عليّ الخروجُ كي أحصل على بعض الهواء النقي. بطريقة ما شعرتُ أنني مُتصل مع كلّ هذا، فقد حصل ذلك عندما كنتُ على قيد الحياة.

لا أفهم رغبتي العميقة كي اعلم عن كلّ هذا، بيد أنّ الأمر أكثر من فضول. أنا في هذا الإعداد مُجبر على زيارة الأماكن المُروّعة الأُخرى حيث نُفذت الأعمال الوحشية بمُساعدة استعداد شعب كامل غُسل دماغه من قبل خطيب مُقنع بثَّ الشر والكراهية، وأقنع مجموعة واسعة من الناس أنه من واجبهم أن يتصرّفوا بهذه الطرق الحاقدة، على الرغم من أنها دنّسَت طبيعتهم الأصلية. لقد سمحوا لأنفسهم طوعاً أن يُدنّسُوا إحساسهم الداخلي الخاص بالحبّ تجاه إخوانهم البشر. كيف أمكن أن يحدث هذا؟ لا يُمكن تخيّل أنّ هذا حصل في فترة حياتي. أنا مصدوم، وأشعر بنداء كي أتحدّث عن الأمر جهراً، وأكتب بطريقة تجعل مثل هذا الأمر لا يحدث مرة أُخرى أبداً.

غادرتُ «ألمانيا» كي أقوم بمُهمّة تعليمية في «كارامورسيل»، والتي تقع في شمال غرب «تركيا» على خليج «إزميت» على بحر «مرمرة». لم أستطع التخلّص من الصور

التي رأيتُها، وبقيتُ مُتأثراً بتجربتي في العيش في «ألمانيا» والتي كانت منذ أقلّ من ثلاثين سنة في حرب مع العالم.

أثناء الركوب الطويل في الحافلة من «إستانبول» إلى «كاراموسيل» شعرتُ كأنني انتقلت إلى الوراء إلى العصور التوراتية القديمة. رأيتُ الحيوانات تُذبح في الأسواق المركزية في القرى، وكلّ أنواع العربات تحمل البضائع، والسكان المحليين يقودون سيارات أمريكية قديمة أو يركبون الدراجات الهوائية. إنّ الأمور هنا بعيدة كلّ البعد عن «ألمانيا». كنتُ أُدرّس في قاعدة قوات جوية في رُبع دراسي مدته عشرة أسابيع، وكنتُ مُتحمّساً بكون الجامعة خُصصت من أجل جنودنا حول العالم. لقد حظيتُ بالتقدير من الطلاب، وكنتُ فخوراً بأن أكون عضو هيئة تدريس هنا في هذا المكان المُنعزل، لقد مضَتْ أسابيعي العشرة بسُرعة.

من المُقرر أن نُغادر أنا وزوجتي «تركيا» ونعود إلى الولايات المُتحدة الأمريكية في تموز، كي أرجع إلى التدريس في جامعة «سانت جون» كأستاذ جامعي مُساعد بترقية حديثة. لم أكن مُتأكّداً حول مُتابعة كوني مُوظفاً بدوام كامل، ولكنني وافقتُ على البقاء في الجامعة في فصل الخريف القادم الذي يبدأ في أيلول.

كان العيش في بلد مُسلم شيئاً مُضيئاً بطرق عديدة. كنتُ أحبُّ الناس هناك، وأحبُّ أن أكون قريباً من الطبيعة وأسبح كلّ يوم في بحر «مرمرة». إنّ الحياة في «برلين»، ثمّ في «غلايفادا»، «اليونان»، فترة قصيرة من الزمن، ثمّ في «تركيا» قد وسّعَت من تفكيري، ومع ذلك، كنتُ مُتلهفاً من أجل العودة إلى الوطن.

وصلنا أنا وزوجتي إلى مطار «استانبول» تحت ظروف جديدة بالنسبة إلينا. هنالك دبابات وجنود عسكريين مُسلحين ببنادق، وأسلحة بأوصاف عديدة في الطريق إلى المطار وداخل المطار نفسه. إنه 18 تموز 1974، وهناك حديث عن حرب، ومن المُتوقّع إغلاق المطار، الذي ازدحم بالناس الذين يُحاولون مُغادرة البلاد.

عندما تحققتُ من رحلتنا، أعلموني أنه لن يكون هناك أيّ رحلات تجارية من وإلى «استانبول» في المُستقبل القريب. أخبروني أننا قد نبقى عالقين هنا فترة غير مُحددة من الوقت. كان الناس في ذعر، وقد امتلأ المطار بالناس المُحبَطين، الغاضبين، الخائفين،

وكان حديث الحرب في كلّ مكان، إذ أنّ «تركيا» تتحضر من أجل غزو شمال «قبرص»، و«اليونان» تتأهب من أجل رد عسكري.

مشيتُ خلال المطار برؤية عقلية مُختلفة عن أيّ شخص آخر، فالجميع يبدون في مراحل مُتنوّعة من الخوف والذعر، بينما أرى نفسي أطير من هنا هذا الصباح. إنها نية مُلصقة بصمغ ممتاز في خيالي، وهذه الصورة لن تُغادرني.

أرى بعض الأمريكيين واقفين في خط يتحضّرون من أجل ركوب طائرة نقل عسكرية ذاهبةً إلى قاعدة «رامشتاين» الجوية في «ألمانيا». لاحظتُ أيضاً رجلاً تركياً يبدو نوعاً ما مسؤولاً عن إجراءات الصعود، وكان في هذه البيئة العصيبة يقترب من الناس ويسألهم أسئلة، وكلّهم يهزّون رؤوسهم ويُغادرون.

اقتربتُ من هذا الرجل، فسألني إلى أين أنا ذاهب. شرحتُ له أنه من المُقرر أن أطير إلى «لندن»، ولكنّ رحلتي أُلغيت. أخبرتُه أنّ لدي تذكرة عسكرية، مع تصنيف عالي الرتبة «خدمات عامة»، لأنني كنتُ أستاذاً في القاعدة الجوية في «كارامورسيل». أجاب أنّ تذكرتي ليست نافعة بعد الآن، ولكن إن أردتُ الخروج من «تركيا» فباستطاعته ترتيب ذلك على متن هذه الرحلة المُتوجّهة إلى «ألمانيا»، ومن هناك أستطيع أن أتدبر أموري. هنالك فقط مقعدان مُتبقيان على هذه الطائرة العسكرية مُقابل ألفي دولار نقداً، وسوف يأخذني مع زوجتي في هذه الرحلة خارج «تركيا»، التي هي على وشك الانطلاق في حرب.

أرى هذا الرجل التركي كملاك أُرسل إليّ كي أُنجز نيتي وأرجع إلى بلدي اليوم. أعطيتُه كلّ النقود التي أملكها، وهي تقريباً ما كسبتُه في مُهمّة تدريسي في «كارامورسيل» ونقصني حوالي مئتي دولار، بيد أنّه وافق على ذلك وصعدنا أنا وزوجتي في آخر رحلة خارج «استانبول». كانت تُحدّق بي بفمها الفاغر بضع لحظات قبل أن تشعر بالذعر حول بقائنا عالقين إلا ما لانهاية في بلد تُمزّقه الحرب، بينما نحن الآن نطير إلى «ألمانيا» في رحلة عسكرية أمريكية استطعتُ التخطيط لها بطريقة ما كي أُسافر بعيداً بواسطة رشوة مواطن تركي وسط الفوضى.

هبطنا في «رامشتاين»، وحصلنا على رحلة طيران تجارية خارج «فرانكفورت»،

وعُدنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 20 تموز 1974، في اليوم نفسه عندما انطلق الغزو العسكري التركي على «قبرص» في ردّ على المجلس العسكري اليوناني الذي كان يدعم الانقلاب في «قبرص». أنشدتُ المدائح تجاه القوّة الموجودة، والتي تجعل المُعجزات تحدث عندما يُمسك الشخص بالنية بثبات.

لقد زوّدني الوقت الذي أمضيتُه في التعليم خارج البلاد بخبرات حياة أضحَت فعّالة في كلّ ماصنعتُه في العقود الأربعة التالية. أمضيتُ جزءاً كبيراً من حياتي المُبكِرة، ابتداء من ذكرياتي الأولى، أتمرّد ضد رموز السلطة والمنظمات التي كانت تُوجّهني من أجل أن أُفكّر وأكون مثل أيّ شخص آخر.

يبدو كأنني وُلدتُ مع هذا النوع من ردّ الفعل المُتمرّد تجاه عقلية التفكير الجماعي. لقد سمح لي العيش في «ألمانيا» بأن أرى مُباشرة وعلى مُستوى تجريبي، مدى خطورة التفكير بهذه الطريقة، وكيف يُمكنه أن يقود إلى التدهور الإنساني النهائي والإبادة الجماعية.

كنتُ أسأل كلّ يوم تلك الأسئلة الصعبة لأيّ شخص عاش خلال تلك السنين المروعة من الحرب العالمية الثانية. احتجتُ أن أسمع من جنود سابقين، ومن ربّات المنازل، ومن أولئك الذين كانوا أطفالاً، كان عليّ أن اسمع ذلك منهم. هل كنتَ تعرف؟ ماالذي اعتقدتَه عن ذلك؟ هل فكّرتَ مرة في عدم إطاعة الأوامر؟، وكانت الاجوبة تقريباً مُتشابهة: «لم نكن نعي ذلك، كُنا خائفين جداً من الاعتراض، هذه هي فقط الطريقة التي جرت عليها الأمور، لقد فعلنا ما أُمرنا به». لقد عرفتُ في قلبي أنه فعلياً كان على كلّ شخص أن يتعاون بطريقة ما، لأنّ الأفعال المُروعة كانت واسعة الانتشار كثيراً وشملت الملايين من الناس.

عندما غادرتُ «ألمانيا» عرفتُ أنني تغيّرت إلى الأبد. كان عليّ أن أكون في هذا المكان في هذا الوقت من أجل أن أمتلك انطباعاً هائلاً في وعيي، وأرغب في الكتابة والتحدّث عن أهمية الاعتماد على الذات وعن الذات، وليس الذات البشرية، بل الذات العليا. عرفتُ أنّ ما طبعه «ثورو» في ذهني سابقاً في المدرسة الثانوية عن أهمية العصيان المدني، سيتسرب الآن إلى جميع كتابتي المُستقبلية. هذه الأعمال الدنيئة أتت من

خلال المناطق الخاطئة لتصوّر التفكير، والذي كان عليه أن يتغيّر. أستطعتُ الكتابة عن هذا الأمر بشغف أكبر بكثير ممّا شعرتُ به سابقاً قبل أن يكون الأمر جزءاً من كتابتي وخطابي.

عندما أنظر إلى الوراء الآن، أستطيع أن أرى الكمال في كلّ هذا. لقد تجسّدتُ في اليوم التي بدأتْ فيه هذه الحرب المُروّعة، وكنتُ مهووساً بتعلّم حقيقة ما كان النازيون قادرون على إنجازه بينما كنتُ طفلاً أعيش في الميتم. لقد صنعتُ نذري الداخلي في تعليم الذات بدلاً من الاعتماد على الجماعة. لقد كانت كلّ هذه التأثيرات جزءاً من الرسالة الروحية «دهارما» التي كانت قدري. غادرتُ «ألمانيا» مُصمماً على ذلك، مع أنني لم أعرف متى أو كيف سأعلّم الناس أن يعتمدوا على طبيعتهم الأصلية الخاصة، والتي تضمّنَتْ الحُبّ، اللطف، الوداعة وقبل كلّ شيء خدمة الآخرين.

لقد اختبرتُ في كلّ من «أمستردام» و«داخاو» مُباشرة أنّ الطاقة أبدية. وقد شعرتُ في مواقع الأموات تلك، المفتوحة للعامة كيلا ننسى أبداً، ببعض من الألم والحزن والخوف الذي كان يشعر به أولئك الذين عُوملوا على نحو سيء جداً. لم أشكّ في هذا أبداً. من هذه النقطة أستطيع أن أرى بوضوح أنني كنتُ أتنفّس مُحفّزات خوف حقيقة بينما كنتُ في «أمستردام»، «داخاو» وأماكن أُخرى كهذه. رأيتُ كيف أنّ الحيوانات التي قيدت إلى المجازر أثرت بحيوانات أُخرى ماتَت بردة فعل الخوف بالطريقة نفسها، حيث شعروا بتلك الطاقة ومُحفّزات الخوف المُنبعثة بأنفسهم. كلّ الأمور في الحياة عبارة عن طاقة. لقد تخليتُ عن أكل لحم الحيوانات المذبوحة منذ سنين عدة، لأنني عندما أكلتُ ذاك اللحم، كنتُ أيضاً أستهلك الخوف.

لقد اخترتُ أن أفعل كلّ ما أستطيع شخصياً كي أكون مُحاطاً ومُغلفاً بالحُبّ بدلاً من الخوف، وبذلك ركّزت كتابتي المُستقبلية على قهر الخوف ووعي الطبيعة الدائمة للطاقة وكيف تُؤثر فينا كلنا. كان عليّ أن أُحاضر وأكتب عن فكرة كوننا جميعاً مُتصلين بالروح، والتي هي طبيعة كوننا.

كنتُ مُتأثراً بعُمق بزياراتي ومُحادثاتي في «ألمانيا». عندما مشيتُ عبر تلك الأماكن الوضيعة، استطعتُ بالفعل أن أشعر كيف اتصل قلبي وأحشائي بهذه الأرواح التعِسة.

شعرتُ أنني مُتمَلك من قِبل شيء أثيري عندما سافرتُ عبر أوروبا في عام 1974، وكنتُ أعلم أنني أرسلتُ إلى هناك كي أوقظ روحي وأُلهم ذاتي، ثمّ أُعلّم الناس كيف يتجاوزون نماذج تفكيرهم الخاطئة.

عندما أسترجع تجربتي في «تركيا» عندما كانت الحرب على وشك الاندلاع من أجل القضية القبرصية، أتذكّر كم كان مُهمّاً ذاك اليوم بالنسبة إليّ. لقد كانت الصورة في دماغي عن الهروب من البلاد في ذاك الصباح بالتحديد، حقيقية جداً إلى درجة أنني تصرّفتُ بناء عليها وكأنّها واقعي. لم يكن الأمر أُمنيّة، بل كان نية، ولأنني استخدمتُ خيالي بطريقة أقتلع فيها أيّ وكلّ الأفكار التي لا تعمل، فقد اكتشفتُ قوّة النية تجريبياً قبل سنوات عديدة من الكتابة عنها لاحقاً.

لا بُدّ أنني أخبرتُ هذه القصة مئات المرات عمّا يُمكن أن تكون عليه قوّة الصورة في تفكيرك، وخاصة عندما تتصرّف وكأنّ الصورة حقيقة واقعة. بدلاً عن البحث في الأسباب للتأكّد في استحالة سفري من مطار «إستانبول»، فقد عملتُ على الصورة الداخلية، واختبرتُ مرة أُخرى تلك الفكرة التي ستُصبح شعاراً لي في كتاباتي وحياتي: «ليس هنالك ما هو أقوى من فكرة حان وقتها».

لقد كانت مُغادرتي لتركيا في ذاك اليوم من تموز عام 1974 فكرة حان وقتها في دماغي، وقد أتت القوّة من قدرتي على التصرّف بناء على هذه الفكرة. لقد كان هذا هو الموضوع الأساسي في كلّ كتابتي، وكان عليّ أن أُجرّبه بوضوح أولاً من أجل جعله مطبوعاً على نحو حيّ في وعيي.

‹ ‹‹ ‹‹ ‹‹ ‹



- إنه شهر آب عام 1974، أنا في نيويورك أُعلّم فصلاً صيفياً في جامعة «سانت جون». إنه فصل دراسي مُختصر مع صفوف تجتمع مرتين أسبوعياً من أجل أن نجعله مُماثلاً للفصل العادي.

تحدّثتُ مع زميلتي الدكتورة «شيرلي غريغز»، مُديرة المنحة الاتحادية التي صُمِمَت من أجل تحديد إذا كانت الكليات والجامعات الجنوبية مُمتثلة لقانون الحقوق المدنية لعام 1964. أخبرتني أنه بإمكاني كسب مال إضافي لو ذهبتُ إلى جامعة «المسيسيبي» للنساء في «كولومبوس، المسيسيبي»، حيث أُمضي يومين جالساً ضمن الصفوف، أُقابل الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، ثمّ أكتب تقريراً في نهاية الرحلة. لقد عدتُ للتوّ من «أوروبا»، حيث كلفتني الرشوة في طريقي إلى المنزل من «تركيا» ألف وثمانمئة دولار، وأنا مسرور من الحصول على فرصة كسب بعض المال الإضافي، ولذلك قبلتُ بالعرض.

منذ أربع سنوات مضت، سمعتُ من قريبة لي من طرف أبي تُدعى «دوروثي فيليبس» القول: «واين، سمعتُ أنكَ بذلت الكثير من الجهد في مُحاولة الالتقاء مع والدك. أنا فقط أتصل كي أُخبرك أنه تُوفي عام 1964 في «نيو أورليانز» وشُحنت رفاته إلى «بيلوكسي، مسيسيبي»، ودُفنَتْ هناك. هذا كلّ ما أعرفه».

على الرغم من أنّ والدي تُوفي وأنني أوقفتُ بحثي عنه، فإنّ أحلامي بلقائه، والخوف الذي أشعر به في هذه الأحلام ما زال مُستمراً. الآن لديّ فرصة كي أذهب

إلى «المسيسيبي» في عمل، وأنا مُتحمّس إلى إمكانية الذهاب إلى قبره ومُراجعة شهادة الوفاة كي أرى إن كنتُ مُدرجاً على أنني ابن على قيد الحياة. لم أرَ بالطبع هذا الرجل أبداً في حياتي، ولا أعرف إن كان أعلم أنه لديه ثلاثة صبية، وأنا أصغرهم.

أخذتُ التكليف الذي عرض عليّ من قِبل «د. شيرلي»، وأنا أتطلّع كي أزور قبر والدي حقيقة، كي أخلق رُبّما نوعاً من الإغلاق لهذا الموضوع الذي أربكني منذ أن كنتُ صبياً صغيراً.

انتهى الفصل الدراسي الصيفي يوم الأربعاء 28 آب. سافرتُ بالطائرة إلى «كولومبوس، المسيسيبي»، يوم الخميس وقمتُ بكلّ مُقابلاتي وزياراتي في ذلك المساء والصباح التالي. عندما انتهيتُ ذهبتُ إلى مكان الاستئجار الوحيد في الحرم الجامعي واستأجرتُ سيارة «دودج كورنيت» موديل 1974. وقدتُ مسافة تُقارب مئتي ميل إلى «بيلوكسي»، في نية أن أمضي يوم أو يومين هناك، ثمّ أرجع السيارة إلى مطار «نيو أورليانز»، وأسافر إلى الوطن مساء الأحد.

لاحظتُ أنّ رائحة «الدودج» مثل السيارة الجديدة، وكأنها لم تُستأجر سابقاً. كانت قراءة عداد المسافات هي ثمانين ألف ميل، مع أنّ السيارة جديدة وقد سُلمت اليوم إلى هذا الموقع في الكلية. حالما جلستُ خلف عجلة القيادة، حاولتُ وضع حزام الأمان واكتشفتُ أنه مفقود. خرجتُ من السيارة، وأخرجتُ المقعد بالكامل، ورأيتُ أنّ الحزام مربوط بأرضية السيارة بشريط إخفاء، وكان المشبك مُغطى بتغليف بلاستيكي والمطاط حوله. مزّقتُ الشريط والبلاستيك، وعثرتُ على بطاقة أعمال مطوية داخل المشبك، وقرأتُ عليها: «كاندل لايت إن، بيلوكسي، المسيسيبي»، مع سلسلة من الأسهم تقود إليه. فكرتُ لحظات إنه أمر غريب أنّ هذه البطاقة موجودة في سيارة جديدة، وأنها تتوافق مع وجهتي الفعلية إلى «بيلوكسي». وضعتُ البطاقة في جيب قميصي وبدأتُ رحلتي.

وصلتُ إلى أطراف «بيلوكسي» في الخامسة إلا عشر دقائق مساء الجمعة، الثلاثين من شهر آب، وتوجّهتُ إلى أول محطة بنزين رأيتُها. نظرتُ إلى دليل الهاتف المُعلّق بسلسلة في كشك الهاتف، واتصلتُ بالمقابر الثلاث المُدرجة في لائحة الصفحات

الصفراء. كان الرقم الأول مشغولاً، ولم يُجب الرقم الثاني، بينما أجاب على الرقم الثالث سيدٌ بصوت عجوز جنوبي. استفسرتُ هل «ميلفن لايل داير»، الذي تُوفي قبل عشر سنوات عام 1964، مدفونٌ في هذه المقبرة. ابتعد الرجل عن الهاتف حوالي عشر دقائق كاملة، وبينما كنتُ على وشك إنهاء المُكالمة، عاد وقال: «نعم، إنّ والدك مدفونٌ هنا».

كان قلبي يخفق بقوّة في صدري. لقد شعرتُ وكأنني في النهاية سأحظى بزيارتي إلى والدي، على الرغم من أنّ الظروف أقلّ من مثالية. طلبتُ من السيد أن يُوجّهني إلى المكان، فأعلمني أنّ هذا المكان ليس مقبرة حقيقية ولكنه مكان يُدفن فيه الفقراء على نحو مُتكرر، على أراضي «كاندل لايت إن»!. مع الكثير من الدهشة سحبتُ البطاقة من جيب قميصي، ورأيتُ أنني على بعد ثلاث كتل، وهناك خريطة بارزة على البطاقة.

قدتُ السيارة وأنا مُرتعش إلى الكوخ الصغير، حيث أراني الرجل في المقبرة شهادة وفاة والدي. لقد كانت مُصنفة في صندوق «كوكا كولا» كرتوني مُلطّخ بمياه مُلونة منذ عشر سنوات. كانت شهادة مُلونة ومُتعفّنة، وقد لاحظتُ بدرجة من الرضى أنّ اسمي وأسماء إخوتي الاثنين كانوا مُدرجين بصفتنا أولاده الأحياء. لقد عرف أنه كان لديه ابناً اسمه «واين». أنا أستغرب مَن الذي وضعه هنا، وما الذي قاله لأيّ شخص عن أخويّ وعني.

أرشدني الرجل العجوز إلى ربوة خضراء في أعلى الدرب مع سلسلة حولها. قال إنه بإمكاني البقاء هنا بقدر ما أحبّ وطلب مني أن أُعيد السلسلة حالما أُغادر. ركنتُ سيارتي ومشيتُ إلى شاهدة القبر على الأرض التي تقول: «ميلفن لايل داير 1914–1964». هذا كلّ ما في الأمر، هكذا التقينا مع أبي.

وقفتُ هناك والدموع تتدحرج حتى أسفل وجهي. لا أزال مليئاً بالغضب والتفكير: عليّ أن أتبوّل على هذا القبر وأُغادر. ولكنني لم أفعل ذلك. لقد بحثتُ عن هذا الرجل منذ أن عرفتُ أنه كان لديّ أب. في فترة السبع أو الثمان سنين الأولى في حياتي، لم أكن أعرف ما يعنيه مفهوم الأب حتى. كان هناك العديد من الأسئلة تجري في ذهني الآن، كنتُ مُندهشاً من الشعور الذي أشعره وأنا واقف جانب هذا الصحن المعدني على الأرض.

خلال الساعتين والنصف التالية تحادثتُ مع أبي. صرختُ بصوت عال دون أن أعي ما حولي. تحدّثتُ بصوت عال طالباً الإجابات من قبر. بعد مرور ساعات بدأتُ أشعر بشعور عميق من الراحة، وأصبحتُ هادئاً جداً. سيطر الهدوء. أنا مُتأكّد تقريباً أنّ أبي هنا معي. لم أعد أتحدّث بعد الآن إلى شاهدة قبر، ولكنني نوعاً ما في حضور شيء لا أستطيع شرحه.

في النهاية، مسحتُ دموعي وقلتُ وداعاً. حالما مشيتُ في اتجاه السيارة المؤجرة، وأمسكتُ السلسلة بيدي كي أُغلق الدرب، كنتُ مأخوذاً بقوّة لا تُوصف كي أعود بسرعة إلى موقع القبر، وكأنني كنتُ مدفوعاً كي أرجع إلى الوراء.

تحدّثتُ إلى والدي مرة أُخرى، بيد أنني هذه المرة قلتُ شيئاً مُختلفاً جداً: «أشعر بطريقة أو بأُخرى كأنني أُرسلتُ إلى هنا اليوم، وأنه لديكَ شيء تفعله بهذا الخصوص. لا أعرف ما دورك، أو إن كان لديك دور، ولكنني مُتأكّد أنّ الوقت قد حان من أجل التخلّي عن الغضب والكراهية اللذين حملتهما بألم وقتاً طويلاً جداً. أُريدكَ أن تعرف أنه ابتداء من هذه اللحظة، فقد انتهى كلّ ذلك في الحال، أنا أُسامحكَ».

«لا أعرف ما الذي دفعكَ كي تُدير حياتك كما فعلت. أنا مُتأكّد أنك لا بُدّ شعرتَ بالكثير من اللحظات اليائسة بعد معرفتك أنه لديك ثلاثة أطفال لن تراهم أبداً. مهما كان ذلك الذي يجري داخلي عنك، أُريدكَ أن تعرف أنني لا أستطيع التفكير بأفكار بغيضة عنكَ بعد اليوم. عندما أفكّر بك الآن، سيكون ذلك مع الحبّ والشفقة. أنا أُطلق سراح كلّ هذه الفوضى التي في داخلي. أنا أعلم في قلبي أنك كنتَ ببساطة تفعل ما عرفتَ كيف تفعله ضمن ظروف حياتك في ذلك الوقت. على الرغم من أنه ليس لديّ أيّ ذاكرة عن أنني شاهدتُك في أيّ وقت مضى، وعلى الرغم من أنّ حلمي الأعز كان أن ألتقي بك يوماً ما وجهاً لوجه وأسمع منك، إلا أنني لن أدع هذه الأفكار تُرجعني إلى الوراء عن الشعور أيضاً بالحبّ الذي أُكنّه لك».

وقفتُ على شاهدة هذا القبر الوحيد في جنوب «المسيسيبي»، وقلتُ ما أشعر به الآن: «أُرسل لك الحُبّ، أُرسل لك الحُبّ، من هذه اللحظة فصاعداً، أُرسل لك الحُبّ».

في هذه اللحظة النقية اختبرتُ شعور مُسامحة الرجل الذي كان أبي البيولوجي، وكذلك مُسامحة الطفل الذي كنتُه والذي أراد أن يعرفه ويُحبّه. شعرتُ بنوع من السلام والتطهير الجديد كُلياً بالنسبة إليّ. مشيتُ إلى الخلف نحو سيارتي، وضعتُ السلسلة عبر الممر، وشعرتُ بإحساس جديد من الإشراق.

أعطاني السيد العجوز اسم الرجل الذي سلّم جسد والدي إلى مقبرة المُحتاجين هذه. بحثتُ عنه واكتشفتُ أنه كان صديق أبي المُقرب، وكان يعمل عارض أفلام في مسرح سينما «بيلوكسي». في يوم السبت، 31 آب، ذهبتُ إلى هناك حيث كانت تُعرض الوصايا العشر في فترة الصباح.

صعدتُ الدرج الخلفي وقرعتُ على باب حجرة العرض، وقضيتُ فترة بعد الظهر مع هذا الرجل الذي أخبرني عن الرجل الذي كان والدي. فهمتُ القليل جِداً ما عدا أنه ذكر أولاده الثلاثة أحياناً، ولكنّ ذلك كان نادراً جداً. سمعتُ مجدداً عن إدمانه للكحول وطبيعه تشرده. لم أهتمّ أن أعرف أيّ تفاصيل إضافية. خرجتُ من المسرح وقدتُ في اتجاه مطار «نيو أورليانز».

لقد تغيّرتُ وأصبحتُ رجلاً آخر بعد أن شاركتُ للتوّ في مُعجزة. لم أعد أكره والدي بعد الآن. أعلم أنني أُرسلت إلى هنا كي أقوم بأمر المُسامحة هذا، ولكنني لستُ مُتأكّداً لماذا. أنا أعرف فقط أنّ شيئاً خفياً جداً يعمل هنا، وهو شيء أكبر مني يُحرّك الأجزاء حولنا، وقد رسم خطة سرية كي يحطّ بي هنا.

وصلتُ إلى المنزل في «نيويورك» يوم الأحد الأول من أيلول. كان لديّ أكثر من أسبوعين تقريباً قبل أن أعود إلى الجامعة من أجل الفصل الدراسي الخريفي. جمّعتُ كلّ تسجيلات الخاصة بمُحاضراتي من السنين الثلاث الماضية، بالإضافة إلى ملاحظات حفظتُها في الوقت الذي كنتُ فيه في «أوروبا» مُؤخراً هذه السنة. قمت بإجراء حجز طيران ليوم الغد، يوم العمل، كي أطير إلى «لودرديل، فلوريدا». أنا ذاهب إلى مكان مُشمس، دافئ، على المُحيط من أجل تأليف كتابي، الشيء الذي كان يُسيطر على عالمي الداخلي ويحتاج أن يهرب ويُولد.

في مطار «لودرديل» استأجرتُ سيارة مُدّة أسبوعين، وتحرّكتُ إلى فندق «سبين

دريفت»، عبر الشارع من المحيط الأطلسي. بقيتُ في غرفتي أستمع إلى الأشرطة وأُسجل مُلاحظاتي، ثمّ قررتُ أنني خلال كلّ هذا التحضير الفيزيائي والفكري، جاهز كي أكتب، وأبدأ نهم الكتابة. بقيتُ في غرفة الفندق تلك أكتب كلّ ليلة حتى طلوع الشمس. في الخامس عشر من أيلول، طرتُ عائداً إلى «نيويورك» كي أبدأ فصل الدراسة الخريفي.

لقد كتبتُ كتيباً كاملاً مُستخدماً الصيغة نفسها التي كانت تعمل على نحو جيد معي خلال مُمارسة علاجاتي. كان الكتيب عبارة عن اثنا عشر مقطعاً تصف منهجاً فكرياً منطقياً، صُمم كي يُساعد أيّ شخص في الوصول إلى قمة هرم «ماسلو» في التحقيق الذاتي. أولاً: تحديد ماهية التفكير الذي يُسبب أيّ نوع من الاضطراب. ثانياً: تمييز السلوكيات التي يُظهرها العميل. ثالثاً: إنشاء نظام المُكافأة النفسية من أجل الحفاظ على تلك السلوكيات. رابعاً: التركيز على البدائل عن طريق تصميم استراتيجيات مُحددة في القضاء على طرق قهر الذات الموجودة. لم يكن المنهج نظاماً نفسياً خيالياً، وإنما نظام قديم بسيط سليم مع تقنيات مُحددة من أجل التغيير. لقد صنع هذا النظام العجائب خلال مُمارستي الاستشارية، وأنا مُتأكد أنه سيتمّ تقبّل كتابي على نحو جيد.

بعد إمضاء ساعات قليلة في روح مسامحة شيء سيطر عليّ خلال حياتي كلها، يبدو كأنّ ما عذبني سنوات قد مضى في أسبوعين من الوقت فقط، ويبدو أنّ الكتابة مُوجّهة من غير أيّ جهد، وقد أكملتُ كتيباً بخط يدي بلا عنوان ولا اسم ناشر. كان عندي معرفة داخلية أنّ تلك اللحظات على قبر والدي بدأت ترويني بروح لم أختبرها سابقاً.

اليوم، لو سألتني ما التجربة الأكثر أهمية في حياتي، لأجبتُ إنها أحداث يوم الثلاثين من آب 1974 عندما تواجدتُ في موقع قبر والدي في «بيلوكسي، المسيسيبي»، أسامحه وأُحبّه، وأُطهر روحي من التسمم الذي يجلبه العيش مع الغضب الداخلي.

أنا أشعر بالروعة من التزامنات التي أتت مع بعضها وجلبتني إلى موقع القبر ذاك. ليس لديّ شرح دماغي ذكي لوجود بطاقة الأعمال تلك في السيارة الجديدة المُستأجرة، ولا أستطيع إعطاء حساب عقلاني عن سبب أنّ قريبتي التي لم أكن أعرفها اتصلت منذ أربع سنين، ولماذا عرضت عليّ الدكتورة «شيرلي غريغز» ذاك التكليف المؤقت، ولا لماذا

دُعيتُ من أجل الرجوع إلى أرض المقبرة، وتوجّهتُ إلى ارسال الحبّ على الرغم من أنّ العنف الداخلي كان مُقيماً كما كان. لقد اتبعتُ نصيحة «الرومي» المُؤثرة: «أنا مُتحيّر بها كلّها». مع ذلك أعرف أنّ شيئاً ما أكثر قوّة كان يعمل وأنّ الأمر ليس مُجرّد سلسلة من الصدف.

من وجهة نظر أوضح وعند العودة من أجل النظر إلى الأمر برمته، أعلم أنّ بصمات الإله تملأ كلّ هذا المخطط الذي مشت فيه الأحداث. أنا أدرك الآن أنني كنتُ في فوضى في تلك الأيام، وكنتُ أعمل دون أن أشعر بالإنجاز والرضى، وكانت كتابتي ضعيفة ولأول مرة غير مُجزية عاطفياً. كانت لديّ عادات أكل وشرب سيئة، وكان لديّ وزن زائد، وكنتُ في حالة زواج غير مُرض. كنتُ رجلاً عصبياً بطُرق عديدة، وكنتُ تقريباً أرى كوابيس ليلية مُزعجة عن والدي. كنتُ أستيقظ ليلاً بعرقٍ بارد وقد التقيتُه في حانة في الكابوس، وكنتُ دائماً أُمارس المُلاكمة بالأيدي معه، وأضربه بغضب وأطلب الإجابات من الشبح الذي بقي يختفي عن نظري في طيفي النائم. عرفتُ أنه كان لديّ أشياء أكبر كي أُنجزها، ومع ذلك شعرتُ أنني وقعتُ في شرك ظروف حياتي، وأنني غير قادر على تحرير نفسي من هذه الكمائن المفروضة ذاتياً.

بعد عودتي من «بيلوكسي»، أخذتْ حياتي طعماً جديداً كُلياً، وأصبحت كتاباتي في فندق «سبين دريفت» فرحاً خالصاً. كتبتُ كلّ الليل، وكنتُ غالباً ما أُصاب بالإحباط في الصباح عندما أرى ورقة بعد ورقة على الأرض، لقد كنتُ منوّماً خلال كتابتي حتى أنني أهملتُ ترقيم الصفحات.

خلال أسابيع قليلة من العودة إلى «نيويورك» بدأتُ مُمارسة نظام حمية وتدريبات استمرّ حتى يومنا هذا. صممتُ على أن أكون في شكل جسدي أفضل، وبدأتُ خطة جري مسافة ثمانية أميال يومياً ما عدا يوم واحد، وقد استمرّ ذلك خمس وعشرين سنة. غيّرت عاداتي الغذائية، وأخذتُ شخصية جديدة كُلياً.

لقد أصبح الكتاب الذي أَلّفتُه في أربعة عشر يوماً بعد أن أزلتُ القلق من روحي، الكتاب الأول مبيعاً لهذا العقد، وقد صدر حتى الآن بسبع وأربعين لغة حول العالم، بإجمالي مبيعات خجول بعض الشيء حوالي مئة مليون نسخة حول العالم!. إنه بعنوان

Your erroneous zones «مناطقك الخاطئة»، وهو يتحدّث عن الأخطاء الحمقاء في تفكيرنا وكيف يُمكن أن نعيش حياة خالية من الاضطرابات العاطفية عن طريق تغيير عادات تفكيرنا الاعتيادية. كان هذا الكتاب الذي قُدر لي أن أكتبه. وقد جهّزتني الحياة وتجارب الالهام الإلهي من أجل هذه المُهمّة، بيد أني كنتُ مخنوقاً بغضب تدمير الذات الداخلي الذي كان يجب أن يُستخرج.

كنتُ مُتوجّهاً إلى «بيلوكسي» كي أفهم أولاً قوّة التسامح المُذهلة. هذه الفكرة هي جوهر التعليم الروحي وما تزال واحدة من أكثر المبادىء تجاهلاً. يُذكّرنا «المسيح» في إنجيل «لوقا» 6:27: «لكنني أُخبرك مَن تسمعني: أَحِبّ أعداءك، افعَل الخير مع هؤلاء الذين يكرهونك». وفي «لوقا» 6:28: «بارِكْ أولئك الذين يشتمونك، صَلِّ من أجل أولئك الذين يُسيئون مُعاملتك». هاتان اثنتان فقط من مئات النصائح التوراتية المُماثلة. بهذه الطريقة أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ هناك قوّة عظيمة في الحياة حقيقة.

عندما استطعتُ أن أُسامح وأُرسل الحُبّ في المكان الذي سيطرَت عليه الكراهية سابقاً، تحوّل كلّ شيء في حياتي. كانت الكلمات الصحيحة هناك، وبدأ الأشخاص الصالحون يظهرون، وظهرَت الظروف على نحو سحريّ، وتلاشَت جميع الاحتياجات، وعادَت صحتي بعد أن كانت طاقتي مُبددة، وأصبحَت حياتي فائضة بالوفرة، كلّ ذلك بسبب لحظة عميقة من التسامح التي نسقَتها قوى أبعد من أن أقدر ببشريتي على وصفها. كان ذلك وكأنّ العقل الإلهي الكوني، أو الإله، أو «التاو» إن صح التعبير، قد رأى أنني عالق في الرمال المتحرّكة التي كانت تُدمّرني، وقد جمع الأحداث الضرورية من أجل أن يُعطيني فرعاً عملاقاً أتمسّك به، وأُخرج بواسطته نفسي مرة وإلى الأبد من الهوة القاتلة التي كانت تُخمِد قوى حياتي.

من هذه النقطة الهامة أستطيع أن أرى أن الإله هو الحُبّ، وأنّ التسامح هو أداة مُتوفّرة كي تُرجعنا إلى حياة تحقيق الربانية. لقد عرفتُ دائماً أنه كان عليّ أن أكتب بطريقتي الخاصة عن الأشياء التي كانت تحدث معي، بيد أني لم أكن قادراً على التحرر من الكثير من القيود التي كانت تُرجعني إلى الخلف. لقد عشتُ حياة مليئة بمُجملها بالحسد تجاه مُعظم الناس، وفوق ذلك كنتُ في داخلي أضجّ بالاستياء.

عندما كنتُ وسط الأحداث ذاك الصيف من عام 1974، شعرتُ أنّ شيئاً يُوقظ في داخلي. لم أستطع رؤية اليد الصوفية للتدخل الإلهي في العمل مُباشرة، بينما استطعتُ أن أراه بصورة أوضح بعد سنوات من بعيد عندما أصبحتُ قادراً على رؤية ما كنتُ مُسيراً كي أقوم به. في الحقيقة، بعد سنوات عديدة، ساعدتُ في كتابة وإنتاج نسخة سينمائية عن خلاصة تلك التجربة في «بيلوكسي»، بعنوان My Greatest teachers **«مُعلّمي الأكبر»**. أعطيتُها هذا العنوان الساحر لأنني أؤمن اليوم أنّ والدي، هذا الرجل الذي لم أعرفه أبداً، هو الذي علّمني الدرس الأكبر المُقدّم لنا من «سانت أوغاستين»: «التسامح مغفرة للخطايا. لأنه بسبب التسامح كلّ ما فُقد ووُجد، يُحفظ من الضياع مرة أُخرى». بعد «بيلوكسي» لم أضع مرة أُخرى.

كتبتُ كلّ المقاطع عن قوّة التسامح، وأخبرتُ القصة عن وصولي إلى معرفة والدي إلى الجمهور حول العالم. نصحتُ آلاف الناس كلٌّ بشخصه على وسائل الإعلام، وعلى برنامج الراديو الخاص بي، وأنتجتُ الفيلم الذي أشرتُ إليه للتوّ. حالما وُجدت ورأيتُ كيف قدّم لي ذلك المُنعطف في حياتي بعيداً عن الألم نحو التفعيل الذاتي وإدراك الإله، لم أضِع أبداً مرة أُخرى.

رُبّما تكون مقولتي المفضلة عن التسامح هي من «مارك توين»: «التسامح هو العطر الذي يسكبه البنفسج، على القدم التي سحقَتهُ». نحن في الحقيقة نُرسل الحُبّ كردّ على الكره ونُصبح كيميائيين روحانيين. لم أُسامح والدي من أجله فقط، بل فعلتُ ذلك من أجل نفسي ونفسه أيضاً. أستطيع رؤية هذا الآن بصورة أكثر وضوحاً اليوم.

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ



- في نهاية فصل الدراسة الخريفي من عام 1974، أُتابع تدريس مُقررين تعليميين في جامعة «سانت جون» عن تقنيات الاستشارة التي تعمل ومهارات التشخيص. سجّلت كلّ هذه المُحاضرات عبر السنوات الثلاث الماضية، واستخدمتُ الكثير من المواد في مُسودتي الأولى لكتابي عن المُساعدة الذاتية المكتوب في الأشهر القليلة الماضية. كنتُ أفكّر ما الذي عليّ فعله من أجل نشر ذاك الكُتيب الموجود على مكتبي في السوق العام. أنا شخص غير معروف ولم يكن الناشرون مُتحمّسين كي يُخاطروا معي، على الرغم من أنني كتبتُ ثلاثة كتيبات ومجموعة من المقالات التي نُشرت في صحف احترافية.

لقد بذلتُ كلّ جهد كي أُبقي صفوفي المسائية مُمتعة ومليئة بالتثقيف، فقد عدتُ بالتفكير إلى أيامي كطالب جامعي قبل التخرّج عندما كنت مُتحيراً كثيراً بسبب عدم قدرة الغالبية العظمى من الأساتذة الجامعيين في أن يجعلوا المادة التعليمية تتمتع بالحيوية، وأن يُبقوا الجمهور مُستمتعين ومُتحفّزين على حافة مقاعدهم. أنا أُحبُّ التعليم وتواجدي أمام الجمهور، وأستمتع على نحو خاص بجعل صفّي مُمتعاً، وبأن أُدخل المرح تكراراً وبقدر المُستطاع عليه.

اقترب مني خمسة تلاميذ في مُحاضراتي المسائية أيام الثلاثاء والخميس، وشجّعوني على أن أجعل هذه المادة مُتوفّرة بالنسبة إلى شريحة أكبر من الجمهور ذي التوجّه الأقل من الجامعي: « من فضلك د. «داير»، هلاّ أخذت في عين الاعتبار تقديم سلسلة من المُحاضرات تكون مُتاحة بالنسبة إلى العامة تُشابه ما تُعلّمه هنا في الجامعة؟».

يُكمل هؤلاء الطلاب برنامج دراستهم في الماجستير، وغالباً يُحضرون أصدقاءهم وعائلاتهم كي يجلسوا ويُتابعوا مُحاضراتي. كان جميعهم يعيشون في الساحل الشمالي من جزيرة «لونغ» وقد أخبروني أنهم يستطيعون أن يضمنوا حضوراً جيداً لو وافقتُ على طلبهم. اتضح أنّ واحدة من هؤلاء الطلاب، اسمها «ليندا»، تعمل في ميناء واشنطن في مركز مُساعدة التعليم كمُديرة، وقد أخبرتني أنّ البناء لا يُستخدم إطلاقاً بعد الساعة السادسة في أمسيات الإثنين، وأنها ستجعل المركز مُتوفّراً لنا دون مُقابل إذا أردتُ تدريس دورة مفتوحة أمام العموم.

وافقتُ وكانت الدورة التدريبية في المدرسة الليلية مُدّة أربعة أسابيع بعنوان «كيف تعيش حياة مُحقّقة للذات». وضعَت «ليندا» اعلاناً مُختصراً في صحيفة «أخبار ميناء واشنطن» تدعو العامة فيها إلى أربع مُحاضرات في أربع ليال متتالية من أيام الاثنين تبدأ في شباط 1975. سأقوم بإعطاء مُحاضرة للعموم للمرة الأولى. كان إجمالي كلفة الدورة هو عشرون دولاراً. هذا هو مرتبي الأول من الخطاب على العموم.

وصلتُ مساء الاثنين في تمام السابعة من أجل المُحاضرة الأولى كي أرى خمس وعشرين طالباً يجلسون في غرفة الصفّ! لقد وصلتُ إلى مبلغ خمسمئة دولار زيادة عن مرتبي، وهو مبلغ نقدي كبير يجنيه الإنسان في ظروف اقتصاد مُحبط نوعاً ما.

ألقيتُ المُحاضرات الأربع بعناوين مثل: «التغلب على القلق والشعور بالذنب»، «وداعاً للغضب»، «التحرر من الماضي». هذه كانت كلّ عناوين مقاطع الكتيب الذي ألّفتُه بالكامل، والموجود على مكتبي في الجامعة والذي لم يُنشر بعد.

في نهاية المُحاضرة الرابعة، طلب مني الطلاب أن أُمدد الصفوف مُدّة أربعة أسابيع إضافية، لأنّهم يُحبّون مُحاضرات أمسيات يوم الاثنين، ولا يُريدونها أن تنتهي. أخبروني أيضاً أنّ العديد من أصدقائهم مُهتمون بالتسجيل. من أجل ذلك وصلتُ في أول اثنين من شهر آذار، كي أُدرّس صفّي التالي، فوجدتُ غرفة الصفّ مُزدحمة عن آخرها. كان هنالك ستون شخصاً محشورون في غرفة الصفّ، يحملون جميعهم فواتير بقيمة عشرين دولاراً في أيديهم. لقد حققَت سلسلة مُحاضراتي في ليالي الاثنين نجاحاً ضخماً في مُجمّعات جزيرة «لونغ» الشمالية.

خلال سنة كان عليّ ترك مركز مُساعدة التعليم بسبب ضيق المكان، فقررتُ أن أستأجر قاعة كبيرة في ثانوية «شاريبر» في الحرم الجامعي في ميناء «واشنطن». كان المكان مُزدحماً كلّ ليلة اثنين خلال السنة ونصف القادمة، وعندما نُشر كتابي في شهر آذار التالي كان لديّ ألف ومئتي شخص من الحضور. أنا الآن أكسب مالاً من سلسلة مُحاضراتي أكثر مما أكسبه كأستاذ جامعي بدوام كامل في الجامعة.

كانت مُحاضراتي ليلة الاثنين في ميناء «واشنطن» حدثاً اجتماعياً ضخماً، مع أشخاص يحضرون من جميع أنحاء «نيويورك». لم يمضِ وقت طويل حتى استلمتُ رسالة بالبريد من السيد «آرثر باين»، الذي يعمل وكيلاً أدبياً في مدينة «نيويورك»، يقول فيها أنّ زوجته «هاريت»، صديقة مُقربة إلى واحدة ممّن يحضرون مُحاضراتي، وأنّ صديقة «هاريت» أثنت بشأن مُحتوى ونمط المُحاضرات التي يُقدّمها هذا الأستاذ الجامعي في صفوف إلى المُجتمع، واقترحَت أن يتصل بي «آرتي» كي يرى إن كنتُ أُريد أن أكتب كتاباً باستخدام مادة هذه المُحاضرات ذاتها إلى عامة الناس.

رفعتُ سماعة التلفون واتصلت بـ«آرتي»، الذي يمتلك منزلاً في ميناء «واشنطن». أخبرتُه أنه لديّ كتيباً مُكتملاً بدأتُ به منذ أكثر من ستة أشهر، مُتسائلاً ما الذي أحتاجه كي أقوم بالاتصال مع الناشر. استمعَ «آرتي» إليّ وأنا أصف الكتاب وكيف أُريد أن أُبقيه باللغة اليومية الشائعة عند عامة الناس. أحبُّ هذه الفكرة ودعاني كي ألتقي به في مكتبه في «مانهاتن» الأسبوع المُقبل.

ركبتُ «الميترو» إلى المدينة مع كتيبي المُكتمل بيدي، وأمضيتُ وقت بعد الظهيرة المُمتع أُخبر فيه «آرتي» بكلّ أفكاري. قال إنه لا يستطيع أن يعدني بأيّ شيء، لأنني شخص غير معروف، وهذا سيكون حقيقة كتابي الأول، لأنني ألّفتُ كتبي السابقة في سوق مُختلفة. كان «آرتي» مُتشككاً، ولكنه مأخوذ بحماستي ويُحبّ آراء المديح التي سمعها من أصدقاء زوجته الذين حضروا مُحاضرات ليلة الاثنين العمومية في مسقط رأسه في ميناء «واشنطن». قال إنه سيتصل بي إذا استطاع أن يحصل لي على موعد مع دار نشر في «نيويورك».

غادرتُ وأنا أعرف أنني سأحصل قريباً على صفقة كتابي الخاص. لقد عرفتُ ذلك

بالتأكيد. أرى الآن أنّ «ليندا» وأصدقاءها الأربعة الذين اقتربوا وطلبوا مني تقديم سلسلة مُحاضرات مدفوعة إلى المجتمع كانوا ملائكة أُرسلوا إلى حياتي في مُهمّة مُحددة إلهياً. في ذلك الوقت رأيتُ ببساطة أنّ الأمر مُغامرة جديدة مُمتعة، بينما من بعيد ومن وجهة نظر أوضح، أرى الآن كيف أنّ هذه التجربة أطلقتني في اتجاه جديد كُلياً. كانت تلك خطوتي الأولى في اتجاه من الاعتماد على الذات على نحو أكبر في حياتي. تعلّمتُ في الحال أنني أستطيع البقاء في مهنة التعليم التي أحببتُها كُلياً، دون أن أضطرّ إلى ما أعتبرتُه قيوداً، مثل الإستجابة للمدراء، أو تدني الأجور الذي أتى مع مهنة التدريس. أنا أستطيع الاستمرار في تعليم أيّ مادة من اختياري بشروطي الخاصة، وقد اكتشفتُ أنّ هذا الأمر يُمكن أن يكون طريقاً مُربحاً في كسب العيش أيضاً.

على مدى عقود حتى الآن شجّعتُ كلّ شخص بأن يُؤمن أنّه يستطيع صنع حياة طيبة كما يُحبّها. لو بقيتَ على هدفك والتزمتَ باتباع سعادتك، فسيتعاون العقل الكوني الواحد معك ويجلب هذا الأمر إلى الإنجاز. سيظهر الناس المُناسبون، وتُرمى العوائق بعيداً، وتتجسّد الظروف الضرورية، ويتجلّى الإرشاد والتوجيه. كما تُذكّرنا الحكمة البوذية القديمة: «عندما يجهز الطالب، يظهر المُعلّم»، كذلك عندما يجهز المُعلّم، يظهر الطالب! والمفتاح هنا هو كلمة **يجهز**.

لو قررتُ قبل أربعين سنة مضت أنني لا أستطيع فعل أمر كهذا، فلم يكن ليعمل رُبّما، ولم يكن ليظهر الناس، ولكانت هناك إشكاليات كثيرة، أو رُبّما كانت كمية النقود التي أجنيها قليلة جداً، أو لم أكن ببساطة مُستعداً بعد. لقد كان أولئك الطلاب الخمسة، وتوفّر مركز مُساعدة التعليم بمثابة مُعلّمين أرسلوا إليّ. لقد كان استعدادي كي أرى الفرصة وأنتهزها هو الذي دفعني في اتجاه قول: «نعم، سأقوم بذلك».

لو لم أقُل نعم لهذا الاقتراح، كانت حياتي بأكملها ستتكشف بطريقة جديدة مُختلفة تماماً. رُبّما كنتُ بقيتُ أستاذاً جامعياً مُدّة الثلاثين سنة القادمة، لأنني لم أكن لأرى بنفسي أنني أستطيع أن أُعلّم وأفعل ما أُحبُّ، وأكسب دخلاً كبيراً من ذلك، ولما قابلتُ الرجل الذي سيُصبح وكيلي الأدبي، ويُرشدني إلى عالم النشر.

ما أعرفه الآن من هذه الفرصة هو أنّ المُعلّمين مُتواجدون وحاضرون في كلّ لحظة

من حياتنا. هؤلاء المُعلّمون لا يظهرون دائماً كما يظهر الناس العاديون: ففي بعض الأحيان يظهرون مُلتحمين على نحو مُتطابق مع الأحداث، أو من خلال رسالة غير مُتوقّعة في البريد، أو من خلال مُقابلة على التلفاز. لقد تعلّمتُ خلال هذه السنين ألا أبحث عن المُعلّمين، وبدلاً عن ذلك أن أُبقي نفسي في حالة جاهزية وأبقى في حالة امتنان تجاه الأمر برمته.

ذكرتُ سابقاً مقولة «ثورو» التي تُوضّح أنك إن اتبعتَ أحلامك «ستلتقي بنجاح غير مُتوقّع في الساعات العادية». أنا أشرح هذا بأنه يعني أنّ النجاح سيُطاردك لو بقيت بمُحاذاة الصورة العليا التي تمتلكها لنفسك. إنّ نهج المحاذاة هذا هو المفتاح. ابقَ مُرتبطاً مع مصدرك الابداعي وستكسب قوّة ذاك المصدر، لأنك أنت والإله واحد. عن طريق انتهاز فرصة ذاك الباب المفتوح في مركز مُساعدة التعليم عام 1974، فتحتُ باباً على قاعة كبرى من الإمكانات غير المحدودة التي ما كانت بطريقة أُخرى لتبدو مرئية.

أعود بذاكرتي إلى ليالي الاثنين عندما كنتُ أُعلّم صفّي الخاص، وقد ذكّرني ذلك بالصفوف التي قدمتُها لزملائي البحّارة في «غوام» عندما كنتُ في الحادي والعشرين من عمري. إنّ الفرح الصافي الذي شعرتُ به عندما اتبعتُ ندائي الداخلي الخاص، والانحياز إلى الإله، أبعداني عن الحاجة إلى جعل حياتي تُدار من قِبل ما كان الآخرون يظنونه الأفضل بالنسبة إليّ.

كنتُ أستشهدُ دائماً بالكاتبة الغامضة «فيرجينيا وولف»، كلّما بدا أنّ واحداً من أولادي الثمانية يستفسر عن الاتجاه الذي يجب أن يأخذه في حياته: «رتّب أيّ قطع تأتي في طريقك». يا لها من نصيحة عظيمة. خُذ القطع التي تظهر لك، ورتّبها بطريقة بحيث تعيش بلا خوف، وسيُعالج العقل الإلهي الكوني الواحد كلّ التفاصيل من أجلك.

إنّ يد القدر المُدهشة التي عرفَتْ ما الذي رغبتُ به في هذا التجسّد، كانت تُدير الأشياء من أجلي سابقاً في 1974–1975. لقد أرسلتني إلى «أوروبا» كي تُساعدني في تحديد مُهمتي، وأخرجتني من «تركيا» بأمان من أجل أن أرى القوّة التي تمتلكها نواياي في إنجاز أيّ شيء. لقد أرسلتني تلك اليد إلى «بيلوكسي» كي تُخلّصني من تلك العوائق

الداخلية التي تشوب عظمتي الداخلية، وجلبت إلى حياتي الوعي بامكانياتي كي أكون مُستقلاً تماماً مثل الناس الذين سيُرشدونني ويُوجّهونني.

في عام 1974 كنتُ أنظر إلى بابين ويجب أن أختار العبور من خلال أحدهما: الأول كان يضمن لي الجمود، والآخر كان يفتح على آفاق أكبر بكثير حتى من أعنف خيالاتي الخاصة. في خريف عام 1975 قُدّمت لي فرصة أُخرى كي أُرتّب القطع التي كانت تأتي إليّ على نحو سريع ومُخيف.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- لقد أكملتُ للتوّ سنتي الرابعة من التعليم في جامعة «سانت جون» في ربيع عام 1975، ووقعتُ أيضاً عقداً كي يُمثلني «آرتي باين» مُقابل تلقيه خمسة عشر بالمئة من أيّ شيء أكسبه ككاتب ناشر. لقد استخدم رابطاً يصله مع دار نشر «كروويل»، وأعطاني الفرصة كي أُقدّم كتيبي الكامل إلى مُحرر قدير هناك، وأرى إن كانوا مُهتمين بكتابي. قال «آرتي»: «اذهب إلى هناك وقُم ببيعهم فكرة نشر كتابك».

وصلتُ إلى موعدي المُحدد في قلب «مانهاتن» وقد أخبرتني السكرتيرة أن أنتظر في المكتب الخارجي. مضت ساعة، ثمّ اصطحبوني أخيراً إلى مكتب السيد «بول فارغس» الذي اعتذر مني كثيراً عن طول انتظاري، وبدأ المُقابلة من خلال سؤالي عن كتابي وخططي من أجل نشر الكتاب.

هناك شيء غير صحيح! لقد قمتُ بمُمارسة العلاج الخاص في جزيرة «لونغ» أكثر من أربع سنين، وأقوم بتقديم الاستشارات وجهاً لوجه خمسة أيام في الأسبوع في مكتب منزلي، وأتعامل مع ما يُقارب من ثلاثين مريضاً في الأسبوع. نتيجة لذلك أصبحتُ ماهراً بالشعور إن كان الانسان في حالة اضطراب عميق، وأنا أشعرُ الآن بذلك في هذه المُقابلة. يفيض «بول» بالغضب والتوتر، ويبدو كأنّه كان مُستيقظاً طوال الليل ويُحاول أن يضع قناعاً على مشاعره الحقيقية وينتهي من هذه المُقابلة، على الرغم من أنها رُتبت من «آرتي» منذ بضعة أسابيع.

انتقلتُ مُباشرة إلى مزاج المُعالجة، وسألتُه إن كان يرغب بإخباري ما الذي يجري

حيث أنني رُبّما أكون قادراً على مُساعدته. طرح «بول» قضية شخصية يتعامل معها، وأمضينا الساعات الثلاث التالية نتحدّث عنها. عندما انتهينا، اعتذر مني مرة أُخرى ونحن نتصافح ونُغادر. غادرتُ بكتابي تحت ذراعي، فلم يُعرض الموضوع أبداً بعد الدقائق القليلة الأولى من مُقابلتنا. عدتُ إلى المنزل في «الميترو».

عندما اتصل «آرتي»، مُتلهفاً كي يعرف كيف كان الاجتماع في «كرוويل»، أخبرتُه باختصار عمّا حدث. أصبح «آرتي» غاضباً بطريقة ودية ومُنزعجاً ممّا اعتبره قلة خبرة، ولم يكن يستطيع أن يُصدّق أنني تركتُ الفرصة الوحيدة في عمري تفلتُ من يدي. لقد حصل «آرتي» على هذا الاجتماع عبر شخص يعرفه في الشركة، ولم يكن يعتقد أنه سيستطيع الحصول على موعد آخر من أجلي. كانت هذه فرصتي الذهبية ولم أنتهزها على نحو مُناسب حسبما قال.

في العاشرة تماماً من الصباح التالي، اتصل «آرتي» من مكتبه في «مانهاتن»، تغلبه الإثارة. لقد أخبره «بول فارغس» للتوّ: «لا يهمّني ما يحتويه كتاب الدكتور «واين»، أُريد أن أُوقّع معه كي يكون كاتبي». عرض عليّ دفعة مُقدمة تُعادل تقريباً راتبي السنوي الذي أتلقاه من التعليم في الجامعة. كنتُ مبتهجاً بقوّة. لديّ عقد كتاب مع «فانك، واغنالز» التابعين لـ «كروويل تي.واي» ولقد ضاعفتُ دخلي أيضاً!.

لم يكن معروفاً لي في ذلك الوقت، أنني كنتُ أتقدّم حقيقة إلى أحد أعظم الفرص التي صادفتُها في طريقي على الإطلاق. لقد كان لديّ خيار في أن أجعل الايغو «الأنا» يُجري ويتولى ذاك الاجتماع الأول مع ناشر من «نيويورك»، حيث تتجاهل أناي ذاك التوتر الظاهر الذي كان «بول» واقعاً تحت تأثيره، وأتحرّك بقوّة كاملة قُدماً إلى أهدافي. كنتُ أستطيع محاولة بيع كتابي إلى هذا المُحرر واقناعه بكلّ الأسباب لماذا عليه أن يُفكّر في نشره، بيد أنّ هذا التصرف كان في صفّ الأنا، التي لا تريد إلا ما يتعلّق بالفوز، وجذب الانتباه بقدر الإمكان إلى النفس.

لقد تعلمتُ خلال السنين أنّ الأنشودة «المانترا» الداخلية للأنا هي دائماً هكذا مع بعض الاختلافات بين الناس: ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟ اعتنِ بي، أنا الشخص الأكثر أهمية في العالم. مع هذا النوع من الحوار الداخلي تمضي الأنا بلا توقّف كي

تُسيطر على مُعظم التفاعلات، وتصل إلى نتائج أقلّ من مُرضية. أستطيع أن أرى من هذه النقطة وبصورة أوضح أننا نُعطى فرصاً على نحو مُستمرّ كي نُروّض هذا الجانب من أنفسنا.

كان الخيار الآخر لديّ في مكتب «بول» في ذاك اليوم من عام 1975 فرصةً رائعة كي أُروّض الأنا عندي عن طريق وضعها في الخلفية واعتبارها أمراً ثانوياً. كان الخيار الذي قدّمتُه في ذاك اليوم يتجاهل تعزيز الأنا عندي ويستمع إلى «المانترا» الداخلية للأنا العليا. تسأل هذه «المانترا»: كيف أستطيع أن أخدمك؟ بدلاً من التركيز على: ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟. كان هذا درساً كبيراً بالنسبة إليّ، ليس فقط في ذاك اليوم، وإنما في كلّ كتابتي المُستقبلية ومسيرة تعليمي.

إنّ طبيعتنا الأصيلة هي الحبّ، العطف، الرّقة، وخدمة الآخرين. هذا ما يتصف به الإله ويتصرّف به، من دون طلب أيّ شيء، يُعطينا مجاناً النعم الدائمة من خلال منح الهواء العليل، الماء، الطعام، النباتات، الحيوانات. عندما نتجاهل الأنا لدينا ونستمع إلى الأنا العليا، نُصبح في مُحاذاة مصدر وجودنا، وهو الإله، ونكتسب بالتالي القوّة من مصدر وجودنا كذلك.

عندما نأتي من خلال سلوك كيف أستطيع أن أخدمك؟ كما كنتُ أفعل دون وعي في مكتب «بول»، يبدأ المصدر الكوني بتمييز نفسه في تلك الطاقة، ويردّ على السؤال بجواب: كيف أستطيع أن أخدمك؟. هذا ما كان يحدث لي، حيث أدّى تصرفي البسيط في الوصول إلى إنسان آخر مُحتاج، إلى جلب عالم جديد كامل من الوفرة غير المحدودة في حياتي من غير أن أعرف ذلك حتى.

لقد أتت العديد من الكتب الأفضل مبيعاً على نحو هائل من عقد النشر ذاك، وتوجّهت حياتي نحو طريق مُختلفة جذرياً وكُلياً عمّا كنتُ عليه. لقد أصبحت مسألة كبح مُتطلبات الأنا المُستمرة من أجل الانتباه وخدمة الذات موضوعاً كبيراً جداً في كتابتي، خطابي، وفي حياتي الشخصية الخاصة.

أشعر أنّ يداً إلهية امتدّتْ لي أثناء تلك الأيام من عام 1975، خلال ذلك الاجتماع القدري الواحد، حيث كنتُ هناك الأستاذ الجامعي غير المعروف في عمر الخامسة

الثلاثين. لقد أُدخلت إلى المكتب بقوّة غير مرئية وهي تهمس لي: اختر، إمّا أن تستمع إلى الأنا وهي تسألك: «ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟» أو إلى صوت الأنا العليا يسألك: «كيف أستطيع أن أخدمك؟». لقد كان هذا حقيقة أحد أعظم الدروس التي كان يجب عليّ تعلّمها، وأنا مُمتنّ جداً أنّ الأنا العليا عندي والتي قلّما كانت تُسمَع، قد استطاعت أن تطغى على الحثّ المُنتصر دائماً من قبل أناي.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّ ترويض هذه الأنا المُتبجحة الصاخبة كان تحدي الحياة، وأنّ ذاك اليوم في مكتب «بول» كان فرصة من أجل بدء تلك الرحلة. أنا مُمتنّ إلى الأبد تجاه كلّ أولئك المُشاركين الذين انضمّوا إليّ كي أبدأ تلك القصة الملحمية.

◄◄◄◄◄◄◄

- أثناء الفصل الدراسي الخريفي من عام 1975، كان درج أوراقي مُمتلئاً كلياً. لديّ العديد من الواجبات مع اللجان المُختلفة في جامعة «سانت جون»، برنامج تعليمي كامل، العديد من طلاب الدكتوراه الذين أُقدم النصح لهم، مُمارسة الاستشارات بدوام كامل. تحوّلت ليالي الإثنين التي إلى حدث، مع مئات الناس الذين يحضرون الصفّ الذي أقوده في ميناء «واشنطن» حول الحياة مع تحقيق الذات، وكتاب «مناطقك الخاطئة» المُخطط له أن يُنشر خلال أشهر قليلة، وأنا في مراحل التحرير الأولى له. أُحِبّ العمل مع «بول فارغس»، فهو عالي المهارة ويُقدّم لي جزءاً كبيراً من الإرشاد في مراحل تحرير الكتاب الأول الذي ألّفته بمُفردي.

لقد تطورت مُمارستي للعلاج على نحو كبير جداً حتى أنني لم أعد أقبل مرضى مُجدداً. كنتُ في أيام العطل من الجامعة أضع في جدول أعمالي على نحو مُتكرر مواعيد للعلاج من الساعة السابعة ونصف صباحاً وحتى التاسعة مساءً. كنتُ مع أوراق التقييم، وأطروحات الدكتوراه التي أُشرف عليها، واللجان التي يجب أن أجتمع معها، والعديد من الطلاب الذين يجب أن أنصحهم، أشعر بالنجاح، ولكن مع الضغط الكبير.

قبل صفوفي المسائية، كانت أيامي في الجامعة مليئة بالفوضى. كان مكتبي زاخراً بالطلاب الذين يحتاجون أن يروني الآن مع حشد من الاهتمامات، وسكرتيرتي «ماري»، تُقاطعني باستمرار كي أتحدّث مع شخص ما على الهاتف.

خلال ساعتين كنتُ أُخطط أن أكون أمام طلاب صفّ كامل، بالإضافة إلى ضيوف

غير مدعوين يُريدون أن يجلسوا في مُحاضراتي، وكنتُ أسمع «ماري» تطلب من العديد من زملائي الذين يعملون ساعات مكتبية: «هل رأى أحدكم الدكتور «داير»؟، هناك حوالي مئة من الناس يُريدون أن يروه، وقد بحثتُ عنه في كلّ مكان!».

في وسط الجلبة، عندما بدأت مخالب الفوضى تسعى نحوي من كلّ اتجاه، مُهددة أن تسحبني بعيداً، قمتُ بالهروب. نزلتُ من خلال الأدراج الخلفية لقاعة «ماريلاك»، وخطوتُ خارجاً، وأخذتُ نفساً عميقاً. مشيتُ على طول طريق «يوتيوبيا» دقائق قليلة، ودخلتُ الحديقة، حيث ذهبتُ إلى بقعة معزولة خلف مجموعة شجر، وجلستُ على صخرة كبيرة.

بقيت مُدّة خمس دقائق بعيداً، بينما كان مكتبي مُزدحماً بالناس، الذين يُريد كلّ منهم جزءاً مني. ابتسمتُ داخلياً على هذا اللغز الذي أعيشه، حالما أغلقتُ عينيّ واستمعتُ إلى أصوات الطبيعة، شعرتُ بالشمس على وجهي، وبدفء الطاقة الشافية الذي بدأ ينهمر على معدتي بعد القلق الذي كان يعصف بها. سمعتُ أصوات العصافير، الصراصير، الكلاب في الحديقة، والرياح التي تُحرّك الأغصان والأوراق فوقي. فتحتُ عينيّ ببطء، مُقدّراً الألوان المُدهشة التي ترقص من خلال الشجر حيث روعة تحوّل الخريف ماثلة أمامي، كلّ ذلك حدث دون أيّ جهد.

أمضيتُ خمس عشرة دقيقة بالكاد في هذه البقعة التي أعتزّ بها، مُستمتعاً بهروب مُختصر من الطاقة الفوضوية في مكتبي. لقد أصبحتُ جاهزاً كي أرجع. عدتُ مُنتعشاً إلى الجامعة وأنا أشعر كأني شخص جديد. لقد ذهب الثقل، وأنا أشعر على نحو أكيد أنه لا شيء يستطيع أن يُؤثر بي. أنا أعلم أنني عائد إلى الاضطراب، بيد أنّه لم يعُد يُشعرني بالعنف بعد الآن. صعدتُ السلالم الخلفية ودخلتُ الطابق الثالث من باب قلّ ما يُستخدم، ومشيتُ عبر مساحة المكتب الخارجي، وشعرتُ بالسلام على نحو كليّ.

كان الطلاب ينتظرون أن يرونني أبدو مُختلفاً عمّا رأوني عليه عندما غادرتُ على نحو غير ملحوظ منذ عشرين دقيقة. رحّبتُ بكلّ منهم في مكتبي وساعدتُهم بتناغم في حلّ قضاياهم عن العلامات، الأوراق، ومُتطلبات الجامعة الأُخرى التي بدت صادمة لرغبتهم في أن يُكملوا درجاتهم.

لم يعد زملائي الذين احتاجوا انتباهي يشعرون وكأنهم يتطفلون: أستطيع مُعالجة جميع المُكالمات الهاتفية بهدوء الآن. مضت الساعتان التاليتان بسرعة، وقد أدرتُ الكثير من التفاصيل على نحو خالٍ من الإجهاد نسبياً.

فكّرتُ في مساحتي الصغيرة في الحديقة كبقعة هدوء لي، جاعلاً إياها عادةً إذ أزروها كلّ يوم تقريباً وسط الفوضى التي تتصف بها ساعات مكتبي. كنتُ أثري وقتي في هذه المُقاطعة الهادئة بالسكينة التي أصل إليها، وبالرضا والغبطة تجاه تلك المخلوقات التي لا تبدو أنها في أماكن مُخصصة. أنا أغبط على نحو خاص الطيور التي تطير فوق كل شيء، وتُحلّق في الرياح، مُوضحة للجميع أنّ الفوضى هي على الأرض في الأسفل. لقد أدركتُ أنني اكتشفتُ أنه لديّ مكان من الحرية داخلي كذلك. أستطيع أن أُحلّق فوق كلّ ذلك وأن أنظر أسفل إلى الضوضاء بصورة أوضح، فقط من خلال الدخول في تخيّل النسر في رحلة.

الآن عندما أرجع بذاكرتي إلى أهمية بقعة هدوئي، أرى ذلك الدور المُهمّ الذي قامَت به مساحة الهروب الصغيرة تلك في الحديقة في عام 1975. كان هذا قبل انغماري بفترة طويلة في عالم التأمل الهانيء، ومع ذلك أشعر أنني كنتُ وبطريقة غامضة مُوجّهاً إلى تلك البقعة قرب جامعة «سانت جون» كي تُقدّم فكرة الصمت كترياق للضغط. لقد كان ذلك منذ حوالي أربعة عقود تقريباً، منذ أن جلست على صخرة الحديقة، ومع ذلك أستطيع أن أرى ما حدث تماماً وأنا أجلس هنا وأكتب اليوم. أستطيع أن أرى، أشمّ، أسمع، وأشعر فعلاً ببقعة الهدوء التي انسحبتُ إليها كلّ تلك السنين الماضية.

لقد أصبح التأمل نشاطاً مُهماً للغاية في حياتي، وكان مُقدراً أن أُصبح مُشاركاً بعُمق في فن التركيز القديم هذا. لقد وضّح المُعلّمون الشرقيون لي كيف أُعلّم الآخرين أن يُمارسوا «**جابا**»، وهي شكل قديم من التأمل باستخدام ترداد إسم الإله «المانترا» من أجل الوصول إلى حالات جليلة من الوعي الداخلي. لقد كان علّي أن أتعرّض إلى سحر كوني مع مُمارسة التأمل التجاوزي، وأتلقى التعليمات في هذه المُمارسة من قِبل بعض الأشخاص المشهورين في العالم في مسألة تهدئة الدماغ وتفكيره. لقد كان مُقدراً لي أيضاً أن أصنع نسختي الخاصة من التأمل، وأن أكتب كتاباً أعطيتُ فيه إرشادات مُحددة

عن كيفية جعل التأمل مُمارسة يومية في حياة الفرد. لقد كان كلّ ذلك أمامي يسبقني على الطريق.

أنا أرى الآن بوضوح عمل العقل الإلهي الذي كان مُطلعاً على قدري، الأمر الذي كان مُشوشاً بالتأكيد بالنسبة إليّ في ذلك الوقت. لقد كان العقل الإلهي يعمل في تلك الأيام التي كنتُ مدفوعاً فيها إلى ترك مكتبي والمشي إلى الحديقة. أعود بذاكرتي إلى الطاقة المُذهلة التي دفعتني كي أذهب إلى تلك البقعة في أيام عاصفة شعورياً كي أحظى بتجربة قوية تُوجّه مسار حياتي. لقد ارتشفتُ في بقعة هدوئي من ذاك الجمال الساحر الذي كان يُقدم إليّ، والذي بدا في ذلك الوقت، طريقة عظيمة من أجل وضع القلق جانباً والتنفيس عن قليل من الغضب. من بعيد نظرتُ إليها كإشارة لي في ذلك اليوم بالتحديد كي أصنع مُنعطفاً بعيداً عن الحياة المليئة بالضغط غير الضروري.

استشهدتُ دائماً بالفيلسوف الفرنسي، العالِم وخبير الرياضيات «بليز باسكال» الذي قال: «جميع مشاكل الرجال تأتي من عدم قدرتهم على الجلوس بهدوء في غرفة بمُفردهم». على الرغم من أنني فكّرتُ في كلماته مرات عديدة، ولكنها لم تأخذ مكانها حقيقة إلى أن اختبرتُ كيف تذوب مشاكلي بينما أجلس بهدوء في بقعة هدوئي الخاصة وحيداً. لقد أُعطيتُ الفرصة كي أعرف حقيقة هذه المشاعر من أول تجربة، وبقيتُ مُمتنّاً كُلياً تجاه أيّ شيء حثتني اليد الإلهية عليه في تلك البقعة المُقدّسة التي انطويتُ فيها غالباً. لقد أُعطيتُ دروسي الأولية في تحقيق السلام الداخلي في ظروف دفعت الآخرين إلى الجنون، وتعلّمتُ كيف أصبح مُعلّماً لهذه الحكمة إلى أجيال من المُتأملين الجدد ومُمارسي «اليوغا».

إنّ أحد أكبر الحقائق التي كنتُ سعيداً في تلقيها وتعليمها، أتت منذ عدة عقود بعد وصولي إلى بقعة هدوئي. لقد أصبحت علامتي التجارية التي أختم بها على كلّ دفاتر مُلاحظاتي. تقول هذه الحقيقة ببساطة: عندما تُغيّر الطريقة التي تنظر بها إلى الأشياء، تتغير الأشياء التي تنظر إليها. عندما كنتُ في خضم العديد من النشاطات والمُحاولات من أجل إيجاد وضوح وسط الاضطراب الذي هدد حياتي، جلب هروبي هذه الحقيقة لي بطريقة كبيرة.

بعد إمضاء جزء مُختصر من الوقت في الطبيعة، كنتُ أتحرر من الاضطرابات البشرية، وأتواجد في مساحة داخلية صامتة، كنتُ أستطيع العودة إلى مكتب الهرج والمرج ذاك وأغيّر الطريقة التي أنظرُ بها إلى الأشياء، وأنا مُتأكّد كفاية أنّ الأشياء التي نظرتُ إليها قد تغيّرت! . كان طلابي شباباً مُحتاجين، وليس أشخاصاً يُسببون لي الضغط، وكان زملائي زملاء عمل ودودين، وليسوا مصدر عمل أشياء إضافية أُخرى. لم تعُد المُكالمات الهاتفية بعد الآن مُقاطعات، بل ببساطة جزء من العمل الذي تطوّعتُ كي أفعله. لقد بدا المكان كلّه مُغامرة مُثيرة مع طاقة صاخبة، وليس استنزاف طاقة الدماغ المذهول.

اليوم، عندما أقرأ تلك الملاحظة عن تغيير الطريقة التي تنظر بها إلى الأشياء، أعود مرة بعد مرة إلى تفكيري في تلك الخلوات الهادئة في حديقة الجامعة المُجاورة. لقد كان توليفي كي أُعلّم الفكرة القوية أنّ لحظات قليلة هادئة في الحديقة، بإمكانها جلب نقلة نوعية في أكثر الظروف إزعاجاً. كنتُ مُتأكّداً كفاية، أنني على وشك الشروع في مهنة جديدة من تعليم الآخرين كيف يعيشون من مكان السلام، ويُغيّروا الطريقة التي ينظرون بها إلى الأشياء.



- لقد أكملتُ مسؤوليات الفصل الدراسي الخريفي في جامعة «سانت جون» وأصبحتُ أعمل في التحرير بدوام كامل من أجل إعادة كتابة كتاب «مناطقك الخاطئة». أخبرني «بول فارغس» مُحرري في دار نشر «كروويل» في «نيويورك»: «سيُنشر كتابك في آذار القادم، ولكننا نستطيع أن نبثه في حلقات على الإذاعة الوطنية، تهانينا!».

يتطوّر كتابي إلى دليل من أجل قطع الخط الأحمر خلال حياة الأنماط العاطفية. لقد كتبتُه ليس بسبب تدريبي التعليمي المُتطوّر، ولكن رغماً عنه. أنا واثق بشأن ما يعمل حقيقة في مُساعدة الناس على إحداث تغيير دائم، لأنني عملتُ مع الكثير من الناس من كلّ الفئات العمرية، ومع مجموعة واسعة من الخلفيات والتأثيرات الثقافية.

في السنوات الأربع الماضية من مُمارستي الخاصة، ساعدتُ المئات من المرضى كي يتعلّموا كيف يُديرون حياتهم بطرق أكثر صحّة وإنتاجية. لقد أتوا إليّ يسعون إلى تجاوز المشاكل العاطفية، ولقد نجحوا غالباً بمنهجية منطقية. أشعر أنني أستطيع أن أكون أكثر نفعاً بالنسبة إلى قُرّاء كتابي «مناطقك الخاطئة» إن استطعتُ تجنّب الطريق الأكثر تخصصاً من الناحية النفسية، والذي هو غالباً أساس تدريب طلابي في مرحلة الدكتوراه. أنا أُريد أن أُبقي هذا الكتاب بسيطاً وواقعياً بقدر ما أستطيع. لديّ قدرٌ كبيرٌ من الثقة في العظمة الفطرية لكلّ انسان.

لقد سمعتُ «بكمينستر فولر» يُلقي مُحاضرة حيث استحضر هذه الجملة: «كلّ شخص يُولد عبقرياً، ولكنّ طريقة العيش تُقلل من عبقريته». أنا لا أستطيع إخراج هذه

الفكرة خارج دماغي. أُريد من الناس أن يثقوا بعظمتهم الخاصة، فقد أقنعتني تجربتي في علاج المرضى وانفتاحي على الدكتور «ماسلو» بأنّ كلّ شخص عبقري. في كلّ جلسة استشارة كنتُ أؤمن أنني أجلس مُقابل عبقري، سمح «لسوء الحظ» لنفسه أو سمحَت لنفسها أن تكون غير عبقرية!. كان كتابي عن تحقيق هذه الأفكار من غير وضع الأعذار التي تُزوّد بها النظريات النفسية النظرية.

كنتُ أُناقش مشاكل مرضاي كما يرونها هم باختصار شديد، وكان مُعظم انتباهي ينصبّ على مُساعدتهم كي يُفكّروا على نحو مُختلف عن أنفسهم وحياتهم. سميّتُ هذا الكتاب «مناطقك الخاطئة» لأنه يدور عن تعليم الناس كيف يتجاوزوا أخطاء تفكيرهم. هناك الكثير من الناس الذين لا يُؤمنون بأنّ لديهم خيارات، إنَهم يشعرون بأنّ مشاكلهم تُفرض عليهم من قِبل عوامل خارجية، ليس لديهم أيّ سيطرة عليها، وهذا ما كنتُ أراه خطأً كبيراً. كنتُ أُقدّم لمرضاي وعلى نحو مُتكرر تلك الأدوات التي تُسهّل اكتشاف أنّهم مجموع كلّ الخيارات التي يصنعونها. إنهم يُقاومون في البداية ويُلقون اللوم، وأنا أُشير أنّ هذا خيار، وأُخبرهم أنّ فعل هذا ليس جنوناً فقط، بل هو خطأ في التفكير، هذه هي منطقتهم الخاطئة.

غيّر تفكيرك، تحمّل مسؤولية كلّ شيء في حياتك، واهزم تفكيرك الخاطئ. كنتُ أُمارس نوعاً من العلاج الفكري العاطفي المُخفف، وكنتُ أرى تغييرات هائلة تُصنع من قِبل زبائني في عدد قليل من الجلسات نسبياً. كان «آبراهام ماسلو» و«آلبرت إيليس» مُعلّمين رائعين، وقد أثّر عملهما على مُمارستي الخاصة، وفي كتاباتي، وفي حياتي الشخصية.

أصررتُ على إبقاء رسالتي مُباشرة وبسيطة أثناء عملية تحرير كتيبي الأصلي الذي كتبتُه منذ سنة مضت. إنه منطق سليم أكثر من كونه نظرية نفسية مُتحذلقة، وكان أكثر نفعاً في مُساعدتي للناس على قهر أخطاء تفكيرهم التي تُسبب العواطف المُضطربة والحياة غير المُنجزة. كنتُ أُقاوم الجهود المبذولة من قِبل مسؤول النشر كي أُضفي الصفة الاحترافية على كتيبي من خلال الكتابة حسب نمط الجمعية النفسية الأمريكية، أو أُشير إلى المراجع اللانهائية من الأبحاث المُعترف بها.

سريعاً إلى الأمام إلى شهر آذار 1976. استملتُ نسخة غلاف كتاب «مناطقك

الخاطئة» باليد في مكتبي في جامعة «سانت جون». أنا فائق السعادة والشعور أبعد من قدرتي على وصفه. كان قلبي يخفق بالمُتعة بينما أتأمل ما تمّ إنجازه: الزيارة إلى قبر والدي في «المسيسيبي». مئات المُحاضرات وجلسات الاستشارة التي سجلتها. تأثير د. «ماسلو» و د. «إيليس» على حياتي. أنا مُصمم أنني قادر على أن أصنع تأثيراً ضخماً من خلال الرسائل المُحتواة في صفحات كتابي.

استغرقتُ في ذكرياتي عن كلّ ساعات الكتابة، من البداية عندما كنتُ صغيراً جداً، وصولاً إلى هذه اللحظة جالساً بمُفردي في مكتبي وأنا أحمل كتابي، وأشعر أنّه أعظم كنز أستطيع تخيّله. حملتُه معي إلى صفوفي، ولكنني لم أُخبر أحداً عنه. إنه نفيسٌ جداً، ومُمتعٌ جداً إلى درجة أني لا أُريد مُشاركته الآن.

تذكّرتُ كلمات «بول فارغس» بخصوص كتابي الذي يُنشر في حلقات في الإعلام المحلي، وكنتُ مُتأكّداً بما فيه الكفاية أنّ أول ست حلقات من «مناطقك الخاطئة» ستظهر قريباً في مجلة «المُستفسر المحلي» التي تتخصص بأقوال المشاهير، وتُباع في مخازن البقالة في البلاد. أخبروني أنّ هذه المجلة الأسبوعية الدورية تصل إلى ما يزيد عن ثلاثة ملايين قارىء. لقد وصلت جميع المقالات التي كتبتُها في الصحف المحترفة إلى نسبة ضئيلة من هذا العدد. أشعر أنّ هذا الجمهور الضخم من القراء سيستفيد أكثر من قراء الصحف المُحترفة.

بدأتُ أتلقّى كماً هائلاً من الرسائل الالكترونية من الناس من كلّ أنحاء البلاد يطلبون مني النُصح، ويُخبرونني أيضاً أنّ كتابي يُساعدهم في حلّ المشاكل التي يُواجهونها في عائلاتهم وفي علاقات الحُبّ. كان هذا الاهتمام المحلي بمُجمله شيئاً جديداً بالنسبة إليّ، وبدأت أجيب على الرسائل.

كان هاتفي في الجامعة مشغولاً أيضاً أكثر من المُعتاد بالمُكالمات نتيجة شعبية كتاب «مناطقك الخاطئة». وكانت احدى هذه المُكالمات من مسؤول في جامعة «سانت جون» يُعاتبني على تمريغ سمعة الجامعة عن طريق الظهور في إعلام غير مُحترم كهذا. أخبرني أنني كنجم صاعد مع كتيبات منشورة ومقالات صحف، يجب عليّ ألا أسمح لهذه الحلقات أن تستمر، وإلا فإنني أُخاطر بمسألة التقدّم في مسيرتي المهنية، وبمسألة

الاهتمام بوصولي إلى منصب «الكلمة التي كنتُ أكبر كي أكرهها». في عمر الخامسة والثلاثين، كانت فكرة البقاء في المكان نفسه بقية حياتي كي أفعل الشيء نفسه، فكرة غير جذابة على الإطلاق.

لم أرفض فقط أن أُوقف حلقات «مناطقك الخاطئة»، بل كنتُ أطمح بفخر إلى كلّ حلقة جديدة من كتابي الذي قرأه الملايين من الناس. كنتُ أشعر بقوّة أنّ الكثير من هؤلاء القراء سيكتشون طرقاً كي يُغيّروا حياتهم بطرق إيجابية من خلال تعلّمهم كيف يتجاوزوا أفكارهم الخاطئة التي تهزم الذات. لقد اخترتُ أن أتجاهل المُلاحظات الحرجة، ولم أُعر أيّ انتباه للتهديدات السياسية الفارغة التي تُوجّه طريقي من قِبل المناصب الإدارية العليا.

أعطاني زملائي القليل من السخرية اللطيفة عن الحلقات في نمط «القيل والقال» ولكنني لم أُمانع. كنتُ سعيداً بمعرفة أنني أصنع اختلافاً عند بعض الناس المُحتاجة، وأنّ الكتاب الذي ألّفته يُقرأ من جمهور كبير جداً، أكبر بكثير من العدد الصغير جداً من الناس الذين يقرأون المجلات العلمية الأكاديمية.

كلّما نظرتُ إلى الخلف إلى الوقت الذي كنتُ فيه على طريق تجميع الشكل النهائي لكتابي الأول الوحيد، أتذكّر مدى قوّة الضغط في أن تُنتج كتاباً يقف في وجه أيّ تلميح للنقد العلمي. لقد امتلأ كتاب «مناطقك الخاطئة» بالاقتراحات إلى القارىء كي يتعامل مع ذلك الشيء اللطيف جداً في داخله، وأن يُصبح مُستقلاً عن رأي الآخرين الجيد، وأن يكون مُتحرراً من الحاجة إلى الموافقة، هذا بدقة ما كنتُ أعلّمه. كان هذا أحد أكثر أنواع الاضطرابات العصبية شيوعاً، والذي كنتُ أُساعد المرضى في التغلّب عليه منذ سنوات، والآن أستقبل هذه الجهود من الآخرين كي أضمن المُوافقة على كتابي.

لقد أراد مسؤول النشر لهذا الكتاب أن يبدو علمياً أكثر، مع دراسات حالة ومراجع مشروحة. بيد أني استرجعتُ التفكير بالسيد «جاكيم رايز» وإصراره على أن أكتب بنمط جاف، غير مقروء، ومُملّ في صفّ الطلاب الجامعيين المُبتدئين، وكيف قاومتُ تلك الجهود وقتها، حتى وإن أدّت في النهاية إلى الحصول على نهاية غير مُرضية. كنتُ أكثر عناداً من أن أسمح لقوى خارجية، ومعايير مكتوبة من قِبل أنماط جامعية، أن

تُملي عليّ مرة أُخرى. دعمني «بول فارغس» في هذا على نحو كبير، لأنه رأى أولاً أنّ النظريات التي كنتُ أكتب عنها هي أمر فعّال في مُساعدته شخصياً.

لقد لعب هذا النداء الداخلي في مُقاومة جهود الآخرين في أن يُملوا عليّ كيف يجب أن أكون كشخص وبالأخص ككاتب، دوراً كبيراً في تطوّري كمُؤلف ومُتحدّث. كنتُ في كلّ مرة أُفكّر بالاستسلام والانتقال من النمط العقلاني لكتاب «مناطقك الخاطئة» إلى تنسيق أكثر «قبولاً احترافياً»، أسمع صوتاً داخلياً يقول: «أنت تعرف ماذا تفعل، أنت تُريد أن تُساعد الناس كي يتغيّروا إلى الأفضل، ولا تُريد أن تبدو جيداً بالنسبة إلى مجموعة غرباء أكاديميين. حافظ على المسار، حافظ عليه على نحو بسيط، تحدّث مُباشرة إلى القارىء. فقد كان الأمر فعّالاً في مكتب استشاراتك، وسيعمل هنا». من بعيد ومن وجهة نظر أوضح، أرى هذا على أنه إرشاد إلهي، وذكاء خفي أبقاني على الطريق التي عرفتُ أنها صحيحة بالنسبة إليّ. إنّ الأمر يتعلّق بكوني نفسي، وإدراك أنه لا أحد يستطيع عمل ذلك من أجلي. كنتُ أسمع هذا الدرس بصوت عالٍ لأنني احتجتُ أن أختبره مُباشرة كي أستطيع تعليمه.

كنتُ قد قرأتُ مُعظم أدبيات المُساعدة الذاتية التي كانت موجودة حتى عام 1975، ولم أشأ أن أكتب كتاباً مُشابهاً لكتب «ديل كارنيجي» أو «نورمان فينسينت بيل». كنتُ أُريد أن أخلق نمطي الأدبي الخاص، مُستخدماً نظرية كانت فعّالة بالنسبة إلى العديد من المرضى الذين أتوا إليّ من أجل الحصول على استشارة احترافية. كنتُ أعلم في روحي أنه عندما يتوقّف الناس عن التفكير على نحو خاطىء، ويبدؤون بأخذ كامل المسؤولية عن كلّ شيء في حياتهم، فإنّ ذلك يجعل التغيير الحقيقي والدائم مُمكناً. كنتُ أعيش برهاناً على ذلك، وهذه التجربة من التمسّك بأساسياتي وعدم الإذعان والكتابة كما يكتب أيّ شخص آخر، سمحَتْ لي أن أمتلك الكتاب الذي أردتُ كتابته. لقد حمل اسمي عليه، وسيعكس ما آمنتُ به مهما كان.

عدتُ بذاكرتي إلى الانفعال البسيط الذي نتج في الجامعة حول حقيقة أنّ كتابي كان يُنشر على حلقات في صحف «السوبرماركت»، وأستطيع الآن أن أرى كم كان مُهمّاً بالنسبة إليّ أن أرفض مُجدداً أن أتزحزح عن موقفي الحازم في هذه المسألة. كنتُ

قد أكّدتُ سابقاً وأنا في عمر العشرين، عندما كنتُ في البحرية أنني مُعلّم، ولم أضع أيّ قيود على هذا التصريح. لقد كنتُ في تفكيري مُعلّماً، وكلّما وصلتُ إلى أشخاص أكثر برسالتي عن التمكين الذاتي، أصبحتُ مُعلّماً أكثر فاعلية. بالنسبة إليّ كان المنطق بسيطاً في ذاك الوقت: إذا كتبتُ من أجل الجمهور الجامعي والإدارك الاحترافي، فسأصل تقريباً إلى بضع مئات من الناس، بينما لو كتبتُ من أجل أوسع جمهور مُمكن في الصحف الشعبية، فسأصل إلى ملايين من الناس، وكلّ منهم سيستفيد بالقدر الأكبر من تعليمي، وهذا هو الخيار الأصح ولا حاجة إلى التفكير حتى.

كانت مُهمتي أن أصل إلى أكبر عدد من الناس قدر الإمكان، ولذلك كنتُ أعيش الجنة مع حلقات كتابي. لم أكن أسعى إلى المظهر، بل أردتُ أنْ أعلّم، وأردتُ من الناس أن يشتروا كتابي، لأنني عرفتُ في أعماق قلبي أنّ وقتي في عالم الأكاديمية كان يُصبح أقصر فأقصر. لقد شعرتُ أنّ الأمر ضربة حظ قُدمت إليّ من مصدر الكون الذي كان يمتلك خططاً من أجلي أكثر ممّا استطعتُ أن أتصوّره في ذلك الوقت.

شعرتُ أنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» كان الطريقة الوحيدة من أجل الوصول إلى أيّ شخص، وقد أردتُ من كلّ شخص في هذا العالم أن يفهم الرسالة التي شرحها «بكمنستر فولر» بهذه الكلمات:

«لا تنسَ أبداً أنك فريد من نوعك. لا تنسَ أبداً أنه لو لم توجد حاجة إليك في كلّ تفردك كي تكون على هذه الأرض، فما كنت لتُوجد هنا أصلاً. لا تنسَ أيضاً، ولا يهمّ كيف تكون تحديات الحياة ومشاكلها، أنّ شخصاً واحداً بإمكانه صنع فارق في هذا العالم. في الحقيقة، إنّ كلّ التغييرات التي تهمّ في العالم تحدث دائما بسبب شخص واحد، ومن أجل ذلك كُن هذا الشخص».

لقد أردتُ أن أُعلّم الآخرين أن يتبنوا هذا الوعي كي يكونوا ذاك الشخص، وأكثر من ذلك، شعرتُ بتوق عميق داخلي كي أكون حقيقة ذاك الشخص بنفسي، وكنتُ أعلم داخلي أنني لن أستطيع أن أكون ذاك الشخص الفعّال ذاتياً، إذا كنتُ خائفاً ممّا قد يعتقده أيّ شخص آخر عني.

◄◄◄◄◄◄◄◄◄



- إنه شهر أبريل (نيسان) عام 1976، وها أنا أستأجر منزلاً في جادة «كايم» في غرب «بيلون»، «نيويورك». أُتابع مُمارستي الخاصة المُزدحمة، جنباً إلى جنب مع واجبات تدريسي المُحترف في جامعة «سانت جون». أنا أيضاً مُصمم مئة في المئة أنني سأجلب رسالة كتاب «مناطقك الخاطئة» إلى العالم.

اشتريتُ ألفي نسخة، والتي كانت تُمثل حوالي ثلث إجمالي الطبعة الأولى مُباشرة من الناشر. على بُعد بضعة كتل سكنية من منزلي لاحظتُ رسائل دعوة إلى محطة إذاعية على مبنى إذاعة «بيلون». ليس لديّ أيّ فكرة عن نوع المادة التي تبثها هذه المحطة، ولذلك مشيتُ بعد الظهيرة في أحد أيام الجمعة، وأعطيتُ مُوظفة الاستعلامات نسخة من كتاب «مناطقك الخاطئة». أخبرتُها أنني نشرتُ هذا الكتاب للتوّ، وأنني أعيش على بعد بضع كتل من هنا، وإذا كانوا مُهتمين بإجراء لقاء مع كاتب محلي، فسأكون مسروراً أن أكون ضيفاً في محطتهم.

في اليوم التالي تلقيتُ مُكالمة من مُدير المحطة، الذي رأى كتابي مع رقم هاتفي على مكتب موظفة الاستقبال. أنا مدعو كي أكون على الهواء في اليوم نفسه، حيث أنّ المُخطط مع الضيف المُقرر أُلغي فجأة. وافقتُ مُباشرةً.

في صباح يوم السبت ذاك أمضيتُ ساعة مبهجة في مُقابلة مع مُقدّم برنامج مُنوعات محليّ، إنه ظهوري الأول على كلّ وسائل الإعلام وأنا مُستمر. تلقينا بضع مُكالمات هاتفية، تحدّثت بارتجال عن نظريتي المنطقية من أجل خلق حياة مُبهجة. ازدادت

المُكالمات الهاتفية، وأصبحت جميع الخطوط الواردة مشغولة، وكلّ مُتصل يُريد أن يعرف أين يستطيع شراء الكتاب. أعطيتُ عنوان مكتبة محلية في «هانتينغتون»، والتي قدتُ إليها فور انتهاء البرنامج. طلبتُ من المدير أن يأخذ عشرة كتب مني برسم الأمانة، بما أنّ الكتاب لم يُشحن من وكيلي للنشر بعد. وافق المدير، وها أنا كاتب الآن، ومُوزّع كذلك! خلال ثلاثة أيام، باع متجر الكتب النسخ العشر من الكتاب. نبّهتُ وكيل النشر أن يتأكّد أنّ متاجر الكتب في جزيرة «لونغ آيلند» مُمتلئة بالكامل، حيث أنني سأكون في إذاعة «بيبلون» على نحو مُنتظم الآن.

لقد اكتشفتُ مُخطط التسويق الخاص بي: أستطيع زيارة محطات الراديو الصغيرة طوعياً حيث أقوم بمُقابلات، وأخلق اهتماماً بكتابي. لم يكن وكيلي للنشر مُتحمّساً تقريباً لفكرة التسويق والترويج لكتاب «مناطقك الخاطئة»، بيد أني كنتُ أفيضُ بالحماسة. بعد مُقابلتي في إذاعة «بيبلون» أستطيع أن أرى نفسي أفعل بدقة الشيء نفسه، ليس فقط هنا في جزيرة «لونغ آيلند»، ولكن في كلّ أرجاء البلاد كذلك. تبدو الإمكانيات أمامي غير محدودة. أشعر نفسي مسحوباً في اتجاه جديد. عليّ أن أُحرر نفسي من العديد من الالتزامات تجاه مرضاي في مُمارستي الآخذة في النمو، ومن مُسؤولياتي كمساعد مُدرّس في الجامعة خاصة.

في يوم الاثنين الخامس من نيسان، وصلتُ إلى ثانوية «سكريير» في ميناء «واشنطن» كي أُعطي مُحاضراتي الأسبوعية. أعلمتُ الحضور على نحو مُختصر أنّ كتابي سيكون مُتوفّراً للبيع بعد الحديث، فقد حملنا مع زوجتي خمسمئة نسخة في سيارتنا. كان المكان مُزدحماً بالكامل، حيث تواجد أكثر من ألف ومئتي شخص، قُمنا ببيع كلّ النسخ الخمسمئة بأكملها مُباشرة تقريباً. أنا أكثر من مُندهش! هنالك شيء مُمتع جداً يحصل، أعلم أنني على طريق هائل.

لقد أضاءت هذه الكلمات أنا مُعلّم شاشتي الداخلية. أستطيع عمل هذا بنفسي. أستطيع أخذ كامل المسؤولية عن كلّ جهات هذا المشروع. أستطيع أن أُصبح مكتبتي الخاصة إن كان هنالك حاجة في ذلك. أستطيع أن أُسوّق نفسي إن لم يكن قسم التسويق على اللائحة. أستطيع أن أُوزّع كتابي الخاص، وعلى نحو ملحوظ، أستطيع أن اخلق

الحماسة لدى المُشترين المُحتملين، ليس عن طريق بيع كتابي ولكن عن طريق محبّة ما أقوله وبيع ذاك الحُبّ. إذا أحبّوا ما أقوله، وأحبّوني كشخص يتحدّث، فسيُريدون تلقائياً شراء ما كتبتُه.

اقترح شخص كان يحضر بانتظام مُحاضرات ليالي الاثنين في ميناء «واشنطن» أن أكون ضيفاً مُحتملاً مع مُضيفي البرنامج الإذاعي «اتصال الليل» الذي يُبثّ من محطة «واشنطن». اتصلت بي «كاندي جونز»، عارضة أزياء الحرب العالمية الثانية المشهورة، والتي تزوّجت من الإذاعي «لونغ جون نيبل»، وسألتني: «هل لديك الرغبة أن تأتي إلى محطة الراديو وتبقى مع البثّ ليلة بأكملها؟» بالطبع قلتُ: «نعم».

وصلتُ الساعة الحادية عشرة ونصف مساءً وكذلك «كاندي» و«لونغ جون»، وأصبحتُ ضمن نقاش ذي طاقة عالية. تلقينا مُكالمات هاتفية، وبدأتُ أُقدّم النصيحة على الهواء إلى جميع فئات الناس في قلب «نيويورك»: سائقي الشاحنات، المُصابين بالأرق، الأرامل، القلقين، مُحبّي السهر ليلاً، أصبحَت الهواتف في حالة جنونية. قبل أن أُغادر إلى المنزل في السادسة صباحاً، طلبوا مني أن أعود مُجدداً في الأسبوع التالي.

أعطى كلّ من «لونغ جون نيبل» و«كاندي جونز» كمية هائلة من الدعاية لكتاب «مناطقك الخاطئة» وهم يقومون بإعلانات تجارية صريحة مُخبرين جميع مُستمعيهم أن يذهبوا كي يشتروا هذا الكتاب المُهمّ، ويطلبوا من مكاتبهم المحلية أن تُخزّن منه.

عدتُ في الأسبوع التالي كي أُشارك في استضافة البرنامج مع «لونغ جون»، حيث أنّ «كاندي» كانت مشغولة بطريقة أخرى. لقد تمّ تشخيص إصابة «جون لونغ» بسرطان البروستات من الدرجة المُتقدمة، ومن الواضح أنه على درجة كبيرة من الألم، يجلس على وسادة مُصممة خصيصاً كي تُخفف جزءاً من المشقة. لقد تركني وحيداً عند مُستقبل الصوت مع الشخص الذي يُجيب وينتقي المُكالمات.

أنا مُتحمّس كي أكون في واحدة من أكبر المحطات في أكبر مدينة في الولايات المُتحدة الأمريكية، مع خمس ساعات من الوقت أتلقّى المُكالمات وأُخبر الناس عن كتابي الصادر مُؤخراً. عندما غادرتُ كانت الهواتف ترنّ كما خلال الليل كله، وأُخبرتُ أنّ ظهوري على إذاعة «واشنطن» جمع تقييماً مرتفعاً على نحو استثنائي. أصبحتُ دائماً

في برنامج «كاندي جونز» و«جون لونغ» الاذاعي، وفي كلّ مرة أظهر، كانت تُباع كتبي جميعها في كلّ مكتبات «نيويورك» الموجودة عند محطات «الميترو».

تهافتَ عليّ الطلب كي أظهر على مستوى واسع مُتنوّع من محطات الراديو كضيف، وكانت الاستضافات دائماً غير مُخطط لها وعفوية. مع ذلك، وعلى الرغم من توهّج المُتعة الداخلي وشعوري بقدرتي على الوصول إلى العديد من الناس، ورؤيتي أنّ مبيعات كتابي تتصاعد، كنتُ أشعر أيضاً أنّ نفسي تُسحَب في اتجاه آخر. كان البقاء كلّ الليل والتحدّث على الراديو، ثمّ وجوب رؤية مرضاي كلّ اليوم، أو التواجد في الجامعة يقظاً وجاهزاً كي ألتقي بالطلاب، وأحضر اجتماعات اللجنة، وأُعلّم جدولاً كاملاً من الصفوف المُتخرّجة، ليست وصفة جيدة من أجل حياة طويلة ومثالية.

إنه شهر أيار، وقد نفد كتاب «مناطقك الخاطئة» منذ شهرين. كنتُ غير قادر على نقل حماستي بشأن الكتاب إلى القوى التي تُدير «كرooيل تي واي»، مع أنّ «بول» كان داعماً للغاية لكلّ جهودي في جعل الكتاب ذي اهتمام خاص، الأمر الذي شعرنا أنا وهو أنّ الكتاب يستحقّه بجدارة. كانت لديّ نظرة مُتوجّهة نحو عمل جولة محلية، حتى وإن بدا واضحاً بالنسبة إليّ أنّ الناشر لا يملك تمويلاً لهذا المشروع.

إنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» قد صُمم ليكون كتاباً على «القائمة». هذه التسمية تعني أنه مُجدول كي يكون على قائمة الربيع للإصدارات الجديدة، ولو بيعت الطبعة الأولى منه وهي حوالي ستة آلاف نسخة، فسيُنظر لذلك على أنه نجاح، وستكون نهاية القصة بقدر ما يكون الناشر مُهتماً. لديّ صورة مُختلفة تماماً، والتي تعني أنني المؤلف الأول المُحدد، المُتحمّس جداً، والمُنفعل، البحّار غير الخبير بطرق النشر الضخمة في «نيويورك».

أعلم ما الذي أنا مُجبر على القيام به، ولا أستطيع أن أستمتع بأيّ صورةٍ أخرى. أخبرتُ جميع مرضاي في عيادة مُعالجتي الخاصة أنني سأُغلق عيادتي في نهاية الشهر، حيث أنني غير قادر على المُتابعة على الوتيرة نفسها التي حافظتُ عليها.

خاب أمل مرضاي، مع أنهم عرفوا منذ البداية معي أنّ مهنتي لم تكن شيئاً يُشبه شراء صديق. أنا أُومن باستشارة قصيرة المدى مع التأكيد على الخروج بحلول عملية لتفكير

التدمير الذاتي والسلوك. كان موقفي: احضُر إلى جلسات استشارتي وغادِرْ بمهارات جديدة. لن نُمضي ساعات لا تنتهي نُراجع فيها صدمات الطفولة المُبكرة. هذه ليست طريقتي. سيكون من الثمين جداً أن ننشغل بالتحليل النفسي طويل الأمد، ولكن ليس معي.

في الثلاثين من أيار أغلقتُ عيادتي، وأصبحتُ حراً من ضرورة أن أكون في مكان مُحدد عدة أيام في الأسبوع. أصبحتُ أكثر أكثر قدرة على التنفّس على نحو أسهل، ولكن ما زال لديّ العديد من الارتباطات التي يجب أن أهتمّ بها قبل أن أقوم بما أشعر أنه يُناديني إلى وفرة بلا هوادة.

إنّ فرص إنجاز الرسالة الروحية عند شخص ما مُتعددة الوجود، عندما يكون هنالك صورة داخلية لنية الشخص مغروسة بثبات في المُخيّلة. عدتُ بذاكرتي إلى أفعالي عام 1976 عندما كان كتابي «مناطقك الخاطئة» قد نُشر للتوّ، أستطيع أن أرى بوضوح كيف أنّ الكون يضعني في مُحاذاة الأشخاص والظروف التي احتجتُها من أجل أن يسمح لي أن أتابع في الاتجاه الذي كنتُ مُتجهاً إليه، على الرغم من أنه لم تكن لديّ فكرة عمّا قد تبدو عليه هذه الوجهة. لقد تعلّمتُ أن أُمارس هذا النوع من الوعي حتى مع الأحداث النمطية المُتكررة مثل إيجاد موقف للسيارة. تظهر مواقف السيارات في كثير من الأحيان عندما تكون نيتي الداخلية مُركّزة على إيجاد مكان أركن فيه السيارة، بدلاً من التركيز على أنه لا توجد أبداً أيّ أماكن من أجل ركن السيارة حول هذه المنطقة في هذا الوقت.

كانت الصورة الداخلية التي تقول نعم للحياة، المفتوحة أمام جميع الامكانيات، تُملي عليك أن تنظر إلى الأمر بنظرة أكثر كثافة، كي تدفع الأشياء أن تعمل، وتقفز فوق حتى أدنى تكهن يُشير إلى أنك تُعطى الارشاد. هذا كلّ ما في الأمر عن المُحاذاة، والتي كتبتُ عنها على نحو مُكثف في السنوات التي تلت نشر كتاب «مناطقك الخاطئة» للمرة الأولى. لم أكن أعرف ذلك في وقتها، ولكن عن طريق التمسّك بالصورة الداخلية، كنتُ أضع نفسي في مُحاذاة مع العقل الإلهي، والذي أنا جزء منه، وأسمح للتاو العظيم أن يعرض تجارب في العالم الفيزيائي تتوافق مع قدري الإلهي الخاص.

حالما بدأتُ أُولي انتباهاً أكبر، استطعتُ رؤية تجلي التزامنات السّحري. في ذاك

الوقت عزوتُ ذلك إلى الحظ الجيد أو الصدف الغريبة. الآن أستطيع أن أرى بوضوح أكبر وأعلم على نحو أفضل. لا بُدّ أنني قد مررتُ جانب إشارة إذاعة «بيبلون» آلاف المرات قبل نظرتي إليها بعيون جديدة، أكثر تيقظاً. لقد كان المُعلّم دائماً هنا، ولكنه أخذ مُحاذاتي الجديدة كي أنظر إليها الآن، وأراها على أنها فرصة ذهبية.

لقد أُرشدتُ كي أطرق على ذاك الباب، وكان هنالك رابط خفي بيني وبين عاملة الاستعلامات، مُدير المحطة، الضيف الذي أُلغي، الناس الذين كانوا مُشاركين في مسألة الضيف الذي يجب أن يُلغى، مُقدّم برنامج المُنوّعات، وهكذا باستمرار إلى اللانهاية. ينطبق الشيء ذاته على كلّ الناس المُشاركين في إحضاري إلى محطة إذاعة «واشنطن» وكلّ شيء آخر يأخذ مكاناً في حياتي حقيقة حتى هذه اللحظة.

إنّ المفتاح لرؤيتي بوضوح أكبر هو المُحاذاة. من خلال الحفاظ على رغبة مُتقدة مع صورة تُشبه اللهب الداخلي الذي يكون منيعاً ضدّ أيّ اضطرابات، بدأتُ أنظر خارجياً إلى كلّ الظروف على أنها بشارة. لم يكن الحظ الذي دفعني بعد ذلك، بل كانت إرداتي أن أُمسك بالصورة الداخلية حتى تُصبح نية، ثمّ أتبع فطرتي بتواضع وأقول «نعم» لكلّ فاصل يأتي في الطريق. عن طريق كوني نشيطاً وبلا خوف، كنتُ أسمح بفتح الأبواب التي بقيت مُغلقة، أو حتى أسوء من ذلك، الأبواب التي كانت غير مُلاحظة.

أُدرك الآن أنني لا أُريد أن أتجاهل أدنى مرور داخلي حتى بخصوص فكرة أتعقبها. إنّ الأفكار هي اتصالات من العقل الإلهي حيث تنشأ كلّ الأشياء بما فيها أفكارنا. أنا أرى أنّ تلك الرغبة المُلتهبة التي كنتُ أختبرها داخلي لم تكن أبداً حول أن أُصبح ثرياً أو مشهوراً أو حتى أبيع الكثير من الكتب. لقد كان ذلك معرفة داخلية بأنّ ذاك كان ندائي. عليّ أن أُجيب ذاك النداء أو سأُصبح ميتاً في الداخل، مُستغرباً لماذا أشعر كثيراً بعدم الإنجاز. حالما قلتُ نعم لهذا النداء، عرفتُ ماذا أفعل. عرفتُ أنه عليّ أن أُغلق عيادتي وأُحرر نفسي. علمتُ أنني استطيع أن أكون فعّالاً في وسائل الاعلام لأنني أُعطيت كلّ تلك الفرص كي أظهر على الهواء. كلّ مرة قلتُ فيها نعم لمُقابلة أُخرى، أو وافقتُ على البقاء طوال الليل، كان هناك باب آخر يبدأ بالانفتاح على نحو سحري مع صور ذهنية عديدة كي أكتشفها.

يتحدّث «لاو تزو» في «التاو تي تشينغ»، عن أهمية التفكير القليل، وليس الكبير: «إنّ رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة». لو فكرتُ على نحو كبير حينها، لكنتُ تجاوزتُ محطة إذاعة «بيبلون» الصغيرة التي تبعد كتلتين عن منزلي، ولكنّ طرقة خفيفة على باب المحطة التي تمتلك قوّة بثّ بحدود عشرة واط، أدّت إلى شيء أكبر. ما أراه بوضوح هو أنّ خطوة صغيرة «كخطوات الطفل الأولى» تُؤدّي إلى الخطوة الثانية. لقد كنتُ مُرغماً أن آخذ خطوات صغيرة من قِبل قوّة في الكون تُوجّه كلّ شيء وكلّ شخص. لقد بدأَتْ الأشياء العظيمة بخطوة واحدة.

لطالما أحببتُ فيلم Coal miner's daughter «ابنة عامل منجم الفحم»، قصة «لوريتا لين»، مُغنية البلدة من «باتشر هولو»، «كنتاكي»، التي أصبحت أسطورة. ذهبَتْ من محطة إذاعية إلى أُخرى من غير تعب تعرض تسجيلاتها على أمل أن تحصل على عرض واحد فقط على الهواء. أنا أحبُّ مقالة صديقي «جو جيرارد» المعروفة، التي عشتُ معها بنفسي: «إن مصعد النجاح غير مُرتب. عليك أن تصعد الدرجات، درجة واحدة في الوقت نفسه».

أنا مُمتنّ تجاه حصولي على المعرفة الداخلية كي أكون قادراً على أن آخذ الخطوة الأولى.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- لقد أنهيتُ للتوّ الفصل الدراسي الربيعي في جامعة «سانت جون»، وأنا أتأمل فيما سأفعله في صيف 1976 وما بعده. كنتُ كلّ صيف إمّا أحضر الكلية، أو أُعلّم صفوف جامعية منذ عام 1962. لقد قُدمت لي لائحة كاملة من الصفوف كي أُعلّمها ابتداء من الأسبوع القادم، وعليّ إعطاء قرار خلال الأيام القليلة القادمة.

أنا أتوجّه بسيارتي غرباً على الطريق جزيرة «لونغ آيلند» السريع، مُتوجّهاً صوب الجامعة كي أُسلّم بعض الدرجات النهائية إلى طلابي المُتخرّجين الذين كانوا في فترة تدريب أشرفتُ عليها الفصل الماضي. كنتُ أقوم بتواجدات مُنتظمة على عدة محطات راديو في منطقة «نيويورك»، وقد اضمحلّت مبيعات كتابي، ولكنها مازالت ثابتة نوعاً ما. فجأة غلبني شعور، حيث استرجعتُ الخوف الذي اختبرتُه فقط منذ خمسة سنين مضت عندما كنت أتصارع مع قرار ترك «ديترويت» والقدوم إلى مدينة «نيويورك». رأيتُ وجه الدكتورة «بيترز» الهادئ عندما استرجعتُ ذكرياتي عن نصيحتها في ذلك الوقت.

ها أنا هنا مُجدداً، عليّ أن أُقرر بين خيارين: أحدهما يُقدّم لي الأمان والسلامة، والآخر هو المجهول. كتبتُ مقطعاً في كتاب «مناطقك الخاطئة» بعنوان «استكشاف المجهول» يتضمن قصيدة «روبرت فروست» بعنوان « الطريق غير المسلوك». في الليلة الماضية على الراديو مع «لونغ جون نيبل»، استشهدتُ بالسطور الأخيرة من قصيدة «فروست»:

طريقين تباعدا في الغابة، وأنا
أخذتُ الطريق الأقل عبوراً،
وهذا الطريق قد صنع كلّ الفارق.

فجأة، ومن غير تحذير جاء الوضوح إليّ بطريقة لم أختبرها منذ أن تحدّثتُ مع د. «ميلي بيترز» سابقاً في عام 1971 في «ديترويت». أنا مغمور بالصفاء الذي أشعر به. ليس هناك صراع. وقفتُ جانباً على جانب الطريق والدموع تنهمر إلى أسفل وجهي. لديّ شعور مُختلف أنني كنتُ مُغطى من قِبل روح هداية مُحبّة.

هذا ما سمّاه الدكتور «ماسلو» تجربة القمة، وهو مُصطلح يصف حالة فائقة، مُبهجة على نحو خاص، وتمتلك إحساساً روحياً صوفياً لا يُوصف. هناك لحظات وفقاً لكلام «ماسلو»، تمتدّ من ثوانٍ إلى دقائق نشعر خلالها بأعلى مراحل السعادة، الانسجام، الإمكانية. لقد سمّاها مرة «الأحداث الخارقة للوعي المُعزز» أنا في هذه الحالة الخارقة في هذه اللحظة، هنا على طريق جزيرة «لونغ آيلند» السريع. لقد وجّهتُ إلى أخذ الطريق الأقلّ عبوراً، وأنا أعرف ما الذي سأفعله، وليس ما يجب عليّ قطعاً فعله.

لا أتصل بزوجتي أو ابنتي، ولا أسعى وراء أيّ نصيحة. لقدْ رأيتُ النور في هذه المسألة ولا أحتاج أن أقلق بشأنها يوماً آخر، أو حتى ساعة أُخرى. أنا أرى وبكلّ تأكيد أنه أمرٌ محسوم. خففتُ طريقي في العودة إلى الطريق السريع، مُنسحباً تجاه موقفي الخاص جانب قاعة «ماريلاك»، ذهبتُ إلى الطابق الثاني وأخبرتُ سكرتيرة عميدة الكلية أنني أرغب في التحدّث مع العميدة «ساره فازنماير». أكّدتُ لها أنّ ذلك لن يأخذ أكثر من بضع دقائق. أخبرتُ العميدة بحماسة أنني أستقيل من الجامعة اعتباراً من نهاية هذا الفصل، والذي ينتهي بعد ثلاثة أيام من الآن.

سألتني أن آخذ رُبّما إجازة الصيف وأحصل على بعض الوضوح في هذه المسألة. قالَت: «رجاءً أعدْ النّظر». لديكَ فرصة مُستقبل كبير هنا. أنت نجم صاعد وارتباطك بالجامعة سيكونَ مُفيداً للغاية بالنسبة إليك».

وافقتُ على أنّ هذه خطوة محفوفة بالخطر في وقت غير مُؤكّد كثيراً، وأنني سأخسر

الفوائد التي تأتي مع الأستذة الجامعية من التقاعد الطبي، مُساهمات التقاعد، ضمانة العمل. أصغيتُ بانتباه، ولكنني كنتُ قد أطلت النظر في مُستقبلي، ورأيته الآن وكأنه حقيقة حاضرة. أخبرتُ عميدة الكلية أنني على دراية بالمخاطر ووازنتها بحذر، وأنني أُوقف توظيفي، وأنا مُفعم بالإثارة.

غادرتُ مكتب عميدة الكلية وصعدتُ الدرج طيراناً إلى مكتبي. اتصلتُ بزوجتي وابنتي، وكانتا تمتلئان ببهجة الحماسة من أجلي. أخبرتُ رئيس قسمي الدكتور «بوب دويل» بالأمر فصُدم، ولكنه أيضاً دعمني. لقد أخبرني عن مدى جنون أن تتخلّى عن الكثير من الأمان من أجل حُلم قد لا ينجح، وذكّرني بالعواقب المالية المُحتملة، مع دخل غير مضمون ودون ميزات، وخاصة أنني أصبح لديّ عائلة أرعاها، ولا أستطيع أن أتجاهل ذلك. عدتُ بتفكيري إلى تجربة القمة الخارقة للمُتعة الخالصة التي اجتاحتني منذ ساعة مضت أثناء الجلوس في سيارتي حيث اجتازني العديد من المسافرين في طريقهم إلى العمل أو المنزل. لم أعد مُسافراً بعد الآن، أنا على طريقي الخاص أخيراً، وكلّ شيء أفعله من الآن فصاعداً سيكون وفقاً لشروطي أنا.

هنأني زملائي، وبكَت سكرتيرتي وهي تُخبرني كم أحبّتْ العمل معي في تلك السنوات الخمس الماضية. نظّفتُ مَكتبي، وسلّمتُ علاماتي النهائية، ونزلتُ درجات السلم الثلاثة وتوجّهتُ إلى بقعة هدوئي على بعد عدة كتل.

دخلتُ في حالة تأملية عميقة من السكون. أنا لا أُريد أيّ شيء، ولا أيّ مُساعدة، ولا أيّ مُرشد، ولا أيّ شيء. أمضيتُ آخر ثلاثين دقيقة من مهنتي كمُدرّس جامعي في جامعة «سانت جون»، جالساً على قمة صخرة، مُستمعاً إلى الطيور وحفيف الريح في أغصان الشجر. أنا في حالة من الروعة. قدّمتُ الشكر إلى أيّ شيء مهما كان مرّ بي خلال الساعتين الماضيتين، وأعطاني تلك الرحمة المُشرقة والوضوح. أنا للمرة الأولى في حياتي، في عمر السادسة والثلاثين مُوظّف لحسابي الخاص، أطير بحظي وحدسي، حائراً من الاحتمالات.

لقد احتفظتُ إلى هذا اليوم بحيوية تلك اللحظة النوعية التي اختبرتُها على طريق جزيرة «لونغ آيلند» السريع، والأحداث اللاحقة التي ابتدأتْ تقريباً على الفور. لقد

كتبتُ عن هذه اللحظات النوعية كونها أنواعاً من تجارب القمة التي تُعطي فرصة من أجل نقل الوعي إلى حالة أعلى، حيث أن الاتصال الواعي يُصنع من الأنا العليا كي نُدفع في اتجاه جديد على نحو عفوي. هذه الطقوس والتبصرات المُفاجئة كانت موضوع مُعظم كتاباتي لأنني بدأتُ أراها زيارة من مملكة أعلى. لقد كتبتُ سابقاً عن تجربتي عند قبر والدي كواحدة من هذه اللحظات النوعية، أو ما سمّاها الدكتور «ماسلو» تقريباً لحظات البصيرة الخارقة والتي تُبدّل غالباً وتُغيّر الحياة.

هناك أربع صفات لهذه اللحظات النوعية وقد وصفتُها في فيلمي وكتابي بعنوان «The Shift» النقلة. أولاً: دائماً مُفاجئة. إنّ لحظة التبصر في سيارتي في طريقي إلى العمل بدَت آتية من غير توقّع. ثانياً: تتمتع بالحيوية. حتى اليوم وبعد سنوات عديدة، أعلم بدقة ما الذي كنتُ أرتديه في ذلك اليوم، وأستطيع أن أُخبركَ لون سيارتي الداخلي والتي كانت طراز «أولدزموبيل كتلاس». لا أزال أستطيع رؤية علامات البناء على الطريق السريع، ومرور السيارات، بل أستطيع أن أشمّ رائحة الدخان المُنبعثة من تدفّق المركبات غير المُنته. ثالثاً: دائماً خَيرة. أستطيع أن أتذكّر مدى السعادة التامّة التي شعرتُ بها حيث انبعثت تلك السحابة الملائكية كرائحة عطرة فوقي. انتابت جلدي القشعريرة، أو ما تُسمّيه ابنتي «الوخزات». رابعاً: باقية. بإمكاني أن أقول بعد أكثر من أربعين سنة تقريباً، أنني أتذكّر هذا الحدث وكأنه حصل منذ ساعة مضت.

لقد ظهر شيء لا يُمكن تعريفه من أجلي في حزيران عام 1976، وساعدني في صنع نقلة غير مُريحة في حياتي. لقد حصل ذلك في عدة مناسبات عندما كنتُ على حافة اختيار أيّ اتجاه سآخذ في حياتي. أنا أُؤمن بلحظات تجربة القمة ولا أعتمد عليها فحسب، ولكنني أدعوها إلى حياتي أيضاً. كلّما أصبحتُ أكثر ثقة بما يدور عنه هدف حياتي، أصبحتُ أكثر قدرة على دخول هذا النوع من الطاقة المشحونة عاطفياً وحيوياً. إنّ لحظات الوضوح مثل تلك التي اختبرتُها يوم استقالتي من الجامعة هي عناصر عيش حياة أكثرَ تحقيقاً للذات.

كلّما بدأ الأفراد بالمُحاذاة مع نيتهم الأصلية، وعاشوا حياة في اتجاه الهدف، دعوا دليلهم الأعلى إلى ارشادهم. بدأتُ أعرف أنّ الطريقة الوحيدة كي تصل إلى مُساعدة

الكائنات المُتقدمة، هي أن تُصبح مثلهم فيسنطيعون أن يتعرفوا على انعكاسهم فيك. لن تُجدي الصلاة نفعاً من أجل التوجيه والمُساعدة إذا كُنا نعيش حياة تتمحوّر حول الأنا.

في تلك اللحظة من حياتي كان كلّ ما أردتُ فعله هو أن أُشارك السّحر الذي أشعر به عن طريق لمس حياة الكثير من الناس من خلال برامج الاتصال عبر الراديو والبريد الذي كنتُ أتلقاه من كلّ أنحاء البلاد في استجابة مع نشر حلقات كتابي في الصحف الدورية المحلية. لم أكن مُنقاداً بواسطة الأنا، مع ذلك لم تكن لديّ فكرة أنني قد أتلقى نوعاً من الاستشارة الروحية التي لا يُمكن تفسيرها من السماء. كنتُ بمُحاذاة العقل الإلهي الواحد المسؤول عن كلّ الخلق، لأنني كنتُ أُركّز على الخدمة بدلاً من التلقي.

أستطيع أن أرى أنني كنتُ أبدأ للتوّ بالعيش انطلاقاً من الوعي الجديد، من خلال أن أُصبح أكثر شبهاً بأولئك الذين يعيشون كي يخدموا الحُبّ الإلهي. إنهم يرون أنفسهم بتلك الطاقة، ويستطيعون أن بل يقودوننا إلى طريق أكثر إدراكاً للإله.

من منظور النظر إلى الوراء هذا، أشعر أنني كنتُ في نوع من برنامج تدريب مُتقدم للمُعلّم. كان عليّ أن أعبر خلال الفترة الطويلة من الوقت عندما كنتُ في قبضة نفسي الزائفة «الأنا»، وعندما استطعتُ إزالة قبضة الأنا عليّ، شعرتُ بالاختلاف داخلي. نسيتُ أمر نفسي، وركّزتُ على الوصول والخدمة فقط لأنه كان شعوراً جيداً أن تقوم بذلك، من غير اعتبار للمنفعة المادية التي قد تصل اليّ.

إنّ الاستقالة من منصب الاستاذ الجامعي الذي يُعطي الأمان، وأخذ الطريق ليس فقط « الأقل عبوراً» ولكن « غير المطروقة على الإطلاق» من قبلي، كان مُدشّناً بواسطة زيارة روحية، ما زلتُ غير قادر على شرح كنهها على نحو كامل. لم أكن أعرف في ذاك الوقت أنّ «مناطقك الخاطئة» كان الأول من بين واحد وأربعين كتاباً الذين كتبتهم في السنوات الثمان والثلاثين القادمة، أو أنه كان مُقدراً أن أُؤثر في حياة الملايين من الناس حول الكرة الأرضية. أنا مُتأكّد أن العقل الإلهي الواحد، «التاو» العظيم، الإله، أو مهما كانت السمة التي نضعها له، كان واعياً تماماً للرسالة الروحية التي وقّعتُ من أجلها ووافقتُ أن أُنجزها، ولا بُدّ أنه علِمَ أنني لن أستطيع أن أقوم بها براحة وأمان الأستذة الجامعية في جامعة كبيرة في «نيويورك».

في المقطع السادس من كتاب «مناطقك الخاطئة» أوضحتُ مسألة «السعي غير الآمن إلى الأمان»، وافتتحتُ ذاك المقطع بمقولة «ألبرت آينشتاين»: «إنّ الشيء الأكثر جمالاً الذي بإمكاننا أن نختبره هو الشيء الغامض. إنه المصدر الحقيقي لكلّ الفنون والعلوم». كنتُ على وشك مُباشرة رحلة تعليم هذه الأفكار إلى أولئك الذين كانوا يسعون من أجل الأمان بعيد المنال. أنا مُتأكّد من أنّ الكائنات المُتقدّمة التي تُراقبني وتُرشدني في طريقي كانوا على وعي بحالة عدم الأمان الأساسية وعرفوا أنه من المُحتّم أن أمضي على الطريق الذي أتحدّث عنه، بدلاً من الحديث فقط عنه.

- -- -- -- -



◄ أنا على الهاتف أتحدّث مع نائب الرئيس في دار النشر الخاصة بي، «كرروويل تي واي»، كي أسأل كيف تسير أمور مبيعات كتابي. بعد التحقق، قال: «عندما تنفد كلّ نسخ كتابك من الطبعة الأصلية الاولى، سننتقل إلى لائحة الصيف. عليك أن تعتبر هذا نجاحاً كبيراً بالنسبة إلى كاتب لأول مرة».

أشعر أنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» سيموت أساساً في مكانه قبل أن يُعطى الفرصة كي ينضج. لقد أصبحتُ مُنزعجاً على نحو كبير من كلّ تلك القوى في المكتب الرئيس للناشر. تحدّثتُ إلى مسؤولي الدعاية، وأخبروني أنه لا يُوجد بدل ميزانية من أجل الدعاية الخاصة بكتابي. تحدّثتُ إلى المسؤولين في التسويق، وأخبروني أنه لا تُوجد خطة تسويقية لكتابي. أجريتُ مُكالمات مع المسؤولين عن توزيع كتابي إلى المكتبات، ولم يُعاود أحدٌ منهم الاتصال بي. بدا كلّ شيء وكأنه في ركود تامّ.

أنا في وسطِ نوع من الجمود الجديد جداً بالنسبة إليّ. كلّ شيء أكبر من اللازم، هناك العديد من الأقسام التي لا تتواصل، ثمّ تلوم بعضها البعض بسبب عدم الكفاءة. أنا مُتلهف من أجل جعل شيء ما يحدث، في توافق مع رؤيتي لنفسي ولهذا الكتاب. مع ذلك، أبدو وكأنني أركض إلى حواجز طرقية مع كلّ شخص أُصادفه. قررتُ أخذ الأمور ووضعها في يديّ. تخيّلتُ أنهم لو باعوا كامل الطبعة الأولى بينما لا يزال الكتاب على لائحة الإصدارات الجديدة في قائمة الربيع، فسيكونون مُجبرين على أن يقوموا بالطبعة الثانية.

بمُكالمة هاتفية واحدة، أصبحتُ مكتبة: كتب «واين داير»، غرب «بيبيلون»، «نيويورك». اتصلتُ على أنني مالك متجر كتب، وطلبتُ كلّ النسخ المُتبقية من الطبعة الأولى كي تُرسل إلى مستودعي «مرآب سيارتي». بعد يومين، اتصلتُ بنائب الرئيس ذاته، وطلبتُ منه لطفاً أن يُراجع حالة كتابي. كان مُستاء مني، حيث أنني سببتُ ازعاجاً دائماً له مرتين أسبوعياً على الأقل منذ نشر كتابي «مناطقك الخاطئة»، في الأشهر الثلاثة بعد شهر آذار.

تفحّص نائب الرئيس سجلاته كي يُعطيني تقرير المستودع الذي بين يديه، مُتوقّعاً أن يكون ذات التقرير الذي كان عندما تحدّثنا آخر مرة منذ بضعة أيام مضت. عاد وأخبرني أنّ الطبعة بأكملها قد بيعت على أساس عدم إرجاعها. سألتُ ما الذي سيفعله حيال هذا، ضغط الزر كي يطلب طبعة أُخرى، وكانت الطبعة هذه المرة صغيرة نسبياً مع ذلك، وهي في حدود ألفين وخمسمئة كتاب.

لديّ الآن أكثر من أربعة آلاف كتاب في مرآبي: بعد أسبوع، اشتريتُ كامل الكمية المُتبقية من الطبعة الثانية كذلك. أُجبر الناشر على أن يمضي في طبعة ثالثة، والآن بدؤوا يُلاحظون. في هذه الأثناء، تابعتُ برنامج الراديو وتابعتُ بيع كتبي في مُحاضرات ليالي الاثنين في ميناء «واشنطن».

بدأتُ أزور العديد من المكتبات بقدر ما استطعتُ في قلب «نيويورك». أخذتُ نسخاً من كتاب «مناطقك الخاطئة»، وطلبتُ منهم أن يُخزّنوه برسم الأمانة. كلما كنتُ أظهر في برنامج الراديو المحليّ، كنتُ أذكر أسماء المكتبات التي تُخزّن كتابي. كنتُ أقوم بالإعلانات التجارية لكتابي كلّما تلقيتُ مُكالمة في البرنامج خلال حديثي على الراديو، وأُخبر جمهور المُستمعين بدقة أين تُباع الكتب، ممّا يجعل أصحاب متاجر الكتب حقيقةً سعداء جداً. بعد زيارة ثانية إلى المكاتب المُتنوّعة التي وافقَت أن تبيع كتابي، لم أعُد أحتاج بعد الآن أن ألعب دور المُوزّع وجامع المال، حيث أنهم الآن يشترون كتاب «مناطقك الخاطئة» من خلال القنوات العادية.

لقد أصبحتُ متجر كتب بنفسي، ولديّ خطة التسويق الخاصة بي قيد العمل، وأنا أهتمّ بالتوزيع والتسليم كذلك. لقد كان «بول فارغس»، الغارق أيضاً في بيروقراطية

كبيرة للنشر في «نيويورك»، واعياً لما أفعله، ويتحدّث إليّ عن كتابة كتاب مُتابعة. يبدو الأمر سابقاً لأوانه بالنسبة إليّ، فأنا فقط في مراحل بداية جهودي كي أُشارك رسالة كتاب «مناطقك الخاطئة» مع العالم. أخبرتُ «بول» أنني سأكتب كتاباً ثانياً في العام المقبل.

أحضّر الآن خطة دعايتي الخاصة، حيث أنني تحدّثتُ إلى مُديرة الدعاية في «كروويل تي واي»، والتي كانت أيضاً غاضبة بعض الشيء بسبب مُضايقتي المُستمرّة. كانوا ينظرون إليّ على أنني كاتب بعلامة تجارية جديدة لا يفهم بوضوح كيف يجري النشر في مدينة «نيويورك»، تماماً كشخص لا يعرف مكانه في الواقع. سألتُ كيف بإمكاني جعل هذا الكتاب مُتوفراً للبلاد بأكملها. أخبروني أنّ هنالك طريقة واحدة فقط كي تصل إلى كلّ شخص في البلاد عبر وسائل الإعلام، وهو أن تقوم بالظهور في البرامج المحلية مثل **برنامج الليلة، برنامج «فيل دوناهو»، برنامج اليوم**، إلى آخره.

تمّ تعيين فتاة شابة اسمها «دونا جولد» تعمل في قسم الدعاية كي تعمل معي. كانت «دونا» تُحبّ الكتاب وتُحبّ العمل معي، ولكنها كانت أيضاً عاجزة أمام حقيقة أنّ أيّ نقود لم تُخصص من أجل الدعاية لكتاب «مناطقك الخاطئة». لا أستطيع السفر، لأنه ليس هنالك بدل سفر. وليس هناك أحد مُهتمّ في البرامج المحلية ولو بالحدود الدنيا بأن يستضيف أخصائياً نفسياً غير معروف في برنامجه، وخاصة مع كتابه الأول. إنّ «دونا» شابة مُفعمة بالطاقة، ولكنها عاجزة عن تجاوز النظام الذي تعمل فيه.

كتبتُ خطاباً حماسياً طويلاً إلى مُديرة الدعاية أُعلمها فيه أنني على علم بطريقة ثانية من أجل الوصول إلى كلّ شخص في أمريكا غير وسائل الإعلان، وهي أن أذهب إليهم مُباشرة بنفسي. لا أُريد أيّ تمويل، سأدفع نفقاتي الخاصة. سأجوب البلاد بنفسي. سأذهب إلى أسواق أصغر مع كتبي بالعربة، سأوزّع، وأسوّق، وأُسلّم كما كنتُ أفعل ذلك بنجاح في منطقتي خلال الأشهر العديدة الماضية.

لم يُصادف الناشر كاتباً يُشبهني. حاولوا أن يُثبطوا همتي، ولكن تلك الشعلة الداخلية كانت رغبة تشتعل بحقّ، وتُخبرني أن أنسى أمر كلّ المقاومة التي أُواجهها، وأن أستمع وأتبع النداءات الداخلية التي لن تصمت. يجب أن أفعل هذا الشيء بنفسي وبطريقتي،

وليس من خلال الصراع والشكوى من أفخاخ البيروقراطية، أنا أعرف أنني سأُرشَد كلّ الطريق. أنا مُندفع بالحماسة.

وافقَت «دونا جولد» أن تعمل معي من المنزل، إنها ملاك. أخبرتني أنني لو ظهرتُ في مدينة مُتوسطة الحجم مثل «كولومبوس، أوهيو»، فإنها ستقوم بالاتصالات كي ترى أيّ الصحف والبرامج التلفزيونية والإذاعية بإمكانها أن تحجز. سأدفع ما استطعتُ لقاء خدماتها، ولكنها تفعل ذلك على نحو أساسي لأنها تؤمن بي وبالرسالة التي عليّ تقديمها.

إنه مُنتصف شهر حزيران 1976. أتحدّث مع ابنتي «تريسي» وهي في الثامنة من العمر عن الذهاب في مُغامرة مُثيرة كي أزور مُدناً حول البلاد، في الشمال، الجنوب، الشرق، والغرب. إنها شُجاعة، وكذلك زوجتي شُجاعة. لم يدُم ذلك طويلاً قبل أن تُحزم السيارة وتُعبّأ بالكتب من أجل التوزيع، وأنا وزوجتي اصطحبنا معنا «تريسي» وصديقها «روبن» في مُغامرة عبر البلاد.

بقدر ما أستطيع سأزور أماكن عديدة قادرة على أن تستقبلني كضيف إعلاني، وكانت «دونا» تقوم بالترتيبات والمُقابلات قدر المُستطاع. كانت خطتي أن أقوم بالعديد من البرامج الإذاعية وأُعلن على الهواء مُباشرةً أنّ كتابي مُتوفّر في مكتبات مُحددة، والتي استكشفتُها مُسبقاً. بعد البرنامج أتوجّه إلى تلك المكتبات، وكانت زوجتي غالباً هي التي تتصل وتستفسر عن شراء هذا الكتاب الذي يُناقشه هذا المؤلف الآسر على الراديو. لقد تلقوا للتوّ العديد من الطلبات وهم يُريدون أن يأخذوا الكتب برسم الأمانة عندما أصل إلى المكتبات مع دستة أو ما يُقاربها من الكتب.

كانت أيامي مليئة بالقيادة، الحجوزات في الفنادق، الذهاب من محطة إلى محطة بعد إيجاد أماكنهم على خريطة جيدة من أجل الاستخدام. إنه أمر عادي بالنسبة إليّ أن أبقى في مدينة أياماً عديدة وأن أقوم باثنتي عشرة إلى أربعة عشرة مُقابلة في اليوم، وأبقى غالباً مُستيقظاً كلّ الليل أتلقّى مُكالمات في وقت مُتأخر من الليل عبر الراديو. كانت «دونا» كفوءَة على نحو لا يُصدّق. كلّما زادت المُقابلات التي أقوم بها، ازداد الخبر انتشاراً أنني أستطيع القيام بمُقابلات مُقنعة. لقد أصبحتُ المُعالج الخاص

بوسائل الإعلام، وليس هنالك نقص في محطات الراديو التي تُريد أن تستضيفني في برامجها الحوارية.

توجّهنا عبر البلاد، ومع قيامي بعدد كبير من المُقابلات في كلّ مدينة نتوقّف فيها، بدأ الكتاب يُلاحظ من قِبل الناشر، حيث أنّ الطلبيات من خلال مُقابلاتي عبر البلاد بدأتْ تتدفّق على نحو مُنتظم إلى حدّ ما. لقد ذهب كتاب «مناطقك الخاطئة» إلى طبعة رابعة، ورتّبت «دونا» أخيراً أن تأخذ إذناً بالعمل معي من مكتبها في «كروويل تي واي» أثناء اليوم. أُعطي قسم الدعاية بعض المال من أجل كتابي، ثمّ استقبلتُ تلك المُكالمة القدرية من «هاورد بابوش» من **عرض الليلة**.

في أيلول، أخبرني وكيلي «آرتي بايت»، ومُحرري «بول فارغس»، أنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» سيقوم بظهوره الأول على قائمة أفضل الكتب مبيعاً في «**نيويورك تايمز**» يوم الأحد. بالنسبة إليّ، كان الأمر موازياً لكوني فناناً وحصلتُ على جائزة «الأوسكار».

من هذه النقطة وعند النظر إلى الخلف إلى إحباطي مع ناشري في «نيويورك» أستطيع أن أرى الآن النعمة الكبيرة التي قدموها لي من خلال لا مبالاتهم. لقد أُعطيتُ فرصة رائعة كي آخذ حياتي في يديّ، ونتيجة لذلك لن يكون لديّ حتماً أيّ شخص ألومه عندما لا تسير الأشياء بالطريقة التي أردتُها أن تكون عليها. لقد كنت أُطبق هذا الدرس في كلّ حياتي، ولكنه هنا قُدّم إليّ بطريقة كبيرة جداً.

عندما أخبروني أنّ كتابي توجّه على نحو أساسي في اتجاه النسيان، فلو سمحتُ لأناس آخرين أن يكونوا مسؤولين عن هذه العملية بأكملها، فقد وضعني ذلك أمام خيار. كنتُ أستطيع أن أقول: «حسناً، أعتقد أنّ هذه هي الطريقة التي يسير بها النشر في «نيويورك»، الأمر يحتاج وقتاً كبيراً. أنا فقط مُسنن صغير في عجلة كبيرة، سآخذ أيّ قرار يُقررونه، وأعتقد أنها الطريقة التي تكون عليها الأشياء». لقد اختبرتُ القليل من النجاح، واستطعتُ أن أقول شكراً، وأجعل كلّ ذلك يتلاشى بعيداً.

أمّا خياري الثاني فقد كان أن أرفض السماح لرأي أيّ شخص أن يُعاكس الطريقة التي وضعتُها في خيالي، وأن آخذ المسؤولية الكاملة عن كلّ مرحلة بمُفردها من هذه الرحلة

التي كنتُ أتولاها. في الخطاب الذي كتبتُه إلى مُديرة الدعاية وضعتُ المقولة المُميزة جداً التي أحببتُها دائماً: «عندما قام الإسكندر العظيم بزيارة المُعلّم الروحاني الأعظم في زمانه «ديوجين»، سأله إن كان يستطيع أن يفعل أيّ شيء للمُعلّم الشهير، أجاب «ديوجين»: «فقط لا تحجب ضوئي».

لم أكن أطلب من «كرورويل تي واي: أن يدفعوا أيّ من مصاريفي، ولا حتى أن يعرضوا عليّ أيّ مُساعدة في حجز المُقابلات. كلّ ما أردتُه كان بعض الضمان أنهم لن يُصبحوا عقبة بعنادهم، وألا يُوقفوا إنتاج الكتاب والتسليمات لأنني كنت أُحلّق خارج نمط الطيران الذي صمموه من أجل المُؤلفين الذين يتعاملون معهم.

كان لديّ قناعة داخلية بما أنوي فعله، وكنتُ أعلم أنني لن أستطيع الوقوف جانباً ببساطة والسماح بأن تُمسح كلّ أحلامي بسبب الآخرين، لأنهم أكثر خبرة، أو لأنني أشعر أنهم يعرفون الطريقة أفضل. طلبتُ منهم لطفاً ألا يحجبوا ضوئي، وأن يدعوني أتلقّى الإرشاد من نظرتي الخاصة.

لقد استخدمتُ أيضاً شيئاً آخر من مُلاحظاتي المُفضلة كلّ الوقت في رسالتي، وهو قول العالم الألماني «فريدريك نيتشه»: «لديك طريقتك، ولديّ طريقتي. إنّ الطريقة الصحيحة، والطريقة السديدة، والطريقة الوحيدة ليسوا موجودين، ليس هنالك «هذه الطريقة» من أجل فعل أيّ شيء».

ما أراه بوضوح اليوم بخصوص تلك الأحداث التي جرَت مع ناشري حول كيفية تسويق كتاب «مناطقك الخاطئة» وتوزيعه، ونشره، هو أنه قدّم لي فرصة من الطراز الأول كي أبدأ مُستقبلي الجديد في الكتابة من خلال الثقة بنفسي أولاً وقبل كلّ شيء. لقد قُدّمَت إليّ تجربة تعلّم عظمى.

في الوقت الذي كنتُ فيه مُحبطاً قليلاً لأنني لم أحصل على التعاون الذي رغبتُ فيه، ولكني لم أُفكّر حتى للحظة بالتخلّي عن الصورة الداخلية أنّ «هذا طريقي» والتي كانت تتقد بإشراق في خيالي. بدلاً عن صنع قضية كبيرة من كلّ هذا، أو حتى لوم نظام العمل كونه غير مُتحالف معي، ذهبتُ مُباشرة إلى الصورة التي زرعتُها في تفكيري، وقررتُ أن أجعل الشيء برمته مشروعاً مُسلياً ومُبهجاً. كنتُ أُمضي وقتاً من حياتي في

منطقة «نيويورك» جاعلاً كلّ هذا يُصبح حياً، ولم أجد أيَّ سبب مهما كان يجعل الأمر لا يعمل في أيّ زاوية من البلاد «والعالم كذلك»، لو حافظتُ على صورتي وتبعتُ محفّزاتي الداخلية.

لم تكن لديّ كلّ الإجابات حول كيف يجب عليّ أن أقوم بهذا التجوال من أجل يُحقق الكتاب نجاحاً كبيراً، بيد أنني علمتُ من خلال انغماري في بحث تحقيق الذات لـ «أبراهام ماسلو»، وبعد تقديم الاستشارات إلى مئات المرضى، أنّه من المهمّ بالنسبة إليّ، أن أبقى مُستقلاً عن آراء الآخرين الجيدة والسيئة. كما لاحَظَت صديقتي «مايا آنجيلو» مرة: «لا يُغنّي الطير لأنّ لديه إجابة، بل يُغنّي لأنّ لديه أُغنية».

من الواضح بالنسبة إليّ اليوم أنني يجب أن أتجاهل آراء ونصائح الآخرين عندما يتدخلون بمعرفتي الداخلية الخاصة. يكفيني أن أعرف أنّ لديّ أُغنية، وأنني بإرداة الإله أنوي أن أُغنيها.

◆ ◆◆ ◆◆ ◆◆ ◆



- لقد تغيّر عالمي على نحو كبير منذ أن اتخذتُ قراراً بأن أذهب وحدي ككاتب يعمل لحسابه الخاص. إنه عام 1977، وقد أمضيتُ السنة المُنقضية أعمل كامل وقتي في ترويج كتاب «مناطقك الخاطئة».

كلّ ثلاثة أسابيع أو ماشابه كنتُ أُسافر إلى الساحل الغربي كي أكون في «**برنامج الليلة من تقديم جون كارسون**»، والذي خلق جمهوراً محلياً لكتابي. أَحَبَّ صديقي «هاورد بابوش» نظريتي المنطقية والقصص التي أُخبرها، وقد استمرّ بحجز فقرة «بقعة كاتب» من أجلي في نهاية استعراض التسعين دقيقة. على نحو عام كنتُ أظهر في ليالي الاثنين، مع نخبة مُتنوّعة من ضيوف أمثال «بيل كوسبي»، «بوب نيوهارت»، «فينسينت برايس»، «جون ريفيرز»، «دون ريكلس» وغيرهم من المشاهير. كانت ردود أفعال الجماهير وتقييمهم دائماً مُرتفعة عندما أكون موجوداً، وكنتُ أشعر بالسرور لأني أحظى بفرصة عقد هذه اللقاءات المُنتظمة.

من خلال هذا العرض المحلي أصبحتُ مدعواً الآن من البرامج التلفزيونية التي كانت غير مهتمة قبل أشهر قليلة ماضية بمُدرّس يُدعى «واين داير». مُؤخّراً كنتُ في **برنامج ويل دوناهو، وبرنامج الليلة، برنامج ميرف غريفين، برنامج مايك دوغلاس، صباح الخير أمريكا**، وعدة برامج أُخرى. أصبحتُ أُسافر في البلاد في رحلة كتاب مُمولة من ناشري، وأقوم بلقطات استضافة في البرامج المُنتجَة محلياً في المدن عبر «الولايات المتحدة الأمريكية» و«كندا».

لقد أحببتُ دائماً التواجد أمام الجمهور وتقديم المُتعة إضافة إلى المُحادثات المُقنعة والتعليمية، كنتُ مُتحمّساً كي أحصل على العديد من التعاقدات الحوارية. لقد دُفعَت لي أجور أبعد من أكبر أحلامي، حيث كنتُ أكسب من ساعتي حديث، ما يُوازي مُرتب ثلاثة شهور في عمل الأستاذ الجامعي.

كان وكيلي السيد «آرتي باين» يحجز من أجل حواراتي، وكانت هنالك طلبات تأتي أكثر مما أستطيع إدارته. كنتُ أسافر عبر «أمريكا» الشمالية أتحدّث أمام جماهير أكبر في الكنائس، الجامعات، اجتماعات الشركات، الندوات العامة. بما أنّ الطلب على خدماتي كان يكبر، فقد استمرّ «آرتي» برفع أجور حواراتي. وجدتُ أنه من الصعب التصديق أنّ الناس قادرون على أن يدفعوا آلاف الدولارات كي يسمعوني أقول ما كنتُ أقوله دون أجر تقريباً قبل أشهر قليلة فقط.

لقد مرّت أربعة عشر شهراً على نشر كتاب «مناطقك الخاطئة»، وكان لدى ناشري كلّ أسبوع ظهور إعلامي في «**نيويورك تايمز**» يعرض فيه عدد نسخ الكتب التي في الطباعة. منذ تلك الطبعة الأولى التي كانت حوالي ستة ألاف نسخة، ارتفع العدد على نحو كبير خلال الطبعات الأربع الإضافية، كي يصل إلى العدد الحالي بإجمالي مئتين وخمسين ألف نسخة!. لقد أصبح كتاب «مناطقك الخاطئة» ظاهرة، وأصبح الأكثر مبيعاً عالمياً، وتُرجم إلى عدة لغات مُختلفة من أجل تلبية الطلب عليه في «أوروبا»، «أمريكا الجنوبية»، «آسيا»، «أستراليا».

في مؤتمر هاتفي مُشترك مع «آرتي باين» و«بول فارغيس»، أخبراني أنّ هنالك مقطعان من الأخبار سيطيران بي بعيداً. الأول أنّ كتاب «مناطقك الخاطئة» سيظهر في لائحة أفضل المبيعات في «**نيويورك تايمز**» في يوم عيد الأم، في الثامن من أيار عام 1977، على أنه الكتاب الأفضل مبيعاً في البلاد. الخبر الثاني كان لا يقل مُتعة: لقد وُضع كتاب «مناطقك الخاطئة» في مزاد من أجل استدراج عروض كلّ دور نشر الغلاف الورقي. تجاوزَت قيمة المُناقصة حدود المليون دولار، وأنّ شركة كتب «آفون» ستعرض هذا الكتاب على أنه القيادي في عدد المبيعات طوال هذه السنة.

لقد أُعلمت للتوّ أنني الكاتب صاحب الكتاب الأكثر مبيعاً في البلاد، وقد أصبحتُ

للتوّ مليونيراً كمكافأة!. أنا أطير فوق القمر من السعادة. أغلقتُ الهاتف في منزلي الصغير المُستأجر في جزيرة «لونغ آيلند»، ووضعتُ رأسي في يدي، وانهمرت دموعي على وجهي.

لم أكن أقوم بأيّ شيء سوى اتباع رؤيتي الخاصة، والتقدّم بثقة في اتجاه حلمي الخاص، والسعي كي أعيش الحياة التي تخيلتُها. إنه ما قرأته على جدار قاعة «ثورو» في «كونكورد، ماساتشوستس»، عندما زرتُه واستلقيتُ على السرير الذي نام عليه «هنري ديفيد ثورو» في القرن التاسع عشر. إنّ مُعلّمي الكبير هذا، الذي أرشدني خلال العديد من العقبات عندما كنتُ سابقاً في المدرسة الثانوية، كان مُحقّاً جداً. لقد التقيتُ بالنجاح غير المُتوقّع إجمالاً في ساعات عادية. أنا مغمور بالمشاعر.

اتصلتُ بأُمّي في «ديترويت» كي أُبشّرها بالأخبار، فتلقّت أخباري بطريقة الصدمة البالغة نفسها التي شعرتُ بها. ذكّرتني بالقصيدة التي كانت بعنوان «واين» والتي كتبَتها هي من أجلي سابقاً في عام 1970 عندما حصلتُ على درجة الدكتوراه. قرأتَها لي حرفياً:

تستطيع الأم وضع الدليل ثم تتنحى جانباً،
لقد عرفْتُ بيد أنني لم أستطع القول:
«هذه هي الطريق التي عليكَ المضي بها»،
لأنني لم أستطع التنبؤ،
أي طريق قد تدعوك إلى آفاق لا يُمكن تخيّلها،
والتي قد لا أعرفها أبداً،
مع ذلك، دائماً في قلبي،
أدركتُ أنك ستلمس النجم.
أنا لستُ في عجب!.

إنها تبكي بفرح بينما تُذكّرني على نحوٍ هزلي أنّ كتابي هو عمل ضخم، لأنها كانت طبعت النسخة على الآلة الكاتبة قبل أن أُعطيها إلى الناشر. هذه المرأة الجميلة التي

ضحّت كثيراً كي تُرجع عائلتها المُحطمة معاً بعد أن هُجرت من والدي البيولوجي، والتي عملت كلّ يوم من حياتها دون شكوى، هي والدة الكاتب الميليونير، الذي ألّف الكتاب الأكثر شعبية في «أمريكا». قبل أن تُغلق السمّاعة قالت: «ابني الدكتور! أنا بصدق غير مُتفاجئة، «واين» لقد كنتَ دائماً تنظر إلى النجوم. أُحبّكَ كثيراً».

أغلقتُ السمّاعة وتلوتُ صلاة عميقة من أجل الشكر على هذه النعمة الهائلة التي وصلَت إلى حياتي. أشعرُ بالتواضع من حقيقة أنني أتيتُ من بدايات شحيحة كهذه، أنا أُصلّي كي أحصل على المُساعدة في البقاء غير مُتأثر بأيّ غرور جراء كلّ هذه المكافآت الخارجية. لقد قمتُ بالتزام أن أتأكّد من أنّ أخوتي وأمّنا لن يكونوا مُثقلين أبداً بدفعات الرهن العقاري.

نقلة سريعة إلى فصل الصيف، وقد أصبح كتاب «مناطقك الخاطئة» يتربع على لائحة الأفضل مبيعاً في «أستراليا»، «هولندا»، «السويد»، «النرويج». وافقتُ أن أزور هذه الدول كي أقوم بجولة دعاية. أنا في «أستراليا»، والنسخة الورقية من كتابي مُكدسة بارتفاع عال في كلّ متجر كتب أزوره. كنتُ أقوم بمُقابلة في محطة راديو عندما قُطعت المُقابلة بإعلان أنّ «إلفيس بريسلي» قد وُجد ميتاً للتوّ، والسبب المُحتمل هو جرعة مُخدرات زائدة. إنه السادس عشر من شهر آب عام 1977، قرأتُ صلاة صامتة من أجل «الأسطورة»، حيث بدأت المحطة مُباشرة بإذاعة تذكارات عن «إلفيس».

أثناء جولتي، كانت موسيقا «إلفيس» في كلّ مكان، وعلى كلّ محطة. لقد طُلب مني في كلّ مُقابلة لاحقة تقريباً أن أُعلّق على موته. تكلّمتُ عن المناطق الخاطئة للإدمان، وطُلب مني أن أقرأ المقطع النهائي من كتاب «مناطقك الخاطئة»، والذي كان بعنوان «صورة شخص أزال جميع المناطق الخاطئة». خلال هذا الوقت بدأتُ التفكير بكتابة كتاب ثانٍ عن الخروج من عادات الضحية المُخربة للذات، والتي يُمكن أن تُدمّر الشخص في نهاية المطاف.

أمضيتُ أسبوعين أجوب كلّ مدينة رئيسة في «أستراليا»، وأقوم بمجموعة لا نهاية لها من المُقابلات في الصحف، المجلات، الراديو، التلفزيون. إنه جدول مُنهك، بمُدّة

عشر أو اثنتا عشرة ساعة بلا توقّف في اليوم، من «بيرث» إلى «آديلايد»، «بريسبان»، «ملبورن»، «سيدني». عندما غادرتُ البلاد كان كتاب «مناطقك الخاطئة» هو الكتاب الأول في المبيعات، وكان لديّ سلسلة من الدعوات من أجل العودة، ومواعيد من أجل التحدّث في المُستقبل.

الذي يقف بوضوح أمامي الآن وأنا أبعث الحياة في لحظات الإنجاز المُتألقة تلك الناتجة عن بلوغ هذه الحالة العالية في عالم النشر هو الخوف الأكبر الذي كان داخلي. كنتُ قلقاً من عدم قدرتي على التعامل مع عدم الاستقرار المالي في بداية قراري أن أترك الجامعة وأتوجّه وحدي. لقد أحببتُ الشعور بالحرية الذي كان يُغذي روحي، ومع ذلك، كان رأسي مليئاً بالرهبة تجاه مخاوف المال.

نشأتُ في فترة الفقر الشديد، حيث واجه والدايّ الكساد الكبير، وكان المال دائماً اهتماماً كبيراً. لقد فُطمتُ على عقلية عدم الكفاية، ووضعتُ في بيوت الحضانة بصورة عامة لأنه لم يكن هنالك مال كافٍ من أجل رعاية الاحتياجات الأساسية. كانت أُمّي في عمر الرابعة والعشرين مع ثلاثة أطفال، تعمل أولاً كبائعة في محل للبضائع الرخيصة، ثمّ عملت سكرتيرة. بينما كان والدي الذي سُجن بجرم السرقة في أكثر من مُناسبة، قد تخلّى للتوّ عن مسؤولياته الأبوية واختفى. نشأتُ وأنا أعمل من الوقت الذي كنتُ فيه في عمر تسع سنوات. كان المال قضية كبيرة في كلّ مكان عشتُ فيه. كان النقص في المال والعجز المالي، وذكريات كوني جائعاً لا أملك الطعام الكافي كي آكله، مطبوعة في عقلي الباطن على نحو قاطع إلى حدّ ما.

بناء على ذلك، كان التوجّه في طريقي وحدي مع عائلة عليّ دعمها في عمر السادسة والثلاثين، من غير دَخل مضمون، أمراً هائلاً بالنسبة إليّ. لقد أحببتُ فكرة أن أكون مُديرَ نفسي، ولكنني كنتُ خائفاً من فكرة ألا أكون قادراً على أن أكفي نفسي وعائلتي. ما يبدو أكثر وضوحاً بالنسبة إليّ الآن، عندما أعود بذاكرتي إلى هذه الخطوة الخطرة هو أهمية شعور الخوف، والاعتراف به بدلاً من الاحتجاج عليه، ثمّ القيام بما كان يُخبرني به قلبي وروحي أن أفعله. لقد كانت إرداتي أن أضع جسدي وأفعاله في مُحاذاة الأنا العليا عندي، والتي لم تستطع بعد الآن التعامل مع العيش في الكذب. عندما جبتُ

البلاد، ثمّ سافرتُ عبر العالم، وقمتُ بما عرفتُ أنه كان هدفي الإلهي، بدأ كلّ شيء يُصبح في مكانه.

عندما أعلن المؤتمر الهاتفي مع «آرتي» و«بول» وضعي المادي الجديد كميليونير بقدرة كسب غير محدودة، أدركتُ حقيقة مُهمّة للغاية، كان قد أوضحها «باتانجالي» قبل حوالي ألفين وثلاثمئة سنة أو ما يُقاربها. لقد قدّم هذا المُعلّم الروحي الكبير نوعاً من النصيحة خاطبتني هناك في عام 1977، فقد قال: «عندما تكون مُلهَماً من قِبل هدف عظيم، وبعض المشاريع غير العادية، تكسر جميع أفكارك حواجزها، ويتجاوز تفكيرك الحدود، ويمتدّ وعيك في كلّ اتجاه، وتجد نفسك في عالم جديد عظيم ورائع»، ثمّ أضاف: «إنّ القوى الساكنة، القدرات، المواهب تُصبح حيّة، وتكتشف نفسك شخصاً عظيماً أبعد ممّا تتخيّل لنفسك أن تكون عليه».

أُحبُّ هذا المقطع، خاصةً ذاك الجزء المُتعلّق بالقوى الساكنة. هذه القوى التي نعتقد غالباً أنها ميتة ولا يُمكن الوصول إليها، وبيد أنها حسب قوله تُصبح على قيد الحياة كي تُساعدنا عندما نكون مُلهَمين بهدف عظيم ونتصرّف بناء عليه. أدركتُ أنّ لديّ بشأن المال الكثير من المخاوف والهموم التي كبرتُ وعشتُ معها حياتي كلّها، وأنّ هذه المخاوف قد سيطرَت على مُعظم تفكيري. إنّ ما قدمه «باتانجالي» كان حقيقياً بالنسبة إليّ بطريقة كبيرة.

عندما تبعتُ حلمي، وبقيت في الروح المُلهمة، حصلتُ على مال في السنة الأولى بعد أن تخليتُ عن وظيفتي أكثر ممّا حصلت عليه في فترة الخمس وثلاثين سنة السابقة من حياتي. بطريقة ما، رأيتُ الأمر بوضوح كبير الآن: عندما نبقى في اتجاه الهدف، ونرفض بثبات أن نكون مُثبطين، نتقبّل مخاوفنا ونقوم بالأمر على أيّ حال، تلك القوى التي تبدو ساكنة تعود إلى الحياة، وتُظهر لنا أننا أشخاص أعظم مما حلمنا لأنفسنا أن تكون، ونكتشف أننا واحد مع مصدر وجودنا، وكما صاغها «المسيح» تماماً: «مع الإله كلّ الأشياء مُمكنة».

إنّ الوجود مع الإله يعني العيش خارج الهدف، والقدوم دائماً من مكان الحُبّ. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أكبر أنّ قراري اتباع ندائي الأعمق الخاص، انطلاقاً من

أنشودتي الداخلية «المانترا الخاصة بي»: كيف يُمكنني أن أُساعد؟ بدلاً من ما الذي هناك من أجلي؟هو الذي بدد قلقي حيال المحنة المالية.

أثناء كلّ تلك السنين من التحدّث إلى الناس في وسائل الإعلام، كانت فكرة أن أُصبح ثرياً أبعد الأشياء عن تفكيري. لقد كان ظهور كتابي على لائحة الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز» مُفاجأة بالنسبة إليّ، وكان المال الذي بدأ يظهر حقيقة غير مُتوقّع. لقد علّمني علم نفس التحقيق الذاتي لـ«أبراهام ماسلو» أن أبقى مُنفصلاً عن النتائج، إذ كان يقول غالباً: إنّ الأشخاص المُحققين لذواتهم يفعلون ما يفعلونه لأنهم يتبعون قلوبهم ونداء أرواحهم، وليس بسبب ما قد يحدث لهم. لقد كانت رحلتي في أن أتبع ما شعرتُ به بعُمق داخل نفسي، وكان كلّ السخاء الذي ظهر مُؤثراً للغاية، وشكّل مع ذلك صدمة مُمتعة بالنسبة إليّ.

هذا ما هو واضح بالنسبة إليّ اليوم: اِتبع قلبك، اِبق في مُحاذاة مصدر وجودك، أحِبّ، ودَع الكون يهتمّ بالتفاصيل.

- - - - - - -



- قَبلتُ دعوة من أجل القيام بجولة دعاية للكتاب في «هولندا»، حيث حصل شيء لم يُسمع به من قبل. ظهرَت «ويليك آلبرتي»، المُغنية والفنانة المعروفة في «هولندا»، على نحو علني في برنامج تلفزيوني محلي، وأعلمَت كلّ شخص من المُشاهدين أنها قرأت كتاباً غيّر حياتها على نحو كامل، هذا الكتاب هو «مناطقك الخاطئة»، والمُعنون بالهولندية: «ليس غداً بل الآن». لقد قامت «ويليك» بشهادة مُحرّكة لعواطف المُشاهدين كي يقرؤوا ويُطبّقوا النصيحة المنطقية البسيطة المُقدمة ضمن ما كان بالنسبة إليها كتاب يُغيّر الحياة. في اليوم التالي كان الطلب على كتاب «ليس غداً بل الآن». أبعد من أيّ شيء رآه الناشر الهولندي.

سافرتُ بالطائرة إلى «آمستردام»، حيث تحدّثتُ مع هذه المرأة الفاتنة المسؤولة عن جعلي نبأً مُثيراً بين عشية وضحاها في «هولندا» و«بلجيكا». لم تستطع المكتبات أن تُواكب الطلب على كتابي. ظهرتُ في البرامج الحوارية، برامج الترفيه الليلية، وفي برنامج اللعبة المحلية، وكنتُ أقوم بالمُقابلات باستضافة المجلات والصحف.

أخبرتني «ويليك» أنها تأثرت بعُمقٍ بكلمات كتابي «ليس غداً بل الآن»، وأنها ستكون مُتحمّسة كي تُصادق على أيّ شيء سأُنتجه في المُستقبل. لقد كسبتُ صديقة في بلد لم أزره من قبل، مع نجمة تتحدّث لغة لا أُدركها، وهي مُستعدة أن تكون سفيرة لنوع التعليم الذي أروّج له في كتاب نُشر عبر المحيط في «أمريكا». هذا الكتاب يُباع بمئات الآلاف في بلد إجمالي عدد سكانه أربعة عشر مليون نسمة.

عدتُ إلى «الولايات المتحدة الأمريكية» وتقابلتُ مع «آرتي باين» و«بول فارغيس» في «كروويل تي واي» كي نتحدّث عن أفكار من أجل كتابي التالي. منذ أن استبدلَتْ مُقابلتي على الراديو في «سيدني» في آخر الصيف، كنتُ أفكر في موت «إلفيس» المُبكّر. كنتُ أُريد أن أكتب عن شيء ما يُؤثر في كلّ شخص أتحدّث إليه بطريقة أو بأُخرى. رأيتُ أثناء مُمارستي العلاجية أنه على الرغم من أنّ الأشخاص قادرون على تغيير أنماط تفكير الهزيمة الذاتية لديهم، وتصحيح أفكارهم الاعتيادية الخاطئة، إلا أنهم يبقون يشعرون وكأنهم ضحايا عوامل خارجية عديدة تبدو لهم كأنها مُستعصية.

قدّمتُ إلى «بول» مُلخصاً يُفصّل نظريات جديدة غير تقليدية على نحو مُذهلٍ من أجلِ التخلّص من الضغوط والاحتيالات التي تُوجّه إلى كلّ شخص باستمرار. كنتُ أُريد أن أُعلّم الناس كيف يتوقّفون عن الشعور بأنهم ضحية في جميع تفاعلاتهم في الحياة، وأن يقوموا بمهامهم من مُنطلق القوّة بدلاً من الضعف عندما يتعاملون مع أفراد الأسرة، رموز السلطة، والشياطين الذين يعيشون في الداخل ويسحبونهم على نحو مُستمر بعيداً عن سعادتهم الخاصة. يبدو لي أنّ «إلفيس» سمح لنفسه أن يُؤخذ من قِبل حاشية من المُحتالين الذين كانوا حريصين في الأصل على مصالحهم الخاصة في العُمق. كيف خرجَت حياته عن السيطرة إلى هذا الحدّ؟ لماذا لم يكن قادراً أن يُقاوم مكائد المُتعاملين معه؟ مَن كان هناك كي يقوده بعيداً عن سلوكيات التدمير الذاتي؟.

كنتُ أُريد أن أكتب كتاباً يستخدم نظرية المنطق التي أسرت الكثير من الناس حول العالم في كتاب «مناطقك الخاطئة»، كنتُ أُريد أن أُعلّم الناس كيف يتجنّبون فخّ الضحية الذي أودى بحياة «إلفيس» ويتصرّف على نحو مُنظم كسرطان زاحف في حياة عدد غير محدود من الرجال والنساء. دعوتُ هذا الكتاب الهادف Pulling Your Own Shrings «امتلاك زمام أمورك».

تلقيتُ دفعة مُقدمة جيدة من ناشري وكانت محدودة بسبب بعض القوانين في العقد الأصلي الذي وقعتُه معهم. لقد حاول وكيلي «آرتي باين» عبثاً أن يحمل الناشر كي يُقدّم دفعة مالية سخية تذهب أبعد ممّا ذُكر في العقد، بسبب النجاح الضخم وغير المُتوقّع لكتاب «مناطقك الخاطئة». كان «آرتي» عنيداً ويُريد أن يضغط على الناشر.

أخذتُ موقفاً مُختلفاً تماماً وكنتُ مُصراً على أن يتراجع ويحترم ببساطة ما وافقنا عليه في الأصل، عندما كُنّا مُتحمّسين كي نحصل على عقد كتاب قبل ثمانية عشر شهراً.

أنا أكثر من سعيد. لا أحتاج المزيد من المال بعد الآن، أنا أملك الآن منزلاً جميلاً في «فـ تي لوديرديل» في «فلوريدا»، حيث أُقيم على نحو دائم. أنا مُتحمّس من أجل كتابة كتاب ثانٍ وأعلم أنه سيُنشر. أنا أُصرُّ أن يتخلى «آرتي» عن طلبه أن يُمزّق ناشري عقدنا الأصلي. لا أُريد أيّ صراعات في أيّ مكان، ولا مشاعر قاسية. لا يتعلق الأمر بالمال، ولا أُريده أن يُصبح قضية، ليس الآن، ولا فيما بعد.

حالما بدأتُ كتابة كتابي الجديد، تذكّرتُ قراءتنا بصوت عالٍ لإعلان الاستقلال في صفّ التربية الوطنية الذي كنتُ أُدرّسه في ثانوية «بيرشينغ» في «ديترويت». هذه المجموعة من طلاب الثانوية درسوا سطراً من إعلان الاستقلال في ذاك الوقت، ثمّ ناقشوا ما قد قيل في الستينيات، وكيف ينطبق عليهم تقريباً بعد مئتي عام.

لقد رسم هذا السطر المُحدد أغلب النقاش:

«كلّ التجارب أظهرَت أنّ الأنواع البشرية أكثر ميلاً إلى المُعاناة، بينما تتقبل الشرور المُعاناة أكثر من تصحيح نفسها من خلال إلغاء الأنماط التي اعتادَت عليها».

قررتُ قبل أن أكتب الكلمة الأولى من كتاب «امتلاك زمام أمورك» أنّ هذا السطر سيكون مقولة الافتتاح في بداية الكتاب، حيث أنه يعكس الموضوع الذي أُريد توجيهه.

كتبتُ يومياً مُدّة ثلاثة أشهر، مُركّزاً دائماً على مُساعدة القراء كي «يُصححوا أنفسهم» من خلال اختيار ألا يكونوا ضحية لأيّ أحد أو أيّ نظام، تحت أيّ أو كلّ الظروف. عندما ظهرَت نسخة الغلاف من كتاب «امتلاك زمام أمورك»، كنتُ مُتحمّساً تماماً كما كنتُ منذ سنتين عندما حملتُ كتاب «مناطقك الخاطئة» ودللتُه كطفل حديث الولادة.

أنا مُلتزم مرة أُخرى بإيصال هذه الرسالة إلى العالم، ولكن في هذه المرة ليس عليّ أن أقوم بمعركة مع أيّ أحد في دار النشر. عيّنتُ «دونا غولد» لديّ بصفة وكيلتي الإعلامية بدوام كامل. اخترتُ أن أذهب في جولة للكتاب عبر البلاد، بيد أنه هذه المرة لم يكن

عليّ أن أقود، أو أقلق بشأن حجوزات الفنادق، أو أستمرّ بميزانية ضيقة جداً. كانت رحلاتي الجوية والفنادق جميعها مُرتبة، وكان أيّ شيء أُريده يُعطى لي دون سؤال.

ذهب كتاب «امتلاك زمام أمورك» مُباشرة إلى لائحة الكتب الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز». لا أزال أقوم بظهور مُتعدد في «برنامج الليلة»، والآن تمّت دعوتي كي أقوم بتسجيل في برنامج «حوار النهار» باستضافة «دينا شور»، دينا!.

استُقبلتُ في «لوس أنجلوس» من قِبل الشخص الأكثر لطفاً وجمالاً وكرماً الذي قابلتُه في جميع المُقابلات مع الأشخاص في البرامج. طلبَت مني «دينا» أن أقوم بظهور أسبوعي مُنتظم معها في برنامجها التلفزيوني المحلي، مُقترحة أن أُقدّم حالات ضحايا شائعة وأن أستضيف فنانين وفنانات يُقدّمون طرقاً مُتعددة من أجل التعامل مع أنواع الاحتمالات واسعة النطاق. كنتُ أُسافر بالطائرة مرة في الشهر، وأُسجّل أربعة برامج في كلّ زيارة كي تُعرض أسبوعياً. في غضون هذا الأمر أقمتُ علاقة صداقة مع امرأة تُجسّد التحقيق الذاتي، وهي الآنسة «دينا شور».

شاهدتُ «دينا» كلّ أسبوع تُظهر اللطف غير العادي تجاه كلّ شخص في مكان التصوير. لقد كانت السيدة التي تُفرغ سلات المهملات، تحظى بالمنزلة نفسها التي تحظى بها المُمثلات الصاعدات، ورجال السياسة المعروفين الذين حضروا إلى مكان التصوير. أنا مُتأثر جداً بهذه النجمة مُتعددة المواهب التي تُحيط كلّ شخص بالحبّ واللطف في قلبها. لقد تشرّفتُ بأن أكون في برنامجها ضيفاً دائماً، بل حتّى إنني أكثر فخراً أن أُشاهد وأتعلّم من إنسانة تبدو وكأنها روّضت الأنا لديها. إنها صديقتي وهي مُعلّمة كبيرة. أنا مُمتنّ جداً.

لقد جاء أحد أعظم اكتشافات حياتي من تجربتي في «هولندا» مع «ويليك آلبرتي»، أحد مشاهير الترفيه الأكثر شهرة في ذاك البلد الجميل.

يُقدّم «لاو تزو» في «التاو تي تشينغ» حقيقة مُتناقضة عندما يقول أنّ «التاو» العظيم «الإله» لا يفعل شيئاً، ولا يترك أيّ شيء غير مُنجز. كنتُ كلّما تفكّرتُ في هذه الجملة التهكمية أستطيع أن أرى من غير شرح تلك الحكمة المُتأصلة في كلمات «لاو تزو». لقد كنتُ أبحث كلّ النهار والليل عن الألفية الجديدة، ولم تستطع حواسي أن تختبر

الإله يفعل أيّ شيء. لا أستطيع أن أرى، أسمع، أشمّ، أتذوّق، أو ألمس الإله، مع ذلك فإنّ هناك شيء ما يعمل، ولا يترك أيّ شيء غير مُنجز، وهو يكون كذلك عندما أضع نفسي في مُحاذاة «التاو» العظيم، وأعيش رسالتي الروحية «دهارما» في هذا التوازي.

لا يُوجد شيء أستطيع فعله حيال الناس في «أوروبا»، «آسيا»، «أمريكا الجنوبية»، وكلّ مكان آخر على هذا الكوكب، والذين أحبّ أن يسمعوا رسالتي في تقوية الذات. بيد أنّ **الأمر يُنجز**. ليست لديّ فكرة مَن الذي وضع نسخة من كتاب «**ليس غداً بل الآن**». أولاً بين يديّ «ويليك آلبرت»، وما الذي ألهمها أن تتحدّث بحماس عن هذا الأمر على التلفزيون المحلي. لم أفعل أيّ شيء، ومن الواضح أنه كان من المُفترض أن يحدث، ولذلك لم يُترك أيّ شيء غير مُنجز.

من الواضح أنّ هناك قوّة خفية في الكون تُدير كلّ شيء من غير استثناءات. هذه القوّة في داخلي وفي كلّ شيء، وفي كلّ شخص آخر حيّ، إنها تربطنا جميعاً. عندما أبقى على انسجام مع هذه القوّة، التي هي بحق الحبّ النقي غير المشروط، لا تترك أيّ شيء غير مُنجز عن طريق عمل لا شيء. لقد كانت فرقة «البيتلز» على حقّ عندما قالَت « فليكن».

منذ تلك الزيارة الأولى المبدئية إلى «هولندا»، قامَت الجميلة «ويليك آلبرتي» بفعل الشيء ذاته مرات ومرات أخرى حالما تمّ نشر كتابي باللغة الهولندية. إنها رفيقة الروح، تمشي في الطريق نفسه الذي أمشيه، وإنه من المُبهج على نحو غامض أن أمسك بيدها ونحن نُسافر على هذا الطريق معاً، على الرغم من وجود فاصل لغوي وجغرافي بيننا. من الواضح أنّ هذه القوّة داخل كلّ منا تعمل كي تُساعد كلّ منا إن بقينا صادقين مع ندائنا. إنّ «ويليك» هي مثال من آلاف الأمثلة عن مثل هؤلاء الحلفاء الذين تعهّدوا تحقيق الهدف ذاته وهو تحويل كوكبنا إلى مكان من الحبّ الإلهي. أنا لا شيء سوى رسول في هذه العملية. أنا لا أملك الكلمات التي أكتب: أنا فقط أسمح لها أن تخرج من خلالي، و«التاو» العظيم يُعالج كلّ التفاصيل.

عندما أنظر إلى الخلف بفهم أوضح، أستطيع أن أرى كيف أنّ تطوّر كتاب «**امتلاك زمام أمورك**» كان ضرورة بالنسبة إليّ. من ذكرياتي السابقة استطعتُ أن أتذكّر الإحباط

وحتى الاستياء العميق من القواعد السخيفة المفروضة عليّ من قِبل أشخاص أخبروني أنه كان عليّ فعل أشياء بطريقتهم، والذي يعني على نحو عام أنني كنتُ سأُصبح ضحية. في أثناء مُمارستي العلاج رأيتُ دليلاً عن هذا في كلّ شخص قابلتُه عملياً. إنّ رغبتي في أن أكتب وأتحدّث عن هذه الأنواع من ضحايا المصائد اليومية، أتت من الوعي الداخلي بأنّ الأمر لا يجب أن يكون بهذا الشكل. باستطاعة الإنسان أن يستجمع شجاعته ويقف في وجه أولئك الذين يُحاولون أن يستبدلوا المعرفة الداخلية بصحة شيء، بإرادتهم، أو سياساتهم، أو تنظيماتهم.

أستطيع أن أرى الآن أنني غالباً أحضر من مكان الأنا داخل نفسي، عندما يتعلّق الأمر بالتعامل مع رموز السلطة. كي أكون صادقاً على نحو تام، فقد سمحتُ للأنا الخاصة بي أن تلعب دوراً دائماً في حياتي في أوقات من عام 1978، حيث أنّ أضواء النجومية بدأت تُشرق عليّ مع كتابين من أفضل الكتب مبيعاً محلياً، ومُستقبل مُشرق كشخصية تلفزيونية، وكوني معروفاً في أيّ مكان ذهبتُ إليه.

لقد ساعدني ارتباطي مع «دينا شور» التي لا تمتلك الأنا، فقد رأيتُ الحقيقة الواقعية بسرعة أنني لم أكن أفضل من أيّ أحد آخر. مع «دينا» كأُنموذج، كان خياري بسهولة أن أبقى مُتواضعاً ولطيفاً في جميع تعاملاتي مع الناس، وأن أطرد أيّ سلوكيات مُتعجرفة قد تتشكّل. هنا كنتُ كلّ أسبوع مع نجمة كبيرة: امرأة امتلكت سيرة ذاتية من النجومية التي استمرّت إلى الأبد، وليس فقط بسبب ما قامت به من العديد من البرامج التلفزيونية الناجحة، فقد كانت نجمة سينما وفنانة تسجيل شعبية، مع أكثر من أربعين مجموعة صوتية في رصيدها، ولائحة طويلة من الأغاني الضاربة التي يرجع تاريخها إلى السنة التي وُلدتُ فيها. كانت «دينا شور» أيضاً عضواً فخرياً في قاعة المشاهير لرابطة سيدات الغولف المُحترفات، وأيضاً مُروّجة محبوبة في مجال الأعمال الخيرية، مع العديد من الجوائز التي لا يتسع المكان هنا من أجل ذكرها.

عندما أنظر إلى الوراء اليوم أستطيع أن أرى عُمق أُنموذج الدور الذي كانت عليه «دينا» بالنسبة إليّ. لقد تحدّثت بتقييم عال عن كلّ شخص، ولم تسمح لحالة شهرتها أن تُضخّم الأنا لديها. كنتُ هناك قادماً جديداً إلى عالم الشهرة، وكنتُ على وشك أن

أبدأ باختيار سلوكيات مُستندة على الأنا، لا يستحقّها شخص مُهمته أن يخدم الآخرين. هذه النجومية المُكتشفة حديثاً والتقدير يحتاجان لأن يكونا إحاطة لا صلة لها بمُهمتي الخاصة. أستطيع التذكّر على نحو حيّ مُشاهدة هذه النجمة الرائعة والسيدة التي تُعامل كلّ شخص بالحبّ والاحترام.

أنا مُمتنّ جداً على وجود «دينا» في حياتي. كلّ أسبوع عندما كنتُ أظهر كضيف في برنامجها حوالي السنتين تقريباً، كنتُ أتذكّر أن أُحافظ على إنسانيتي، وأُفكّر أولاً بالآخرين، وانطلق دائماً من مكان الحبّ. خلال السنوات منذ وفاة «دينا» عام **1994**، بقيتُ أتذكّر وجهها المُحبّ وابتسامتها الرائعة، وكذلك إحساسها الأصيل بالإنسانية، الأمر الذي جعلني أتذكّر مُحاكاة تلك الصفات التي عاشتها على نحو مُطلق.

شكراً «دينا» الجميلة. كنتُ مُمتناً جداً على معرفتكِ. أعلم أنني كنتُ واحداً من حشد من الرجال المُغرمين بكِ من بعيد. إنّ السطرين الأخيرين من قصيدة «جون كيتس» الشهيرة والتي بعنوان: «قصيدة حول مزهرية إغريقية» يُذكراني دائماً بكِ.

الجمال هو حقيقة، حقيقة الجمال هي كلّ شيء

ما تعرفه على الأرض، وكلّ ما تحتاج إلى معرفته.

شكراً لك «دينا» على تزويدي بأُنموذج البقاء لطيفاً في وجه العديد من إغراءات الأنا التي تأتي مع الشهرة. إنّ جمالكِ الداخلي هو حقيقتي!.



إنه الثامن من شهر أيار عام 1978، وها أنا ألحق بالقطار إلى مدينة «نيويورك» كي أتناول عشائي مع «آرتي باين». منذ سنة مضت أو ما يُقارب ذلك كنتُ أتحدّث في أماكن مُختلفة حول البلاد، بما في ذلك شركات الأعمال، الجامعات، الندوات العامة، وحدات قياس وعلوم التفكير في الكنائس. رفع «آرتي» أجور حديثي على نحو كبير جداً، ومع ذلك فإنّ الحضور في مُحادثاتي استمرّ في الازدياد كثيراً.

شعرتُ بفخر كبير في التحدّث مُباشرة من قلبي ساعات من الوقت من غير وجود منصة أو أيّ مُلاحظات مهما كانت. كنتُ أمثل أحياناً نوعاً من الكوميدي المُحبط، وأستخدم كماً هائلاً من وقت كلامي كي أُبقي الجماهير يضحكون قدر المستطاع. هذا مكان طبيعي بالنسبة إليّ كي أكون فيه. أُحبُّ الآن عيش توكيدي الشخصي الخاص الذي كنتُ أستخدمه منذ ثمانية عشر عاماً: أنا مُعلّم.

منذ أربعة شهور مضت أخبرتُ هذه الطرفة القديمة لـ«آرتي»: سأل تلميذ مُعلّم الغناء: «كيف بإمكاني الذهاب إلى قاعة «كارنيجي»؟»، كانَ جواب مُعلّمه المُباشر هو: «تمرّن، تمرّن، تمرّن». أخبرتُ وكيلي كم اعتقدتُ أنه سيكون مُثيراً التحدّث في قاعة «كارنيجي، وأن أقف بمُفردي على خشبة المسرح الهائل حيث قام العديد من الأساطير بالتحدّث والتمثيل أمام جماهير دفعوا ثمن حضورهم. قلتُ إنّ هذا كان حُلماً بالنسبة إليّ، ولكنني عرفتُ أنه كان في الواقع مُجرّد خيال.

دُهشت عندما أخبرني «آرتي» أنّ لديه صديق مسؤول عن تسجيل المواهب في قاعة

«كارنيجي» إن أردتُ فعلياً أن أقوم بهذا، لقد استفسر عن التفاصيل وكلفة استئجار هذا المكان المرموق ليلة واحدة. قلتُ مرة لنفسي: «إن كان بإمكاني فعل ذلك هنا، بإمكاني أن أقوم بذلك في أي مكان». بالتأكيد أردتُ أن أفعل ذلك!. من أجل ذلك اتصلَ «آرتي» بصديقه، وتمّت الإجراءات. عليّ دفع أجرة الصالة إن كانت مبيعات البطاقات غير كافية من أجل تغطية التكاليف. إنها مدينة «نيويورك»، وهذا أضخم مسرح في هذه المدينة.

نجلس الآن في مطعم «آرتي» المُفضّل، في غرفة الشاي الروسية. أنا على وشك شطب مادة ممّا سأدعوه لاحقاً «قائمة الدلو». استأجرتُ قاعة «كارنيجي» لهذه الليلة، قبل يومين من عيد ميلادي الثامن والثلاثين. أخبرتُ وكيلي أنني لا أُريده بعد الآن أن يضع مُلاحظة في عقود مُحادثاتي أنه لا يُمكن عمل أيّ تسجيل لمُحادثات الدكتور «واين داير». شرحتُ له أنّ هذا يُخالف إحساسي الخاص بسبب قيامي بهذا العمل وسفري حول العالم مُتحدثاً. أُريد أن يسمع أكبر عدد مُستطاع من الناس هذه المُحادثات، ولا يرتبط هذا الأمر بكسب المال، بل بنشر الكلمة إلى أوسع شريحة مُمكنة من الجمهور. أُريد الناس أن يُسجّلوا هذه الرسائل، وأن يُعيدوا إنتاج تسجيلاتي، ويُرسلوا تسجيلاتهم في كلّ مكان.

اعترض «آرتي»، شاعراً أنّ ذلك سيُكلّفني بعض المبيعات من البرامج المُسجلة: في النهاية إنه وكيلي ويشعر أنّ عمله أن يحميني مالياً، بيد أنّه وافق أن ينسف هذا البند من عقدي مع قاعة «كارنيجي»، وجميع ارتباطات المُحادثات المُستقبلية.

أنهينا العشاء ومشينا بضع خطوات إلى قاعة «كارنيجي». نظرتُ إلى القنطرة الكبيرة وشاهدتُ اسمي في الأضواء على هذا الصرح الهائل الذي استضاف العديد من العمالقة في صناعة الترفيه. مشيتُ عبر منطقة الكواليس الكهفية إلى غرفة ملابسي، وجلستُ أشعر بروعة مذهولة. أنا مصدوم ومُستغرب فرُبّما تُذهب ضخامة هذه المناسبة عني جمُود الكلام عندما تفتح تلك الستائر وأُواجه الجمهور.

قمتُ بعشرين دقيقة من التأمل الصامت من أجل الامتنان، وخرجتُ أُحدّق في المشهد أمامي. إنّ القاعة الرئيسة ذات أسقف عالية على نحو هائل، وهنالك شرفات حول هذا المسرح الأرقى في «الولايات المتحدة الأمريكية». والذي يتسع لحوالي

2804 شخص على خمسة مستويات. لم أستطع أن أرى مقعداً فارغاً بين المُشاهدين، ولكن في اللحظة التي بدأتُ التحدّث فيها، تخلّصتُ من كلّ توتري. تحدّثتُ ساعتين ونصف دون توقّف، وكنتُ مُتواضعاً أثناء وقوف الحضور وتصفيقهم لي طويلاً. لم يكن هنالك أيّ إعلان أنّ مُحاضرتي لا يُمكن أن تُسجّل.

في بداية هذه السنة، كتبتُ هذه الكلمات: «لديّ هدفان رئيسان أنوي إنجازهما قبل نهاية هذه السنة» حققتُ ميولي بالتحدّث في قاعة «كارنيجي»، وهذا كان أحد الهدفين، وكما تقول الطرفة القديمة، وصلتُ إلى هناك من خلال التدريب، التدريب، التدريب. كان الهدف الثاني هذه السنة هو أن أركض ماراثوناً كاملاً، لماذا؟ من جهة بسبب تجربة حصلت معي منذ بضع سنين مضت، عندما كنتُ أُعلّم فصلاً صيفياً في جامعة «واين ستيت».

كانت مجموعة من الطلاب المُتخرّجين يُقلّدون الصفّ الجامعي أمام الصفّ كجزء من واجب منزلي. أخذ الطالب دور أستاذ جامعي يتوضّع حزامه أسفل معدته، يُمثل أستاذاً بوزن زائد مع بطن بارزة. لم أستطع فهم لماذا كان الصفّ بأكمله يخنق ضحكته وينظر بخجل إليّ. فجأة جاءني وعي صادم أنّ هذا الطالب يُقلدني على نحو مُضحك. أدركتُ للمرة الأولى أنني زائد الوزن. كيف حصل هذا لي؟ ضحكتُ مع الصفّ بأكمله، وعندما عدتُ إلى المنزل أدركتُ أنّ هذه اللحظة كانت واحدة من أهمّ اللحظات في حياتي.

اتخذتُ قراراً في الحال أنني سأجعل جسمي ضمن الشكل المطلوب. ذهبتُ خارجاً مرتدياً زوجاً من أحذية التنس في قدميّ، وحاولتُ أن أركض حول الكتلة السكنية. قطعتُ حوالي خمسمئة ياردة، وكنتُ ألهث ولم أستطع أن ألتقط أنفاسي. آلمني صدري وتألمت رجلاي، ومشيتُ ببطء عائداً إلى منزلي. في المساء التالي فعلتُ الشيء نفسه في الوقت نفسه، وكنتُ في هذه المرة قادراً على أن أركض ستمئة ياردة قبل نفاد قوتي.

كنتُ مُصمماً أن أكون قادراً على ركض ميل خلال أربعة أيام. في اليوم الثالث حققتُ ذلك مُجتازاً نصف ميل، ولاحظتُ أنني لم أكن تقريباً مُتعباً أو مقطوع النفَس كما كنتُ سابقاً. مع نهاية اليوم الرابع كنتُ قادراً على أن أركض ببطء ميلاً كاملاً.

لقد كنتُ في طريقي! لقد اكتشفتُ مدى قوّة أن تُنجز هذا النوع من التقدّم، وكنتُ مُنجذباً ومُرتبطاً.

لديّ الآن نظام جري ألتزم به بلا تردد. خلال شهرين من يومي الأول من الركض مسافة بعيدة، وصلتُ بنفسي حتى ثمانية أميال في اليوم. كنتُ أركض بهوس كلّ يوم منذ تلك الصدمة الأولى من رؤية نفسي أُصوّر كأستاذ خارج الشكل الرياضي، مع حزام أسفل بطنه المُتدلي.

لقد فعلتُ الشيء نفسه كي أكون في قاعة «كارنيجي» وهو التدريب، التدريب، ثمّ التدريب. ركضتُ ما يُقارب عامين حوالي ثمانية أميال في اليوم، ولم أُفكّر حتى أن آخذ يوم إجازة، ولا يهمّ في أيّ مكان كنتُ فيه في أرجاء العالم، فقد وجدتُ الزمان والمكان المُناسبين كي أركض.

أحبُّ فعلاً هذا الوقت عندما أكون وحدي، إذ أُنظّف رأسي وأشعر بالسعادة التي تأتي من تلامس الهواء مع وجهي. أنا وحيدٌ مع الطبيعة عندما أركض، ومُندهش ممّا يقدر عليه جسمي الآن. لقد نزل وزني حتى مئة وسبعين باونداً، ولديّ سمنة ضئيلة، وأشعر أنني أفضل ممّا كنتُ عليه في السنوات عندما كنتُ في فريق المشي في المدرسة الثانوية منذ عشرين سنة مضت.

لقد وضعتُ نيتي، وتدرّبت عن طريق الركض حتى ثمانية عشر ميلاً في ذاك الوقت، وأتممتُ تقريباً ثمانين ساعة من التدريب أسبوعياً. إنه الثاني والعشرون من تشرين الأول، وأنا مُشترك كي أركض في ماراثون مدينة البحيرات في «مينيابوليس» ولاية «مينيسوتا». إنه صباح لطيف من شهر تشرين الأول، وأنا على خط البداية كي أركض مسافة «26.2» ميلاً. إنها نية في خيالي، ولا شيء على الإطلاق سيمنعني عن إتمام هذه المُهمّة.

لقد أصبح الركض يومياً كلّ حياتي، وهذا الماراثون سيكون الإنجاز المُتوّج. أنا غير قلق على وقتي، سرعتي، أو كيف سأتكدس مع ألفي شخص أو ما يُقارب ذلك من العدّائين هنا اليوم. أنا واثق كُلياً أنني سأُكمل هذا السباق وأُنجز ذاك الهدف الثاني الذي وضعتُه لنفسي سابقاً في الشهر الأول من السنة.

بينما كنتُ أركض سمعتُ الناس يتحدّثون عن الجدار الخفي الذي يرتطم به العداؤون، في مكان ما حول علامة «22» ميل. تابعتُ الركض لأنني لم أشأ لصورة نفسي الداخلية وهي تعبر خط النهاية بسعادة وفخر أن تتلوّث بتعليقاتهم. أنهيتُ «26.2» ميلاً بأكملها خلال ثلاث ساعات ونصف فقط، أنا مُنتشٍ وأُقدّم شكراً صامتاً إلى ذاك الطالب الذي قدّم لي عن غير قصد نداء استيقاظ، عندما جسّد صورتي كمُعلّم بوزن زائد.

عندما أنظر إلى الوراء أرى كم كانت أهمية هذين البندين في لائحة أهدافي، في تطوير عمل حياتي الذي سأتبعه. عندما وضعتُ تلك النية أن أركض ماراثوناً كاملاً من غير توقّف أو مشي، لم أكن قد ركضتُ في حياتي أكثر من ثمانية أميال. مع ذلك بدا لي الماراثون أوج إنجازات الجري. تذكّرتُ كلمات «ماسلو»: «إنّ المُحققين لذواتهم يجب أن يكونوا ما يستطيعون أن يكونوا عليه». لقد كان يتحدّث عن الرغبة المُشتعلة في الداخل من أجل الوصول بامكانيات الإنسان إلى الحدّ الأعلى، كما حددها لنفسه.

لقد سمحتُ لنفسي أن تخرج عن الشكل الرياضي مُنتصف الثلاثينات من عمري. لقد تخلّيتُ عن مُمارسة الرياضة البدنية المُكثفة منذ الوقت الذي بدأتُ فيه التعليم ومُمارسة العلاج الخاص. مع ذلك، لم أرَ نفسي بالطريقة نفسها التي كان الناس يرونني بها. لقد كان الشاب الذي قلّدني في صفي أحد أعظم المُعلّمين الذين عبروا طريقي في أيّ وقت مضى. حتى هذا اليوم أستطيع أن أراه يثب مرحاً في غرفة الصف وهو يُمثل شخصية مُعلّمه «الرجل ببطن بدين». كانت تلك لحظة قفز نوعي في حياتي.

بدلاً عن النظر إلى المشهد على أنه نقد مُزعج، رأيتُ أنّ كلّ المُشاركين، وخاصة المُقلّد القافز، كانوا ملائكة أُرسلوا كي يُرشدوني. من المُحتمل جداً أنهم أنقذوا حياتي. كنتُ أتوجّه في اتجاه خطر جداً في ذلك الوقت: أُفرط في تناول الطعام الدسم، أشرب الجعة، قليل الحركة، أتحمّل زواجاً مُتصدعاً، وأستخدم نوعاً من نمط الحياة المرموق، لأنني كنتُ مسحوباً في اتجاهات مُختلفة شخصياً ومهنياً.

ذاك الشاب الذي قلّدني ساعد في جعلي على طريق التطوّر الذاتي بطرق عديدة. لقد بدأتُ المشي منذ تسع وعشرين سنة، حيث ركضتُ ثمانية أميال على الأقلّ كلّ يوم، وكذلك ركضتُ في ستة ماراثونات إضافية. بالإضافة إلى ذلك، بدأتُ بتغيير عاداتي

الغذائية، ونزل وزني ما يُقارب ثلاثين باونداً، وبقيتُ ضمن الحدود العامة التي كان عليها وزني عندما كنت في المدرسة الثانوية، وبقيتُ قرب ذلك حتى هذا اليوم.

رأيتُ بوضوح أكثر اليوم القوّة الكامنة في فكرة النية، والتي كنتُ قادراً على أن آخذ منها وكأنها مخزن كبير، ليس أمنية أو رجاء، بل نية تكتشف المبدأ الجديد لحياتي. عندما قررتُ أن أركض في الماراثون، رأيتُ نفسي للتوّ أعبر خط النهاية مُنتصراً. نتيجة لذلك، تصرّفتُ بناء على الفكرة كما لو أنها كانت حقيقة مُكتملة. لقد حفّزني ذلك أن أخرج كلّ يوم وأتحدّى نفسي في أن أرتقي إلى الفكرة التي امتلكتُها في خيالي، والتي كانت بالنسبة إليّ بالفعل أمراً واقعاً.

في داخلي كانت القوّة الكامنة في النية تُومض من قِبل مُعلّمين خفيين مُتنكّرين في شكل شخصيات مُزعجة، الأشياء التي أراها الآن على أنها درس قيّم في تجربة عام 1978. في الحقيقة، أنا مُقتنع أنّ بعضاً من أعظم مُعلّمينا الأكثر تأثيراً يظهرون في حياتنا مُتنكرين في شكل أناس نستاء منهم، أو حتى نزدريهم. بعد كلّ تلك السنوات والأميال اللامنتهية التي جريتُها، أنا مُمتنّ تجاه العقل الإلهي الذي أرسل الطالب كي يُجسّد شخصيتي ويُقلّدني في ذاك اليوم.

إنّ أدائي في قاعة «كارنيجي» كان لحظة تعليم أُخرى عظيمة. كان عليّ تجاوز أيّ شكوك داخلية حول قدرتي في أن أُحقق مستواي الخاص من العظمة في عالم التحدّث المُحترف العام. إنّ نيتي في التحدّث على خشبة المسرح الأولى في البلاد، جعلتني أُدرك مدى قوّة الفكرة المزروعة في الخيال مع النية، وما يُمكن أن يكون عليه الأمر. لقد عرفتُ اليوم أنّ كلّ شيء يتحوّل إلى حقيقة مادية يبدأ بفكرة، وأن ارتباط الفكرة بالنية هو ضمانة افتراضية أنها ستتحقق. كان ذلك تحد شخصي بالنسبة إليّ، فقد أردتُ أن أعرف أنني سأُنجز هذا الشيء.

كانت المُحادثة التي أجريتُها مع «آرتي» على العشاء قبل ظهوري في قاعة «كارنيجي» بخصوص الإذن للجمهور أن يُسجّلوا مُحاضرتي، نقطة تحوّل رئيسة في حياتي كذلك. لقد أردتُ كثيراً أن أرتقي إلى تعريف «ماسلو» عن الشخص المُحقق لذاته بأنه شخص مُتحرر من النتيجة. لم أكن أُريد أن يكون المال هو السبب في كيفية ادارتي لحياتي. لم

يكن هدفي أبداً مُتمحوّراً حول كسب المال: لقد كان دائماً عن التعليم وايصال الناس إلى مستوى جديد. كنتُ انكمش داخلي كلّما أخبروا الجمهور أنهم لا يستطيعون تسجيل مُحاضرتي. إنّ أمر التسجيل من قبل عضو من الجمهور وتأثيره على بعض مبيعات برامج تسجيلاتي المُخطط لها، بدا أمراً غير مُرتبط بي كُلياً. لقد أعادني التصريح في تلك الليلة إلى مُحاذاة مع روحي. أُريد كلّ شخص أن يسمع رسالتي، وليس فقط أولئك القادرين على أن يدفعوا.

بالطريقة نفسها، عندما كان «آرتي» يُخبرني أنّ نسخاً من كتابي سُرقت بلغات مُختلفة ولم أكن أتلقَ عنها أيّ أتعاب، رفضتُ أن ألاحق هذه النسخ المُختَلسة. أُريد من الناس في «الصين»، «أمريكا الجنوبية»، «أوروبا الشرقية»، وأيّ مكان آخر حيث الفقر والعوز أمرٌ غير مُسيطر عليه، أن يكونوا قادرين على قراءة ما كتبتُه. قد يُلهمون من قِبل كاتب عاش ذات مرة النوع نفسه من الفقر الباعث على العجز، ولكنه كان قادراً على تجاوز ذلك.

هاتين النيتين اللتين وضعتُهما في يوم رأس السنة عام 1978، كانتا أحجار البناء في حياة من الكتابة مُكرّسة من أجل قوّة النية المُذهلة التي تُعتبر حقاً مُكتسباً منذ الولادة لكلّ شخص لو اختار أن يُغيّر الطريقة التي ينظر بها إلى اللأشياء.

كما علّمني «لاو تزو» في سنوات لاحقة: «إذا صححَت نفكيرك، فإنّ بقية حياتك تُصبح أوضح». لقد صححَتُ تفكيري، وبدأتُ أرى نفسي قادراً على إنجاز أيّ شيء أضع تركيزي عليه، وتعلّمتُ أنه في بعض الأحيان يظهر مُعلّمونا الأكثر عُمقاً لنا وهم يرتدون أقنعة غير مُتوقَعة.

- - - - - - - -



- لقد دعيتُ كي أُشارك في مؤتمر لمُدّة أسبوع في «فيينا، النمسا»، برعاية وإنتاج مُنظمة القادة الشباب، والتي كان أعضاؤها أشخاصاً في عمر معين، مسؤولين عن إدارة كاملة لقسم أو شركة في مرحلة التأهل، وهم مشاركون مع منظمات في جميع أنحاء العالم. قبلتُ الدعوة، وبعد يومين من ظهوري في قاعة «كارنيجي»، سافرنا بالطائرة أنا وزوجتي إلى «فيينا».

جمعَت مُنظمة القادة الشباب مجموعة بارزة من المُحاضرين في هذا المؤتمر، وكنتُ مسروراً أن أكون واحداً منهم. إنها مُشاركة حوارية غير مأجورة، تُقدّم أسبوعاً رائعاً في وحول «فيينا»، مع فرصة أن تكون عضواً في هيئة التدريس مع مجموعة مُؤثرة من الشخصيات المعروفة، ومن بينهم نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الحالي «والتر مونديل».

إبان وصولي، فهمتُ أنني سأجلس في لجنة أُخاطب حوالي ستمئة عضو من مُنظمة القادة الشباب. عندما سمعتُ عمّن سيُشارك في التقديم معي، أصبحتُ عاجزاً عن الكلام مُؤقتاً. سأجلس جانب الدكتور «فيكتور فرانكل» وسأُعتبر زميلاً له. إنه أكثر من يُعجبني رُبّما من بين كلّ الأشخاص الأحياء اليوم. عدتُ بذاكرتي إلى أيامي كطالب في الدكتوراه، حيث أخذتُ مُقررات في المُعالجة بالهدف، إنه نوع من المُعالجة أحدثه الدكتور «فرانكل» من خلال تجاربه كأحد الناجين من المحرقة في العديد من مُخيمات الموت النازية، بما فيهم «أوشفيتز» و«داخاو». منذ أربع سنين مضت عندما زرت

«داخاو»، رأيتُ بطلي بعيون تفكيري أثناء يومي في مُخيم القوات العسكرية.

قرأتُ كتاب الدكتور «فرانكل» الكلاسيكي Man's Search for Meaning «بحث الإنسان عن المعنى» عندما كنتُ طالب ماجستير وطالب دكتوراه، وجعلتُ منه قراءة مطلوبةفي جميع مُقرارات التخرّج التي علمتُها في جامعة «سانت جون». تذكّرتُ كيف أنه في أكثر اللحظات غرابة وألماً وإذلالاً، تحمل الحياة معنى كامناً. لقد أخبر العالَم أنّ «كلّ شيء يُمكن أن يُؤخذ من الإنسان عدا شيء واحد: آخر الحريات الإنسانية، أن يختار موقفه ضمن أيّ مجموعة من الظروف، وأن يختار طريقته الخاصة».

ها أنا ذا قد دعيتُ كي أكون مُقدماً في هذا المؤتمر المرموق بسبب نجاح زوج من كتب المُساعدة الذاتية المُتواضعة، وأنا أتشارك المنصة مع رجل سُجن في سلسلة من مُخيمات الموت النازية، وعاش كي يُخبر قصته، ثمّ كتب نصاً كلاسيكياً، دَرستُه واستخدمتُه عندما علّمتُ في جامعة «سانت جون».

أشعر بالتواضع الكبير، وأنني غير مُؤهل أبداً، وأنني مُبارك على نحو لا يُصدّق كي أُقابل هذا الرجل العظيم، ناهيك عن أن أُعتبر شبه زميل له ومُقدماً مُشتركاً معه أمام مجموعة من القادة الشباب هنا في «فيينا»، مسقط رأس هذا الإنسان الدليل على الطريق، والذي يحمل قلب أسد. أشعر أنه يجب أن يكون هناك سبب لهذه الفرصة غير المُتوقّعة من أجل أن أكون على الطاولة نفسها مع «فيكتور فرانكل». عندما التقطتُ نسختي من كتاب «مناطقك الخاطئة»، لاحظتُ أنّ كلمات هذا الكتاب الأولى كانت إلهاماً من قبل قراءتي لكتاب «بحث الإنسان عن المعنى»: «إنّ خلاصة العظمة هي القدرة على أن تختار إنجازاً شخصياً في ظروف اختار الآخرون فيها الجنون».

غداً في فترة بعد الظهر، أنا على اللائحة من أجل الظهور على خشبة المسرح مع الدكتور «فرانكل»، الذي استشهدتُ بأقواله مئات المرات في مُحاضراتي. لقد زرتُ مُعسكرات الموت المُروّعة حيث سجنه النازيون كعبد عامل، مُذكّراً نفسي أنه وسط هذه الظروف السيئة كان هذا الطبيب النفسي والعصبي الذي خضع لأبشع الظروف اللاإنسانية بالنسبة للإنسان، قادراً على أن يجد الجمال والأهمية. كتبتُ مقالات عن فكرته الرئيسة عن العلاج بالهدف والتي كتب أنها ظهرت في ذلك الجزء عندما يتمّ

الصراخ عليك، وتُضرب من قِبل الحراس بأعقاب بندقياتهم: «أوقفتني الفكرة مُسمّراً في مكاني: لأول مرة في حياتي رأيتُ الحقيقة بصيغة أغنية صاغها العديد من الشعراء، وأعلن عنها على أنها الحكمة النهائية من العديد من المُفكّرين. الحقيقة أنّ الحبّ هو الهدف النهائي والأسمى الذي يُمكن للإنسان أن يطمح إليه».

قابلتُ الدكتور «فرانكل» فقط قبل أن أصعد على خشبة المسرح كي أتحدّث إلى مجموعته المُتميزة من قادة الشركات. إنه دافيء، مُضحك جداً، ويتحدّث بلكنة نمساوية ثقيلة. أخبرتُه عن مدى إعجابي بكتابته وأنني كنتُ استخدم كتابه «بحث الإنسان عن المعنى» كمُقرر قراءة لطلابي المُتخرّجين. أخبرتُه أيضاً أنّ كتابيّ الاثنين الأفضل مبيعاً كانا من إلهامه، وإلهام أساتذتي الدكتور «فريتز ريدل»، والدكتور «آبراهام ماسلو». كنتُ مسروراً لأنني علمتُ أنه يعرف الدكتور «ريدل» شخصياً، وأنه كان مُلازماً للدكتور «ماسلو» قبل موته منذ ثمان سنوات مضت. كنتُ أشعر بفائق الحماسة أنه كان مُنتبهاً للنسخة الألمانية من كتاب «مناطقك الخاطئة» والتي تحمل عنوان «نقطة الجرح» باللغة الألمانية، وأنه قرأه.

استجابةً لتعليقاتي على ظهور مُعالجة مُرعبة كهذه في مخيمات الموت المُتعددة حيث سُجن حوالي ثلاث سنوات تقريباً، قال «فيكتور فرانكل» في خطابه الجذاب إلى حشده المأسور من الجماهير: «إن لم نعُد قادرين على أن نُغيّر حالةً مُعينة، نحن في تحدٍ من أجل تغيير أنفسنا». إنه يربط إعطاءنا كوباً من الماء المُتسخ مع رأس سمكة ميتة عائم على سطحه من أجل البروتين، على أنه الطعام الوحيد هذا اليوم، وإيجاد الجمال في هذا العرض المُثير للاشمئزاز من قبل سجّانيه. لقد أكّد على أنه ذكّر نفسه أن يختار تغيير نفسه. لقد تحدّث ببلاغة عن العديد من أصدقائه السجناء وهم يموتون ليس فقط من الظروف الصحية المُروّعة، ولكن أيضاً من استسلام أنفسهم وخسارة حسّ معنى الحياة وهدفها.

عندما أتحدّث إلى الجمهور أشعر بكلّ وضوح كأنني خارج المكان جانب هذا المُعلّم الجالس خلف طاولة المؤتمر ذاتها، والذي عاش وأثبت إتقانه لما كتبتُ عنه، مُقارنة مع ما فعلتُ على نحو هاوٍ. عندما انتهَت المُحاضرة، أمضيتُ ساعة أو أكثر

أتحدّث مع هذا الرجل الرائع. أنا متأثرٌ جداً بحسّ الفكاهة الكبير، والحبّ الذي بدا وكأنه ينبثق منه حتى عندما كان يتحدّث عن المُعاملة المروّعة التي تلقاها من سجّانيه. أنا أعلم أنّ زوجته ماتت في مُعسكر الاعتقال في «بيرغن بيلسن»، وأنّ والدته قُتلت في غرف الغاز في «أوشفيتز»، وأنّه أيضاً خسر كلّ أعضاء أسرته المُقرّبين، عدا أخته «ستيلا» التي هربت من الاعتقال في المُعسكرات، لأنها هاجرَت إلى «أستراليا».

لقد أعطاني نصيحة كي أُطبّقها في حياتي الشخصية، وكلّ كتاباتي المُستقبلية. لقد تحدّث بوضوح، قائلاً إنّ المُعاناة جزء من الظروف الإنسانية التي لا يستطيع أحدٌ الهروب منها في حياته، والتي قد تكون مصدر قنوط بالنسبة إلى البعض أكثر من غيرهم. مع ذلك، قال وهو ينظر مُباشرةً إليّ: «يجب عليك تعليم الناس أن يجدوا المعنى أثناء مُعاناتهم، وبهذا سيكونون قادرين على أن يُحوّلوا مأساتهم الشخصية إلى نجاحات شخصية». لقد شرح أنّ هذا هو خلاصة العلاج بالهدف: «إن كان مرضاك أو قراؤك لا يستطيعون إيجاد المعنى، سيهلكون في النهاية».

غادرتُ «فيينا» وأنا رجلٌ مُختلف. سأكتب وأتحدّث من وجهة النظر التي قدّمها الدكتور «فرانكل» لي هنا في هذا المؤتمر، وأخذتُ عهداً على نفسي أن أعيش حياة مُتمحورة حول المعنى أكثر بكثير من قبل. أشعر بالإلهام بسبب تواصلي مع هذا الرجل العظيم، واشتريتُ نسخة أُخرى من كتابه «بحث الإنسان عن المعنى» في المؤتمر كي أُعيد قراءته في طائرة العودة إلى المنزل.

فتحتُ الكتاب لأجد: «نحن الذين عشنا في مُعسكرت الاعتقال نستطيع أن نتذكّر رجالاً مشوا عبر البيوت المتداعية كي يُريحوا غيرهم، وتخلّوا عن آخر كسرة خبز لديهم». ثمّ قرأتُ هذه الكلمات، اقتباساً من «نيتشه» الذي التزمتُ بأن أتذكّره، وأنا أُفكّر بتأليف كتابي القادم وحديثي التالي: «إنّ ذاك الذي يمتلك لماذا يعيش من أجلها، يستطيع تحمّل تقريباً أيّ كيف» أنا مُلتزم بالتعليم والعيش من مكان ذي معنى، حيث كيف تعيش تلعب دوراً ثانوياً، بينما لماذا تعيش هي الأكثر هيمنة في عملي.

المرة الأولى التي صادفتُ فيها عمل «فيكتور فرانكل» كان في مُقابلة مصوّرة خاطبَتْ روحي. لقد سمعتُ بأذني وأصغيتُ بقلبي عندما تحدّث الدكتور «فرانكل»

عن أهمية المعنى في حياة كلّ شخص، شعرتُ وكأنني أستمع إلى نسخة أعلى من نفسي، لأنّ كلماته كررَت شيئاً عميقاً في داخلي. لطالما أردتُ أن أخرج أبعد ممّا بدا لي على أنه اهتمامات تافهة وقواعد خلقها مُجتمعنا، مُحاولاً أن يجعلني أتناسب وأكون مثل أيّ شخص آخر.

عندما شاهدتُ هذه المُقابلة، تحدّث الدكتور «فرانكل» عن سجناء مُعسكر الاعتقال الذين يتخلّون عن الحياة ويموتون وهم غير قادرين على إيجاد أيّ جمال في الحفاظ على الحياة في أكثر الظروف رعباً. لقد قال إنّ المعنى هو كلّ شيء. لقد ألحّ على المُستمعين أن يبحثوا عن طريقتهم الخاصة في التجربة والثقة بالمعنى الأسمى والذي رُبّما يُسمّونه أو لا يُسمّونه الإله. لقد لاحظ أنه في مُعسكرات الاعتقال، كان أولئك الذين حملوا رؤية عن المُستقبل، هم الذين يبدو أنّهم يمتلكون فرصة أفضل في البقاء خلال هذه المحنة، سواءً كانت الرؤية عملاً مُهمّاً ينتظرهم، أو كانت عودة إلى أحبابهم، لبد أنهم كانوا أقرب إلى البقاء على قيد الحياة خلال مُعاناتهم.

في اللحظة التي رأيتُ فيها الدكتور «فرانكل» شعرتُ بنوع من المُحاذاة معه والذي لم أشعر به تجاه أيّ شخص حرفياً. اليوم، ليس لديّ أيّ شكّ ابداً أنّ نوعاً من الاتصال موجود بيننا. لم تكن مُصادفة على الإطلاق أنه بعد حوالي خمس عشرة سنة من الإصدار الأول لكتاب «بحث الإنسان عن المعنى»، كنتُ مُتواجداً على المنصة ذاتها مع هذا الرجل الذي شعرتُ معه بقرابة روحية.

عندما قرأتُ للمرة الأولى قصص سوء مُعاملة الدكتور «فرانكل» في «أوشفيتز، داخاو»، و«بتيريزينشتات» في «بوهيميا»، غلبَت المُعاناة على الكلمات التي كنتُ أقرؤها، وعرفتُ أنني يوماً ما سأزور تلك الأماكن الفظيعة. بطريقة غامضة شعرتُ أنني سألتقي بهذا الرجل الذي تحدّث بإقناع كبير عن القدرة الفطرية التي يمتلكها البشر كي يتجاوزوا الشرّ ويكتشفوا المعنى، عندما يصرخ الجنون من كلّ ملاك!. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه قد قُدّر لي أن أُقابل هذا الرجل شخصياً، لأنّ شيئاً خفياً لا يُمكن وصفه ربطنا معاً. إنّ ذلك اللقاء في ذاك اليوم في «فيينا» في أيار من عام 1978، أنشأ نقلة في كتابتي وفي حياتي.

في الوقت الذي كنتُ أبتعد فيه عن علم النفس التقليدي كأساس تدريسي واستكشافي، أحببتُ المنهج المنطقي الذي اجتاح كتابيّ الأولين. لقد قدّرتُ مديح الدكتور «فرانكل» لبراعة الإيجاز في كتابتي، واللغة التي يفهمها أيّ شخص. بيد أنّ جوهر المعنى بإحساس أكبر، والذي يشرح المعنى الأسمى بما يتعلّق باتصالنا بقوّة أعلى كان يتحرّك داخلي.

عندما قابلتُ «فيكتور فرانكل»، تعرّف إليه شيء في داخلي، كما لو كنا التقينا سابقاً وعرفنا بعضنا بعضاً. مع ذلك، أستطيع أن أرى من هذا المنظور، أنّ مسألة وضعي في تلك اللجنة مع أحد أبطالي، والقوّة التي جمعتنا معاً في عصر ذاك اليوم، قد سببَت التغيير في حياتي وكتابتي، كي أبدأ التأكيد على مبادىء مثل: الروحانية، الأنا العليا، الحبّ الإلهي، والأكثر أهمية المعنى. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنني كنتُ أبدأ باكتشاف العالم خارج حدود الأنا.

►◄►◄►◄►◄



- إنه الربيع من عام 1980، بداية عقد جديد. لقد كان كتابا «مناطقك الخاطئة» و«امتلاك زمام أمورك» ناجحين على نحو كبير، فهما الآن على لائحة أفضل الكتب مبيعاً في «نيويورك تايمز» منذ حوالي أربع سنوات.

عندما قبلت دار نشر «تي واي كروويل» مُسوَّدة كتابي الأصلية عام 1975، فعلوا ذلك مع توقع ضئيل حول امكانيات بيعه. بعد النجاح الهائل لكتاب «مناطقك الخاطئة»، شعر وكيلي «آرتي باين» بخيبة الأمل عندما رفض الناشر أن يُعيد التفاوض على العقد الأصلي، بينما كنتُ مُصرّاً على أن نحترم التزامنا من غير جدال، والآن انتهت صفقة الكتابين مع «تي واي كروويل».

انعطف «آرتي» إلى «سايمون و شوستر»، العلامة المُميزة للنشر في «نيويورك». اتصل وقال لي: «لقد أبرمتُ اتفاقاً مع دار نشر جديدة، وهم يعرضون عليك دفعة مُقدمة تتناسب مع ما أعتقد أنك تستحقّه بجدارة». عندما أخبرني بأنه رتبَ اتفاقية الكتابين بقيمة مليون ونصف دولار، كدفعة مضمونة مُسبقاً، شعرتُ بالفرح. لا أستطيع أن اتخيّل حتى أن أكون في هذا المكان المحظوظ مالياً. أنا أكثر من مُمتنّ.

كنتُ في كلّ يوم لا أسافر فيه أو أقوم فيه بالإعلان من أجل كتاب «امتلاك زمام أمورك»، أُتابع الكتابة في الكتاب الذي كنتُ أتخيّله منذ الوقت الذي أمضيتُه في «فيينا» مع «فيكتور فرانكل». هذا الكتاب الجديد مع دار نشر «سايمون و شوستر» سيكون بعنوانThe Sky's the limit «السماء هي الحدود»، وسيشرح مواصفات الحصول

على الحالة التي سماها «آبراهام ماسلو» التحقيق الذاتي، والتي اكتشفتها منذ اثنتي عشرة سنة مضت. لا زلتُ أشعر بنوع خاص من القرابة الروحية مع هذا الرجل الذي مات في اليوم نفسه الذي حصلتُ فيه على درجة الدكتوراه في حزيران عام 1970.

قال الدكتور «ماسلو» على نحو مُتكرر إنّ عدداً قليلاً جداً من الناس وصل إلى حالة التحقيق الذاتي، لأنّ مُعظم الناس عالقون في مُتابعة وإرضاء الحاجات الدنيا: الجسدية، الأمان، الحبّ والانتماء، الاحترام. لقد صوّر تلك الاحتياجات الدنيا على أنها قاعدة هرم سمّاه «هرم الاحتياجات». لقد وصف قمة هذا الهرم على أنها مملكة سامية حيث اكتشف القليل فقط من الناس إحساسهم بالهدف والمعنى.

أختلف عن الدكتور «ماسلو» في هذه النقطة على نحو كبير. أشعر أنّ التحقيق الذاتي هو حقّ مُكتسب لكلّ شخص، وأرى ذلك كأنه طبيعتنا الأصلية، التي تضررت من جراء القولبة من ثقافة المُجتمع التي تُقلل من العبقرية، والتي وُصفت لي من قِبل «بكمنستر فولر» منذ بضع سنين مضت. لقد عزز لقائي مع الدكتور «فرانكل» هذا المبدأ، وعرفتُ أنني لستُ وحيداً في هذا المعتقد. هذه الفكرة واضحة جداً في إنجيل «يوحنا» 14:12، حيث أكّد «المسيح»: أنّ أولئك الذين يُؤمنون سيقومون بأشياء أعظم ممّا قام به.

أكتب كتاب «السماء هي الحدود» بنمط شبيه لكتابيّ السابقين، مع التركيز على تحديد الميزات البارزة لمن سمّاهم «ماسلو: بالأشخاص المثاليين. لقد حددتُ سبع وثلاثين سمة من سمات هذه الشخصية، وأنا أكتب كما شرح «فيكتور فرانكل» بذكاء، من وجهة نظر أننا نستطيع تغيير أنفسنا وصنع اختيارات جديدة في وجه الظروف التي لا يُمكن أن تُبدّل، ويتضمّن هذا ماضينا وتاريخنا الشخصي بأكمله. أنا أنتقل بعيداً عن كتابة كيف تفعل هذا إلى عالم المعنى، مُقدماً للقراء طريقة الدخول إلى هدف «فرانكل»، وقمة هرم «ماسلو» للاحتياجات والتحقيق الذاتي.

إنّ مُحرري الجديد في «سايمون و شوستر» هو «مايكل كوردا»، الذي عمل على عدد من أفضل الكتب مبيعاً، بل إنه كتب بعضاً منها بنفسه. سافر «مايكل» إلى «فلوريدا»، وقد أمضينا يوماً نمشي على الشاطىء ونُناقش الخطط الترويجية لكتاب «السماء هي الحدود»، ثمّ قدّمتُ بفخر هذه المُسوّدة التي هيمنَت على حياتي في الأشهر العديدة الماضية.

تحدّثنا أنا و«مايكل» على نحو مُتكرر، وقد أخبرني أنّ الكتاب جميل، ولكنه يحتاج فقط إلى بعض الإضافات التي تتلاءم معه، ولذلك قام بتوظيف مُحرر خارجي من أجل تحسين المُسوَّدة. إنها تجربة جديدة لي، ففي الماضي قمتُ بعمل تحريري الخاص استناداً إلى الاقتراحات التي قُدمَت إليّ. أنا أثق بالإجراء في دار النشر الجديدة هذه، على الرغم من أنها استثمرت على نحو كبير في هذا الكتاب بمبلغ مليون ونصف دولار كفالة ضدّ حقوق المؤلف المُستقبلية.

مرّت الشهور ولم أسمع بشيء، وكنتُ أشعر وكأنني عدتُ إلى الخلف إلى المنوال نفسه مع «جون فريند» منذ عقد مضى، في انتظار شخص آخر كي يقوم بعمله من أجل أن يكتمل كتابي. بعد ستة أشهر اتصلتُ بـ«مايكل كوردا» وكنتُ مُصراً أن يُرسل لي مُحرره الخارجي ما قام بإنهائه.

بعد عدة أسابيع، استلمتُ أخيراً طرداً بالبريد مع النصف الأول من مُسوَّدة كتابي وقد أُعيدت صياغته من قِبل هذا المُحرر الخارجي. كنتُ في صدمة!. لم أستطع التعرّف على الكتاب الذي سلّمتُه، فقد أخذ هذا الشخص الحرية وقرر أنّ نمطي في الكتابة ليس جيداً وفق المعايير المُعتمدة. لقد أخذ أفكاري وكتب ببساطة نسخته الخاصة، ووضع في الأساس كتابتي الأصلية جانباً. لم تكن كتابته سيئة، ولكنها ببساطة ليست أنا. لم أستطع تمييز نفسي في أيّ مكان في كتابته المُعادة.

لقد قمتُ بتسليم كتابين من الكتب الأفضل مبيعاً في عام 1970 بلغتي البسيطة القريبة من الواقع، ونمطي المنطقي، والآن يُقابلني النوع نفسه من الأزمة التي واجهتُها كخريج جامعي جديد، عندما أخبروني أن أكتب بأسلوب أدبي وثقافي أكثر، والذي يتناسب مع العلامة التجارية لدار النشر «سايمون و شوستر». أخبرتُ «مايكل» أنّ هذا غير مقبول، بغضّ النظر عن مبلغ المال الذي قدّموه لي. أكّد لي أنّ الأمر كلّه سيُحلّ ودياً.

انتظرتُ شهرين آخرين، ولم أتلقَ أيّ كلمة من هذا المُحرر الوهمي، أو حتى إعادة صياغة. اتصلتُ بـ»مايكل كوردا» وأعطيتُه إنذاراً: أُريد أن تعود مُسوَّدة كتابي الأصلية إليّ، وسأُعيد النظر فيما تمّ تحريره، وأقوم بالتصليحات النهائية بنفسي. وصل إليّ الطرد

بأكمله، ووجدتُ أنه لم يتمّ عمل أيّ شيء منذ ذلك الوقت الذي رأيتُ فيه آخر مرة مُسوَّدة كتابي ذات الشكل المُحدد منذ شهرين.

تفحّصتُ الكتاب بأكمله، تاركاً بعض التصحيحات والصياغات المُعادة، على الرغم من أنني لم أكن سعيداً بالطريقة التي ستُقرأ بها. أخذتُ النصف الثاني من الكتاب، الذي لم يصل إليه المُحرر المجهول خلال ثمانية أشهر من امتلاكه، وأكملتُ التحرير بنفسي وسلّمتُه. لم أكن مُقتنعاً كُلياً بالنسخة النهائية التي ستُطبع، ولكنني سمحتُ بها على أيّ حال بسبب الضغط كي يكون الكتاب في النشر بحلول نهاية العام.

لم أكن سعيداً بنفسي على الإطلاق لأنني سمحتُ لها أن تقتنع بقبول نسخة مُحررة لما أعتبره تحفة بارعة من الكتابة. إنّ المُحرر المُتواجد وراء الكواليس والذي وُظف كي يُصلح مُسوَّدة كتابي قد قام بعمل جيد، ولكنه مع ذلك، أدرج أمثلة من تجارب حياته الخاصة وأقحمها وكأنني أنا من كتبها. لديّ كتاب مُمتاز الآن، ولكنني لستُ داعماً له بنسبة مئة في المئة، لأنه حمل شعور كتابة شخص آخر في المقاطع الأربعة الأولى، وقد تمّ نسبتها مع ذلك جميعاً إليّ. أنا نصف مُحبّ لهذا الكتاب ونصف مُستاء منه. إنّ النصف الثاني من الكتاب والملحق يُمكن تمييزها بالنسبة إليّ، لأنها لم تُلمس على نحو أساسي، بيد أنّ النصف الأول لديه طعم مُختلف، وهو مُنفّر بعض الشيء بالنسبة إليّ.

لقد سكبتُ نفسي جسداً وعقلاً وروحاً في تأليف هذا الكتاب، وسلّمتُ حوالي سبعمئة صفحة تصببتُ عرقاً فوقها وأنا أكتبها قرابة سنة، ثمّ احتاجت أن يتمّ قصها إلى حجم معين!. كانت هذه المرة الأولى منذ كنتُ طالباً جامعياً في صفّ اللغة الإنكليزية، حيث يُخبرني شخص من الخارج أن أكتب بنمط أدبي أكثر قبولاً. قررتُ هنا والآن، أنني لن أسمح مرة أُخرى لهذا النوع من إعادة الصياغة أن يحدث، ليس من أجل المال، وليس من أجل الهيبة، وليس من أجل سعادة أيّ شخص آخر.

كان الدرس الذي حصل معي في التعامل مع تحرير كتابي «السماء هي الحدود» مُتضمّن في جملة واحدة: كُن حذراً من أولئك الذين يدّعون أنهم يعرفون أفضل. لم أكن مُستمتعاً بربح أيّ مُسابقات أدبية، ولم أهتمّ حتى باتباع نمط أيّ شخص في الكتابة.

أردتُ أن أكتب ببساطة وبلغة مُباشرة، وأن أُنتج كتاباً يُساعد القراء في الوصول إلى امكانيات تحقيق ذواتهم العليا.

لقد عرفتُ الآن بالتأكيد أنّ السماح لأصوات أُخرى بأن تُملي الطريقة التي سيبدو عليها كتابي كمُنتج نهائي، قد امتلك تأثيراً مُلّوثاً على الطاقة المُرتبطة بكتاب «السماء هي الحدود». عندما أمسكتُ المُنتج النهائي بيدي، شعرتُ أنه مُختلف جداً بالنسبة إليّ أكثر من كتبي المنشورة سابقاً. إنّ جميع المُقابلات التي ذهبتُ لإجرائها من أجل هذا الكتاب لم تكن تحظَ بالانتباه المُثير ذاته الذي أعطتُه كتاباتي السابقة.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنه عندما تلطّخ بعض التفرد الذي كنتُ أكتب من خلاله بالطاقات الآتية من غرباء وهميين غير مرغوبين ولا ضروريين، فقد أثر ذلك في كلّ شيء في الكتاب. لقد كان تمتعي بترويجه ضعيفاً نوعاً ما، ولو على مستوى الوعي. عندما كنتُ أفتحُ الكتاب على أيّ من الصفحات المُحررة على نحو مُكثف، كنتُ أشعر بنوع من الرائحة الغليظة فوقي، وكأنه غيمة سوداء خفية، بينما كنتُ أقول لنفسي: «أنا لم أكتبها بهذه الطريقة، ومع ذلك فإنّ اسمي مُرتبط معها».

إنّ الإهداء في هذا الكتاب يُقرأ كالتالي: «في ذكرى «آبراهام ماسلو» المُبتكر الأصيل في دراسة قوّة العظمة الكامنة عند الإنسان». هذه كانت ستكون تحيتي إلى مُعلّمي كما ألهمني قلبي. بطريقة أو بأُخرى شعرتُ أنني خذلتُ كلاً من د. «ماسلو» و د. «فرانكل» من خلال رضوخي إلى الضغوط التي كانت تُطبّق عليّ بسبب المبلغ الكبير من المال الذي دُفع لي. إنّ فكرة أنني يجب أن أستسلم لأنه دُفع لي أجر كبير حرّكت شيئاً بغيضاً داخلي.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ ذلك كان درساً هاماً بالنسبة إليّ. في الخمسة وثلاثين كتاباً أو أكثر التي نُشرت منذ عام 1980، لم أسمح مُطلقاً أن تُضاف مُساهمة أيّ شخص آخر إلى مُساهمتي الخاصة. مع ذلك، وجدتُ امرأةً أصبحَت مُحررتي الشخصية بعد تجربتي مع كتاب «السماء هي الحدود». لو لم أحصل من هذه التجربة على الشعور بضعف الثقة، لم تكن لتُولد لديّ الرغبة كي أجد الطاقم، وأعمل بانسجام مع صديقتي ومُحررتي «جوانا بايل» خلال الثلاث وثلاثين سنة الماضية. إنّها اليوم مثل نصفي الآخر

عندما يتعلّق الأمر بكتابتي. لقد عرفَتْ كيف أُفكّر وكيف أقوم بالعمل المُحترف في تحرير السطور في كلّ مُسوَّدة كتاب ألّفتُها. بعيداً عن تلك التجربة غير المُحببة كنتُ قادراً على أن أجذب إليّ رفيقة روح أدبية، أخذتْ خربشاتي وجعلتني أبدو مثل كاتب مصقول دون الحاجة لأن تُقحم ما تُفضّله هي.

لقد كان ذلك درساً عظيماً بالنسبة إليّ: كُن حذراً جداً من أولئك الذين سيخطون في حياتي، ويُقررون عني الطريقة التي يجب أن يكون عليها عمل حياتي. عدتُ بذاكرتي إلى الوراء الآن وأدركتُ أنّ الطاقة حول هذا الكتاب كانت مُلطخة بطريقة غريبة بحقيقة أنني لم أبقَ مع حضوري أنا، ولم تُؤكّد على ما عرفتُ أنه صحيح في قلبي.

مضى الآن حوالي ثلاثين سنة منذ أن نُشر كتاب «السماء هي الحدود»، وهو الكتاب الوحيد لي الذي فشل في أن يُعوّض الدفعة المُقدمة من أجل ضمان حقوق المؤلف والتي دُفعت في وقت النشر.

◆ ◆◆ ◆◆ ◆◆ ◆



- إنها العاشرة صباح الخامس عشر من تشرين الأول عام 1982. أنا في المدينة الصغيرة لماراثون «اليونان» مع حوالي ألف وخمسمئة شخص من أنحاء العالم، كي نركض ماراثون «أثينا» الكلاسيكي السنوي. كان من المُفترض أن يبدأ السباق في السابعة من هذا الصباح، ولكن بسبب بعض الفوضى، سنبدأ في العاشرة. هذا يعني أنّ المُتسابقين سيركضون عبر «أثينا» حوالي 26.6 ميلاً من الماراثون، أثناء أحرّ جزء في النهار. حتى مع ذلك، أنا واثق منذ أن بدأنا السباق بأنّ هذا سيكون أفضل وقت لي. هذا هو ماراثوني الخامس منذ بداية ممارستي الجري منذ أربع سنوات مضت.

مع تقدّم الجري أصبح جزءاً كبيراً من المضمار شاقاً، وكان الجوّ يُصبح أسخن في كلّ دقيقة. مع اقتراب علامة واحد وعشرين ميلاً، وصلتُ إلى نقطة من الإنهاك الجسدي لم أشعر بها من قبل. أنا انتفض وأتقيأ عصارة صفراء. يتساقط العداؤون من حولي، ويُسحبون ويُؤخذون إلى محطات الإسعاف الأولية في سيارات الإسعاف.

بسبب وصولنا المُتأخّر إلى «أثينا»، كان علينا الركض على طريق مُحددة بعلامات بين خطوط السيارات. إنّ الدخان هو أسوأ شيء صادفتُه. حاول مسؤولوا السباق أن يأخذوني إلى سيارة الإسعاف، غير أنني لا أستطيع فهم فكرة أنني طرتُ الطريق بأكمله إلى «اليونان» كي أُنجز شيئاً حلمتُ به، ولا أُكمله.

حالما استلقيتُ على جانب الطريق بإنهاك شديد في حرارة النهار، جاء شيء ما فوقي بإمكاني وصفه فقط على أنه مُعجزة. لقد ظهر ذلك الكائن الشفاف الذي كان يأتيني

في أحلامي، وأحياناً في يقظتي عندما كنتُ أحتاج إلى دليل. كل ما أستطيع قوله عنها إنّ عينيها براقتين وبدَت وكأنها تبتسم لي عندما تكلّمت. هذه الزائرة الخارقة من عالم الماورائيات تتحدّث إلي مُباشرة وأنا مُستلقٍ على الشارع. أخبرتني أنني قوي وأنني سأُنهي هذا السباق، وأنها ستُرشدني بقية الطريق.

لم أعد أُركّز بعد الآن على الشيء الخاطىء والشيء الذي يُزعجني، ونسيتُ أمور زحمة السير، الحرارة، وقتي الذي ضاع أثناء التقيؤ على الأرض، الدخان المُتصاعد. كانت رفيقتي الداخلية، هذه المرأة الرائعة والتي هي أكثر من مُجردّ تصوّر في خيالي، تُمسك بيديّ وتستخدم عيناها الزرقاوين اللامعتين كي تُقنعني أنني أكثر من جسد مُتعب. أنا روح، وهذه الروح يُمكنها القيام بأيّ شيء لأنها غير مُقيدة بالجسد ولا بالشكل الفيزيائي. بقي لديّ خمسة أميال أُكملُها، ومع ذلك أستطيع الآن أن أرى نفسي وأنا أعبر خط النهاية. لم تعد قدماي تتشجنان، ولم تعد معدتي تمغصني بسبب الجفاف. لقد تجددَت طاقتي، وشعرتُ فجأة أنني قوي جداً. إنها مُعجزة.

دخلتُ الملعب الأولومبي القديم وقمتُ بالدورة الأخيرة كي أُكمل 26.2 ميلاً. رفعتُ يديّ للأعلى وصحتُ من باب الدعابة: «لقد انتصرنا». تُخبرنا الأسطورة أنّ هذه كانت كلمات العداء القديم «فيدييبدس» وقد قالها عندما جرى من سهول الماراثون كي يُعلن انتصار اليونانيين على الفرس، وزُعم أنه سقط ميتاً من شدة الإرهاق.

في تلك اللحظة، وبمُتعة شديدة أدركتُ أنني يجب أن أكتب عن الرفيقة الداخلية التي بدت لي مسؤولة عن انتصاري. فور عودتي إلى الولايات المتحدة التقيت مع «آرتي باين» وأخبرتُه: «لديّ رؤية لامرأة حكيمة جداً زارتني في نومي. أُريد أن أكتب قصة عنها وعمّا تُخبرني به باستمرار». بيد أنّ «آرتي» كان يشعر بشكوك كبيرة حول أمور مثل زيارة الأشباح، وقد ناشدني أن أُفكّر بدلاً عن هذا بتأليف كتاب يعتمد على مواضيعي السابقة، وأن أنجح في التحدّث والظهور على الشاشة.

شرحتُ لزوجتي أنني مسحوب كي أكتب عن امرأة تعيش في خيالي، وأنني سميتُها « إيكيس» على شرف ابنتنا «سكاي»، التي وُلدت قبل عام. من خلال عكس أحرف اسم ابنتنا وإدخال حرف آي للدلالة على الأنا العليا، خرج اسم «إيكيس».

أعلمتُ «مايكل كوردا»، مُحرري في «سايمون و شوستر» أنني سأكتب حكاية مُماثلة لأسطورة «جوناثان ليفينغستون سي غول»، والتي كُتبت ونُشرت منذ اثنتي عشرة سنة.

سأستخدم دليلي الداخلي «إيكيس» على أنها بطلة القصة. سوف تُقيم على كوكب خيالي تكون الحقيقة فيه فقط هي أساس العيش. هذا يعني أنه لا يُمكن أن يكون هنالك تفكير خاطىء، لأنّ الناس على هذا الكوكب مُقيدون ومحدودون بتفكيرهم على ما هو الأمر، بدلاً ممّا يُحبّون أن يكون عليه.

نصحني وكيلي وناشري، وتقريباً كلّ شخص أن أتخلّى عن هذه الفكرة في كتابة قصة، وأن أستمرّ في مُتابعة ما كنتُ ناجحاً فيه بقوّة وهو مجال تأليف كتب المُساعدة الذاتية المُتصلة بتدريبي النفسي والعلاجي. بيد أنني كنتُ مُتعلّقاً بفكرة كتابة قصة خيالية وتسميتها بعنوان Giets from Eykis «هبات من إيكيس». لقد تخيلتُ أنّ «إيكيس» ستزور عالمنا، حيث تتفشى منطقة التفكير الخاطئة، وتُعطينا أسرار عيش حياة تحقيق الذات من خلال رؤيتها المُتركّزة على الحقيقة فقط.

منذ تجربة ركضي في الماراثون اليوناني، لم أستطع زحزحة فكرة أنّ «إيكيس» ليست مُجرّد تصور من خيالي: إنها دليل روحي يستطيع أن يتحدّث حقيقة معي ويُرشدني في أوقات مُشكلاتي. أنا أعتمد على هذا الدليل الخفي، وأشعر بحضورها أكثر فأكثر كلّما دُفعتُ إلى كتابة قصة تعتمد على تعاليمها.

كنتُ هنالك على الأرض في «أثينا». رأيتُ الناس يُحملون بعيداً في جماعات. كنتُ على وشك أن أكون أحد أولئك المُتساقطين منذ أن خسر جسمي كلّ قوته. تذكّرتُ اللحظة عندما أحاطتني طاقة «إيكيس» وسمحَت لي على الفور أن أتجاوز حدود جسمي المُستنزف والفاقد للحيوية. ركضتُ آخر خمسة أميال من السباق بمُساعدة شيء ما أو شخص ما لا أعرف أن أشرح عنه، بيد أنّ الأمر كان مع ذلك حقيقياً جداً بالنسبة إليّ. سأكتب هذه القصة، وسأعتمد على «إيكيس» كي تُرشدني عبر هذا المشروع الجديد.

من المُخطط له أن أتحدّث في «هونولولو» في المؤتمر الوطني في الشهر القادم، ولذلك قمتُ بالتخطيط كي أقضي وقتي في كتابة هذه القصة الخيالية على شاطىء

«الوايكيكي». جمعتُ كلّ مواد كتابتي، وتوجّهتُ إلى «هاواي» مع قناعة راسخة أنني عندما أعود إلى المنزل سأكون قد أكملتُ المُسوَّدة الأولى.

خلال الأسبوعين المُقبلين في «هونولولو»، كنتُ كلّ يوم أتوجّه إلى البقعة المُفضلة، أُدخل مسند ظهري في الرمال، أسحب وسادة الورق والقلم وأكتب. تتكشّف القصة تقريباً من غير جهد. كلّ يوم من الكتابة أحسّ من خلاله وكأنّ شخصاً آخر يُحرّك قلمي عبر الورقة، وأنا أسمح له فقط بالقدوم. ليس لديّ مُخطط، ولا أيّ فكرة حول كيف ستجري هذه القصة، أنا أكتب فقط وأكتب. ملأتُ الكثير من دفاتر الورق على الشاطىء، وأنا أُراقب السنونو، والأطفال، وأسمح ببساطة للأمر أن يحدث.

بعد أسبوعين حزمتُ أمتعتي وطرتُ إلى جزيرة «ماوي»، ثمّ انضمّت إليّ زوجتي في آخر أسبوعين من إقامتي المؤقتة من أجل كتابتي، وأحضرَتْ ابنتنا «سكاي»، والتي تبلغ من العمر الآن خمسة عشر شهراً. وجدتُ بقعة ظليلة على الشاطىء، واستخدمتُ مسند الظهر نفسه، وتابعتُ كتابتي اليومية. في الجزء الثالث من «هبات من إيكيس»، تترك الشخصية الرئيسة عالمها «الغريب والرائع» وتأتي إلى الأرض كي تُشارك هباتها معنا حول كيف نعيش حقيقة من وجهة نظر تحقيق الذات. تدفقّت القصة بلا جهد، وسلّمتُ المُسوَّدة إلى دار النشر «سايمون و شوستر». في البداية لم يكونوا مُتحمّسين من أجل قيامي بتأليف كتاب خيالي، إلا أنّ ناشري الآن يدعم ذلك بشدة.

سريعاً إلى الأمام إلى إطلاق الكتاب في أواخر عام 1983. كنتُ مُتحمّساً كي أُخبر العالم عن الرسائل المُحتواة في قصة «هبات من إيكيس»، فمضيتُ في حملة كي أجعل هذا الكتاب مُتوفّراً في كلّ مكتبة أستطيع الوصول إليها في «أمريكا» و«كندا». اشتريتُ كتباً بالآلاف وأرسلتُها بالبريد على نفقتي الخاصة. لقد أصبح إخبار العالم عن «إيكيس» وهداياها عملي بدوام كامل. لقد أحببتُ أخذ هذا المشروع الكامل على عاتقي مرة أُخرى، تماماً مثلما فعلتُ مع كتاب «مناطقك الخاطئة» منذ سبع سنوات. أنا لستُ مُهتماً بمبيعات الكتاب أو موقع الكتاب على لائحة الأفضل مبيعاً. أنا أُمضي وقت حياتي أنشر كلمة عن شيء أُحبّه.

تحدّثت «إيكيس» معي في خيالي كلّ الوقت. أشعر بطاقتها الأنثوية حولي، تُحرّكني

بهدوء ولكن بثبات إلى نهج أكثر روحانية على هذه الأرض. أنا لا أتحدّث كثيراً عن «إيكيس» على أنها روح إرشادية حقيقية في حياتي، بيد أنها واقعية جداً بالنسبة إليّ.

بعد شراء عشرات الآلاف من نسخ قصة «هبات إيكيس» وتوزيعها على الناس حول العالم، عرفتُ أنني سأتقدّم في كتابتي. رأيتُ الكتاب على أنه فيلم كبير في المُستقبل، وقدّمتُ الشكر على وجود «إيكيس» في حياتي. كتبتُ ونشرتُ قصتي الخيالية الوحيدة، وأشعر أنني مُبارك أكثر من قدرتي على أن أصف ذلك.

أثناء كتابة المقطع النهائي من قصة «هبات من إيكيس»، حملَت زوجتي بابنتنا «سومير» في «ماوي». لم يكن هنالك ذرة من الشكّ داخلي أنّ «إيكيس» حقيقة. إنها تنقلني أكثر فأكثر إلى عالم الروح وتملؤني بطاقتها الأنثوية «الين» من جزء دماغها الأيمن.

إنّ تجربة استلقائي على الأرض في «أثينا» أثناء جري الماراثون عام 1982 كانت لحظةً نوعية أُخرى، ونقطة تحوّل رئيسة في حياتي. كانت هذه المرة الأولى التي رأيتُ فيها بالفعل وشعرتُ بحضور الطاقة الخارقة، وسمحتُ لنفسي أن تذهب إلى ما وراء النفس المادية وأن تُرشَد من الأعلى. كان ذلك وكأنني لم أعُد مُقيداً بعد الآن بحدود الجسد المُنهَك. بدت «إيكيس» وكأنها تولّت قيادتي في هذه اللحظة من الأزمة. أنا أقول أزمة لأنّ فكرة الرجوع إلى المنزل وأنا أعلم أنني لم أنه هدف جري هذا الماراثون كانت أكثر ممّا أستطيع تحمّله. كنتُ أعيش ما وصفه «ماسلو» بأن يكون الإنسان مَن يجب أن يكون، وما يستطيع أن يكون عليه. لم يكن الانسحاب خياراً، ومع ذلك كان جسمي واهناً كُلياً.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنه هناك أكثر بكثير من الأشياء المُرتبطة بفكرة أن تكون إنساناً عادياً، ومن أن نُقاس بإنجازاتنا المادية. عرفتُ أنّ هناك احتياطي من القوّة الداخلية يُمكن أن تُستدعى في اللحظات العصيبة، بل والأكثر روعة هناك إرشاد إلهي مُتوفّر لنا إذا كُنا قادرين على أن نؤمن به ونسمح له أن يعمل معنا.

أنا أعرف اليوم أنّ كلّ شيء في العالم مُتصل بكلّ شيء آخر بواسطة خيوط روحية خفية إن أردتَ. أنا أعلم أنّه لديّ دليل روحي مُتوفّر بالنسبة إليّ، وأنه دائماً موجود عندما أحتاج أن أتصل به. إنّ «إيكيس» هي تجسيد لهذا الدليل الإلهي. لقد ظهرَت لي في

مُناسبات عديدة خلال السنوات التي تلَت أول مرة وضعتُ فيها اسم صديقتي الروحية المُتحررة من الجسد. لقد بدأتُ أثق في توافر المُساعدة الملائكية والإرشاد.

تذكّرتُ الذهول الذي شعرتُ به عندما ركضتُ في ذلك الملعب الأوليمبي القديم. قبل ساعة كنتُ مريضاً إلى درجة أنه تمّ حثي على دخول سيارة الإسعاف، وهذا ماقام به تقريباً ثلثا العدائين بسبب الحرارة الشديدة والركض الشاق، ودخان عوادم السيارت الذي ميّز هذا السباق. مع ذلك كان لديّ نفَس جديد، وكنتُ أشعر أنني أقوى في النهاية أكثر من أيّ وقت خلال السباق.

إنّ كتابة قصة «هبات من إيكيس» كان تجربة سحرية بالنسبة إليّ، وأحد أقدم تجاربي مع الكتابة التلقائية. كلّ يوم وبينما كنتُ أجلس على الشاطىء في «هونولولو» و«ماوي»، كنتُ أشعر بحضور طاقة «الين» هذه والتي دعوتها «إيكيس»، ممّا كان يُشعرني بالراحة والاسترخاء. شعرتُ بالراحة والسلام والثقة بأنّ كلّ شيء احتجتُ أن أقوله في هذه القصة الرمزية سيكون هنا. إنه ما أدعوه الآن « الكتابة المُوجّهة»: كنتُ الأداة، وظهرَت الكلمات بطريقة سحرية على دفتر الورق. كانت يدي تتحرّك دون جهد وبسرعة كبيرة. أستطيع تذكّر شعور يدي بالتشنج بسبب أفكار وكلمات كانت تحضر بسرعة كبيرة. كلّ يوم بعد الكتابة ساعات عديدة، كنتُ أُعلّق لزوجتي أنّ هناك شيء قريب إلى السّحر الحقيقي يحدث معي على الشاطىء كلّ يوم.

اليوم أستطيع أن أرى بوضوح أنّ هذه كانت مُقدمتي لفكرة أنّ كلّ الكتابة مُوجّهة في الحقيقة من العالم غير المرئي. كما قال «المسيح»: «إنها الروح التي تُعطي الحياة»، والكلمات على الصفحة التي تظهر من اللامكان هي نتيجة رقص الإبداع. أعلم الآن أنّ الإله يكتب جميع الكتب، حتى أنّ الكلمات التي تظهر على الصفحة ليست ملكاً لأحد. أعلم بالتأكيد أنّ عملية الإبداع شيء أحصل عليه من عالم أعلى، وأنّ «إيكيس» قد رمَّزَت لي الطريق كي أبقى في مُحاذاة هذه الطاقة التي أسميها «الإله»، عندما أكون قادراً على فعل ذلك، أمتلك القدرات نفسها التي تجعل «كلّ الأشياء مُمكنة» كما هو الخالق تماماً.

عندما كنتُ أُرسل نسخاً من قصة «هبات من إيكيس» إلى آلاف الناس عبر البلاد،

كنتُ أضع ضمن النسخ رسالة تقول: «لقد أُنتجت قصة «إيكيس» على شكل فيلم». لم أقل: «يوماً ما»، وإنما قلتُ: «أُنتجت» وكأنّ الأمر قد تمّ بالفعل. كان تلك تجربتي الأولى مع فكرة العيش من النهاية، وافتراض الشعور بأمنية مُتحققة، والبدء بشيء ما بمُصطلح اللحظة الحاضرة وكأنه صفقة أُنجزت للتوّ. اليوم هناك في الحقيقة قصة سينمائية من أجل «هبات من إيكيس»، بل تمّ تعيين مُخرج الفيلم. إنّ فكرة تحويل هذا الكتاب إلى فيلم، والتي كانت مُجرّد فكرة وقتها، أصبحت الآن حقيقة ملموسة.

ظهرت «إيكيس» أولاً في أحلامي، ثمّ في لحظات تأملي الهادئة، وفي النهاية كقوّة مُرشدة في حياتي في وقت احتجتُ أن أختبر مُباشرة تلك القوى غير العادية والتي بإمكانها التجلّي عندما أشعر أنني أكثر يأساً وفقداً للأمل، وعندما أكون قادراً على الاستسلام والسماح بحدوث مُعجزة. هذا ما حدث خلال تجربتي في «اليونان» عام 1982. منذ ذلك اليوم فصاعداً عرفتُ أنّ هنالك في إنسانيتي أكثر بكثير مما اكتشفه خلال حواسي «و،أو» البيانات التي يُمكن التحقق منها علمياً. لقد ظهرَت «إيكيس» لي عندما نفيتُ كلّ الشكّ وسمحتُ للمُساعدة الإلهية أن تحملني إلى خط النهاية.



▪ في صيف عام 1985، أصبحَت حياتي على نحو مُتزايد مليئة بالمُشاركة الكاملة في مسؤوليات تربية الأطفال من مُختلف الأعمار. أنا في عمر خمس وأربعين سنة وأب لثلاث فتيات صغار، إضافة إلى ثلاثة أطفال أكبر سناً. لقد أصبح لدينا مع زوجتي «مارسيلين» ثلاثة أطفال صغار في الأربع سنوات الماضية، ابنتي تريسي في الثامنة عشرة من العمر، ولدينا اثنين من المُراهقين يجب أن نهتمّ بتربيتهم. هذه مسؤولية مُرعبة حيث أُفكّر من جهة بتلبية احتياجات أطفالي الأساسية في الدرجة السفلى من هرم «ماسلو»، وهي اطعامهم، وكسوتهم، وتأمين مكان آمن لهم كي يكبروا فيه، ومن جهة أُخرى، أنا هنا أيضاً كي أُساعدهم في تحقيق حاجاتهم العليا في تلك الحجرة الصغيرة في أعلى هرم «ماسلو» والتي تُدعى «التحقيق الذاتي».

كنتُ أستفتي العديد من الجماهير في اجتماعات التحدّث العديدة خلال السنة الماضية بسؤالي: «ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟». إنّ فكرة كتابة كتاب عن سلوكيات التربية التي تُوجّه على نحو خاص نحو تربية أطفال غير محدودين كي يُصبحوا بالغين مُحققين لذواتهم قد أصبحَت موضوعاً آسراً. إنّ تربية الأبناء هو المكان الذي يحدث فيه التحوّل.

يبدو لي أنّ العديد من الآباء يدفعون أبناءهم في الاتجاه المعاكس من قمة هرم «ماسلو». لقد تعلّم الكثير من الأطفال أن يعيشوا بمُتطلبات الأنا الخاصة بهم، فيربحوا مهما كان الثمن، ويُكدّسوا أشياء قدر المستطاع، ويُعرّفوا حياتهم على أساس كيف

يلتصقون بغيرهم كي يكسبوا مالاً قدر المُستطاع، ويضعوا قيمة مادية لكلّ شيء يفعلونه. تظهر نتيجة هذه الأنواع من الضغوط على الأطفال في اضطرابات الشخصية، البدانة، المرض الجسدي، القلق والتوتر، عدم الاستقرار العاطفي.

لقد رتّب وكيلي «آرتي باين» للتوّ عقداً من أجل كتابين مُستقبليين مع دار نشر مرموقة أُخرى في نيويورك William Marrow and Company، «ويليم مورو آند كومباني». أثناء نقاش هذا العقد الجديد مع زوجتي و«آرتي» أخبرتُهم: «أشعر أنني مُكره على أن أكتب كتاباً شاملاً حول كيفية تربية الأطفال كي يُصبحوا أشخاصاً مُحققين لذواتهم». لقد اكتشفتُ هذه الفكرة أكثر من خلال ما اكتشفته من أنّ ما يقوله الآباء عمّا يُريدونه لأطفالهم، غالباً لا ينسجم مع كيفية تربيتهم لأولادهم فعلياً.

لديّ الآلاف من الاجابات على استفساراتي في ملف كبير مُرتب في عشرة تصنيفات تتعلّق بما يقوله الآباء عمّا يُريدونه لأطفالهم. قررتُ أن أصنع من هذا الملف مُوجز الكتاب المقصود. عندما قدمناه أنا و«آرتي» إلى ناشري الجديد، كان مُتحمّساً وأعطوني الضوء الأخضر. في هذه المرة تجنّبتُ الحاجة إلى دفعة مُقدمة كبيرة لكتابي. لا أُريد أن يتدخّل المال وأنا أكتب: لا أرغب أن أُكرر تجربتي مع «سايمون وشوستر».

أنا غارق تماماً في كتابة هذا الكتاب الجديد. قررتُ أن أضع عنوانه مُستخدماً نفس التساؤل الذي أعطيتُه إلى الآلاف من الحاضرين في مُحاضراتي أثناء السنة الماضية أو ما يُقارب ذلك: «ما الذي تُريده حقيقة لأطفالك؟». دُهشتُ من الإجابات التي حصلتُ عليها في ملفي. لم يقل أحد: أُريد لأطفالي أن يكونوا أغنياء، أن يكونوا أفضلَ من أيّ شخص آخر، أن يربحوا في كلّ شيء يفعلونه، أن يحصلوا على عمل جيد، أن يحصلوا على أفضل الدرجات، أن يدخلوا إلى أفضل المدارس، أن يبدوا على نحو جيد بالنسبة إلى أقرانهم. مع ذلك يبدو أنّ هذا ما يُربّون أولادهم عليه.

كتبتُ ساعات وساعات كلّ يوم، وأنا واعٍ لكلّ ما أقوله وأفعله كأب. جرَت بيني وبين زوجتي مُحادثات طويلة عمّا نُريده حقيقة لأولادنا الستة، وكنا غالباً نُعدّل اعتراضاتنا الأبوية، حتى تعكس على نحو أوضح ما أردناه لأطفالنا. كنا مُصممين على أن نُمارس على نحو عملي فكرة تربية الأطفال الذين يشعرون أنهم هادفون ويعيشون في أقصى

مستوى من السعادة. أُراقب ابني وبناتي عندما يُمارسون أشيائهم اليومية الاعتيادية، وأنا في ذهول من الطريقة العجائبية التي يتفاعلون فيها مع بعضهم البعض، ومعنا، ومع عالمهم.

أُريد لأطفالي أن يستمتعوا بالحياة، ويُقدّروا أنفسهم، ويتحدّوا المخاطر، ويُصبحوا مُعتمدين على ذواتهم، ويتحرروا من الضغط والقلق، ويعيشوا حياةً هادئة، ويحتفلوا بلحظاتهم الحالية، ويختبروا حياة من الصحة والعافية، ويكونوا مُبدعين، وفوق كلّ ذلك أن يُنجزوا احتياجاتهم العليا، ويشعروا بإحساس وجود هدف. هذه الصفات ستجعلهم أشخاصاً مُحققين لذواتهم، هذه عناوين المقاطع الفردية في مُهمّة الكتابة الضخمة التي سيطرت على حياتي على نحو كامل. كتبتُ بينما أُشاهد كيف كان أطفالي وزوجتي مُعلّمين رائعين. لقد ملؤوا قلبي بالمرح، ومُسوَّدة كتابي بالأفكار حول كيفية تربية الأطفال كي يعيشوا في أعلى قمة الهرم.

تتزايد المُسوَّدة كلّ يوم. لا يبدو أنني استطيع التوقّف عن الكتابة، ومن جديد أنا أختبر بذهول مشدوه، الكتابة المُوجّهة. لقد كانت «إيكيس» معي كلّ يوم من هذه الرحلة الرائعة. كنتُ أُخبر زوجتي يومياً عمّا أكتبه وكيف أنني مأسور بالطريقة التي تأتي بها المعلومات إليّ. لدي مُساعدة طيار ملائكية تقود هذا المشروع بأكمله من بُعد سماوي. لم تكن كتابتي أسهل من قبل. تأمّلتُ طويلاً كيف يكون أمر تربية الأطفال في بيئة يتمّ التأكيد فيها على سعادتهم الكاملة على نحو حصري، وتُوضع مُتطلبات الأنا جانباً على نحو كامل. هذا الكتاب مُكرّس لفكرة تعلمتُها من «بكمنستر فولر»: «نحن جميعاً عباقرة، ولكنّ الحياة تُنقص من عبقريتنا». كان هدفي من تأليف كتاب «ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟» هو شرح كيف يستطيع الآباء خلق بيئة حياة لا تُنقص من عبقرية الأطفال.

تذكّرتُ كيف أكّد الدكتور «ماسلو» على أنّ التحقيق الذاتي هو حالة من الوعي المُتوفّرة لأشخاص قلائل مُختارين قد يُدعَون بالعباقرة. هؤلاء هم الأشخاص الذين درَسَهم: «آلبرت آينشتاين»، «يسوع الناصري»، «لاو تزو»، والقادة المُعاصرين في مجالات أُخرى كذلك. مع اعتذاري أمام الدكتور «ماسلو»، ولكن موقفي أنّ هذه

المكانة السامية جداً في أعلى هرم الاحتياجات ليست مُتوفّرة فقط من أجل الأرواح المُتطورة عاطفياً والتي حدث وربحت اليانصيب عندما خُلقت. إنّ قمة الهرم هذه هي حقنا الفطري الطبيعي.

إنّ الأطفال الذين تمّ تشجيعهم كي يُصبحوا مُحققين لذواتهم، ويرون التحقيق الذاتي في تصميمه الحقيقي، سيعرفون أنه لا أحد أسمى من أحد آخر، وأنّ هذه العوالم العليا هنالك من أجلنا كلّنا. إنها المكان حيث يكون جميع الناس مُستقلّين، ومُرتاحين كونهم وحدهم، مُتمركزين حول الحقيقة، يتقبّلون أنفسهم بعُمق، وكذلك الآخرين والعالم. إنّ ما نُريده كآباء حقيقة لأطفالنا هو أن يقودوا حياة راضية وسعيدة، وهذا ما أنا مغمور به كُلياً كلّ يوم.

كنتُ أكتب ليلاً نهاراً مُدّة سنة تقريباً، وكانت الكلمات تخرج بسرعة وجنون، وتتدفّق بحُرية تماماً كتدفق الماء من الصنبور الذي يستمرّ بالتدفق بسبب الأنبوب المكسور. لا أستطيع سدّ الفتحة، لم أعرف أبداً من قبل كثافة كهذه في كتابتي. كانت تأتي في مُنتصف الليل، وبعد الظهيرة، وفي المساء كذلك. كتبتُ أكثر من ألف صفحة. أعلم أنني سأحتاج أن أُقطّع هذه المُسوّدة على نحو محسوس، ولكنني سأترك الأمر إلى مُحررتي الجديدة «جوانا»، والتي تعمل معي الآن بدوام كامل.

الكتابة عن تربية الأطفال كي يُصبحوا بالغين مُحققين لذواتهم من غير قيد كان التطور الطبيعي بالنسبة إليّ في عام 1985. كنتُ في خضم صنع نقلة عجيبة في حياتي، وكان ذلك ينعكس في كتابتي وتحدّثي على نحو مُستمر. كنتُ في المراحل المُبكّرة من الاستيقاظ الروحي، وكان الكثير من هذا يأخذ دوره مع زواجي والحضور المُستمرّ للمزيد والمزيد من الأطفال المُنضمين إلى عائلتنا – بحلول عام 1989، كان لدينا خمسة أطفال جدد وُلدوا جميعهم في الثمانينيات. لم تكن مُصادفة أنني توجهتُ كي أكتب عن تربية الأولاد، بينما كانت المزيد والمزيد من مسؤوليات تربية الأطفال تحطّ في حضني.

لقد سبق وكنتُ مُعلّماً في مستويات مُختلفة كثيرة ابتداء من المدرسة الابتدائية وحتى كلية الدراسات العليا، وكنتُ دائماً أعرف أنّ أفضل طريقة من أجل تعلّم وفهم شيء ما حقيقة هو أن تُعلّمه، وكذلك كان الأمر مع تربية الأطفال.

إنّ الدرس الأساسي الذي أردتُ أن أنقله في كتابة مُجلّد تربية الأطفال هذا تضمّن قضية الاعتماد على الذات. لقد قلتُ ذلك آلاف المرات: «إنّ الآباء ليسوا مُتكأً، وعليهم أن يجعلوا الاعتماد عليهم غير ضروري». هذه الرسالة التي كنتُ أحاول دوماً أن أنقلها إلى عملائي في جلسات الاستشارة: تعلّم أن تعتمد على نفسك. خُذ مسؤولية كاملة عن كلّ شيء يأتي إلى حياتك، وكما علمنا الدكتور «فيكتور فرانكل»، لديك دائماً خيار في كيفية الاستجابة لأيّ شيء تُقدّمه الحياة لك.

كلّما كانت عائلتي تكبر، كنتُ أستطيعُ أن أرى بوضوح أنّ هذه المخلوقات الإلهية الصغيرة هم مُعلّمين لي. نعم في الحقيقة، عندما يجهز الطالب يحضر المُعلّمون! كان هنالك أيضاً جانبٌ غامض سميّته «إيكيس» يُدير طريق حياتي، كرجل وأستاذ مُحترف وكاتب.

هذه أيضاً قصة مُمتعة أُخرى. إحدى مرضاي الأوائل في جامعة «سانت جون» في سنواتي المُبكّرة كأستاذ جامعي في السبعينيات، كانت امرأةٌ اسمها «سوزي كاوفمان»، والدة صبي صغير اسمه «رون» والذي تمّ تشخيص مرضه بالتوحّد الطفولي. كانت هذه المرأة أيضاً زوجة أخ أول طالب دكتوراه لديّ «ستيفن كاوفمان».

أثناء سير الكثير من جلساتنا الاستشارية معاً، روَت «سوزي» أنّه من غير الممكن التواصل مع ابنها الصغير على نحو كامل. لم تبخل هي وزوجها «باري نيل كاوفمان» بأيّ جهد أو نفقة كي يتمّ فحص «رون» من قِبل خبراء التوحّد حول العالم، وكان الجواب نفسه دائماً: «لا يُمكن شفاؤه، لا يُمكن التواصل معه. لا نعرف لماذا، ما من شيء نستطيع فعله».

من أجل ذلك ابتكر «باري» و«سوزي» برنامجهما الخاص من أجل مُعالجة ابنهما الصغير. لقد قاما بتوظيف الطلاب ودربوهم بطريقة ابتكراها، تعتمد أساساً على إحاطة «رون» بالحبّ غير المشروط في بيئة مُحتضنة وآمنة. خلال الأربع وعشرين ساعة في اليوم، وسبعة أيام في الأسبوع، في مُدّة أشهر مُتتالية، كان «رون» في الخلاصة يستقبل ترانيم الحبّ المُستمرة.

وصفت لي «سوزي» أعراض «رون» من الاهتزاز ذهاباً وإياباً والابتعاد، والتصرّف

تقريباً كما لو كان في غيبوبة صحو. بيد أنهما بعد شهور من برنامجهما الخاص من أجل الوصول إلى ابنهما، في أحد الأيام أومضت عينا «رون»، ووصف «باري» ذلك قائلاً: «نظرتُ إلى ابني بعينين جديدتين». في عام 1976 مضى باري يُؤلِّف كتاباً بعنوان «نهوض إبن»، والذي فصّل فيه العملية التي طوراها بأكملها، وكيف كانا قادرين في نهاية المطاف على رؤية ابنهما «رون» يعود إليهما، ويرمي تشخيص «غير قابل للشفاء» خلفه. لقد تمّ تحويل الكتاب إلى فيلم تلفزيوني من بطولة «جيمس فارينتينو» قبل عدة سنوات مضت.

سريعاً وصولاً إلى عام 1985، بينما كنتُ أكتبُ عن تربية الأطفال، وُلدت ابنتنا «سيرينا» في شهر أيار، وخلال سنة بدأت تُظهر بعضاً من الأعراض التي كانت لدى «رون». أومضَت في ذهني في الحال جلساتي السابقة مع «سوزي» وجميع الأشياء التي فعلتهَا مع زوجها قبل خمس عشرة سنة مضت.

رتبتُ اجتماعاً عائلياً مع «مارسي» وجميع أطفالنا، وفصّلت بدقة كيف سنتعامل مع «سيرينا» استناداً على ما تعلمتُه قبل خمس عشرة سنة مضت. أحطناها بالحب: التصقت سوزي حرفياً بطفلتنا وجعلتها قرب قلبها على مدار اليوم تقريباً. أُخبرَت «سيرينا» مرات ومرات من قِبل والديها وإخوتها أنها محبوبة، وأنه ليس هنالك من شيء تخشاه، وإن أرادت أن تترنح ذهاباً وإياباً فستكون بطلة العالم في الرقص، وأننا مُهتمّون كثيراً بذلك. لم يكن هناك أحكام ولا غضب، بل الحبّ فقط. لقد كان هذا الأمر مُجدياً مع عائلة «كاوفمان» سابقاً في السبعينيات، ومُجدياً مع ابنتنا «سيرينا» في وقت قصير نسبياً.

مرة أُخرى، لا وجود للمصادفات في أيّ مكان. إنّ مجيء «سوزي» إلى مكتبي من أجل جلسات الاستشارة كان مفيداً لطفلتي التي لم تُولد إلا بعد خمسة عشر عاماً في المُستقبل، وقد علّمتني تماماً ما أفعله كأب من غير حتى أن أدري بذلك.

حالما أنهيتُ كتابة What do you really want for your Chilren? «ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟» بدأت أضع ضمنه العديد من المراجع للاحتياجات العليا، واليقظة الروحية، والإله. لم تظهر هذه المواضيع في أيّ من كتبي الأربعة السابقة. إنّ ولادة أطفالي، وزواجي من امرأة مُستيقظة روحياً، وتطوّري الشخصي كمُعلّم مُختبراً

هذه المبادىء الروحية يومياً، جميع هذه الاشياء كانت تسحبني في اتجاه جديد. كنتُ أتحرّك في اتجاه عالم أعلى وأعلى من الوعي السري الغامض. من الواضح لي اليوم أنني كنتُ مُستقبلاً لتأثير المُعلّمين المُتقدّمين الذين كانوا يدعونني كي أذهب أبعد مما كنتُ أكتشفه وأكتب عنه.

إنّ رؤية طفلتي تفعل ما قد وصف لي قبل خمس عشرة سنة مضت، ومعرفة ما يتوجّب عليّ فعله بدقة، ثمّ تطبيقه بنجاح، أعطاني «مُحفّزات»، وعرفتُ أنني كنتُ مُوجّهاً من قِبل قوّة أكبر بكثير مني. عرفتُ أنني كنتُ على وشك أن أُباشر في مُغامرة جديدة كلية، لم يكن لها علاقة بما كنتُ كتبته وتحدّثتُ عنه حتى هذا الوقت. كلّ العوامل كانت تأتي معاً وحالاً: ولادة العديد من الأطفال في الأربعينيات من عمري، الشعور بحضور الدليل الروحي الذي أسميتُه «إيكيس»، الزوجة التي جسّدت الوعي الروحي في مُمارساتها للأمومة،والأكثر أهمية، النداء الداخلي الذي جعلني أتحدّث عن الإله، المُعجزات، واليقظة الروحية. تركتُ هذه الأمور عمداً في كتاباتي السابقة، ولكنها أصبحت الآن تُناديني بطريقة لم أستطع تجاهلها. لم أكن أتملكها، بل تملّكتني!.



- في التاسع من تشرين الأول عام 1987، وضعَت زوجتي طفلنا السابع، وكان صبياً أسميناه «ساندس جاي داير». كنتُ في طريقي إلى الكثير من الأشياء في السنتين الماضيتين، إذ قمتُ بجولة تحضير الغلاف الأمامي والخلفي لكتابي في تربية الأولاد: «ما الذي تُريده حقاً لأطفالك؟»، وكنتُ أشعر أنّ حياتي تأخذ هدفاً واتجاهاً جديداً كُلياً، على الرغم من أنني غير قادر على تحديد ماهيته بدقة.

تلقيتُ العديد من الطلبات كي أتحدّث في طقوس الكنيسة عبر البلاد، وكنتُ أقدّم الكثير من المُحادثات في الكنائس الإنسانية المُتعددة الطوائف في السنين العديدة الماضية. يبدو أنّ الرسائل في كتابي ترنّ ويتردد صداها عند أعضاء هذه الكنائس، وكان المُصلون مُتحمّسين كي يحضروا مُؤتمراتي ومُناقشاتي في صلواتهم صباح كلّ أحد. في كنيسة الوحدة أو العلوم الدينية كانت الموعظة تماماً عن كتابة «رالف والدو إميرسون»، «أبراهام لينكولن»، «بوذا»، أو «لاو تزو» كما هي عن التعاليم المُباشرة للسيد «المسيح». كانت هذه الكنائس المسيحية تُؤكّد على الروحانية وعلى حياة إدراك الإله، أكثر من تأكيدها على عقيدة دينية تقليدية، وكان الناس من جميع الطوائف الدينية مُرحب بهم دائماً.

كنتُ مُتحمّساً لفكرة اعتباري أستاذاً روحياً، فقد كان الأمر جديداً بالنسبة إليّ، منذ أن تحاشيتُ كثيراً أيّ ديانة مُحددة. كنتُ أرى نفسي شخصاً عالمياً من غير أيّ رغبة في استبعاد أيّ شخص. أنا أتشرّف أن أُقدّم خطابات «تُشبه الموعظة» في صلوات الكنيسة،

وأن أرتبط بأمثال «إميرسون»، «ثورو»، «ليو باغليا»، «نيفل»، ومُعلّمين آخرين فائقين. كلّما تحدّثتُ في هذه التجمعات الروحية، ازدادَت رغبتي في الكتابة عن التحوّل الروحي الفردي. أشعر وكأنني سُحبتُ في اتجاه جديد، وأنني لستُ مَن يقوم بالسحب. كانَ هناك شيء ما أكبر بكثير مني أنا الصغير يبدو وكأنه يتسلّم زمام حياتي.

لقد نشرتُ إلى الآن خمسة كتب، كانت جميعها ناجحةً للغاية، وكانت لدى «آرتي باين» بعض الأفكار عن الاستفادة من هذا النجاح التجاري عن طريق كتابة كتابين كان مُتأكّداً أنهما مُربحان بالنسبة إليّ وبالنسبة إلى ناشري أيضاً. لقد اقترح أن أكتب كتاب مُساعدة ذاتية حول استخدام مبادىء نظريتي المنطقية كي يكون الإنسان أكثر فعالية في كسب المال، ثمّ كتاب مُتابعة يُخبر الناس كيف يحصلوا على حياة جنسية رائعة من خلال استخدام أفكار غير محدودة كتبتُ عنها مسبقاً. طبعاً كلّ الشكر للدكتورة «روث ويستهايمر» فقد أعلنت من خلال ظهورها على الراديو والتلفاز، عن بداية عصر جديد من الحديث بطريقة أكثر حرية وصراحة عن الجنس.

شعر كلّ من وكيلي وناشري أنه سيكون لدينا انطلاق سريع للكتب الأكثر مبيعاً، لو أنني ألّفتُ كتباً عن الجنس والمال، فكلّ ما يخصّ ذلك سيجني منجماً من المال. بينما كان «آرتي» يُخبرني: «إنّ ناشرك قادر على القيام بصفقة هذين الكتابين الأمر الذي سيصنع لك ثروة. لقد أعطيتهم فكرة هذين الكتابين. فقط أعطِ كلمتك، وسأُنهي هذه الصفقة من أجلك».

استمعتُ جيداً إلى مُقترح «آرتي» وأخبرتُه مُباشرة أنني غير مهتمّ ولا بأيّ طريقة، وغير قادر على قبول مُقترح كهذا. شرحتُ أنّ النقاشات التي كنتُ أُقدّمها في الاجتماعات الروحانية خلال السنة الفائتة قد أوصلتني إلى انجذاب مع فكرة أنّ الأشخاص قادرين على تحقيق نوع من إدراك الإله في حال غيّروا الطريقة التي يُفكّرون بها. ما أُريد أن أكتبه هو كتاب بعنوان You'll see it when you believe it «سترى الشيء عندما تُؤمن به»، والذي يتناقض مع العبارة الشائعة جداً: «سأُؤمن به فقط عندما أراه».

كررتُ لوكيلي أنّ مُعتقداتنا كبشر تُحدد ما نراه على نحو حتمي. أنا مُبتهج من فكرة كتابة دليل روحي من أجل تحقيق إنجازات التحوّل الفردي. هذه الأفكار كانت تنبت

داخلي أثناء هذه الفترة التي أصبحتُ فيها مُعلّماً روحياً بارزاً، من غير عمل أيّ شيء واعٍ لاستجلابها واحضارها.

بدا انزعاج «آرتي» على الهاتف واضحاً. إنه يسألني ما الشيء الذي سأتحدّث عنه عندما أقول «سترى الشيء عندما تُؤمن به». حاولتُ إخباره أنّ الأمر برمته عن الانتقال إلى عالم الروح. والشيء هو أيّ شيء يضع الناس تركيزهم عليه في خيالهم، والذي سيُصبح ملاحظاً في عالم المادة، بسبب قوّة التفكير في خلق أيّ شيء يُعتقد به.

فصّلت أنه لديّ سبعة مبادىء من كلمة واحدة غير مفهومة بسهولة بالنسبة إلى الإنسان العادي. إنّ حالة إدراك الإله يُمكن الوصول إليها من خلال الشرح الواضح لهذه المبادىء وكيف تعمل في الحياة. سأجعل لكل كلمة «مبدأ» فصلاً، مع أمثلة في تحويلها من مبادىء غامضة إلى شيء ما بإمكان القارىء تطبيقه مُباشرة. قرأت الكلمات السبعة له: التحوّل، الفكر، الوحدانية، الوفرة، العزلة، التزامن، الغفران.

ثمّ قرأتُ بياناً للرئيس «جون كوينسي آدمز» كنتُ أحمله معي سنة كاملة، وأستخدمه في معظم مُحادثاتي، وخاصة في العروض التقديمية للكنائس الروحية:

إنّ «جون كوينسي آدمز» بخير، ولكنّ المنزل الذي يعيش فيه في الوقت الحالي أصبح مُتهدماً. إنه يتداعى من أساساته. لقد دمّره الوقت والفصول تقريباً. إنّ سقفه مُتهالك على نحو كبير، وجدرانه مُحطّمة وتهتزّ مع أيّ ريح. أعتقد أنّه يجب أن يخرج «جون كوينسي آدمز» منه في الحال. بيد أنّه هو نفسه جيد جداً، جيد جداً.

كان «آرتي» في حالة من الاحباط معي، وكان يستجيب بروعة أسلوب وكالة «نيويورك»: «ما الذي تتحدّث عنه بحقّ الجحيم، «واين»؟ ليست لديّ أدنى فكرة ما الذي ستكتب عنه. دعنا فقط نقوم بالصفقة التي رتبتُها من أجلك. ستكون أحمقاً لو رفضتَها، فهي تعني الكثير من المال، بل أكثر حتى ممّا حلمتَ به في حياتك».

قلتُ: «أنا آسف، ولكنني لا أستطيع جعل المال أو المكانة أو أيّ شخص آخر يُخبرني ما أكتب وما أتحدّث عنه. أنا لست الدكتورة «روث»، ولا أُريد أن أتظاهر أنني مُهتمّ بإخبار الناس كيف يكسبون المال». أخبرتُ «آرتي» أنني سأكتب كتابي

التالي بناء على فكرة الاعتقاد هو رؤية، بدلاً عن الفكرة المُعاكسة السائدة.

وافق «ويليام مورو» على أن يكون ناشر كتابي التالي، ولكنهم لم يُقدموا دفعة مُقدمة من أجل ضمان حقوق الكاتب. لقد أخبرني كلّ من «آرتي» وناشري مرات ومرات أنّ الجمهور العام ليس مُهتماً حقيقة بقراءة الكتب المُتعلّقة بالروحانية والوعي الأعلى. أخبروني أنني أُضيّع وقتي وجهدي، وما من فرصة أمام كتاب بعنوان مُربك كهذا ومبادىءغير متبلورة، وأنه لن يستطيع النجاح بالطريقة الكبيرة التي أنجزتُ فيها كتبي السابقة.

أنا شجاع، وأعرف ما أُريد الكتابة عنه، وأشعر بحضور شيء إلهي يهمس لي أنني قمتُ بالاختيار الصحيح.

عدتُ بذاكرتي إلى الوراء ورأيتُ بوضوح تام أنّ شيئاً ما كان يُؤثر بي كي أقوم بنقلة هامة في كتابتي وحديثي وحياتي كذلك. لقد كتبتُ خمسة كتب وكانت في قائمة الأفضل مبيعاً، وكانت كلّها من منظور نفسي حول كيف تعيش حياة أكثر إنجازاً، وأكثر اعتماداً على الذات، ومع ذلك كان من السهل جداً بالنسبة إليّ أن أرفض عرضاً مُغرياً للغاية كي أتابع كتابة الكتب الشعبية من نمط المُساعدة الذاتية والتي تجذب جمهوراً كبيراً. كنت أرفض بضعة ملايين من الدولارات كدخل مضمون مُقابل شيء لن يكون صعباً أن أُنجزه عملياً.

في ظلّ الظروف التي كنتُ أُواجهها عام 1987، كان رفض مكسب كهذا شيء لا أتوقعه أبداً. لديّ عائلة كبيرة مكونة من سبعة أطفال أُعيلهم، بما فيهم طفل صغير، وكان أربعة من أطفالي تحت سنّ السادسة، وكان لديّ أطفال أكبر ممّن كانوا إمّا في المدارس الخاصة أو في طريقهم الى المعاهد. عندما أنظر إلى الوراء إلى قراري رفض ذلك العرض الممتاز، أشعر كم كان ذلك سهلاً بالنسبة إليّ. لم أتردد لحظة، ولم أطلب مُناقشة أيّ شخص. لقد أتَتْ كلمتي «كلا، شكراً» من معرفة عميقة في داخلي أنني لا أستطيع السير في الاتجاه الذي كانت إغراءات الأنا تُقدّمه.

أشعر أنني مفتون عندما أُقارن فهرس كتبي السابقة مع فهرس كتاب «سترى الشيء عندما تُؤمن به»، والذي كُتب بين تشرين الثاني 1987 وحزيران 1989. في هذا الكتاب

الأخير، هناك ستة اقتباسات عن الإله، واثنا عشر اقتباساً عن الروحانية، وسبعة عشر اقتباساً عن الوعي العالي. لقد أظهر تفحصي للكتب الخمسة التي كتبتُها سابقاً، وكتيباتي التدريسية الثلاثة، أنّ هناك جامع واحد كليّ في جميع فهارسها. هذا الجامع المُفرد هو الحاجات الروحية وهو يُشير إلى تعريف «ماسلو» للتحقيق الذاتي في كتابي عن تربية الأطفال.

لقد انتقلتُ من مرجع واحد عن الإله، الروحانية، الوعي العالي في جميع كتبي السابقة، إلى تسعة وثلاثين مرجعاً في هذا الكتاب فقط. ما ذاك الشيء الذي كان يسحبني بعيداً عن كتابة الكتب ذات الاتجاه النفسي إلى كتاب مُتجذر في الروحانية، الوعي العالي، والاله على نحو كبير؟. لم يكن هذا الأمر جزءاً من أيّ خطة وضعتُها عندما بدأتُ الكتابة إلى الجمهور العام من القراء.

في هذا الوقت الحاسم من حياتي، كان هناك شيء ما يُؤثر بي كي أتوقّف عن التفكير في جني المزيد من المال، أو حصد المزيد من الشهرة، أو توسيد الأنا لديّ، بل بدلاً من ذلك أن أجعل ذاتي تنمو. لقد تحاشيتُ استخدام أيّ مُصطلحات روحانية أو مُتعلّقة بالوعي العالي في كتاباتي السابقة، لأنني ظننتُ أنها تفوح منها رائحة الدين والقوى الخارقة للطبيعة. لقد أردتُ أن أستخدم لغة المنطق وفكرة أنّ الفرد لا يحتاج إلى ذاك التدخل الإلهي الذي لا يُمكن التحقق منه كي يقوده إلى حياة تحقيق الذات.

مع حلول عام 1987 كنتُ مغموراً في التعليم الروحي. كنتُ أقرأ وأستشهد من «البهاغفاد غيتا» و«التاو»، بالإضافة إلى إنجيل العهد الجديد. كنتُ أتواصل مع رعاة الكنيسة الروحانيين في أرجاء البلاد، وأقدّم مُحاضرات صباح الأحد إلى جمهور كبير في الكنائس غير الطائفية على نحو مُنتظم. لم أكن أستخدم سابقاً كلمات **الإله، الروحانية، الوعي العالي** في كتابتي، ولكنني الآن مُنهمك عميقاً في الماورائيات «الغيبية» بدلاً عن التعاليم المادية البحتة.

من الواضح أنني ذهبتُ إلى حيث يُفترض أن أذهب مع تركيزي السابق على العلاج العقلاني العاطفي ومبادىء التحقيق الذاتي. أنا أمتلك أساساً مُتجذراً في عالم الجسد المادي، وقد دُعيت الآن كي أنظر على نحو أكثر قرباً في العالم الروح الخفي. لقد غمرتُ

نفسي في دراسة فيزياء الكمّ، الفلاسفة العظماء، الحكمة الروحية الشرقية والغربية. كنتُ مُنجذباً كي أحضر المُحاضرات، وأستمع التسجيلات عن مواضيع تتعلق بالوحدانية، التحوّل، التزامن، الانفصال، وقد أصبحَت جميعها محور تركيز كتابي «سترى الشيء عندما تُؤمن به».

لقد بدا وكأنّ كلّ شيء يتحرّك على نحو سريع جداً جداً، عندما بدأتُ هذه النقلة إلى الكتابة عن الوعي العالي والروحانية، ولم يعد الإله مبدءاً دينياً بالنسبة إليّ، بل كنتُ أشعر أنني أقرب وأقرب إلى الإله كلّ يوم. شعرتُ أنّ أيامي كخبير في علم النفس قد انتهت على نحو أساسي، وكنتُ مُتحمّساً كي أُعتبر مُعلّماً للمبادىء الروحانية. بدأتُ أرفض طلبات التحدّث من الشركات والمدارس، وبدأتُ التحدّث تقريباً بوقت كامل في الكنائس في أرجاء «أمريكا» و«كندا». لقد ركّز حديثي العمومي على تحقيق إدراك الإله والقُدرة على خلق المُعجزات في الحياة اليومية. لقد أصبحَت المبادىء التي رفضتُها وانتقدتُها ذات يوم جزءاً كبيراً الآن من كتابتي وحديثي. لقد عرفتُ أنّ شيئاً ما كان يُوجّه هذا المسار الجديد في حياتي.

بذلتُ جهداً جباراً في إبداع كتاب «سترى الشيء عندما تُؤمن به»، والذي كان الأول بين عدة كتب تميّزتُ بإبداعه في مجال الأدب القصصي الروحاني. لقد أردتُ إبداع كتاب يُقدّم اقتراحات مُحددة حول كيفية النقر على الجزء الخفي من أنفسنا، وكيف نُطبّق المبادىء نفسها التي تحكم الكون على حياتنا الفردية. عملَت مُحررتي الشخصية على نحو وثيق جداً معي، وكنتُ مسروراً أن تكون معي هذه المُحررة المشهورة على مستوى العالم، والتي عملَت فقط على كتب الأدب القصصي، وعملَت سابقاً على التحرير النهائي. كان اسمها «جين بيرنكوبف»، وكانت ملاكاً أُرسل إليّ كي أضع اللمسات الأخيرة على كتابي الافتتاحي في هذا المجال الجديد.

قمتُ بجولتين محليتين من أجل الكتاب، وقدّمتُ عنه مئات المُحاضرات العامة، وخاصة في الوقت الذي ظهرت فيه كنائس العهد الجديد عبر البلاد. كانت الجماهير مُستقبلة على نحو كبير، الأمر الذي أوضح بالنسبة إليّ الآن لماذا كان هناك شيء يُحرّكني كي أتحدّث وأكتب عن اليقظة الروحية. لقد احتوى كتاب «سترى الشيء عندما تُؤمن

به» على رسالة عن الحياة والتي أراد الجمهور في كلّ من «الولايات المتحدة» وحول العالم استكشافها. لقد اكتملت فترة تدربي في عالم المُساعدة الذاتية والكتابة والتحدّث الموجّهَة نفسياً، وكنتُ «مسحوباً» إلى اتجاه جديد من أجل تعليم كيفية النقر على شيء وراء الجسد والتفكير، وخلق جنة على الأرض حقيقة.

لقد كان كلاً من ناشري و«آرتي باين» مُخطئين، فقد أثبت كتاب «سترى الشيء عندما تؤمن به» من غير أدنى شك أنّ هناك جمهور للكتب التي تتحدّث عن الإله والوعي العالي في صيغة غير دينية. لقد ظهر الكتاب في لائحة الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز» ولاقى قبولاً حسناً حول العالم.

لم أعرف ذلك في ذلك الوقت، ولكن مع فائدة القدرة على النظر إلى الخلف، أرى أنني كنتُ أعيش عنوان الكتاب. أرى ذلك كلّه قد تحوّل إلى ثمار لأنني آمنتُ به أولاً، ولم يكن هناك شيء يستطيع ردعي عن رؤيتي، ولا حتى الظروف المالية غير العادية. من الواضح جداً بالنسبة إليّ الآن أن يد الإله ورعاية المُعلّمين المُتقدمين كانت تسحبني بلطف واستمرار كي أكون مُعلّماً للحقيقة الروحية. كانت المُعجزات على وشك أن تتكشف في حياتي كي تُساعدني على البقاء في مُحاذاة هذا الاتجاه الجديد.

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ



- إنه الرابع عشر من شهر شباط، 1989 وهي الذكرى السنوية العاشرة لليوم الذي التقينا فيه أنا و«مارسلين». تذكّر كلانا بمحبة ودعابة ذاك اللقاء الأول في يوم عيد الحبّ عام 1979. لقد ألصق أحد ما قلب عيد الحبّ الأحمر على قميصي، وكتبَ عليه الكلمات الأولى التي نطقتُ بها إلى زوجتي المُستقبلية وكانت إجابة على سؤالها ماذا على قميصكَ: «لديّ قلب مُلصق على قميصي من أجلك».

قَبلتُ رحلة تحدّث في مدن مُتعددة في «استراليا» مع فريق مُكوّن من «جون» و«غريغ رايس»، «كاثي لي كروسبي»، وصديقي العزيز وزميلي «أوغ ماندينو». رافقني في هذه الرحلة: زوجتي وأطفالي الأصغر «سيرينا» في عمر ثلاث سنوات ونصف، و«ساندس» في عمر ثمانية عشر شهراً. سنبقى حالياً في فندق «الهيلتون» في «بريسبان». من المُخطط لي أن أظهر على المسرح أمام الآلاف من الناس غداً، وسأُقدم دورة كبيرة تستمرّ طوال اليوم مفتوحة للعموم.

استيقظتُ بسبب الضوضاء، وكانت الأرقام الحمراء على الساعة الرقمية جانب السرير تُشير إلى الرابعة وخمس دقائق صباحاً، رأيتُ أنّ زوجتي مُستيقظة وفي حالة إعادة ترتيب للأثاث وأغراض النوم في غرفتنا. سألت «مارسلين»: «إنه منتصف الليل. ما الذي تفعلينه في عالمكِ الآن؟ هل أنت مُستيقظة أم تمشين في نومكِ؟». كانت على ما يبدو تسير في نومها لأنها لم تُجبني.

كانت «سيرينا» نائمة جانبي، و«ساندس» الذي ما زال رضيعاً، في السرير نفسه مع

أمه، و«مارسي» في غيبوبة مشي. التقطتُ «سيرينا» ووضعتُها في السرير مع طفلنا، وصعدَت زوجتي إلى السرير كي تنام جانبي. لقد بدأت تقوم بمُقدمات وكانت مُصممة تماماً على أن تُمارس الحبّ معي. كانت النظرة على وجهها لا تُشبه أيّ نظرة رأيتُها من قبل، وكنتُ في حالة شبه فقد للوعي من صدمة البهجة.

كانت زوجتي في السنوات الثمان الماضية إمّا حاملاً أو مُرضعاً، وبالتالي توقّف الحيض لديها تماماً في تلك الفترة، وقد تمّ أيضاً إستئصال مبيض واحد لديها، ولذلك بدا أنّ الحمل مُستحيل. على الرغم من كلّ هذا، فقد تمّ الحمل بابنتنا الأصغر «ساجي». ما الذي أيقظ زوجتي في تلك اللحظة الدقيقة؟ ما الذي سبّبَ هذا السلوك من قِبل امرأة هي دائماً في حالة تحكّم؟ ما القوّة التي تتحكّم هنا؟ مَن المسؤول هنا؟.

بعد أشهر قليلة، كنتُ في مدينة «فونيكس» في جولة ترويج لكتاب «سترى الشيء عندما تؤمن به». كان من المُخطط لي أن أظهر على محطة راديو «كي تي إي آر» مع «بات مكماهون»، الذي زرتُ برنامجه في عدة مناسبات أثناء جولات كتبي منذ عشر سنوات أو أكثر، وقد أصبح صديقاً جيداً. لقد ظهر أنّ ضيف البرنامج قبلي هو بطل آخر من أبطالي.

كانت الأم «تيريزا» مُتواجدة في مدينة «فونيكس» كي تدعم افتتاح بناء ملجأ جديد للمُشردين، حيث نامت في الليلة الماضية. إنّ «بات مكماهون» إيرلندي كاثوليكي، ورجل روحاني، وهو يُشارك بمُتعة في مُقابلة هذه المرأة القدّيسة. كان يسألها على نحو مُتكرر إن كان بإمكانه فعل أيّ شيء من أجلها: «أخبري المُستمعين عن صومعتك في «كالكوتا»؟ هل بإمكاني مُساعدتكِ في جمع الأموال من أجل مُهمّتكِ؟ أيّ شيء؟ الأم «تيريزا»، أرغب في عمل شيء من أجلك، فأنت تقومين بفعل الكثير من أجل الكثير من الناس».

أجابت في النهاية بلغتها الإنكليزية الركيكة: «بإمكانك عمل شيء واحد من أجلي، غداً صباحاً، استيقظ في الرابعة فجراً، واخرُج إلى شوارع «فونيكس»، وقُم بإيجاد شخص يعتقد أنه وحيد، وأقنعه أنه ليس كذلك». أنا مُتأثر بعُمق بكلماتها. لقد أكّدت كلّ شيء كتبتُ عنه في كتابي عن الوحدانية، والوعي بأننا دائماً مُرتبطون بمصدر وجودنا، بغضّ النظر عمّا تُخبرنا به حواسنا، أو عمّا قد تُشير إليه الظروف الخارجية.

أنا أعي أنّ طاقة مكان المُقابلة بأكمله قد تحوّلت: لقد بدا الناس أقلّ استعجالاً، وكان الجو العام مُمتلئاً بالإحسان، مع أنه قبل أن تدخل هذه المرأة الجميلة صغيرة الحجم كان الجو قلقاً ويروح ويغدو سريعاً وعلى نحو فوضويّ. أشعر وكأنّ حماماً دافئاً يسري داخلي، وهو ما أدعوه غالباً «الوخزات». أنا لستُ الشخص الوحيد الذي يشعر بهذا الأمر، فقد أخبرني «بات» أنّه شعر وكأنّ موجة من الحبّ غير المشروط اجتاحته عندما جلسَتْ الأم «نيريزا» قبالته في مكان المُقابلة.

لا أستطيع أن أرى أو ألمس الطاقة المُحبّة التي يبدو أنّ كلّ شخص شعر بها، ولكن من الظاهر لي أنّ هذه المرأة التقية، التي كرّست حياتها من أجل خدمة الآخرين والعيش في وعي «المسيح»، امتلكت كلّ ذلك على الرغم من حجمها الصغير، من خلال إدارتها الذاتية كي تؤثر على نحو كبير في البيئة حولها، وكلّ شخص فيها كذلك.

أشعر أنني مُبارك لأنني مُشارك في هذه التجربة التي تُعزز مفهوم أنّ هنالك أبعد ممّا نُدركه ونختبره بحواسنا ونعتبره حقيقتنا. هذا ليس أمراً يُمكن شرحه، وليس شيئاً أُؤمن به لأنني أراه. إنها التجربة التي أشير إليها في عنوان الكتاب الذي أفتخر جداً أنّه كُتب من خلالي «سترى الشيء عندما تُؤمن به»، هذا العنوان يقول كلّ شيء.

ما حدث في يوم عيد الحبّ عام 1989 كان مُناسبة بالغة الأهمية ولا يُشبه أيّ شيء اختبرتُه أبداً في حياتي. لقد بدت الاحتمالات ضدّ حدوث حمل زوجتي أبعد من كلّ الشرح المنطقي. إنّ استيقاظ «مارسي» من النوم العميق وتوجّهها في حالتها وهي شبه فاقدة للوعي كي تُشارك في تلك اللحظة في رقصة الخلق بدا أبعد من السبب بالنسبة إلي. كان ذلك الوقت الوحيد في سنواتنا العشرين معاً الذي تصرّفت فيه بهذا النمط، وكان هذا بالنسبة إليّ بمثابة تأكيد أنّ شيئاً ما أكبر بكثير وأبعد من العالم المادي يحدث بالفعل.

وُلدت «ساجي إيكيس داير» في السادس عشر من تشرين الثاني عام 1989، ولعِبَت على نحو ظاهر نوعاً من الدور الخفي من أجل الدخول في هذا الاستواء الجسدي للوجود معي كوالدها ومع «مارسي» كوالدتها. كان هناك شيء أبعد من شرحنا يعمل ذاك الصبح.

إنّ ابنتي الأصغر هي احدى أكثر النساء تصميماً الذين عرفتهم في حياتي على الإطلاق!، وذاك التصميم لا بُدّ وأنه كان يعمل على نحو إضافي في ذلك الصباح الباكر

في «بريسبان». كان عليها أن تنقر على كتف أُمّها وتُوقظها نوعاً ما من النوم العميق. كان عليها أن تُوجّهها كي تُحرّك الأثاث، وتُعيد ترتيب أشقائها المُستقبليين من أجل أن تُفعّل الظروف الضرورية من أجل أن تدخل إلى هذا العالم من سكنها عالياً في العالم غير المحدود. كانت تلك اللحظة الوحيدة المُتاحة أمام «ساجي» كي تُنجز رسالتها الروحية «دهارما» الخاصة. في أيّ لحظة أُخرى، كان سيختفي تفتُّحها، وسيظهر شخص آخر مُختلف أو على الأرجح، لا أحد على الإطلاق.

في عيد الأم تلك السنة، كتبتُ شعراً إلى زوجتي بعنوان «بريسبان»، والذي يُحيي ذكرى الأحداث المُذهلة التي حدثت ذاك الصباح:

«بريسبان»

حيث ظهر الإله إلينا.

كلانا فقط عرف سحر وروعة ذاك الحضور.

ضدّ الاحتمالات المستحيلة.

تعزّزت صلتنا بالوجود وقويت.

بيد أنّ المُفارقة باقية دائمة.

سواء كنا نتحكّم، أو لا نتحكّم،

محكوم علينا أن نتخذ اختيارات.

كل ما أنا مُتأكّد منه هو أنّ حبنا راسخ فينا

إلى الأبد.

إنّ السطران الأولان يُعبران عن كلّ الأمر. هذه كانت لحظة حضور الإله وظهوره إليّ وإلى «مارسي».

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم أنني كنتُ ضمن تدخل إلهي، عندما شاهدتُ زوجتي تتحرّك في الغرفة في حالة مشي أثناء النوم، مُوجّهة من قِبل قوّة لم أشهد مثلها شخصياً سابقاً. كانت تلك نقطة تحوّل بالنسبة إليّ، فكلّ كتابتي المُستقبلية ستنبثق من هذه

المعرفة المُباشرة للقدسية التي شهدتُها في حمل وولادة ابنتنا «ساجي». عرفتُ من تلك اللحظة فصاعداً أنه ما من صُدف في هذا العالم حقيقة. نعتقد أننا مُسيطرون، ولكن كما لاحظ مرة «لاو تزو»: «جميعنا لا نفعل أيّ شيء، نحن فقط مفعولٌ بنا»، وكذلك قال «المسيح» أيضاً: «إنها الروح التي تُعطي الحياة». كانت الروح هي التي تعمل في غرفة فندق «بريسبان» في عام 1989.

في كلّ مرة أنظر بانتباه إلى «ساجي»، أعود بتفكيري إلى الروح الخفية التي كانت تُسرّع عملية الحصول عليها، وكما قلتُ، ضدّ الفرص المستحيلة، ثمّ أتذكّر: «مع الإله، كلّ الأشياء مُمكنة». عندما لاحظتُ اصرارها الذي لا يعرف الكلل، وعزيمتها التي لا تلين، تذكّرت كيف أنّ ذلك لا بُدّ وأنه كان يعمل بطريقة هائلة عندما تلاعبَت بالأحداث من أجل أن تضمن تجسّدها. أشكر الإله دائماً على الروح الجميلة التي هي ابنتي. وأشعر بالشكر الأكبر على السماح لنا بأن نكون مُشاركين في شيء أستطيع فقط أن أدعوه «السّحر الحقيقي»، والذي سيُصبح عنوان كتابي التالي الذي سأكتبه بعد ثلاث سنين في المُستقبل. لقد تركتُ عالم علم النفس ورائي في كتابتي على نحو دائم.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ الإنسان الذي حقق مرحلة من إدراك الإله، قادرٌ على أن يُؤثر في كلّ شخص يُواجهه ببساطة من خلال حضوره معه في الغرفة نفسها. لقد قيل إنّه عندما دخل «المسيح» قرية، رفع حضوره فقط ولا شيء آخر من وعي كلّ شخص في القرية.

كانت تلك الظاهرة نفسها التي لاحظتُها في أيار عام 1989، عندما دخلَت الأم «تيريزا» إلى مكان المُقابلة، فقد بدا أنّ كلّ شخص يشعر بتأثير حضورها الطاهر. هذا ليس علم النفس 101، وإنما الروحانية المُتقدّمة والحبّ المُقدّس قيد العمل. لقد قررتُ هناك وفي تلك اللحظة، أنّني سأطمح إلى ذلك الشيء بقية حياتي. من خلال مُلاحظة كيف أنّ هذه المرأة أثرت في العالم حولها، أُعطيتُ قدوة حول ما يجب أن أكون عليه كي أُؤثر في الآخرين أيضاً.

ذكّرتني بالطريقة التي يرفع فيها حضور «دينا شور» المُحبب من طاقة كلّ مَن حولها. مع الأم «تيريزا»، كان هنالك عنصر التأثير الروحاني كذلك. لقد بدا أنّ حضور

هذه المرأة الورعة يجعل كلّ شخص حولها يُريد أن يكون ربانياً، فيُصبح أقلّ إصداراً للأحكام، ويتغاضى ويُسامح أيّ عيب، ويشعر حرفياً أنه أقرب إلى الإله بسبب أشعة الحبّ المُنبعثة من حضورها.

بعد سنوات، في صباح السادس من أيلول، عام 1997، كنتُ على وشك التحدّث إلى جمع كبير من الناس في «سيدني» عندما تسلّمتُ مُلاحظة تُعلمني أنّ الأم «تيريزا» قد تُوفيت الليلة الفائتة. أخبرتُ الجمهور عن تجربتي في «فونيكس» مع قدّيسة المُستقبل هذه، وقدّمتُ مُلاحظة أنّ الأمر وكأنّها ضاعَت من غير أن يُلاحظها أحد في وقت تركّز فيه انتباه العالم بأكمله على مراسم دفن الأميرة «ديانا» في «إنكلترا».

عاشَت الأم «تيريزا» حياتها بعيداً عن الأنا. لم تكن تُريد لأيّ سمعة أو انتباه أن يُعطى إليها. لقد كان كلّ ما فيها من أجل خدمة الآخرين، وخاصة المحرومين. علّقت مرة أنّها في كلّ يوم ترى «المسيح» في جميع حالاته المُؤلمة. هكذا عاشت، وهكذا ماتت، في الوقت الذي كانت فيه كلّ الجلبة والانتباه في مكان آخر.

لقد عزز حضور هذه المرأة الإلهي، الورع، ونشّط ليس فقط طاقة المُحيط المُباشر، بل كلّ شخص كان في حضورها كذلك. أتذكّر التفكير أنه بإمكاني أن أُصبح كذلك، لو كنتُ قادراً على أن أعيش وأكون فقط جزءاً من الطيبة والورع الذي مثلته الأم «تيريزا». لقد كانت قطعاً صانعة مُعجزة، وكنتُ مُلهَماً جداً بها كي أُصبح مثلها على نحو أكبر. عرفتُ أنه كان عليّ الخضوع إلى تحوّل جذري في طريقة حياتي، وخاصة في مسألة ترويض الأنا عندي، ووضع المزيد من تركيز عمل حياتي على العالم ما وراء المادي.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّ مُقابلتي المُختصرة مع الأم «تيريزا»، تماماً عندما كنتُ على وشك أن أنطلق في جولة ترويج محلية لكتاب «سترى الشيء عندما تُؤمن به»، دفعني كي أنظر إلى عالم المُعجزات وتجربة إمكانيات السّحر الحقيقي. إنّ نوع السّحر الذي رأيتُه يحدث عندما مشَت هذه المرأة إلى مكان التصوير، قد جعل كلّ شيء وكلّ شخص يشعر أنه على مُحاذاة مع الإله.

◄◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



▬ كنتُ في مُهمّة جديدة في حياتي في خريف عام 1991. كنتُ أقرأ كمّاً كبيراً عن المُعلّمين الروحانيين القدماء والمُعاصرين، القادرين على تأدية ما يُسمّى بـ «المُعجزات» بكلّ الأوصاف، وهي أعمال مُذهلة مثل إيقاظ الميت، الشفاء المُباشر من العلل الدائمة، أفعال الكيمياء، اتصالات التخاطر، العروض المُريعة المُذهلة، والتزامن. أنا أؤمن بقوّة كبيرة أنه لو كان بإمكان أيّ شخص بعينه أداء هذا النوع من السّحر، فإنّ كلّ شخص يستطيع فعل ذلك. هذا ما أردتُ استكشافه.

يقول «هنري ميلر»: لا تبحَث عن المُعجزات. أنت المُعجزة. لا أستطيع إخراج هذه الفكرة من رأسي. سأكتب عن فكرة تعليم الناس كيف يرفعون إلى الحدّ الأقصى قدراتهم الكامنة العليا الخاصة، من أجل تحقيق ما أصبح يُسمّى مُعجزات. أنا أيضاً على وشك المُشاركة في عملي المُذهل الخاص، واختبار التحوّل الجذري.

لقد شاهدتُ السّاحر المشهور عالمياً «ديفيد كوبرفيلد» يُمثل أدواراً مُذهلة من السّحر في «لاس فيغاس». بينما جلستُ هناك أستمتع بالعرض، جاءتني فكرة أنني غرقتُ في شيء لا يندرج تحت مُسمّى التبخير، المرايا، التحايل من أجل خداع الجمهور. هناك سحر حقيقي، وقد كنتُ في مُحيط هذه الظاهرة في السنتين الماضيتين. عدتُ إلى غرفتي في الفندق وبقيتُ مُستيقظاً طوال الليل أضع الخطوط العريضة لكتاب يدور حول كيف تصنع المُعجزات في الحياة اليومية. سأُسمّي هذا الكتاب Real Magic «السّحر الحقيقي»، ولا أستطيع الانتظار كي أبدأ به.

لقد كان أحد أساتذتي الروحانيين هو «نيسارغاداتا ماهاراج» من «الهند»، وقد تُوفي منذ عقد مضى. بينما كنتُ أُحضّر من أجل تأليف كتابي الجديد عندما عدتُ إلى منزلي في «فلوريدا»، غرقتُ في القراءة وإعادة قراءة نصيحته التي قدّمها إلى شخص مُتحمّس للعلم: «إذا كنتَ ترغب في الوصول إلى إمكانيتك القصوى وانجاز رسالتك الروحية التي تُجسّدها، تحتاج أن تعيش حياةً من الاتزان». بالتدريج أدركتُ أنّ الجملة تتحدّث إليّ عني، وأنه يجب عليّ أن أختار.

كنتُ ما زلتُ أركض ثمانية أميال على الأقل كلّ يوم مُدّة خمس عشرة سنة حتى الآن. إنه أمر عادي بالنسبة إليّ أن أركض ساعات عديدة في اليوم، تماماً مثل تنظيف أسناني قبل الذهاب إلى النوم، ولكن وأنا جالس على مقعدي الآن، حاولتُ تذكّر يوم لم أتناول فيه العديد من كؤوس الجعة في المساء بعد الجري. عدتُ بتفكيري عشر سنين إلى الوراء، وعرفتُ أنّ المُدّة كانت أطول من عقد. لقد صدمني بقوّة أنني في السنوات الخمس عشرة الماضية قد تناولتُ الكحول على نحو يومي تقريباً بلا استثناءات. إنها عادة، وحياتي تدور حول هذه العادة. لقد سمحتُ لمشهد أخير أن يُعاد في خيالي:

في الأسبوع الماضي جعلتُ زوجتي وأطفالي الستة يُجهّزون أنفسهم ويُغادرون المطعم، لأنه أوقف مُوقتاً ترخيص بيع الخمور. إنّ حاجتي إلى كوبين من الجعة أصبحَت سبباً في إزعاج سبعة أشخاص آخرين. أنا خجل لأنني سمحتُ لهذه العادة أن تُصبح قوّة مُسيطرة في حياتي، وانتقلت إلى نوع من الهاجس اليومي على مدى خمس عشرة سنة حتى الآن.

سمعتُ كلمات «نيسارغاداتا» تترد عالياً في أُذني. إذا رغبتُ أن أصل إلى إمكانيتي القصوى وأُنجاز مُهمّة حياتي، أحتاج أن أعيش حياة مُتزنة.

أخبرتُ نفسي: «أنا مُتزن، لم أثمل أبداً، أنا دائماً أتوقّف بعد اثنين أو ثلاث أكواب من الجعة، ليس لديّ مُشكلة حقاً». بيد أنني عرفتُ أنني أخدع نفسي. كان الأمر أكثر من خمسة آلاف يوم مُتعاقب من تناول الكحول في جسمي. قال «هوكيكيو شو» ذات مرة في كتابه السنسكريتي: بعد الكأس الثالث، فإنّ النبيذ هو مَن يشرب الإنسان. أنا أتساءل ما الذي سيقوله عن خمسة آلاف يوم مُتعاقب من شرب ثلاثة أكواب جعة. فكّرتُ بإمعان. في الحقيقة، إنّ النبيذ يشربني.

اتخذتُ قراراً في الحال، وعاهدتُ الإله، وذاتي العليا، أنني لن أتناول الجعة الليلة. سأُمارس الاتزان الكليّ الذي أوصى به «نيسارغاداتا» أحد المُتحمّسين للعلم في «بومباي» في السبعينيات، وهو الوقت الذي بدأتُ فيه أيضاً عادة تناول الجعة يومياً. رُبّما كان يتحدّث إليّ.

لم ألتقِ «نيسارغاداتا»، ولكنني درستُ عمله، من الأنا التي في أعماقي. كلّما قرأتُ نصوص حواراته مع طلابه والمُتحمّسين للعلم، بدا ذلك دائماً وكأنه كان يتحدّث إليّ. هذه لحظة أُخرى من اللحظات النوعية، إذ أستطيع بالفعل أن أراه معي الآن عندما أسترجع سلوكي العنيف في المطعم، حيث تصرّفتُ بهذه الطريقة الفظة والمُستهترة تجاه زوجتي وأطفالي. طلبتُ الإرشاد والدعم في مسعاي الجديد. لم أُخبر أيّ أحد عمّا عزمتُ عليه.

مضَت الليلة، وكنتُ مستغرباً من سهولة الأمر. شعرتُ بيد من روح الإرشاد تعمل هنا. أنا لا أفعل ذلك فقط لأنني لا أُريد أن أُخيّب أملي بنفسي، أمل عائلتي، أو أيّ أحد آخر. أنا لم أعد راغباً في أن أُخيّب أمل الإله بعد الآن، ولا ذاتي العليا، ولا التعبير الفردي للإله، والذي هو الحبّ الخالص. لقد أتيتُ إلى هذا العالم بصحّة تامّة وسعادة، وأنا أنوي أن أبقى في مُحاذاة مع هذا، وأُبقي الكحول خارج جسمي، لأنّ الكحول يُدمّر خلايا الدماغ ولذلك فإنه مدمّر للكينونة الجيدة. لديّ شريك راشد في هذا القرار وأشعر أنني واثق، مُبارك، ومُلهَم حقيقة كي أُغيّر هذه العادة، في هذا اليوم وهذا الوقت، الذي أُحبّ كلّ دقيقة منه.

كتبتُ بجنون، وكان ناشري الجديد «هاربر كولينز» مُتحمّس للمُسوَّدة. كلّ يوم كنتُ أصبح واعياً على نحو مُتزايد أنه في أعماق كلّ منا، هناك حقلٌ مُوحّد من الإمكانات غير المحدودة. سألتُ نفسي: مَن أنا كي أتولى مُهمّة التحدّث عن المُعجزات؟ ثمّ توقّفتُ عن الشكّ، واستمعتُ فقط وسمحتُ لنفسي أن تتوجّه كما كانت الروح تُناديني.

كانت كلماتي الافتتاحية في كتاب «السّحر الحقيقي» مُلاحظة من قبل «سانت فرانسيس» الأسيزي، وهو قدّيس عرفتُ عنه على نحو سطحي، ويُعتبر أحد أعظم الأمثلة عن صنع المُعجزات: لقد كنتُ كلّ الأشياء غير المُقدّسة. إذا كان الإله يستطيع

أن يعمل من خلالي، فبإمكانه العمل من خلال أيّ شخص». هذه الكلمات تعكس كلاً من الإنسانية والثقة التي أشعر بها حيال هذه المادة الجليلة من السّحر الحقيقي.

حتى خريف عام 1992، أتممتُ سنة كاملة دون تعاطي الكحول. عرفتُ في قلبي أنّ هذا القرار قد حثني عليه المُعلّم الروحي الراحل منذ زمن «نيسارغاداتا مهاراج»، ممّا جعلني على هذا الدرب الجديد. قدّمتُ الشكر للإله، و«سانت فرانسيس»، و«نيسارغاداتا» على كتاب «السّحر الحقيقي» الجميل مع قوس قزح على غلافه، والذي حملتُه بين يديّ. أنا مُمتنّ.

مضى أكثر من عقدين منذ أن سمعتُ «نيسارغاداتا مهاراج» يتحدّث تلك الكلمات حول أهمية إكمال الإتزان من أجل إنجاز قدر الإنسان. اليوم أستطيع أن أقول أنّ هذه الكلمات والتي سمعتُها سابقاً في عام 1991 كانت من أكثر الأشياء التي صادفتُها في حياتي أهمية. لم أشعر مُطلقاً بإغراء التراجع عن التزامي بالإتزان منذ تلك اللحظة النوعية الرائعة.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح بينما أنظر إلى قراري بكسر عادة استمرّت خمس عشرة سنة من تعاطي الجعة اليومي، أنّ الوعي عندي لم يعُد يُريد بعد الآن أن يُغضب أو يُخيّب الأنا العليا لديّ، والتي هي في مُحاذاة تامّة مع مصدر الوجود. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ كسر عادات تدمير الذات ليست صعبة عندما أستثمر نفسي في الأنا العليا المُدركة للإله.

عرفتُ وقتها أنّه كان لديّ وعود يجب أن أفي بها، وأميال أقوم بها قبل أن أنام، كما كتب «روبيرت فروست» بإيجاز في قصيدته الشهيرة «التوقّف في الغابات في مساء مُثلج». مع ذلك عرفتُ أيضاً أنه لو استمرّت عادتي في تناول الكحول يومياً، فإنها لن تسمح لي بأن أُنجز الوعود التي قطعتُها عندما أتيتُ إلى عالم الروح هذا. لقد كان ذاك الوعد الذي قطعتُه أمام خالقي، ذاك الذكاء غير المحدود من الحياة المُثلى، الذي خُلقتُ منه والذي سأعود إليه في نهاية المطاف، والذي نويتُ أن أُحافظ عليه على نحو كامل.

حالما صنعتُ القرار بمُساعدة التفكّر بما سيبدو عليه مُستقبلي ودماغي على نحو خاص، عندما لا أعود إلى تدمير خلايا دماغي بتناول الكحول، بدأ السّحر الحقيقي حقيقة يظهر في حياتي.

تلقيتُ مُكالمة هاتفية من «مايكل جاكسون» يدعو أسرتي بأفرادها العشرة بأكملها كي يُمضوا خمسة أيام معه في مزرعته في «نيفرلاند» في «كاليفورنيا». أمضيتُ ثلاث ساعات وحدي مع «مايكل» على قمة الجبل، وكان كلّ ما أراد معرفته مني، هل هناك حقيقة شيء كالسّحر الحقيقي؟ وكيف بإمكاننا الدخول إليه؟.

التقيتُ وتعاونتُ مع «ديباك شوبرا»، ومضينا نُلقي مُحاضرات معاً حول العالم، بما في ذلك في «إنكلترا»، «اليونان»، «أستراليا» وفي «أبي الهول» والأهرامات العظيمة في «القاهرة»، «مصر». كان كلانا مُنفتحاً لفكرة مقدرتنا ليس فقط على أن نُصبح صانعي مُعجزات بأنفسنا، بل أن نُعلّم الآخرين كيف يستفيدون من إمكانات العظمة الفريدة والخاصة غير المحدودة الموجودة لديهم.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ كلّ تجارب السّحر الحقيقي هذه أتت من اللحظة النوعية الفردية عندما تحدّثت إلى روح مُتنورة عظيمة، وجهّزَت عجلات الحركة من أجلي كي أقوم بصنع قرار ضخم أثر بي بقية حياتي. إنّ التخلّي عن عادة شرب الجعة يومياً بدا أمراً مُستحيلاً بالنسبة إليّ يوماً ما، ولكنه أصبح فيما بعد وسيلة سهلة من أجل تنفيذ توجيه مُعلّمي الأكثر احتراماً.

عندما أعودُ بذاكرتي إلى الخجل الذي شعرتُ به عندما كنتُ مُستهتراً بعائلتي، بإسم الأنا التوّاقة إلى مادة كانت تُدمّر قدرتي على أن أصل إلى حالة مُتنوّرة ومُتطوّرة، أستطيع أن أرى أنّ هناك قوّة إلهية تعمل.

لقد علمتُ على نحو جيّد الحكمة البوذية التي تقول عندما يجهز الطالب، يحضر المُعلّم. لقد كان المُعلّمون هنا كلّ الوقت، وقد قرأتُ وأعدتُ قراءة «نيسارغاداتا» مرات ومرات قبل ذلك. بيد أنه في ذاك اليوم، بسبب مُحاذاة رفض الأنا الخاصة، جنباً إلى جنب مع رغبتي في أن أكتب عن المُعجزات بعد اتصالي مع الأم «تيريزا»، وكلمات مُرشدي الروحي الراحل، ونيتي أن أكون شخصاً أفضل، كلّ ذلك جعلني «أنا الطالب» جاهزاً.

لقد حافظتُ على تلك الجاهزية من خلال إلغاء العديد من العادات غير الصحية وغير الروحية التي اكتسبتُها، واستبدالها بتقدير خدمة الآخرين، ومُحاولة عيش حياة مُدركة

للإله كمُعلّم. لم أكن بعد الآن مُعلّماً لمبادئ علم النفس من أجل حياة مُحققة للذات فحسب، بل مُعلّماً كان وما زال يُرشَد من قِبل حشد من المُعلّمين الروحانيين من أجل مُحاولة تعليم الآخرين كيف يجدون القُدسية في أنفسهم وفي كلّ شخص يُصادفونه.

لقد كان قراري بترك الكحول خلفي أحد أكثر الاشياء صعبة المنال التي قمتُ بها في حياتي، وقد حصل الأمر كله بسبب أنني أُخبرتُ أنني لا أستطيع بعد الآن تدمير بعض من خلايا الدماغ كلّ يوم، ورغبتي بإنجاز الرسالة الروحية التي بدأتُها. عدتُ بذاكرتي إلى أحداث ذاك اليوم عام 1991، وتذكّرتُ كلّ الخجل والخيبة التي كنتُ أشعر بها، ورأيتُ أنها كانت من بين أعظم الهدايا التي حصلتُ عليها في أيّ وقت مضى. كنتُ فعلياً قادراً على أن ألقي نظرة خاطفة إلى المُستقبل وأرى نفسي إمّا مُعلّماً روحياً مُتزناً، أو رجلاً مُدمناً على عادة تدمير الدماغ التي تُقيّد النفس. إنّ تطبيق رؤيتي الجديدة كان وما زال على نحو أساسي دون جهد مني.

◄◄◄ ◄◄◄ ◄◄◄



- إنه ربيع عام 1994، وكنتُ أجوب البلاد من أجل ترويج نسخَتيّ كتاب «السّحر الحقيقي» نسخة الغلاف الكرتوني ونسخة الغلاف الورقي. طلب ناشري كتاب مُتابعة، فعدتُ بتفكيري إلى يوم مُميز جداً قبل حوالي عشر سنين مضت، عندما حضر إلى زيارتنا «كين كييز، جي آر»، وزوجته «بيني». توقّفت سيارتهم أمام منزلنا في «بوكا راتون» في «فلوريدا»، وشاهدتُ امرأة شابة تُخرج الرجل الذي كان على مقعد الراكب وتحمله إلى منزلنا. ثمّ أمضيتُ احدى أكثر الأمسيات الجديرة بالذكر في حياتي.

لقد كنتُ من مُعجبي Ken Kez، Jr. «كين كييز، جي آر»، منذ أكثر من عقد. لقد قرأتُ وأعدتُ قراءة كتابه الكلاسيكي المنشور عام 1972 بعنوان Handbook to Hisher Consciousness «الدليل إلى الوعي الأعلى»، دون أن أُدرك أنه كان مشلولاً. اتضح أنّ «كين» كان مُقعداً منذ حوالي أربعين سنة من حياته، بسبب اصابته في الواقع بشلل الأطفال عام 1946 بعد وقت قصير من إعفائه من الخدمة العسكرية في نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد ذكر هذا الأمر مُبكّراً في كتابه، حيث كتب: «في الواقع، أنا مشغولٌ جداً ومغمور في أنشطة حياتي فلا أجد وقتاً كي أجعل نفسي تتعلّق بوعي ذاتي في الكرسي المُتحرّك. لقد نظرتُ اليوم إلى ما يُسمّى «اعاقة» كهدية أُخرى قدّمتهَا لي حياتي».

خلال الثمانينيات، قرأتُ وحاضرتُ عن كتابه الذي صدر مُؤخراً بعنوانThe Hundredth Monkey «القرد المئة»، الذي وزعتُه إلى جماهيري أشهراً عديدة.

يُفصّل الكتاب كيف يُمكن تطبيق الوعي العالي من أجل منع الحرب النووية: إنه يُركّز على فكرة أنّ كلّ البشر مُرتبطون على المستوى الروحي، وكلّ فكرة نمتلكها على نحو فردي تُؤثر بكلّ شخص بسبب هذا الترابط.

كان «كين» و«بيني» مُتحمّسين إلى لقائي كما كنتُ متحمّساً إلى استضافتهم في منزلي. إنّ نيل كتبي شرف قوائم الكتب الأكثر مبيعاً مُدّة عقد تقريباً، وظهوري المُتعدد على التلفزيون المحلي، جلب قدراً كبيراً من التميّز إلى طريقي. لقد كان كتاب «كين» ذي أهمية كبيرة بالنسبة إليّ وإلى الكثير من الآخرين على الطريق الروحي، ولكنه مع ذلك، لم يصل بعدُ إلى شريحة كبيرة من الجمهور الذين كما أعتقد سيُجيزونه.

حالما جلسنا أنا و«كين»، «بيني» و«مارسيلين» حول مائدة المطبخ، عاد غالباً إلى مُناقشة نطاق الوعي الأعلى، فقال لي: «أنا أُشجّعك أن تكتشف عالم الوعي الأعلى. لديك صوت مُهمّ، والكوكب بأكمله سيستمع إليك إن كتبتَ عنه». أمضينا قدراً كبيراً من الوقت نتحدّث عن إمكانيات تحويل عالمنا من خلال تطبيق المبادىء الروحانية. لقد كان هذا النطاق من الكتابة جديداً نسبياً بالنسبة إليّ، منذ أن انتقلتُ مُؤخّراً من المنظور النفسي الذي كنتُ أمارسُه حصرياً.

بعد أن غادر «بيني» و«كين» مُبتعدين، أخذتُ بعض الملاحظات عمّا ناقشناه. فصّلتُ أربعة مفاتيح للوعي الأعلى الذي خرج من حوارنا المُلهِم والمُكثف ذاك المساء. قُمتُ بعمل مُلاحظة فكرية كي أدمج هذه المفاتيح الأربعة في مُحاضراتي، وربما يوماً ما سأكتب عنهم. لقد كانوا: إبعاد الشك، تشجيع المراقبة، إغلاق الحوار الداخلي، تحرير الأنا العليا من الأنا الزائفة. أمضيتُ العقد التالي أصنع من هذه الأفكار محوراً لعروضي التقديمية.

عدتُ بذاكرتي إلى ذلك المساء التحفيزي الرائع الذي أمضيتُه مع «كين كييتس»، «جي آر»، وزوجته «بيني»، قبل عشر سنين مضت، بينما كنت أدرُس ما سيكون عليه كتاب المُتابعة. كنتُ أتحدّث عن القدرة التي نمتلكها جميعاً كي نخلق السّحر الحقيقي في حياتنا، والآن أنا مشغول بفكرة الكتابة عن القُدسية التي هي جوهر كلّ شخص.

جميعنا مُقدّسون، وروح من الإله، وليس الأمر مُتعلّقاً كثيراً بخلق المُعجزات بالنسبة إليّ بعد الآن، بل يتعلّق بإدارك الإله في دواخلنا، والعيش بعيداً عن الأنا التي هي حقاً الأنا الزائفة. لقد أتينا جميعنا من الإله، ولذلك فإننا حتماً مُقدّسون، لأننا أتينا من المُقدّس. لسوء الحظ، هناك العديد من الناس يعكسون الحروف في كلمة **مُقدّسين sacred** ويعيشون خائفين **scared**. كتبتُ مُلخصاً وقدّمتُه إلى المُحررين في «هاربر كولينز». إنهم مُتحمّسون جداً لهذا الكتاب الذي أسميتُه **Your sacred self** «نفسك المُقدّسة».

مضَت ثلاث سنوات وأنا في مزاج الكتابة. أشعر بقمة السعادة عندما أجلس على طاولة كتابتي وأكتب من غير مقاطعة. تعيش عائلتي الآن في منزل جديد جميل صممناه أنا وزوجتي وبنيناه في «بوكا راتون»، «فلوريدا». لدينا خمس بنات وابنٌ واحد يعيشون معنا، وأعمارهم ما بين الخامسة والثامنة عشر. هكذا، أستيقظ كلّ صباح في حوالي الثالثة تقريباً وأذهب إلى مكتبي المحلي حيث أكون في بيئة سلام هادئة من غير مُقاطعات.

لقد بدا وكأنّ الكلمات تأتي من غير جهد بينما أملأ الصفحة تلو الصفحة. تعلّمتُ من وضع صديقي ومُعلّمي الروحي «كين كييز» وهو يُعاني الآن من الفشل الكلوي، وأبقيتُ صورته وكذلك كتابه «الدليل إلى الوعي الأعلى» على مرأى مني، بينما كنتُ أسمح لكتابي «نفسك المُقدّسة» أن يعبر من خلالي. كتبتُ مقطعاً عن كلّ مفتاح من مفاتيح الوعي الأعلى الأربعة التي ناقشتُها أنا و«كين» بعُمق قبل عقد مضى في مطبخنا.

أنا مهووس تقريباً باكتشاف طرق تُمكننا من تجاوز تلك العقبة الضخمة والتي هي الأنا لدينا، من أجل أن نعرف ذواتنا المُقدّسة. كتبتُ على نحو مُكثف عن خصائص الانتقال من هوية مُستندة على الأنا مع تركيزها على المنافسة، الخوف، والمظاهر الخارجية، إلى وعي أعلى مثل السلام، الحقيقة، الحب، والنقاء. بدا كلّ مقطع عن تجاوز الأنا لدينا وكأنه يتدفّق من قلمي على الصفحات التي كنتُ أكتبها كلّ صباح بينما كانت «مارسي» وجميع أطفالنا نائمين على بُعد بضعة أميال.

ختمتُ كتابي «نفسك المُقدّسة» بمقالة بعنوان «نحو عالم خال من الأنا» والذي استلهمتُه من ذاك اليوم الرائع الذي قضيتُه مع «كين كييز، جي آر»، ومُناقشتنا

المُتعلّقة بظاهرة القرد المائة. كانت رؤيته هذه هي التي حفّزته كي يُشجعني لأن أُصبح مُتحدّثاً عن الوعي الأعلى. قدّمتُ الشكر إلى «كين»، الذي تُوفي في العشرين من كانون الأول من جرّاء الفشل الكلوي، وأنهيتُ الكتاب بمقولة مُعلّم آخر من مُعلّميّ الروحيين، «نيسارغاداتا مهاراج»: «إنّ موقفي واضح: أنتِجْ كي تُوزّع، أطعِمْ قبل أن تأكل، أعطِ قبلَ أن تأخذ، فكّر بالآخرين قبل أن تُفكّر في نفسك. إنّ المُجتمع الذي يعتمد على نكران الذات المُستند على المُشاركة هو فقط الذي يستطيع أن يكون سعيداً ومُستقراً. هذا هو الحلّ الوحيد العملي، وإذا كنتَ لا تُريده، عندها قُم بالصراع».

قمتُ بالصلاة الصامتة من أجل اعطاء الشكر على وجود هاتين الروحين المُتنوّرتين في حياتي.

أتذكّر جيداً ذاك اليوم الذي وصل فيه «كين» و«بيني» إلى منزلي، وأعلم أنه كان موعداً مُقدّساً. إنّ طاقة ذاك المساء معاً في منزلنا بقيَت معي عقداً من الزمن، وقد ألهمتني كي أكتب كتاب «نفسك المُقدّسة». لقد حدث أثناء تمضية ذاك المساء معاً أنني حضرتُ وجهاً لوجه مع رجل كان يعيش ما كتب عنه في كتابه «الدليل إلى الوعي الأعلى» قبل اثنتي عشرة سنة مضت. ولكن الأكثر والأكبر ممّا تحدّثنا عنه تلك الليلة، والذي أصبح دافعاً من أجل كتاب رائد في العُمق في اكتشاف قُدسية الإنسان، كان ما لاحظتُه في هذين الشخصين المُفعمين بالروحانية.

كان «كين كييز، جي آر» محصوراً في جسد مُختل وظيفياً في نواحٍ عديدة. لقد تطوّر شلله كي يُصبح رباعياً وكان خطيراً كفاية حيث كان لا يقدر على أن يقلب نفسه في السرير، وقد احتاج مُعاونين من أجل العناية الجسدية لأكثر من أربعة عقود. مع ذلك، كان الشيء الأكثر وضوحاً بالنسبة إليّ في تلك الليلة هو أنّ هذا الرجل، الذي كتب كتاباً كلاسيكياً عن الوعي الأعلى، قام بذلك من خلال عدم إعارة أيّ انتباه لجسده الفيزيائي. لم يكن يعرف أننا جميعاً مخلوقات روحانية نخوض تجربة إنسانية فحسب، بل كان يعيش ذلك، لأنّ جسده كان أساساً غير صالح من أجل العمل.

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم أهمية العالم الداخلي بالمُقارنة مع العالم الخارجي. إنّ العالم الداخلي غير مرئي، وبلا شكل مُحدد، وليس لديه اهتمام بالبيانات التي تتكشّف لنا عن طريق الحواس. إنه في هذا العالم التأملي الداخلي حيث وصلتُ إلى كمية كبيرة من طاقتي الإبداعية.

لقد كتبتُ وتحدّثتُ غالباً عن حضور الأنا داخل كلّ منا، وكيف نعيش حياةً مُوجّهة روحياً عن طريق تجاهل وهم أنفسنا المادية. إنّ عبارة «الشيء الحقيقي هو الشيء الذي لا يتغيّر أبداً» هي حالة صنعتُها آلاف المرات. تلك الأنا هي الجزء اللامرئي الحقيقي وراء آلة الجسد التي في حدّ ذاتها تتغيّر باستمرار، ولذلك فهي ليست حقيقية. بيد أنه لم يكن عليّ أن اختبر هذا المبدأ. لقد عاش «كين كييز، جي آر» وعلّم من المكان الوحيد الذي كان فيه كاملاً، وهو حضور الأنا الداخلية. لم يشتكِ أبداً، بل ذهب إلى الداخل وقدّم دليلاً يشرح كيف يُمكن تحقيق الإنجاز الروحي، بغضّ النظر عن ظروفنا المُحيطة في العالم المادي.

كان عليّ أن أرى «كين» و«بيني» عن قُرب وشخصياً. إنّ صورة هذه المرأة وهي تحمل الرجل الذي تزوجَته، وتفعل ذلك من مُنطلق الحبّ النقي غير المشروط قد تصلّبت في ذاكرتي على نحو دائم. ثمّ إنّ صورة هذا الرجل وهو يجلس هنا بيديه التي لا يُمكن استخدامهما ورجليه المُتدليتين بلا فائدة، ويتحدّث إليّ عن أهمية كتابتي عمّا كان يعيشه، يشتعل بابتهاج على شاشتي الداخلية.

لقد علّق «بنيامين فرانكلين» ذات مرة أنّه «على الرغم من أننا قد لا نكون قادرين على التحكّم بكلّ ما يحدث لنا، بيد أننا نستطيع التحكّم بما يحدث دواخلنا». لم يُجسّد أحدٌ الحقيقة أفضل من صديقي وزميلي «كين كييز، جي آر». لقد ألهمني حضوره في حياتي ليس فقط أن أؤلّف كتاباً عن النفس المُقدّسة عند الإنسان، بل كي أعمل بجد أكثر على ترويض الأنا الخاصة بي.

أتذكّر التحدّث مع صديقتي «إليزابث كابلر روس» عن «كين» وتأثيره على كتابتي. لقد أخبرتني شيئاً ظهر لاحقاً في كتابها Death: The final stage of growth «الموت: مرحلة النمو الأخيرة»:

إنّ أجمل الأشخاص الذين عرفناهم هم أولئك الذين عرفوا الهزيمة، وعرفوا المُعاناة، وعرفوا الصراع، وعرفوا الفقد، ووجدوا طريقهم الخاصة من الأعماق. هؤلاء الأشخاص لديهم تقدير، حساسية، وفهم للحياة التي تملؤهم بالعطف، واللطف، والاهتمام العميق المُحبّ. إنّ الناس الجميلين لا يأتون مُصادفة. لقد كانت تصف «كين» بهذه الكلمات.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّ الموعد الإلهي المُفاجىء ذاك اليوم مع «كين كييز» كان من أجل أن يُؤثر بي وبكتابتي بطريقة مُهمّة. أحبّك «كين». شكراً لإلهامك. أنت حقيقة أحد أولئك الناس الجميلين الذين تحدّثت عنهم «إليزابيث».

- -- -- -- -



- في اليوم الذي يلي عيد الميلاد عام 1995، قرأتُ مقالة في الصحيفة عن «كاي أوبارا»، وهي إمرأة كانت تعتني بابنتها «إدواردا» أربع وعشرين ساعة على مدار الأسبوع، مُدّة خمس وعشرين سنة الماضية.

غابت «إدواردا» في غيبوبة السكري في الثالث من كانون الثاني عام 1970، عندما كانت في السادسة عشر من عمرها. كانت كلماتها الأخيرة: «عديني أنك لن تتركيني، هل ستفعلين ذلك أُمّي؟». أمسكت «كاي أوبارا» يد ابنتها، وقالت: «بالتأكيد لا، لن أتركك ابداً عزيزتي أنا أعِدُكِ، والوعد وعد!».

لقد تضمّن وعد «كاي» لابنتها المُراهقة نوعاً من التضحية الذاتية والتي تستطيع قلّة من الناس فقط تعهدها، إذ تحتاج «إدواردا» أن تُطعم كلّ ساعتين على مدار اليوم كلّه، بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يُفحص دمها ويُختبر كلّ أربع ساعات، ويجب أن تُعطى إبرة الأنسولين ست مرات في اليوم. لم تنَم «كاي» في السرير في الربع الماضي من القرن، لأنها اعتنت بابنتها على مدار الساعة.

استولت هذه القصه في الصحيفة على روحي، وكنتُ مجبراً أن أجمع بقية العائلة كي تسمعها. أخبرتُهم: «أُريد من كلّ واحد منكم أن يأتي إلى المطبخ ويستمع إلى هذه القصة التي سأقرأها لكم. أُريدنا كعائلة أن نفعل شيئاً لهذه المرأة وابنتها»

بكت عائلتي عندما سمِعَت عن محنة عائلة «أوبارا»، والتضحيات التي تُقدّم من هذه المرأة المُقدّسة التي تعيش فقط على بعد أربعين أو خمسين ميلاً من منزلنا في جنوب

«فلوريدا». لقد ضحّت «كاي أوبارا» بكلّ اهتماماتها الشخصية بإسم خدمة ابنتها، وكانت مثالاً حياً عن إدراك الإله. لقد ذكّرتني كثيراً بشعوري عندما قابلتُ الطاقة المُدهشة التي جسّدتها الأم «تيريزا» منذ ستة أعوام مضت في مكان بثّ الإذاعة في «فونيكس».

كتبتُ رسالة مُختصرة إلى «كاي» وأخبرتُها أنها بطلتي، وأرسلتُ مع الرسالة نسخة من كتابي «السّحر الحقيقي»، الذي يشرح فكرة القدرة على صنع المُعجزات في الحياة اليومية. وضعتُ رسالتي وكتابي في طرد مع تبرع وبطاقة مُوقّعة من أطفالي وزوجتي، وأرسلتُ كلّ شيء إلى «كاي» في «ميامي»، مع صلاة صامتة من أجلها ومن أجل ابنتها البالغة من العمر الآن احدى وأربعين سنة.

في كانون الثاني غادرتُ إلى الساحل الغربي من «فلوريدا». خططتُ أن أكتب كتاباً جديداً عن التجلّي، وأن أعود إلى المنزل في أيام عطل نهاية الأسبوع. أبقيتُ «كاي» وابنتها في صلواتي، ولكنّ تركيزي كان على كتابتي. أنا مُنهمك في فكرة التجلّي هذه وأشعر وكأنني نوعاً ما أنقل المعلومات بالتزامن مع المبادىء الروحية اللازمة كي يكون الانسان قادراً على جذب كلّ ما يرغب به إلى حياته.

بعد يوم طويل من الكتابة والبحث، فتحتُ الرائي كي أُشاهد الأخبار المسائية، فوجدتُ «ديبورا نورفيل» التي أجرت مُقابلات معي عدة مرات في السنين القليلة الماضية، تُعلن أنّ برنامجها Inside Edition «النسخة الداخلية» سيعرض قصة عن امرأة تعتني بابنتها الغائبة في سُبات منذ ست وعشرين سنة. عندما عُرض البرنامج، ظهرت «كاي أوبارا» وهي تقرأ لابنتها «إدواردا» من كتاب «السّحر الحقيقي»، الذي أرسلتُه لها قبل أقلّ من أسبوعين! شاهدتُ مُتعجّباً بينما كنتُ أسمع «كاي» تقرأ الكلمات الأولى من المقطع الأول لابنتها والذي كان بعنوان «هذا كتاب عن المُعجزات».

أنا في ذهول وروعة من التزامن الذي يعمل هنا. كنتُ أشاهد التلفاز وهو شيء نادراً ما أقوم به، وأفتح على برنامج لم أُشاهده من قبل، وهناك كانت «كاي» تقرأ لابنتها من الكتاب الذي أرسلتُه لها، لأنني كنتُ مُتأثراً بعُمق شديد من حبّ هذه المرأة غير المشروط لابنتها. ممّا يزيد الأمر عجباً، أنّ عنوان المقطع الذي كتبتُه في كتابي الجديد Manifest your destiny «أظهِر قدرك»، كان بعنوان «الاتصال مع

المصدر الإلهي من خلال الحبّ غير المشروط».

اتخذتُ قراراً أن أتصل مع «كاين» عندما أعود إلى المنزل من مكان كتابتي. عندما عدتُ إلى «بوكا راتون»، رأيتُ رسالة شكر من «كاين أوبارا» على قمة جبل رسائلي البريدية الالكترونية. اتصلتُ بها مُباشرة وقمتُ بعمل الترتيبات كي أزورها في اليوم التالي مع زوجتي.

عندما وصلنا أنا و«مارسلين» إلى منزل «كاي» المُتواضع، رحّبت بنا امرأة مُفعمة بالحياة، مُلتزمة كُلياً بخدمة ابنتها الواقعة في غيبوبة، مُجرّدة من الشفقة على الذات. شعرنا أنا و«مارسي» كأننا في مساحة مُقدّسة عندما دخلنا غرفة «إدواردا». أمسكتُ يد «إدواردا» وشعرتُ نوعاً ما كأنّ بإمكانها سماعي أتحدّث إليها. بعد مُضي ساعة قلتُ بصوت عال إننا على وشك المغادرة، فظهرَت دمعة صغيرة، وبدت «إدواردا» مُنفعلة وقلقة. عندما أخبرتُها أننا سنعود، بدت «إدواردا» على الفور أكثر سلاماً، وكأنها تعرف أننا هنا في الغرفة معها.

شعرتُ برابط قوي جداً مع هاتين الإمرأتين. علمتُ أنّ «إدواردا» تتصل معي بطريقة لا أستطيع شرحها. لقد كنتُ أكتب عن المساحات المُقدّسة، السّحر الحقيقي، والآن عن المبادىء الروحية المُتضمنة في التجلّي. عرفتُ أنها لم تكن مصادفة أنني هنا في هذه المُساحة المُقدّسة حيث كان الحبّ غير المشروط مُتعدد الوجود مُدّة ربع القرن الماضي.

جعلتُ زيارة منزل «أوبارا» عادة متى استطعتُ، وكنتُ أعتبر وأتعظ من العبء المالي الهائل الذي أرهق كاهل هذه الأسرة من جراء النفقات غير العادية المُتوجّبة على «كاي» كي تُنجز وعدها إلى «إدواردا» ألا تتركها. بقيتُ أسأل نفسي ما الذي أستطيع فعله كي أساعد هؤلاء الأشخاص الرائعين الذين يعيشون من مُنطلق الوعي الأعلى، بينما كنتُ أنا مُجرّد كاتب عن ذلك. عرفتُ أنني وزوجتي قد أُرسلنا من أجل أن نُساعد هؤلاء الناس. ما من مُصادفات في هذا الكون وبالتأكيد لم يكن هذا الأمر استثناءً.

بعد عدة أسابيع أتى ابني «ساندس» البالغ من العمر تسع سنوات راكضاً من غرفة نومه في صباح أحد الأيام بعد استحمامه، وقال بطريقة هيستيرية نوعاً ما: «أُمّي، أبي، لقد رأيتُ «إدواردا» للتوّ في الحمام. كانت صاحية وتبتسم لي. في الحقيقة، لقد كانت هي، لقد

ركضتُ خارجاً بأسرع ما يُمكن!». كان «ساندس» في حالة هيستيرية، فقد ذهب مع كلّ أطفالنا، إلى منزل «إدواردا» وشاهدوني أنا و«مارسي» نتفاعل معها في حالة غيبوبتها.

عندما أخبرتُ «كاين» ما رآه ابني الصغير، قالت إنّ بإمكانها الشعور عندما تُغادر «إدواردا» جسدها. لقد ظهرَت «إدواردا» في أكثر من مناسبة مع آخرين حول العالم كذلك. أنا شكوك، ولكني أتذكّر أنّ «المسيح» قال إنّ كلّ الأشياء مُمكنة عند أولئك الذين يُؤمنون، الأمر الذي لا يترك مجالاً للعجب. ذكّرتُ نفسي بأنني عندما دخلتُ غرفة نوم «إدواردا» وتحدّثتُ معها شعرتُ دائماً بإحساس من الهدوء وعبير الأزهار الرقيق.

اتخذتُ قراراً أنني أُريد أن أُساعد في تخفيف العبء المالي الذي يحوم فوق «كاي» في كلّ الأوقات، وأنني أُريد أن أُخبر قصتها المُذهلة إلى العالم. أشعر أنّ قصتها ستُساعد الآخرين كي يصلوا إلى قلوبهم وينشروا الرحمة والحبّ في حياتهم الخاصة أينما وكلّما كان ذلك مُمكناً. سأوقف كتابتي مؤقتاً وأُخبر قصة «إدواردا» وإخلاص أمها لها، وأمنح الأرباح والعوائد إلى «كاي». ستكون هذه المرة الأولى في حياتي التي أستطيع فيها أن أُحوّل كلّ طاقة كتابتي إلى شيء سينفع كائناً حيّاً آخر من غير أخذ أيّ أجر مادي لنفسي. لقد أُعطيتُ هدية من امرأة في غيبوبة منذ أكثر من ست وعشرين سنة. أنا سعيد.

كُنّا أنا وزوجتي وحدنا مع «إدواردا» في غرفتها مرات عديدة كلّ أسبوع بينما كنتُ أُحضّر نفسي كي أكتب هذه القصة المُذهلة من أجل النشر. على الرغم من أنّ «إدواردا» في حالة غيبوبة، إلا أننا شعرنا مراراً بحضور أعلى في الغرفة. لم أُغادر الزيارة أبداً من غير أن أشعر أنها واعية تماماً بوجودي.

بالإضافة إلى ذلك، كلّما علمتُ أكثر عمّا كانت عليه «إدواردا» قبل بداية غيبوبتها منذ خمس وعشرين سنة مضت، آمنتُ أكثر أنها إنسانة روحانية على نحو استثنائي. كانت لطيفة مع كلّ شخص، ولم تُطلق الأحكام أبداً، وكان لديها فقط أشياء مُحببة تقولها حتى لأولئك الذين كانوا غالباً على النقيض من نظام قيمها. لقد وصفَتها أُختها أنها طفلة السلام، وأنها كانت تُشعّ بذاك السلام إلى كلّ مَن صادفته.

عندما سألتُ أمّها عن أهمية حياة «إدواردا» حيث أنها تستلقي بلا حراك ومن غير كلمات، أجابت «كاي»: «إنها حقيقة تُعطي معنى الحياة إلى كلٍ منا. قد تعتقد أنني

مجنونة، ولكنني أؤمن أنها تقوم بتنفيذ عمل من الإله».

لقد أقمتُ ساعات عديدة من المُقابلات مع «كاين» وطبيبتها المُقدّسة التي عملَت بلا تعب ولا أجر. جمعتُ كلّ السجلات الطبية، وتسجيلاتي الصوتية لمُقابلاتنا، وكرّست كلّ لحظة عمل من أجل كتابة القصة التي لا تُصدّق تقريباً عن حبّ الأم غير المشروط وما بإمكانه أن يُعلّمنا إياه.

لقد تكفّلَت دار النشر Hay House «هاي هاوس» برواية A Promise is promise «الوعد وعد». طلبتُ من «مارسيلين» أن تُضيف فصلاً عن وجهة نظر الأم، بما أنها أمّ مُتفانية لسبعة أطفال بمُفردها.

إن حضور «كاي» و«إدواردا أوبارا» في حياتي كان هدية أُخرى من الهدايا العظيمة التي أُنعم بها عليّ. عندما أعود بذاكرتي إلى كلّ ذلك الذي حدث من أجل أن يُسهّل هذه العلاقة الجديدة، أستطيع أن أرى أنه كان هنالك العديد من الأحداث المُتزامنة التي حدثت من أجل جلب هذه الهدية إليّ. كان ذلك عمل قوّة أعلى تُنسّق المُهمّة بأكملها.

لقد كنتُ أكتب كُتباً ركّزت على الروحانية، صنع المُعجزات، والاتصال مع القُدسية المُتأصّلة داخل جميع الكائنات. مع ذلك فإنّ الكتابة عن الوعي الأعلى والروحانية هو شيء، بينما عيش ذلك حقيقة يوماً بعد يوم هو شيء آخر تماماً. لقد كانت «إدواردا» و«كاي» أداتين كبيرتين في انتقالي من كوني قادراً على الكتابة حول الروحانيات وادراك الاله، إلى كوني قادراً على مُمارسة وعيش تلك التعاليم.

إنّ برهان «كاين أوبارا» الفاقدة للأنا عن الخدمة المُحبّة غير المشروطة لابنتها أكثر من ربع قرن، مع تجنب أيّ اهتمام، بل كلّ الاهتمامات الشخصية، مُضحية حتى بأبسط المُتع كالنوم في السرير أو شراء أيّ شيء لنفسها، هو دليل وبرهان على إدراك الإله من خلال الفعل. لقد كان الوقت بالنسبة إليّ كي أبدأ في عيش ما كنتُ أدفعُ ضريبة كلامية عنه فقط خلال كتاباتي وتحدّثي.

هذه بعض من كلمات «مارسيلين» من كتاب «الوعد وعد»:

عندما سمع «واين» بوضعهم المالي، قال لي بلهجة الأمر الواقع: «سأكتب كتاباً عن

«كاين» و«إدواردا»، وستعود كلّ الأرباح إلى «كاين»، ما رأيكِ في هذا؟». نظرتُ إلى العينين الزرقاوين لهذا الإنسان العزيز الحنون، ورأيتُ تصميمه. رأيتُه شخصياً يتطوّر عبر السنين إلى مُعلّم روحي أحبناه جميعاً، ورأيتُ هذا العمل هو العمل الأعظم الذي قام به من أجل خدمة الآخرين حتى الآن. إنه لن يكتب هذا الكتاب فحسب، بل سيُروّج له حول العالم ولن يتلقَ أيّ شيء مُقابله.

أستطيع أن أرى بوضوح أنّ «إدواردا» و«كاين» كانتا في مسار حياتي تقدّمان لي الفرصة كي أعيش حياة على درب الإله، وأضع نفسي في مُحاذاة مع طاقة العطاء النقية من غير طلب أيّ شيء في المُقابل. هذه هي الطريقة التي يعمل بها الإله. هذه هي الطريقة التي عاش بها المُعلّمون الروحانيون العظماء وعملوا بها. لقد كانوا يسألون فقط: كيف بإمكاني الخدمة؟ بدلاً عن: ماذا هنالك من أجلي في هذا الأمر؟

لقد قضيتُ بعضاً من أكثر الشهور إنجازاً في حياتي في كتابة «الوعد وعد»، وكانت «المُصادفات» التي حدثت بالتأكيد من خلال ترتيب أعلى، ابتداءً مني وأنا أقرأ قصة الأخبار عن هذا الحبّ غير المشروط، وعيشهم بالقرب مني حيث كنتُ أعيش، ورؤية «كاي» وهي تقرأ «السّحر الحقيقي» لابنتها على التلفاز المحلي، ثمّ الذهاب إلى منزلهم، والعديد من الأمور الأُخرى أو ما يُسمّى بالمصادفات التي كانت جميعها جزءاً من وعد مصدر الحبّ الأعظم المُسمّى بالإله، كلّها أومأت إليّ نحو العيش من مُنطلق خدمة الآخرين. أنا مُمتنّ كلّ يوم تجاه «كاي» و«إدواردا أوبارا» على الهدية النفيسة.

قبل أن تموت «كاي»، أخبرتني أنني كنتُ ملاكاً أُرسل إليها من الإله كي يُساعدها على العبور خلال المشقّة التي حددت حياتها. أخبرتُها مرات عديدة أنّ الأمر نقيض ذلك، وأنها مع «إدواردا» ملائكة أُرسلت إلى حياتي كي تُعلّمني أولاً معنى كلمات أحد شعرائي المفضلين، «رابندرانات طاغور»:

نمتُ وحلمتُ أنّ الحياة كانت بهجة.

استيقظتُ ورأيتُ أنّ الحياة كانت خدمة.

عملتُ ولاحظتُ أنّ الخدمة كانت بهجة.

◄◄◄◄◄◄◄◄



- إنه شهر كانون الثاني من عام 1997، وقد وضعتُ للتوّ اللمسات النهائية على كتاب «أظهِر قَدَرك». لقد كنتُ مفتوناً بفكرة التجلّي منذ أن بدأتُ الكتابة والتحدّث من وجهة نظر روحانية منذ أكثر من ثمان سنوات مضت. لقد ترافق ذلك مع افتتان بحقائق «المسيح»، الذي رُوي عنه أنه امتلك القدرة على تحويل خمسة أرغفة من الخبز، وسمكتين إلى مأدبة أطعمَت خمسة آلاف شخص من خلال النظر إلى السماوات وأمر هذا الطعام بالظهور.

لقد سمعتُ عن مُعلّمين روحانيين على قيد الحياة اليوم قادرين على إظهار الرماد المُقدّس المُسمّى «فيبهوتي» ومواد أُخرى من خلال أفكارهم من غير استخدام الدخان أو المرايا. في عُمق داخلي عرفتُ أننا جميعاً مُقدّسون لأننا جميعاً قدمنا من الإله، وعرفتُ أيضاً أننا عندما نضع أنفسنا على نحو كامل في مُحاذاة الطبيعة الأصيلة، نُصبح واحداً مع الخالق، مصدر الكون، ولذلك نكتسب جميع القوى نفسها كما الخالق. إنّ القدرة على اظهار شيء على الفور من الأفكار هو أمرٌ نادر، لأنّ قليلاً جداً من الناس نجحوا في تجاهل مُتطلبات وإغراءات الأنا الزائفة التي تُسمّى «الايغو».

لقد كنتُ أكتب عن المبادىء المُحددة كي تكون قادراً على تقليل الوقت الضائع بين امتلاك الفكرة وبين ظهور تلك الفكرة كحقيقة مادية. هذه المبادىء أتت إليّ مُباشرة في مُدّة ما يُقارب من السنتين الماضيتين أو أكثر من تدريبي المُستمرّ على **تأمّل «جابا»**، والذي أقوم به مرتين يومياً نتيجة هذه الرسالة من «شري غوروورجي»:

عزيزي «واين»،

إنّ الهدف من هذا التأمل هو أن تُنهي مُعاناة الناس من خلال تجلّي رغباتهم. قبل أن أطوّر وأُقدّم هذه التقنية صليتُ مع «سيلفا» و«ناندي». لن أسمح أبداً أن يُساء استخدامها، ولهذا السبب أنا اخترتُك.

هذا المُعلّم الروحي من «الهند»، اختارني كي أتعلّم تقنية «جابا القديمة» عن تأمّل التجلّي الذي أُبدع في الأصل من قِبل أبي التأمل «بانتجالي» قبل أكثر من ألفي سنة مضت.

إنّ كلمة Japa «جابا» تُترجم حرفياً إلى «ذكر اسم الإله على نحو مُتكرر». أنا مفتونٌ بهذه التقنية التي ظهرت للتوّ في صندوق بريدي الالكتروني مع تسجيل صوتي وتعليمات تشرح كيف أُمارسها. أتى الطرد من مُعلّم روحي مُتميّز من «الهند» عُرف بأسماء مُتعددة ومنها «غوروجي»، «داتاتريا سيفا بابا»، «الدكتور بيلاي». إنه باحث صوفي كان يُعلّم الدراسات الهندية في جامعة «بيتسبرغ»، في الوقت الذي لا يكون فيه مُسافراً حول العالم كي يُعلّم، بينما يقوم بتأمل «جابا».

منذ سنتين، عندما وصلَت رسالة «شري غوروجي» والتعليمات إلى منزلي، بدأتُ تدريباً جدياً كي أُحضّر نفسي لتعليم «جابا» في فعاليات مُحادثاتي العامة حول العالم. اتصلتُ بناشري ورتبتُ من أجل تحضير قرص ليزري بعنوان Meditations for Transfiguration «تأملات من أجل التجلّي»، مُوضّحاً تقنية «جابا» القديمة هذه. كان الناس حول العالم مفتونين بالسّحر الحقيقي الكامن في هذه المُمارسة.

من خلال تكرار صوت اسم الإله كمانترا داخلية ووضع الانتباه عمّا يُريد الشخص أن يجذبه إلى حياته، تعمل هذه الأصوات الإلهية كواسطة من أجل جلب هذا الأمر إلى تحقيق وظهور مادي. كما ذكّرني «غوروجي» في رسالته، ثمّ من خلال النقاشات المُتتالية التي أجريناها شخصياً، فإنّ بداية كلّ شيء هي الإله، ولذلك من أجل أن نبدأ شيئاً ما، نحتاج إلى صوت اسم الإله. تقول السطور الافتتاحية في إنجيل «يوحنا»: «في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة مع الإله، وكانت الكلمة هي الإله».

نظرتُ إلى المُسوَّدة التي كتبتُها، والتي تتضمّن فصلاً عن «التأمل على صوت الخلق»، وشعرتُ بالرعب من كوني قادراً على استخدام تقنية «جابا» هذه كي أخلق كتاباً كاملاً مع تسعة مبادىء مرسومة على نحو مُحدد في الترتيب الصحيح. لم يكن لديّ أيّ مُخطط، ولا أيّ فكرة عمّا سيكون المبدأ الثاني، الثالث، أو التاسع عندما كتبتُ المبدأ الأول. لقد وثقتُ كُلياً في قوّة الاسم الإلهي الذي استخدمتُه كمانترا داخلية أثناء كتابة كتاب «أظهر قَدَرك». لقد كنتُ قادراً على اظهار تسعة مبادىء روحانية وكتابة فصل كامل عن كلّ واحد منها بلا جهد تقريباً.

قرأتُ حِكم «بانتاجالي» وطبقتُ هذه الحكمة القديمة في جميع جوانب حياتي. إنّ التأمل الآن جزء دائمٌ من حياتي اليومية، وقد أمضيتُ وقتاً في إتقان تقنية «جابا». لقد استخدمتُها في مجموعة مُتنوّعة من الطرق، ووجدتُ مُعجزات صغيرة تظهر عندما أستخدم هذه الأصوات الإلهية. أنا قادرٌ على إزالة التعب وأيّ نوع من أعراض المرض من خلال القيام بتأمل «جابا» على نحو مُنتظم، ومن خلال ترنيم اسم الإله باستمرار حيث وجدتُ أنه بإمكاني المُشاركة على نحو مُباشر في الخلق والتجلّي.

إنّ امتناني كبير جداً تجاه «شري غوروجي» الذي وضع ثقته فيّ، وهو على علم أنني لن أسمح أبداً أن يُساء استخدام تقنية التجلّي القديمة هذه والتي هي عبارة عن استخدام الصوت الذي يصدر من خلال ذكر اسم الإله، أو أن تلوّث بأيّ طريقة. أنا غير مُتأكّد لماذا اختارني كي أكون مُعلّماً لتقنية «جابا»، ولكنّ الأمر يبدو كما لو أنّه كان بطريقة ما مُدبّراً من قبل الإله نفسه. اعتبرتُ الأمر على أنه واجب مُقدّس. يسبح رأسي في نشوة هناء، ولديّ شعور أنني أسدّ الفجوة بين العالم المادي والعالم السماوي، من حيث أتت كلّ الجسيمات المادية.

نظرتُ إلى مُسوّدتي المُكتملة لكتابي «أظهر قَدَرك»، واستغربتُ كيف أنّ كلّ هذه المبادىء التسعة انتقلَت على نحو جميل جداً. أخذتُ قلمي، وكتبتُ إهدائي: «شري غوروجي»، شكراً لك على إلهامي من أجل اكتشاف عالم التجلّي. تحية من القلب «ناماستي».

إنه بالفعل نداء الروح إلى حياتي. لا أشعر فقط بالمُحاذاة مع هذا المُعلّم العظيم الذي

اختارني من أجل هذه المُهمّة المُتألقة، ولكني أشعر أيضاً بمُحاذاة مع «باتانجالي»، نعم، ومع مصدر خلق كلّ شيء، العقل الإلهي الواحد، مع الإله. أقول «والكلمة كانت الإله» مرات ومرات عديدة في اليوم.

بالإضافة إلى كوني مُعلّماً، أنا الآن مُتأمل ثابت كذلك. شيء ما لا يُمكن وصفه كان يعمل عام 1995 عندما كان «شري غوروجي»، المعروف الآن بـ«داتاتريا سيفا بابا»، مُتحمّساً كي يكتب إليّ ويُرسل تسجيلات صوتية وتعليمات من أجل أن أتعلّم تقنية «جابا»، وأُصبح مُعلّماً لهذه المُمارسة. ذاك القرار العفوي من «غوروجي» ألهمني كي أتعلّم وأُعلّم تأملات «جابا» في نهاية المطاف من خلال قرصي الليزري المُعنون «تأملات من أجل التجلّي». لقد حمّسني أيضاً كي أُهيأ وأكتب كتاباً عن التجلّي بعد سنتين، ثمّ ألهمني تأليف كتابي الخاص عن التأمل، بعنوان:Gething in the Gap «التوغّل في الفراغ»، بعد ثمان سنوات من تلقي رسالة «غوروجي».

هذا الرجل الروحاني الجميل من «الهند» كان واحداً من أكثر الناس المُؤثرين في عبور طريقي. قبل «غوروجي» انشغلتُ في المُمارسات التأملية، ولكنني لم أعتبرها كمبدأ أبداً.

حالما بدأتُ فنّ تأمل «جابا» ورأيتُ النتائج الرائعة التي بدأت تظهر، قررتُ أن أجعل التأمل جزءاً من حياتي اليومية، في كلّ من الصباح والمساء.

بينما كنتُ أكتب «أظهِر قَدَرك». كنتُ أُردد الصوت ah «آه» وأضع تركيزي على تلقي الإرشاد من أجل كلّ من المبادىء التسعة في هذا الكتاب. قمتُ بجلسات طويلة من تكرار هذا الصوت وتصوّر نفسي أتلقى ما أحتاجه، فرأيتُ قلمي يتحرّك عبر الصفحات بلا جهد، وكأنه كان في يد قوّة غير مرئية.

في مُحاضراتي شرحتُ النظرية والتاريخ خلف هذه المُمارسة التأملية المُحفّزة، ثمّ طلبتُ من الجماهير أن يُرنمو صوت الإله aum «أوم» بينما يضعون اهتمامهم الفردي فيما يرغبون بتجلّيه في حياتهم. كانت النتائج مُذهلة. وضعتُ الكثير من تلك النتائج في فحوى كتابي «التوغّل في الفراغ».

من الواضح جداً بالنسبة إليّ أنّ هذا الإنسان السامي قد أُرسل إليّ كي أتقدّم إلى الخطوة التالية من رسالتي الروحية الخاصة الشخصية. لقد كانت مُمارسة التأمل جوهرية بالنسبة إليّ، ومع ذلك لم أكن قريباً كي أتبنّى أيّ منها إلى أن قرر «غوروجي» أن يجعلني المُتلقي لهذا الوعي الروحاني. لقد عرف بطريقة ما أنني سآخذ مُمارسة «جابا» جدياً، وأنني سأدمجها في مُحاضراتي وظهوري الإعلامي.

لقد بدا أنّ «غوروجي» قد صلّى لاثنين من أكثر قديسيه ورعاً، «سيفا» و«نانديّ»، طالباً الاهتداء إلى الشخص الذي سيُقدّم في الغرب نظرية التأمل هذه والتي تبلغ من العمر ألفي عام ومنه إلى الجمهور العالمي. أشعر بالفخر لأنه تمّ اختياري من أجل تعهّد جليل كهذا.

بعد سنتين من بدئي تعلّم «جابا»، التقيتُ بهذا الرجل الروحاني وجهاً لوجهاً. لقد كنت مدعواً إلى منزل في «لوس أنجلوس» بعد مُحاضرة أعطيتُها أمام حشد مُؤتمر كبير، وقد أخبروني أنّ «غوروجي» يرغب بأن يلتقي بي. انتظرتُ في غرفة خاصة قرابة ثلاثين دقيقة، ثمّ دخل هذا المُعلّم الكبير إلى الغرفة مُرتدياً زياً أبيض بالكامل، وجلس على الجانب الآخر مني. لم ينطق أيّ منا بكلمة قرابة الساعة. كان كلانا صامتاً، ومع ذلك كان الحبّ بيننا هو ما توصّل إلى وصفه بالنور الالهي على موقعه الإلكتروني:

إنّ النور الالهي هو نور الإله. إنه غير مرئي بالنسبة إلى العين البشرية ولكنه مرئي إلى الحكماء، الأنبياء، أتباع «المسيح»، الملائكة والمخلوقات الأُخرى السامية. يمتلك النور الإلهي ذكاء مُذهلاً وطاقة كي يعلم ويفعل كلّ شيء. إنها طاقة الإله القادرة على كلّ شيء. حالما ينتقل هذا النور الإلهي فسيقوم بعمله بطريقة إعجازية، وسيُحوّل الجسم، التفكير، والروح.

شعرتُ بهذا النور الإلهي الذي وصفه «غوروجي» عندما جلسنا هناك في صمت في لقائنا الأول. بعد فترة طويلة من الصمت، غادرَت دمعةٌ عيني وزحفَت إلى أسفل خدي. تعانقنا وقُلنا شكراً لبعضنا البعض. كانت هنالك كلمات قليلة جداً قد قيلت، ولكنني شعرتُ أننا قد تواصلنا مع بعضنا عبر ما كتبتُه أعلاه. غادرتُ ذلك المنزل في

«لوس أنجلوس» وحصل لديّ إدراك أنّ كلّ هذا كان بطريقة ما مُرتباً مُسبقاً من قوّة إلهية سأبقى مُمتنّاً لها دائماً.

شيء ما داخل هذا الرجل عرف أمره أن يتصل بي ويجعلني أبداً في طريق الذهاب إلى الداخل. كانت تقنية «جابا» عطية إلهية من أجلي ومن أجل ملايين الناس الذين أخذوا هذه المُمارسة كنتيجة لحديثي وكتابتي عنها أمام العموم. أستطيع الآن أن أرى بوضوح ماعناه «لاو تزو» بقوله: «أنت لا تفعل شيئاً، بل بدلاً عن ذلك، أنت مَن يجري عليه الفعل فحسب».

لم أُدركها في وقتها، ولكنني كنتُ على وشك ان أقوم بنقلة في العمل الذي أُرسلتُ إلى هنا كي أقوم به، وكانت مُمارسة «جابا» ولقائي مع «غوروجي» أموراً أساسية تماماً من أجلي، حيث أنّ هذا المسار الجديد في حياتي كان على وشك أن يظهر. كان هنالك جمهور أكبر بكثير ينتظرني، وقد احتجتُ على نحو واضح أن يكون لديّ إجراء في يدي يجلب لي السلام الداخلي العفوي، والمعرفة الحقيقية بأنّ « كلّ الأشياء مُمكنة»

شكراً لك! شكراً لك! شكراً لك! «غوروجي»، على كونك مُستعداً من أجل نقل هذا التعليم الهائل لي، والوثوق بأني لن أُسيء إليه أبداً وقطعاً بأيّ شكل من الأشكال.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- إنه الربيع من عام 1998، وقد أمضيتُ الجزء الأفضل من السنة الفائتة في تأليف كتاب من المقالات المُستندة على حكمة ستين من أكثر المُعلّمين عُمقاً وتأثيراً ممّن باركوا حياتي. أنا أدعو هذ الخلاصة الوافية Wisdom of the ages « حكمة العصور »، وأستطيع تخيّل أساتذة الفلسفة والإنكليزية في المُستقبل وهم يستخدمونه كطريقة لجلب هذه الأفكار المُحفّزة إلى حياة الشباب.

كوني مُعلّماً أولاً وقبل كلّ شيء، تذكّرتُ بحرارة صفاً مُحدداً في الثانوية علّمتُه عام 1960. لقد شعرتُ دائماً وبقوّة شديدة أنّ الشعر، الفلسفة، والأدب الروحي لا يجب أن تجفّ، بل يجب أن تُصبح مُفعمة بالحياة، وخاصة بالنسبة إلى الشباب، والعقول المُحبّة للاستطلاع. لقد تعلّم طلابي في ذاك الصف أن يُطبّقوا الحكمة القديمة في حياتهم المُعاصرة من خلال دراسة بعض من مُعلّمينا العظماء. حتى بعد حوالي أربعين سنة ما زلتُ أُدرّس الحكمة كي تتوجد في مقالات عظيمة. عندما تذكّرتُ كتابة مقالاتي عن هذه التعاليم، سألتُ نفسي، ما الذي يجب أن يقوله لنا اليوم علماؤنا الأسلاف، الذين يُعتبرون الأكثر حكمة والأكثر تقدّماً روحانياً؟.

لقد تضمّن الكتاب هذه الخلاصة المُكوّنة من ستين مقالاً، والتي ستُزوّد القارئين بالفُرصة كي يُدركوا قدراتهم الخاصة والمُتعلّقة بالعظَمة، ويتلقّوا الإرشاد من أجدادنا العلميين العُظماء، وهم: «المسيح»، «بوذا»، «ويليام بليك»، «إيميلي ديكنسون»، «والت وايتمان»، «المهاتما غاندي»، «رابندرانات طاغور»، «باراماهانسا يوغاناندنا»،

والأم «تيريزا». إنّ أجدادنا هؤلاء لم يكونوا فقط أنواعاً بارزة يكتبون من أجل الاعتراف المهني، بل كتبوا من مكان الشغف مع الرغبة في رفع الروح الإنسانية إلى مكان أعلى أبعد من اهتمامات الأنا الزهيدة.

لقد كانت سنة مُمتعة، كالعودة إلى الكلية من أجل دراسة المُعلّمين العظماء الذين عاشوا قبلنا، من غير أن يهتمّوا بكتابة مقالة الصفّ، أو القيام بامتحان من أجل علامة النجاح على الورقة. لقد تصوّرت أيضاً إحضار هذه الكلمات القديمة من الحكمة إلى جمهور أوسع بكثير، والتأثير الناتج على وعي بلادنا وعالمنا.

ظهرَت رسالة في بريدي يوماً من الأيام من «نيكي فيتل»، والتي قدّمت نفسها على أنها مُنتجة مُنفّذة للعديد من التعهدات الخاصة في خدمة البثّ المحلية. كتبَت لي: «أرغب أن أعرف هل أنت مُهتمّ في إنشاء برنامج في خدمة البثّ المحلية بناء على آخر كتابين من أحدث كتبك. أرغب بالعمل معك في صنع برنامج كهذا، كما أنني أرغب في إنتاجه كذلك».

فُتنتُ برسالتها وتابعتُ الأمر باستفسار تلفوني عن اهتمامي في صُنع برنامج يُبثّ محلياً على الهواء، يكون بمثابة جمع تبرعات من أجل مؤسسة خدمة البث المحلي. فقط قبل أيام قليلة سابقة تلقّيتُ رسالة من زميل كاتب اسمه Liu Boscagelea «ليو بوسكاجليا» يُشجّعني فيها على ايصال رسالتي الروحية والوعي الأعلى إلى جمهور الرائي «التلفاز».

كانت نتيجة تواصلي مع «نيكي» أننا رتبنا من أجل تسجيل برنامجين خاصين، أولهما يستند إلى كتابي الحالي «أظهِر قدرك»، والثاني عن الكتاب الجديد «حكمة العصور». بدا لي وكأنه نداء كي أُحقق هذا الأمر، فقد أتت تلك الرسائل الطوعية من «ليو» و«نيكي»، ومُحادثتي اللاحقة مع «نيكي»، إلى جانب رغبتي كي أؤثر في المزيد والمزيد من الناس بطريقة تنويرية روحانية.

كنتُ أعلم أنّ واحداً فقط من بين عشرة أشخاص يشتري كُتباً، بيد أنّ كلّ شخص فعلياً يُشاهد التلفاز في منزله. أنا مُتحمّس تجاه امكانية ايصال رسائل الوعي الأعلى هذه إلى جمهور جديد بأكمله.

عندما اقتربنا من موعد الانتاج النهائي، سألت نيكي بعصبية إن كان بإمكانها التحدّث معي عن شيء ما. اتضح أنها قلقة من أنه رُبّما لن يكون لدينا المال الكافي كي نصل إلى عرضنا التلفزيوني في المُوعد المُحدد الذي أُعطي لنا، وتساءلَتْ إن كنتُ قادراً على أن أقوم بما يُسمّى «قرض الجسر»، حيث أضع المال الآن، ثمّ يتمّ تعويضي لاحقاً. أنا أؤمن بقدرتي في أن أجعل هذا العرض ناجحاً من أجل PBS وكلّ المُشاركين فيها، فوافقتُ على المُساعدة في توفير الاكتتاب المالي بنفسي إذا لزم الأمر، واستمرّ المشروع!.

سجّلنا للعموم العرض التلفزيوني الأول بالنسبة إليّ والذي تعهّدنا به، في منتجع ونادي «بوكا راتون» حيث تجمّع الجمهور من أجل التسجيل. سجّلتُ العرض الأول بعنوان «كيف تحصل على الشيء الذي تُريده حقًا حقًا حقًا». أخذتُ استراحة ساعة واحدة، ثمّ سجّلتُ «قُم بتحسين حياتك مُستفيداً من حكمة العصور»، حيث غنَّت ابنتي ذات الستة عشر عاماً «سكاي» نسخة جميلة من «الكابيلا» مأخوذة عن الأغنية الروحية الكلاسيكية «نعمة مُدهشة» في البرنامج الثاني.

بعد أسابيع عديدة من إنهاء تسجيل البرنامجين، وبينما كانوا يُحضّرون من أجل بثها، تلقيتُ بلاغاً أنّ زميلي الدكتور «ليو بوسكاجليا» قد تُوفي في الثاني عشر من حزيران. لقد كان مُستكشفاً ودليلاً إلى كيفية تقديم المُحاضرات التلفزيونية الترفيهية المُقنعة والمُحفّزة. لقد أخذتُ على نفسي عهداً أنني سأقوم بكلّ ما أستطيعه كي أرقى إلى مستوى الثقة التي زرعها «ليو» في داخلي، عندما شجّعني ليس فقط كي أدعم دافعه المُفضّل، وبرنامجه التلفزيوني المحلي، ولكن أن أصل إلى شريحة أكبر بكثير من الجمهور من خلال التلفاز.

تذكّرتُ الالتزام الذي قطعتُه على نفسي قبل عشرين سنة مضت بأن أُوصل كتابي «مناطقك الخاطئة» الأول إلى عموم الجماهير، وها أنا في المكان ذاته. قررتُ عندها أنني سأزور كلّ محطة من محطات خدمة البث المحلية في البلاد التي سوف تستضيفني. سأصبح متحدّثاً، ليس فقط من أجل عملي الخاص، ولكن من أجل التلفزة المحلية كذلك. أُحبّ برامج PBS، وقد تربى أطفالي جميعهم على مسلسل الأطفال Sesame Street «شارع سمسم»، وغيره من برامج الأطفال الرائعة في PBS. أُحبّ حقيقة عدم

وجود العنف في أخبار المُؤسسة اليومية، وأنّ الإعلان فيها مجاناً، إنها تبدو مثالية.

تهيأتُ كي أرجع إلى الطريق مُجدداً، وأجلب هذه المُحاضرات إلى موضع الاهتمام الأمريكي. لقد رأيتُ امكانية التحوّل هنا، وأنا مُمتنّ تجاه تلك الفرصة التي أتاحت ايصال رسائلي الروحية إلى غرف معيشة الناس في كلّ ولاية من البلاد.

لقد كان ذاك الطلب من «نيكي فيتيل» عام 1998 نقطة تحوّل كبيرة في حياتي الشخصية والمهنية، ودفعني إلى طريق جديدة كُلياً أتاحت الوصول إلى أعداد كبيرة من الناس. أثناء مُقابلتي الأولى مع «نيكي»، استغرقتُ في ذكرياتي عن افتتاني بالمطران «فولتون شين» عندما كنتُ صبياً صغيراً. بينما كان كلّ أصدقائي ممّن لديهم أجهزة تلفاز يُشاهدون برنامج «ميلتون بيرلي» الكوميدي، كنتُ أجلس مذهولاً أستمع بإصغاء إلى المطران «شين» يتحدّث مُباشرة إليّ عن قوّة تفكيري الخاص في خلق نوع الحياة الذي أُريده لنفسي.

كنتُ أُحبُّ كثيراً برنامجه الذي كان يُعرض ليلة الثلاثاء، لقد كانت مُحاضرة مُمتعة، مُثقفة، ومُعدّة على نحو جيد، وقد حازَت على انتباه المُشاهدين في منازلهم سابقاً عندما كان التلفاز في أوج روعته. لقد كنتُ واثقاً أنه بإمكاني القيام بمثل هذا العمل وجعله صالحاً لكلّ المُهتمّين، وأنه سيكون لديّ مُساعدة إلهية كذلك!.

تذكّرتُ تعليق «ميلتون بيرلي» عندما اكتشف أنّ المطران المحبوب قد حصل على جائزة «إيمي»، بينما كان «بيرلي» ينتظرها كمُكافأة على برنامجه الكوميدي الشعبي. قال «بيلي» ساخراً: «لقد حصل على كُتّاب أفضل، «ماثيو»، «مارك»، «لوك» و«جون». رُبّما كان بإمكاني تجنيد هؤلاء الكُتّاب أنفسهم في عروضي التقديمية كذلك».

قبلتُ هذه المغامرة بالحماس نفسه والالتزام الذي ألهمني كي أمضي في هذا الدرب قبل اثنتي وعشرين سنة مضت عندما نُشر كتاب «مناطقك الخاطئة». مع إكمال البرنامجين الأوليين، بدأتُ بصنع ظهورات على محطات التلفزة المحلية على نحو مُنتظم مُرتبطة مع جمع التبرعات. لقد كان من الواضح جداً بالنسبة إلى «نيكي» وإليّ أنه عندما كنتُ أحضر إلى مكان التصوير المحلي، وأتحدّث إلى الجماهير أثناء فواصل العروض، يرتفع عدد الدولارات التي تُجمع من أجل دعم التلفزة المحلية على نحو

كبير. كانت لديّ تصوّرات عن العمل بدقة من خلال ما عملتُه سابقاً في السبعينيات وبداية الثمانينيات مع نشر كلّ كتاب كتبتُه، لقد أخذتُ على عاتقي المسؤولية الكاملة عن كلّ الجهات المُرتبطة بنجاح هذه العروض.

كانت الأولوية الأولى بالنسبة إلى المدراء التنفيذين في PBS هي جمع التبرعات. عندما يجلب العرض مالاً من خلال اتصالات المُشاهدين والتبرعات، فسيُعرض البرنامج على الهواء مراراً وتكراراً. بينما كان هدفي الأول هو رفع وعي الناس حول العالم. كانت شريحة أكبر من المشاهدين تعني إلهام أشخاص أكثر كي يدعموا PBS مالياً، وكنتُ معهم نستطيع الحصول على أعلى المستويات من الأهداف والنداءات.

خلال أسابيع من إطلاق أول عرضين استعدتُ التكاليف المُتعلّقة بانتاج كلا البرنامجين، وفي غضون سنة كنا في مُحادثات من أجل عقد مع PBS كي نقوم ببرنامجين إضافيين، واللذين كان مُرتباً لهما أن يُسجّلا في «كونكورد»، «ماساشوست» في منزل اثنين من مُعلّمي الروحيين الأكثر محبة وتبجيلاً «رالف والدو إميرسون» و«هنري ديفيد ثورو».

لقد أصبحنا فريقاً الآن أنا و«نيكي فيتل»، وصديقي «ريد تريسي» الذي يعمل مُديراً تنفيذياً في دار نشري الجديدة «هاي هاوس». أثناء كلّ فترة تعهّد مُفردة كنتُ أخرج مُسافراً في الطريق من محطة إلى محطة، وفي كثيرٍ من الأحيان على نفقتي الخاصة، كما كانت الأيام قبل ربع قرن من الزمن عندما كنتُ أُسافر عبر البلاد، لأنها كانت الطريقة الوحيدة كي أصل إلى كلّ شخص في ذلك الوقت. هناك شعلة من الرغبة المُكثفة عندما يتعلّق الأمر بإنجاز الأمنيات التي تشتعل داخلي. ليس هنالك أحدٌ آخر يُمكنه القيام بهذا من أجلي، ولا أستطيع أن أجد أعذاراً مقبولة من أجل المُشاركة في مشروع مُتعثر.

لقد أخبرني العديد من المُدراء التنفيذين في «نيويورك» و«واشنطن» أنّ نوع البرمجة المُرتبطة بعروضي التقديمية لا يُتنبأ له بنجاح اقتصادي. لقد أُخبرتُ وشاهدتُ الإحصاءات عن عدد كبير من العروض التي فشلَت على نحو ذريع. لقد تمّ إنتاج ثمّ إذاعة الكثير من العروض، ولكن ما عدا استثناءات قليلة ملحوظة، كما «ليو بوسكاجليا» المعروف على نحو أساسي بإسم دكتور الحب، فقد شُحن الكثير من العروض إلى

قارعة الطريق بعد ظهور أو ظهورين على الهواء.

اعتدتُ أن أُشاهد «ليو» على التلفاز في وقت فواصل الدعايات، وكنتُ أُريد أن أقفز عبر الشاشة في منزلي كي أُعانق هذا الرجل. لقد كانت حماسته، والتي تُترجم في اللغة اليونانية الأصلية إلى «الإله في الداخل» هي سرّه. عرفتُ أنه بإمكاني ربط أفكاري بعاطفة وحماسة كذلك، وعرفتُ أنّ الناس سيُشاهدون ويدعمون محطتهم المحلية، إن استطعتُ جعل هذه المادة تُصبح مُفعمة بالحيوية داخلهم من خلال الطرق «إن صحّ التعبير» على أبواب الإله الداخلي لدى المُشاهدين.

ابتكرتُ خطة من أجل القضاء على التدهور المالي للمُساهمة، وصنعتُ ترتيبات مع «ريد» في دار نشر «هاي هاوس» من أجل تقديم مجموعة هائلة من هدايا الشكر على المُساهمة بدولار واحد يومياً للتلفزة العامة في «أمريكا». عندما أعود بذاكرتي إلى انتقالي من كاتب مُتحدّث إلى شخصية تلفزيونية في البثّ، أستطيع أن أرى بوضوح أكبر من قبل، أنّ تلك الرغبة المُشتعلة في الداخل هي التي كانت تحملني عبر هذا التحوّل. لم يكن لديّ شيء أبداً على لائحة مهامي لا يُمكنني تنفيذه من أجل أن أجعل حلم مُستقبلي حقيقة واقعة.

على مدى السنوات العشر التالية، قمت بحوالي مئتي ظهور من أجل جمع التبرعات الشخصية في كلّ محطة من PBS تقريباً في أرجاء البلاد. كانت الزيارة تعني قضاء أربع ساعات في مكان التصوير التلفزيوني أثناء بثّ البرامج على الهواء، ثمّ القيام بمُهمّة PBS وتقديم هدايا الشكر بوفرة، بما في ذلك الكتب والتسجيلات الصوتية والمرئية المُتعلّقة بالبرنامج. لم أعرف التعب في طاقتي، وكنتُ أصل إلى ملايين الناس الذين لم تكن لتُعرض لهم هذه الأفكار من الوعي العالي بطريقة أُخرى. مع كلّ كتاب جديد، كان علينا أنا و«نيكي» و«ريد» أن نقوم بتصميم برنامج جديد، مع مجموعة جديدة بأكملها من هدايا الشكر، وأن أتقدّم كي أظهر على المحطات المحلية، التي زرتُ مُعظمها سابقاً أكثر من عشر مرات أحياناً.

عند العودة بذاكرتي إلى العروض الخاصة العشرة بقناة PBS، والتي حملت اسمي ورسالتي المتطورة، أشعر بالفخر بأن أقول إنني تشرّفتُ كثيراً بأن يُشار إليّ على أنني

«سيد PBS». إن مقدار المال الذي جُمع للتلفزة المحلية في «أمريكا» لم يكن بالآلاف، ولا بمئات الآلاف، ولا بملايين الدولارات، وإنما بمئات ملايين الدولارات. شعرتُ أنه تمّ مناداتي إلى هذا العمل، وكنتُ أتحضّر كي أقوم بذلك، من ذلك الوقت عندما كنتُ ذاك الصبي الصغير الجالس أمام جهاز تلفازنا الأبيض والأسود يُشاهد المطران «فولتون جي شين» في برنامج Life worth living «حياة تستحقّ العيش». لقد خلق انبهاري من وقتها شيئاً ما داخلي همهم بحماسة: بإمكاني القيام بهذا! أعلم أنني أستطيع فعل هذا! تلك المُحفّزات الداخلية هي من عمل القوى الملائكية التي كانت دائماً هناك تدعوني كي أُواصل السعي من أجل تحقيق آفاق بعيدة المدى أكثر اتساعاً.

كان «ليو بوسكاجليا» أحد هؤلاء الملائكة، وكذلك كانت «نيكي فيتل». كان قرارها أن تكتب لي وتُشجّعني كي نُجهّز سوياً برنامجاً تجريبياً، وكانت طاقتها الدؤوبة في إنتاج جميع العروض العشرة من أجل قناة PBS، موجّهة أيضاً من قِبل طاقة إلهية خفية. عندما قرأتُ رسالة «نيكي» الأولى عن إمكانية الظهور في برنامج خاص بي على PBS، فكّرتُ: لقد عرفتُ أنّ هذا الأمر آت، وعلمتُ أنّ ذلك كان قدري. لقد سمعني كلّ من زوجتي ووكيلي أقول في ذاك الوقت إنّني كنتُ أدرك هذا الأمر منذ شبابي، عندما كان التلفاز كواسطة ترفيه في قمة روعته.

أستطيع أن أرى بوضوح كبير أنّ توكيدي الداخلي في عمر التاسعة عشرة «أنا مُعلّم»، كان أبعد من مُجرّد صف واحد في مدرسة واحدة. كانت لديّ رسالة من التمكين الذاتي والهيمنة الروحية عليّ ايصالها إلى العالم. كان المطران «فولتون شين»، «ليو بوسكاجليا»، «نيكي فيتيل»، و«ريد تريسي»، جميعهم مُحرّضين ملائكيين يُرافقونني في جعل هذه الرؤية التي كانت لديّ منذ أن شاهدتُ التلفاز للمرة الأولى، تُؤتي أُكُلها.

إنّ الأمر الآن الأكثر وضوحاً ممّا كان حينها، وهو أنني امتلكتُ لائحتين عقليتين حملتهما معي. تتضمّن اللائحة الأولى تأكيد أنني قادر على فعل كلّ شيء كي أجعل حلم مُستقبلي حقيقة حاضرة، وتتضمّن اللائحة الثانية تأكيد كلّ شيء أنا غير قادر على فعله، وهذه اللائحة دائماً فارغة. عندما أحضروا لي أول عرضين، سألتُ «نيكي» إن كنتُ قادراً على السفر إلى «فريزنو»، «كاليفورنيا»، والتي تضمّنت ثلاث رحلات طيران في

كلّ اتجاه، وأن أدفع على نحو أساسي نفقاتي الخاصة كي أكون في مكان التصوير من أجل البرنامج الأول، فوافقتُ بكلّ إخلاص بسبب لائحتيّ العقليتين. أصبحَت تلك الزيارة هي الأولى من أكثر من مئتي زيارة إلى المحطّة التي تُوصل الرسالة القريبة جداً من قلبي إلى بيوت «أمريكا».

لدينا جميعاً قدر، ورسالة روحية نُنجزها، وهناك فرص لا نهاية لها، وأشخاص وظروف تظهر خلال حياتنا كي تُنير مسارنا. تصنع الحوادث والأشخاص شرارات صغيرة تجعلنا نُدرك: هذا من أجلي، هذا مُهمّ، هذا سبب أنني هنا. تلك الشرارات كانت إشارات كي أنتبه وأكون مُندهشاً، وأعلم أنّ تلك الشرارات يتمّ إشعالها من المصدر الإلهي نفسه المسؤول عن كلّ الخلق.

لقد كنت دائماً مُتحمّساً كي أقول نعم للحياة مع الإيمان أنني عندما أثق في نفسي، فإنني أثق في الحكمة الكبيرة التي خلقتني. تلك الشعلة الداخلية هي الإله يتحدّث إليّ، وأنا ببساطة أرفض أن أتجاهلها. أعلم أنني إذا شعرتُ بها وأشعلتُ شيئاً في داخلي، فإنّ عملية الإشعال عندها هي القوّة اللامرئية، المصدر، جوهر كلّ الخليقة، وأنا أثق بها إلى الحدّ الأقصى. هذا ما أطلق مُستقبل ظهوري على التلفاز المحلي، وليس بسبب بعض الحظّ أو الصُدف غير المُبررة. لقد كان الوضع يقول نعم لتلك الأفكار التي اشتعلت داخلي، ورفضتُ أن أدعها تنطفيء حتى يتمّ إنجازها.

← ←← ←← ←← ←



- في تشرين الأول من عام 2000، وافقتُ على أخذ مجموعة صغيرة من الناس إلى مدينة «آسيسي» في «إيطاليا»، حيث مكان ولادة القديس «فرنسيس»، الرجل الذي أصبح قوّة حيوية في حياتي على مدى السنوات العديدة الماضية. لقد كنتُ أعمل على كتاب جديد اسمه There is a spiritual solution to every problem «هناك حلّ روحي لكلّ مُشكلة»، اعتماداً على الصلاة المشهورة للقديس «فرنسيس»، وقد عدتُ إلى «آسيسي» كي أضع اللمسات الأخيرة على المُسوَّدة.

أشعر أنني مُنجذب إلى هذا المكان وأُريد أن أقوم ببعض الكتابة هنا لأنني أشعر أنّ القديس «فرانسيس» لا يُوجّه كتابتي فحسب، بل كلّ جوانب حياتي. لقد كان الوصول إلى كلمات وأفكار هذا الكتاب الجيّد سهلٌ جداً، وقد شعرتُ بنوع إلهي من الطاقة المُسالمة جداً منذ أن قررتُ أنّ هذا سيكون مشروع كتابتي القادم.

في الصباح الباكر ذهبتُ في مشي طويل وحدي في الريف، بعيداً عن كلّ السياح الذين أرادوا أيضاً أن يكونوا قريبين من هذا الرجل المُقدّس الذي عاش هنا قبل ثمانمئة سنة مضت، وترك العديد من الانطباعات الدائمة. لقد قرأتُ عن المُعجزات التي كانت منسوبة إلى هذا الرجل الذي وُلد في «فرانسيسكو دي بيترو دي بيرناردونه»، وأتمنّى أن أكون في طبيعية التأمل في طاقة هذه المدينة الإلهية المحمية على نحو جيد. أشعر بهذه الطاقة معي، كما بدَت في السنة الماضية بينما كنتُ أكتب كلّ يوم.

عندما كنتُ أُفكّر في قبول العرض بأن أكون دليلاً ومُحاضراً أُرافق مجموعةً صغيرة

من الناس في جولة في «آسيسي»، صُنع القرار عندما سمعتُ نفسي أقول لزوجتي: «دعينا نرجع إلى «آسيسي» ونقوم بتأمل معاً في كنيسة Portiuncula Chayxl «بورتيونيكولا» التي زُرناها قبل ستة سنين مضت».

زرنا أنا و«مارسي» هذه المدينة في عام 1994 مع ثلاثة من أطفالنا، ومنذ ذاك الوقت تحدّثنا عن رغبتنا في العودة والقيام بالتأمل معاً في الكنيسة الصغيرة المسماة «بورتيونكولا»، وهي مساحة مُقدّسة تُرحّب بأولئك الذين يسعون إلى سلام التفكير، الجسد، والروح. إنها مُتموضعة الآن داخل كاتدرائية قدّيسة الملائكة «ماري»، مُحاطة بالعمارة الحديثة، مع رسومات جصّية جميلة على الجدران والقباب. لقد أحيت الكنيسة ذكرى الحياة المُذهلة لهذا الرجل الصغير الذي لمس حياة العديد من الناس. لقد فهم «فرانسيسكو» دعوته هنا بوضوح، وأوجد بإلهام إلهي الرهبنة «الفرانسيسكانية»، وهنا عاش ومات.

في ممر منزلنا المُؤدّي إلى غرفة نوم أولادنا، صورة مُعلّقة بإطار جميل لصلاة القدّيس «فرانسيس» التي سُلمت لي باليد من امرأة في أحد مُحاضراتي العامة. لقد صممَت وصنعَت هذه اللوحة وأخبرتني وهي تُسلّمني إياها أنّ رسالة هذه الصلاة ستكون مُهمّة جداً من أجلي. قرأتُها مرّة على الاقل مرة يومياً خلال العقد الماضي. وقد أصبحَت منذ فترة طويلة مُلازمة تماماً للذاكرة:

رَبِّ، اجعلني أداة لسلامك.

حيث يكون الكره، اِجعلني أنثر الحُبّ.

حيث تكون الاصابة، أنثر الصفح.

حيث يكون الشكّ، أنثر الإيمان.

حيث يكون اليأس، أنثر الأمل.

حيث يكون الظلام، أنثر النور.

حيث يكون الحزن، أنثر الفرح.

يا سيدي الإله، اسمح لي ألا أسعى كثيراً كي تُقدّم إليّ المواساة كما أُواسي.

أن أكون مفهوماً، كما أفهم.

أن أكون محبوباً، كما أُحبّ.

لأننا بالعطاء نستقبل.

وبالتسامح يُصفح عنا.

وبالموت نُولد إلى الحياة الأبدية.

آمين.

كلّ مرة أُلقيها أو أقرؤها، أقول لنفسي، إنها ليست صلاة، بل تقنية. إنها عن كونك كيميائياً تُحوّل الكره إلى حبّ، الشكّ إلى ثقة، اليأس إلى أمل، والحزن إلى فرح. في الأشهر الأخيرة أصبحَت هذه الصلاة حيوية حقيقة بالنسبة إليّ، لأنّ كلّ من المقاطع السبعة الأخيرة من الكتاب الذي أُكمله الآن مُعنونة بالأسطر السبعة الأولى من هذه الصلاة. شعرتُ كأنّ القديس «فرانسيس» كان بجانبي يُشجّعني على أن أكتب بلغة عصرية ما كان يُعلّمه سابقاً في القرن الثاني عشر، والقرن الثالث عشر.

دخلنا أنا و«مارسي» إلى كنيسة «بورتيونيكولا» وجلسنا على جانبي الممر، وكُنّا قادرين على أن نُمسك بأيدي بعضنا أثناء تأملنا. لقد شعر كلانا بشيء غريب جداً يحصل. هناك سحابة من الوخزات طوقتنا. أستطيع التنفّس بصعوبة، فالشعور غامرٌ جداً. لقد حدث طفح في بشرتي وكأنّ الطاقة تعبر من خلال جسمي بأكمله. حالما غادرنا هذا المكان المُقدّس نظر كلانا إلى الآخر وكنا غير قادرين على الكلام، وكان كلانا يتحرّك على مستوى الروح.

في اليوم التالي زُرنا «سان داميانو» كي نرى المنزل حيث عاشَت القدّيسة «كلير» وبشّرت على أنها «فرانسيسكانية» مُخلصة، تُؤدّي نذرها في العفة والفقر. صعدتُ الدرج المُلتفّ إلى الطابق الثالث، عندما أخبرني شاب يُدعى «جون غراي بل الثاني» أنه غير قادر على أن يُتابع الصعود، لأنه كان لديه دعامات على ساقيه بسبب مرض ضمور العضلات. كان الدرج ضيّقاً جداً، وكان لا يستطيع مدّ ساقه مسافة بعيدة كفاية إلى أحد الجانبين من أجل أن يقوم بالخطوة التالية إلى الأعلى. إنه عضو من مجموعة جولتنا وهو

يسألني ما الذي عليه فعله، فهو لا يستطيع الصعود ولا يستطيع التراجع.

أخبرتُه أن يضع ذراعيه حول رقبتي، وأنني سأحمله على ظهري. نسيتُ ببساطة أنهم أخبروني أنّ ربع قرن من مُمارسة الركض اليومي والتنس قد سبب التلف لركبتي على نحو كافٍ كي أكون قريباً مُرشحاً لتبديل الركبة. لم أُفكّر في ركبتي التي يحتكّ فيها العظم مع العظم، ولم أُفكّر أنني نسيتُ وضع الدعامة الصغيرة التي أستخدمها من أجل ركبتي.

أخذتُ ثلاث أو أربع خطوات إلى الأعلى مع «جون» على ظهري، مُمسكاً ذراعيه فوق أكتافي، وفجأةً شعرتُ ركبتي تُصبح أضعف فأضعف. أنا على وشك الانهيار مع وزن «جون» ودعاماته على جسمي. شعرتُ بالذعر، فهناك صفّ طويل مُفرد من الناس خلفي. بدأتُ أنزل إلى الأسفل مع «جون» الذي أحمله، وفجأة رأيتُ خيال «فرانسيسكو»، وهو ينظر إليّ مُباشرةً دون أن يقول شيء. وضع كلتا يديه ورفعهما إلى الأعلى مُشيراً إليّ كي أقف. صَحَحتُ نفسي، وفجأةً تفجّرت داخلي طاقة عالية. بدأتُ المشي مع «جون» على ظهري، ثمّ انتقلتُ إلى الهرولة على درجات السُّلّم الدائري. بدأتُ الركض مع طاقة لا تنقطع. شعرتُ بقوّة في ركبتيّ لم أعهدها سابقاً أبداً!.

وصلتُ القمة، حيث كانت زوجتي ومُعظم الباقين من المجموعة السياحية ينتظرون كي نزور غرفة النوم الصغيرة للقديسة «كلير»، والتي صممَتها مُؤسسة أخوات «كلير» لرعاية الفقراء. كانت تعابير الدهشة على وجه «مارسي» واضحة وهي تسألني: «ماذا حدث؟»، أخبرتُها أنني اختبرتُ للتوّ مُعجزة عظيمة، فقد رأيتُ القدّيس «فرانسيس» وهو الذي حرّكني إلى الأعلى.

قالت: «بيد أنّ كلّ شخص آخر كان لاهث الأنفاس عند صعود الدرج، وأنت تركض مع «جون» على ظهرك، مع أنك نسيتَ أن تضع داعم الركبة هذا الصباح!». أخبرتُها أنني لا أستطيع شرح ذلك. أنا مُمتلئ بالطاقة على نحو كامل، وأشعر برجلي وكأنها شُفيت. استأذنتُ من الناس حولي.

مشيتُ إلى حافة الشرفة في الطابق الثالث من هذا الصرح القديم، وضعتُ يديّ معاً، ونظرتُ خارجاً كي أرى إن كنتُ أستطيع النظر مرة أُخرى إلى طيف القديس

«فرانسيس». قبل أسابيع قليلة فقط حُملتُ خارج ملعب التنس لأنّ ركبتي اليمنى تعطّلت، وأخبروني أنني رُبّما أحتاج إلى تبديل الركبة، وأنا الآن أشعر أنها أقوى من ذي قبل!. بينما كنتُ أقرأ صلاة صامتة تعبيراً عن الإمتنان، التقطَت امرأة تُدعى «باتريشيا إيجان» صورة لي وأنا أتكيء على الشُّرفة وأُقدّم الشكر إلى القديس «فرنسيس». أخذتُ بيد زوجتي ومشينا بلا تعب إلى أسفل الدرج اللولبي بعد تلاوة الصلاة في دار القديسة «كلير» المُتواضع هنا في «سان داميانو». مشينا طويلاً في الريف، وقد مشيتُ من غير أيّ ألم في ركبتي للمرة الأولى منذ سنين.

غمرتني السعادة، وشعرتُ بالتواضع كثيراً بعد هذه الزيارة الثانية إلى «آسيسي». كنتُ أقرأ وأتأمّل صلاة القديس «فرانسيس» قرابة عقد من الزمن. وقد أتى الآن إلى حياتي وأظهر نفسه لي ثوانٍ قليلة فقط.

فيما بعد، جلستُ في غرفتي في الفندق، واضعاً اللمسات النهائية على كتاب «There is a spiritual solution to every problem هناك حل روحي لكلّ مُشكلة». عرفتُ أنّ روح هذا الرجل من «آسيسي»، والذي عاش قبل حوالي ثمانمئة سنة مضت هنا في هذه القرية الجميلة في «إيطاليا»، تُوجّه وتقود حياتي بطريقة تتحدّى الوصف. أشعر أنني محبوب على نحو عميق، وأنني مُبارك جداً كي أنال نصيباً من هذه التجربة العجائبية.

منذ أن قمتُ بالنقلة من أجل التركيز على تعليم الروحانية والوعي العالي، كان «فرانسيسكو دي بيترو بيرناردونه»، المُسمّى القدّيس «فرانسيس الآسيسي»، قوّة أساسية في حياتي. لقد امتلك هذا الرجل المُقدّس مكانة فريدة في قلبي بعض الوقت، أعتقد أنها بدأت عندما علّقتُ تلك اللوحة الهدية المطبوعة والمُؤطّرة على نحو جميل من صلاة القدّيس «فرانسيس» على جدار بيتنا. مع مرور الأيام والسنين بعد تعليقها هنا، من المُؤكّد أنني قرأتُ هذه الصلاة آلاف المرات. أنا أؤمن أنّ «فرانسيسكو» لعب نوعاً من الدور الإلهي في وضع تلك الصلاة ذات الإطار في يديّ سابقاً في بداية الثمانينيات.

لقد شاهدتُ كلّ فيلم صُنع عن القديس «فرانسيس»، ولديّ مكتبة صغيرة من الكتب

المكتوبة عنه. قبل بضع سنين كنتُ في حالة مُتدهورة، فرأيتُ نفسي وكأنني في حياة سابقة كنتُ أعيش مثل «أو مع» القديس «فرنسيس». عندما خرجتُ من حالة التنويم كانت لديّ رؤية واضحة حول كيف أعالج تلك الأزمة المُتطوّرة في حياتي، والتي حُلَّت بأكملها خلال دقائق من عودتي إلى اللحظة الحاضرة.

وجدتُ هذا كلّه رائعاً جداً عندما عدتُ بذاكرتي إلى تأثير «فرانسيسكو» في حياتي. لم أنشأ في بيئة كاثوليكية، ولكنني نوعاً ما جُذبتُ على نحو مُذهل إلى قصة حياة هذا الرجل وإخلاصه العميق لإيمانه، جنباً إلى جنب مع ارتباطه الروحي مع «المسيح»، والذي جلب له بصمة مُميزة في آخر سنوات حياته. كان هنالك شيء ما يضع ضغطاً هائلاً عليّ كي أذهب إلى «آسيسي» وأختبره مُباشرة بنفسي. لقد كانت لديّ معرفة داخلية أنّ هذا الرجل وقصة حياته مُرتبطة بطريقة أو أخرى باطنياً في داخلي.

لطالما كنت مُتأثراً بقدرة القديس «فرنسيس» على أن يتحادث بصورة ودّية وسلام وحبّ مع الحيوانات، وخاصة الطيور التي تجتمع بلا خوف أمامه. أحببتُ تعاطفه من أجل كلّ شخص، بمَن فيهم أولئك الذين كان يخشاهم شخصياً، كالمُصابين بمرض الجذام الذين صادقهم. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ «فرانسيسكو» ترقّى إلى ما قدمه «باتانجالي» في حِكمه اليوغية قبل ألف سنة أو أكثر من ولادة هذا القدّيس. قال «باتانجالي» وهو يقصد ألا تنزلق أبداً: «عندما تكون مُخلصاً في منع أفكارك من الأذى المُتّجه نحو الآخرين، سوف تتوقّف كلّ المخلوقات الحية عن الشعور بالعداء في حضورك». بسبب نقاء «فرانسيسكو»، كانت حتى الحيوانات المُفترسة تُصبح أليفة من خلال ثباته. لقد كان بوعي «المسيح» النقي، وكلّ شيء قرأتُه عنه جعلني أُريد أن أكون مثله بعدة طرق إن استطعتُ استجماع شجاعتي.

عندما أنظر إلى الخلف إلى تلك اللحظة عندما شُفيت ركبتي في تلك القلعة في «سان داميانو»، أستطيع أن أرى بوضوح أكبر الآن كيف ولماذا حدث ذلك. في فترة طويلة من الزمن تركتُ الأنا عندي تجعل الأمر غير مُهمّ، مُخبراً نفسي أنّ هذا حدث لي لأنني كنتُ مُعلّماً روحياً معروفاً أُحبُّ «فرانسيسكو»، وهذا الشفاء كان بمثابة هدية لي.

أعرف على نحو أفضل الآن، أنّ المُعلّمين الروحيين يأتون إلينا بالدليل والمُساعدة،

ليس بسبب صلواتنا من أجل تدخلهم، أو بسبب شهرتنا، بل يأتون إلينا عندما يستطيعون تمييز أنفسهم فينا. لقد حدَثت تلك اللحظة عندما وضعتُ الأنا عندي جانباً، مُقدماً المُساعدة إلى رجل ضعيف عفوياً في الحقيقة، من غير أن أُفكّر في المشاكل التي يُمكن أن تنتج عن ذلك. تصرّفتُ بالطريقة التي قد يتصرّف بها أيّ مُعلّم روحي كالقديس «فرانسيس». لقد رأى نفسه كمخلوق من الحبّ غير المُشروط داخلي في تلك اللحظة، فتجلّى وظهر. لقد تمّ الصفح في حضوره عن الاصابة في ركبتي، كما تقول صلاته: «حيث تكون الاصابة، يكون الصفح». تعلّمتُ درساً كبيراً ذاك اليوم في «سان داميانو»، وهو أنّ المُعجزات تحدث عندما نعتقد ونتصرّف كما يفعل الإله. أنا الآن أرى بوضوح أنّ هذا يعني الخدمة من غير تردد، تجاهل مُتطلبات الأنا، وعدم طلب أيّ شيء بالمُقابل.

في السنة التالية كان الكتاب المنشور حديثاً «هناك حلّ روحي لكلّ مُشكلة» مُتوفّراً للعموم مع صورة «باتريشيا إيجان» على الغلاف، بعد تلك اللحظة الأعجوبية. مع التقدير المصحوب بالدموع لكلّ الحكمة التي تحتويها الحياة المُستنيرة روحياً، استمررتُ في الامساك بالكتاب الذي كتبتُه جزئياً في «آسيسي»، استناداً على التعاليم المُستنيرة للرجل الذي نشأ هنا وأصبح قدّيساً فعّالاً قبل موته عام 1226.

قررتُ أن أقوم بجولة واسعة النطاق من أجل ترويج الكتاب كي أُشارك تعاليم «فرانسيسكو» وأُساعد في رفع الوعي في عالمنا المُضطرب. طرتُ عائداً إلى «سان دييغو» كي أبدأ جولة مُدتها ثمانِ أسابيع كان من المُخطط لها أن تبدأ في شهر أيلول. إن برنامج قناة PBS المُستند على تعاليم صلاة القدّيس «فرانسيس» الذي سجلتُه في «كونكورد، ماساتشوستس»، سيُبثّ على الهواء في الوقت نفسه مع جولتي المحلية.

بعد يوم كامل من المُقابلات المُخطط لها في إعلانات «سان دييغو»، استيقظتُ على مُكالمة هاتفية من ابنتي «تريسي» أخبرتني فيها أن أُشغّل الرائي. لقد تمّت مُهاجمة بلادنا، وكانت أبنية مركز التجارة العالمي في «نيويورك» تحت النار وفي خطر الانهيار.

لقد كانت الساعة هي السادسة وربع صباحاً، وكانت النسخة من صحيفة «أمريكا اليوم» تاريخ الحادي عشر من أيلول، 2001، على السجادة في داخل غرفتي في الفندق.

وسط الفوضى الظاهرة على التلفاز، فتحتُ الصحيفة، وكان هنالك إعلان عن كتابي الذي نُشر للتوّ يُغطي ثمانين بالمئة من الصفحة. بالخط العريض كان عنوان رأس الصفحة «هناك حلّ روحيّ لكلّ مُشكلة». فكّرت في سخرية ظهور إعلان بحجم صفحة كاملة تقريباً في صحيفة محلية في هذا اليوم، عندما يبدو أننا في حاجة لأن نستكين في هذه المُشكلة الكبرى التي تُؤثر عاطفياً ليس على بلادنا فقط وإنما على كوكبنا كلّه.

أنظر إلى الوراء وأرى أنّ الاعلان الذي ظهر ذاك اليوم أنّ هناك حلّ روحي لكلّ مُشكلة، لم يكن مُصادفة. ليست هنالك صُدف، ولا مُصادفات، علينا أن نعمل معاً كي نأتي بحلّ روحي بشأن الحقد الذي يُنشأ أحداثاً شريرة مُفعمة بالدناءة. إنّ وحشية الإنسان تجاه الإنسان ستُحلّ فقط عندما نقبل دعوة الحياة وتعاليم القدّيس «فرانسيس الأسيسي» ونعيش على أساسها. أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ تلك المشاعر المُتعذرة على التفسير من الارتباط بهذا الرجل كانت وما تزال تعابير عن مصدر إلهي يسعى لأن يكون معروفاً في عالمنا الآن.

أنا مُمتنّ مع كلّ شهيق وزفير تجاه ركبتي المُتعافية كلّ يوم عندما أُمارس «اليوغا»، أو أسبح في المُحيط، أو أذهب في مسافات مشي طويلة. ابتسمتُ عندما عبر مظهر القديس «فرانسيسكو» على شاشتي الداخلية، وتخيّلتُه هنا يفتح يديه ويدعوني كي أنهض. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ ما حدث لي على نحو فردي قد قُدم للعالم من خلالي.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- إنه صيف عام 2003. أنا في عمر الثانية والستين، وقد دخلتُ فترتي الأولى من الحزن العميق المُمتد. أنام فترات طويلة من الوقت، ولا أبدو أنني أستطيع تحفيز نفسي كي أقوم بالكثير من أيّ شيء، وقد خسرتُ على الأقل خمسة وعشرين باونداً. لا أشعر برغبة في الأكل، وعليّ أن أُجبر نفسي كي أخرج وأُكمل تدريب ركضي اليومي. كان الناس القريبون مني غالباً ما يسألون إذا كان لديّ نوع من المرض لا أُريد التحدّث عنه. أنا أعلم أنني في حالة اكتئاب.

منذ سنتين مضتا عانيتُ من أزمة قلبية خفيفة. لقد أوضح التخطيط القلبي أنه لديّ انسداد بنسبة 99% في أحد الشرايين المُوصلة إلى القلب، وهو جزء من بنيتي الجسدية منذ الولادة. إنّ قلبي قوي، والضرر ضئيل. لقد أُدخلت دعامة إلى الشريان المسدود، وعدتُ إلى تماريني الطبيعية ونمطية العمل بسرعة كبيرة.

أمتلك اليوم قلباً صحياً على حسب ما تُشير إليه الفحوص الطبية، ومع ذلك، أجد قلبي في الحقيقة مُحطمّاً كثيراً بطريقة أُخرى. لقد انفصلنا أنا وزوجتي قبل سنتين تقريباً. إنها مُتورّطة في علاقة مع رجل تُحبّه كثيراً، وأنا على نحو أساسي في حالة صدمة.

لم أتخيّل مُطلقاً أنني في عمر الثانية والستين سأختبر الآثار النفسية للانفصال. لقد مررتُ خلال هذه الطريق سابقاً، وقد ظننتُ أنّ كلّ ذلك كان في الماضي من هذه المرحلة في حياتي. لقد كان لدينا أنا و«مارسيلين» سبع أولاد رائعين، وكنا كلانا نُحبّهم على نحو كبير. ما من خطأ يُمكن تحديده هنا. أنا أتحمّل مسؤولية كاملة عن دوري في

انفصال هذا الزواج. إنّ الأمر فقط أنني لا أستطيع أن أحمل نفسي خارج هذا الذعر. ألحّ عليّ أصدقائي الأطباء أن أتناول مُضادات اكتئاب. عندما كتب لي طبيب عائلتي وصفة أحد هذه الأدوية، مزّقتها إلى أجزاء بعد قراءة الأعراض الجانبية المُحتملة لهذا النوع من العلاج الدوائي.

لقد اهتمّ العديد من أطفالي بشأن صحتي وحاولوا المُساعدة من خلال مُحادثاتهم معي. اقترحوا دائماً بحُبّ: «تبدو مُكتئباً جداً، رُبّما عليك مُحاولة الكتابة كي تجلب لنفسك بعض السلام في التفكير». أنا مُمتنّ بعُمق تجاه اهتمامهم، وفي الوقت ذاته نقوم أنا و«مارسي» بكلّ شيء نستطيع فعله كي نُبقي الأولاد خارج قلق الانفصال هذا الذي يشعر به كلانا.

بعد سنة مضت أو أكثر، مررتُ عبر بضع كلمات، بينما كنتُ أقرأ كتاب «كارلوس كاستانيدا» المُعنون The power of silence «قوّة الصمت» ضربَت على وتر حسّاس في أعماقي. كانت لديّ هذه الجملة منسوخةً ومُغلّفة في بطاقة كي أستطيع حملها معي. في اللحظة التي قرأتُ فيها هذه الكلمات، عرفتُ الاتجاه الذي ستأخذه كتابتي، مع ذلك منعني هذا الطلاق وشبه الانهيار لعائلتنا من التفكير حتّى في الشروع في مشروع ضخم مثل التخطيط وكتابة كتاب بأكمله.

أزلتُ اليوم البطاقة المُغلّفة من جيب قميصي وقرأتُ كلمات «كاستانيدا» بلطف لنفسي: «هناك قوّة في الكون لا يُمكن وصفها ولا قياسها، يدعوها السّحرة النية، وقطعاً كلّ شيء موجود في الكون بأكمله مُرتبط بالنية من خلال رابط اتصال». أنا مفتونٌ بفكرة النية هذه التي ليست شيئاً مُعيناً نقوم به، ولكنها بدلاً عن ذلك طاقة نحن مُتصلون بها.

أرجعتُ البطاقة إلى جيبي الأمامي، مُستشعراً تأثير هذه الكلمات. جميعنا مُرتبطون إلى حقل غير مرئي يفوق الوصف يُدعى النية، وكلّ ما عليّ فعله كي أُشفي نفسي هو تنظيف نفسي من اللامبالاة التي أشعر بها، وسيعود رابطي مع هذا المصدر العظيم المُسمّى النية مرة أخرى على نحو كامل.

بدأتُ أرى أنني كنتُ مُنغمساً في أناي، وأنني امتلأتُ بحُزن عميق لأنني تراجعتُ إلى مرحلة عادية من الوعي. خسرتُ على نحو مُؤقت رابطي مع الإله، ومع المجال الذي

يدعوه «كاستانيدا» النية. لديّ ادراك مُفاجئ. سآخذ بنصيحة أطفالي وأبدأ أكثر شيء أحببته وهو الكتابة. سأُنظّف رابطي الخاص مع النية، وسأكتب كتاباً يُساعد الملايين من الناس على أن يقوموا بالعمل نفسه.

كانت لديّ فكرة عن النية وكأنها شيء ما أقوم به، وسلوك من الإصرار وإرداة لا تُقهر. ولكنني فجأة ميّزتُ أنه تعريف الأنا، التي تحتاج إلى أخذ رصيد من أجل إجراء تغييرات كبيرة في حياة الشخص. أنا أُفكّر الآن في النية كمجال أنا على صلة دائمة به ولو على شكل صلة مُتآكلة. اتصلتُ بـ «رايد تريسي» في دار نشر «هاي هاوس» وأخبرتُه أنني سأُولّف كتاباً عن قوّة النية، مُستنداً على الأفكار التي على البطاقة المُغلّفة التي كنتُ أحملها معي دائماً.

أمضيتُ الجزء الأكبر من السنة التالية أكتب كلّ يوم، ومع الوقت خرجتُ من الحزن الذي طوّقني في السنتين الماضيتين. وجدتُ أنّ حالة اكتئابي بسبب حالتي الزوجية الجديدة «مُنفصل» غيّرت تركيبة كتابتي. لديّ تعاطف أكبر مع نفسي التي تقوم بنشاط يجعلني أشعر أنني ذو هدف، وهو الكتابة. هذا التعاطف انعكس فيما كتبتُ، إذ بدأتْ كتابتي تتدفّق بطريقة جديدة كُليّاً بالنسبة إليّ.

لديّ إطار صورة صغير على مكتبي أنظر إليه كلّ يوم بينما أبدأ الكتابة. يقول:

صباح الخير،

هذا الإله.

سأقوم بمُعالجة كلّ مشاكلك اليوم.

لن أحتاج مُساعدتك، لذلك اقضِ يوماً رائعاً.

أشعر أنّ وجود الإله «حقل النية، إن شئت» هو مَن يقوم بالكتابة هنا. أدركتُ أنّ ألم انفصالي عن زوجتي جعلني بالفعل كاتباً مُتعاطفاً وأكثر حناناً. لاحظتُ أنّ مُحاضراتي العامة أصبحت أكثر ليونة، وأنها مُرتبطة باللطف والحُبّ أكثر من كونها بارعة، ورُبّما حتّى قاسية على القلب. إنّ قلبي المُحطّم يتعافى، وعلاقتي بـ«مارسي» وحبّها الجديد تحسّنَت على نحو كبير.

حتى الربيع التالي، مرّت ثلاث سنين منذ صدمة الانفصال، وقد أصبح كتابي الأحدث The Power of Intention «قوّة النية»، على وشك الانطلاق. اتصلت بـ «نيكي فيتل»، كي تكون المُنتجة المُنفذة لبرنامجي الجديد على PBS كي يُصوّر في جامعة «إميرسون» في «بوسطن».

عندما حملتُ كتاب «قوّة النية» في يدي، كان لديّ وعي مُتناقض بأنّ حزني الداخلي العميق هو الذي سمح لي أن أكتب من مكان جديد من التعاطف والرحمة. أعتبر أنني حقيقة كنتُ أحتاج أن أذهب إلى النقطة الأدنى في حياتي من أجل أن أتقدّم إلى المرحلة التالية من مُهمتي الإلهية الخاصة. لا تُوجد مُصادفات هنا، أدركتُ ذلك. احتجتُ إلى هذه الصدمة من أجل أن أفهم وأكتب هذا الكتاب الروحي للغاية حول تعليم كيف تُشارك في خلق حياة الإنسان الخاصة.

النية ليست شيئاً قمتُ به أنا، حتى في تأليف هذا الكتاب. إنّه جهد مُشترك مع مصدر خلق كلّ شيء، والذي يدعوه السّحرة الكبار **النية**. عرفتُ أنّ **النية** ليست شيئاً أقوم به بسبب العزم الصارم على تحقيق شيء، بل إنها ما يحدث عندما أُنظّف العناصر التالفة من رابط الاتصال مع حقل النية، وهنا تبدأ النية بالتأثير والمُشاركة. علمتُ وأنا أحمل هذا الكتاب بين يديّ أنّ الإله يكتب كلّ الكتب، ويبني كلّ الجسور، ويُلقي كل الخطابات. بإمكاني أن أُصبح رابطاً خالياً من التآكل والتلف يصل إلى مصدر خلق كلّ شيء، ويتّصل مع الحقل الذي أعدّت منه كلّ الأشياء.

في الوقت الذي انفصلنا فيه أنا وزوجتي، بعد عشرين سنة من العيش معاً، وضمن عملية تربية وتنشئة سبعة أطفال معاً، اعتقدتُ أنّ عالمي قد وصل إلى النهاية. على الرغم من كلّ تدريبي وتجارب حياتي، وكتبي العديدة عن تقوية الذات، فقد تركني التأثير العاطفي لانفصالنا أمنح القوّة والسلطة لأيّ شيء. مع ذلك عندما أنظر إلى أهمية هذا الحدث من بعيد، أستطيع أن أرى بوضوح أنّ هذه الواقعة المؤلمة رفعتني إلى الأعلى كي أُصبح شخصاً رحيماً وواعياً على المستوى الروحي. فعلياً كلّ التطورات الروحية التي نقوم بها في حياتنا تُسبق بنوع من السقوط. ذاك السقوط من العيش في وسط الكآبة والحزن أجبرني على اكتشاف طريقة كي أخرج وأصل إلى الأعلى.

عندما أنظر إلى الوراء إلى انفصالنا، والذي استمرّ إلى اليوم، على الرغم من أننا لم نصل أبداً إلى دعوى الطلاق النهائي، أعتبره هدية أُعبّر عن امتناني تجاهها كلّ يوم. أنا و«مارسي» أقرب الآن ممّا كنا عليه في السابق. جميع أطفالنا يشعرون الحبّ الذي يشعر به كلانا نحو كلّ واحد منهم. نحن نُمضي وقتاً معاً كعائلة على نحو مُتكرر، وليس هنالك سوى الاحترام والحبّ بيننا.

الكتاب الذي كتبتُه بينما كنتُ أشعر بإكتئاب شديد من انفصالنا كان إلى حدّ بعيد الكتاب الأكثر قبولاً منذ أن كتبتُ «مناطقك الخاطئة» قبل ثمان وعشرين سنة مضت. لقد استلمتُ رسائل الكترونية، أخبرني فيها الكثير من الناس كيف أثر بهم كتاب **قوّة النية** وغيّر حياتهم إلى الأفضل، أكثر ممّا حصلتُ عليه في الواحد والأربعين كتاباً التي ألّفتُها منذ عام 1971. قال الناس لي: «هناك شيء في الطريقة التي وصفتَ بها النية خاطبني فعلاً، وغيّر حياتي حقيقة».

كتبتُ هذا الكتاب من مكان التواضع الفطري، ممّا جعل الرحمة فعلياً تتسرب إلى كلّ صفحة. لقد أجبرني سقوطي الخاص على الصعود إلى الأعلى، والكتابة من مكان أقرب بكثير إلى إدراك الإله، ومن مكان حيث بإمكاني الحصول على تعاطف عبقري مع كلّ شخص يُريد أن يُنظّف رابط اتصاله مع مصدر الخلق الإلهي من التآكل الذي يجعله يعيش في مستويات عادية من الوعي.

إنّ البرنامج التلفزيوني الذي سجلته كدعاية خاصة لكتاب «قوّة النية» كان البرنامج الأنجح الذي قمتُ به حتى الآن، في زيادة أموال التبرعات في صالح قناة PBS. لقد تردد صدى الأفكار في المُحاضرة المأخوذة من كتابي، عند الجماهير عبر البلاد. عُرض البرنامج على الهواء مئات المرات، وعلى نحو مُتكرر في الوقت الرئيس. من الواضح أنّ الخراب والاكتئاب الذي مررتُ به عندما كتبتُ قد أثر في ملايين الناس بطريقة إيجابية. لو لم تكن لديّ فرصة المرور عبر هذا الحزن، والكتابة عن طريقي في الخروج منه، لما كان هذا الكتاب رأى النور.

بدأتُ أفهم أنني يجب دائماً أن أُكافح كي أبقى في حال امتنان، وليس تجاه الأشياء اللطيفة التي ظهرَت ببساطة فقط، وإنما أيضاً تجاه الأشياء التي تبدو مُدمّرة جداً. إنه درس

صعب، ولكنه درس أُطبقّه باستمرار الآن منذ أن رأيتُ التطوّرات الروحية الكبيرة التي كنتُ قادراً على صنعها على الرغم ممّا فكرتُ فيه في وقت ما على أنه نهاية سعادتي.

في اليوم الذي قررتُ فيه أنني سأقوم بتأليف كتاب مُستند إلى مقولة صغيرة من تعاليم «كارلوس كاستانيدا»، والتي كنتُ أحملها معي في جيبي مُدّة أكثر من سنة، تلقيتُ رسالة من مُعلّمي الروحي «شري غوروجي». لقد سمع هذا الرجل الذي كان مسؤولاً عن تعليمي تأمل «جابا» قبل عقد مضى، عن انفصالي وكآبتي اللاحقة، وأرسل لي رسالة من جملة واحدة، بقيت مُعلّقة على جدار مساحتي للكتابة المُقدّسة إلى هذا اليوم. تقول العبارة: «عزيزي «واين»: إنّ الشمس تُشرق خلف الغيوم».

كانت تلك الشعلة هي التي جعلتني أتوقّف عن الانشغال في جزء الشفقة الخاصة بي، وأُتابع رسالتي الروحية الخاصة. تُمثل الغيوم كلّ ما يُسمّى المشاكل أو جزء منها والتي هي مُتعددة الوجود في كلّ حياتنا. إنّ الشمس خلف الغيوم هي الإله أو حقل النية، أو العقل الإلهي. كلّ ما احتجتُ أن أقوم به هو أن أُبعد تلك الغيوم، حيث تُشرق الشمس بلمعان، أستطيع الآن أن أرى بوضوح مصدر وجودي، بينما ما زالَت كلمات صديقتي الراحلة «إليزابيث كابلر روس» ترنّ بالحقيقة لي عندما أكتب اليوم: «عندما تحمي صخور الأخاديد من العواصف، فلن ترى جمال المنحوتات».

إنّ أكثر الأوقات حزناً وصعوبة في حياتي على نحو أساسي سمح لي أن أكتب كتاباً قوياً وأن أُنتج برنامجاً مُذهلاً كان الأكثر تأثيراً في قناة PBS، وقد أثر كلاهما في حياة الملايين من الناس. كانت تلك العاصفة في حياتي مسؤولة عن الكثير من التطوّرات الروحية المُنتقاة، وقادَت حياتي في اتجاه جديد على الكثير من الجبهات التي تُوسّع الطريق خلف شخصيتي العامة.

كلّما نظرتُ إلى الخلف، أشعر بحال عميقة من الامتنان تجاه كلّ العواصف في حياتي، وخاصة تجاه ذاك الإعصار من الفئة الخامسة الذي ظهر كي يُبقيني على مسار تعليم وعيش الحبّ الإلهي والوعي الأعلى.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- لقد أنهيتُ للتوّ مُحاضرة في مدينة «نيويورك» أمام بضعة آلاف من الناس في مؤتمر معهد «أوميغا» في الثالث من نيسان عام 2005. وقفتُ خارج قاعة الفندق مُحاطاً بأناس يبحثون عن التقاط الصور والتوقيع الشخصي. بينما أنظر، وقعَت عيناي على امرأة افريقية خلف دائرة الناس حولي. أُخِذتُ مُباشرة بحقيقة أنها بدت تُشعّ بطاقة روحية عالية، إنها ملاك تقريباً.

بينما بدأ ازدحام الناس يتقلّص، اقتربتُ من هذه المرأة وسألتها: «من أين أنتِ؟». أجابت بلكنة إنكليزية مُكسّرة جداً: «أنا من رواندا».

في الليلة التي قبلها في غرفة فندقي كنت قد شاهدت فيلم «فندق رواندا». سألتُها إن كانت على دراية بما حدث في ذلك الشعب الإفريقي عام 1994. أجابت صديقتها التي ساعدَتها في الترجمة: «نعم، د.»داير». لقد كانت هناك، وكانت محبوسة في حمام مُدّة تسعين يوماً مع سبعة أُخريات من النساء، وتُعتبر قصة كيف نجَت من الإبادة هي احدى أكثر القصص إلهاماً في الشجاعة والثقة والتي يُمكن للشخص أن يسمع عنها في حياته».

طلبتُ من المرأة الرواندية أن تكتب اسمها وعناوين بريدها الإلكترونية مع ابنتي «سكاي»، التي كانت تقف جانبي. أُريد أن أعرف المزيد عن هذه الإنسانة المُدهشة التي جذبتني طاقتها المُشعّة الإلهية تقريباً من أول لحظة وضعتُ عينيّ عليها. مرّ أسبوع وطلبتُ من «سكاي» أن تُرسل لها رسالة إلكترونية تطلب منها الاتصال بي في «ماوي»،

حيث كنتُ أضع اللمسات النهائية على كتاب جديد بعنوان Inspiration «الإلهام».

ما زلتُ لا أعرف اسم هذه المرأة المُلفتة للنظر، ولكنّ شيئاً ما داخلي سيطر واستبدل كلّ المنطق. لديّ معرفة فورية أننا سنذهب إلى العمل معاً في المُهمّة نفسها. أشعر بحاجة قوية لأن أستدعي «رايد ترايسي» وأخبره: «لقد التقيتُ للتوّ بامرأة رائعة لديها قصة مُذهلة يجب أن تُقال. أُريدك أن تنشرها في كتاب لم يُكتب بعد، وسوف أستضيفها في برنامجي القادم على قناة PBS كي أُقدمها إلى العالم». أخبرني «رايد» أنه سيكون سعيداً بأن ينشر قصتها وسيجد شخصاً ما كي يعمل معها حيث أنّ الإنكليزية هي لغتها الثالثة.

استملتُ مُؤخّراً بريداً من «سكاي» تُخبرني فيه أنها قد وجدت السيدة من «رواندا». التقطتُ السمّاعة، وتحدّثنا أنا و«إماكيولاي يولي بيغيزا» في مُدّة بضع ساعات التالية. لقد سردَت لي قصة النجاة الأغرب التي سمعتُها في حياتي.

من المُقدّر أنّ أكثر من مليون رجل، وامرأة، وطفل قد ذُبحوا بالخناجر في هذه البلدة الصغيرة التي هي بحجم ولاية «ميريلاند». عاشت قبائل «هوتو» و«توتسي» جنباً إلى جنب في البلدة التي كانت آمنة ذات يوم، بيد أنّ المعركة اندلعَت عندما قُتل رئيس «رواندا» فأعلنَت قبيلة «هوتو» أنها ستضع «حلاً نهائياً» لقبيلة «توتسي».

اختبأت «إماكيولاي» في حمام ضيّق مع سبع نساء أُخريات مُدّة تسعين يوماً متتالياً. أثناء ذاك الكابوس المظلم من القتل بلا هوادة، نزل وزنها حتى خمس وستين باونداً، وقد ذُبح كلّ من والديها واثنين من إخوتها جميعهم بلا رحمة. مع ذلك نجحَت في أن تبقى على قيد الحياة.

منذ اللحظة الأولى التي التقينا فيها، عرفتُ بوميض البصيرة المُطلق أنني كنتُ في حضور امرأة مُقدّسة على نحو فريد. لقد أعطتني مُحادثاتنا الطويلة منظوراً جديداً بأكمله عن قوّة الثقة، وعرفتُ أنّه لدى «إماكيولاي» رسالة إلى كلّ البشرية. يجب أن تروى قصتها، وقد دفعني شيء عميق داخلي إلى جعل هذا يحدث. طلبتُ منها أن تُسمّي الكتاب Left to Tell «غادرَت كي تروي»، وأخبرتُها أنني سأعتبر شرفاً لي أن أكتب مُقدمة كتابها عندما يكتمل.

التزمتُ بفعل كلّ شيء بإمكاني القيام به من أجل جلب قصة هذه المرأة البطولية إلى العالم. اتصلتُ بـ «نيكي فيتل» وأعلمتُها أنني أريد أن أُقدّم «إماكيولاي» إلى الشعب الأمريكي في برنامجي عن الإلهام على قناة PBS، والذي سيُسجّل في تشرين الثاني في «سان فرانسيسكو». سألتُ «إماكيولاي» أن تُبقي جدول أعمالها واضحاً في السنتين أو الثلاث سنوات القادمة لأنني أردتُها أن تتحدّث في كلّ مُحاضرة من مُحاضراتي العامة.

كلّما سمعتُ تفاصيل أكثر عن محنة «إماكيولاي» في مجزرة «رواندا» عام 1994، ازداد تصديقي أنني أتحدّث إلى إنسانة حققَت مرحلة غير عادية من التنوير والوعي الأعلى. عندما كانت تتحدّث على طاولة العشاء، كان جميع الحاضرين تقريباً ينجذبون مغناطيسياً إليها. هنالك شيء ما أكثر من الجاذبية يعمل هنا. لا تتحدّث «إماكيولاي» فقط عن الحبّ غير المشروط، بل تبثه إلى كلّ شخص، حتى تجاه قبيلة «هوتو» الذين كانوا مسؤولين عن الجرائم المُروّعة بحقّ عائلتها بأكملها في «رواندا». إنها تعيش في مرحلة سامية من الوعي الروحي، وأنا سعيد بأن أكون قادراً على أن أقوم بكلّ ما أستطيعه كي أُقدّم هذه المرأة غير العادية وقصتها إلى العالم.

إنه الأول من شهر تشرين الأول، وسأقوم بتسجيل برنامج جديد لقناة PBS مدته أربعين يوماً بدءاً من الآن. تعمل «إماكيولاي» يومياً على كتابها، وهي متوترة جداً بشأن التحدّث على التلفاز للمرة الأولى بسبب اعتبارات تتعلّق بمقدرتها اللغوية.

لقد انغمستُ في التحديات التي لا تُصدّق التي قاستها هذه المرأة في تصميمها على البقاء، عندما نجَت حفنة صغيرة فقط من قبيلة «توتسي» من حمام الدم الذي دام مئة يوم، وخلّف الكثير من الجثث المُتناثرة في تلك البلدة الريفية سابقاً في وسط «إفريقيا».

تُعتبر «إماكولاي» من الكاثوليكيات الورعات، فبينما كانت على بعد إنشات فقط من تقطيعها حتى الموت، استعملت ثقتها بـ«المسيح» كي تبقى على قيد الحياة: في الحقيقة، إنها تقول إنها اكتشفت الإله حقيقة في خضم إثبات وحشية الإنسان البغيضة تجاه الإنسان.

أشعر أنني مُلهم كي أتغلّب على نفسي ببساطة، كي أحصل ولو على تفهّم صغير

لصعوبة الصراع الذي اختبرته «إماكيولاي». إنّ «المسيح»، الذي أحبّه كلانا أنا و«إماكولاي» حُبّاً غير مشروط، أمضى أربعين يوماً في الصحراء في بداية تعاليمه الدينية إلى العموم. كانت تلك فترة الاختبار والتحضير بالنسبة إليه. اليوم، سآخذ حصتي الأولى من صف «بيكرام يوغا» وهي تسعون دقيقة من تدريب «اليوغا» المُكثفة في غرفة بحرارة الصحراء حوالي أربعين درجة مئوية. إنها تتلاشى في الأهمية أمام ما اختبره «المسيح» و«إماكيولاي»، ولكنني في عمر الخامسة والستين، أختار أن أختبر وأُحضّر نفسي كذلك. أنا مُلتزم باجراء أربعين يوماً على التوالي من هذه التقنية. إنّ كلمة «يوغا» تعني «الاتحاد»، والذي هو الاتحاد مع الإله، مصدر وجودنا المُبدع. أمّا كلمة إلهام فتعني «روح الداخل». إنّ الطريق هي تجربة الاتحاد مع مصدرنا الروحي والبقاء كروح في الداخل. بدا كلّ الأمر منطقياً تماماً بالنسبة إلي.

عندما اصطحبتُ «إماكيولاي» إلى صف «بيكرام يوغا»، أخبرتني على سبيل المزاح أنّ صفّ «اليوغا» كان أصعب من العيش في حمام صغير مع سبع نساء أُخريات. مع ذلك في العاشر من تشرين الأول أتممتُ أربعين درساً من دروس «اليوغا» الحارة المُتتابعة، وأنا الآن مُمارس «يوغا» مُلتزم. سأُمارس هذه العادة الروحية القديمة بقية حياتي. لقد جعلتني دروس الأربعين يوماً المُتتالية أشعر وكأنّه بإمكاني إنجاز أيّ شيء.

في أثناء برنامجي التلفزيوني المُستمرّ مُدّة ثلاث ساعات على محطة PBS، اصطحبتُ معي «إماكيولاي» إلى المنصة. على الرغم من أنّ لغتها تُشكّل حاجزاً نوعاً ما، ولكنها أبهرَت الجمهور على نحو كامل وتلقّت تصفيقاً مع وقفة احترام. كلّ شخص رآها كانت لديه ردة الفعل نفسها التي كانت لديّ من اللحظة الأولى التي التقَت عيناي بعينيها فقط قبل سبعة أشهر مضت. أنا فخورٌ جداً بأن أمتلك مُشاركتها على المنصة وإلقاء الأضواء عليها معي. بإمكاني الكتابة عن الإلهام كلّ اليوم، بيد أنّ هذه المرأة من خلال حُبّها غير المشروط ومُسامحتها هي مثال حيّ يتنفّس عما يعنيه العيش في الروح.

سريعاً وصولاً إلى يوم الاثنين، السادس من آذار، 2006. أصبح الإعلان الجديد لقناة PBS هو Inspiration your ultimake calling «الإلهام : نداؤك المُطلق»، وقد عُرض في الوقت الرئيس افتراضياً في كلّ مدينة في «أمريكا» تمتلك محطات

تلفزيونية عمومية. من المُخطط أن يُبثّ البرنامج على الهواء عدة آلاف من المرات في هذا الشهر وحده. إنّ «إماكيولاي» هي نجاح كبير في أنحاء البلاد، ولم تترك قصتها عن الإيمان والبقاء أحداً دون أن تُؤثر به.

كنتُ على الهاتف معها بينما كانت تُحدّق في شاشة حاسوبها كي ترى أنّ أكثر كتابين مبيعاً في البلاد هما «الإلهام» و«غادرَت كي تُخبر». في الأسبوع التالي، أصبحت «إماكيولاي إيلاباغيزا» هي المُؤلفة الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز». أنا أكثر من مُبتهج. لقد تشرّفتُ بأن تظهر هذه المخلوقة المُقدّسة في حياتي، وتُعلّمني القوّة المُبهمة للإيمان والحبّ الإلهي في الإنسان.

سافرَت «إماكيولاي» معي إلى كلّ اجتماع تحدّثتُ فيه مُدّة سنتين ونصف، وحيثما ذهبنا كان الجمهور يقع في حبها. عندما أعود بذاكرتي إلى التأثير الذي كان لها عليّ، أرى مُباشرة صور كلّ من الأم «تيريزا» و«فيكتور فرانكل». لقد كان لديها التأثير نفسه على الجمهور الذي كان لدى الأم «تيريزا»، فقد كانت الغرفة تُصبح أكثر لطفاً عندما تتحدّث «إماكيولاي». لقد امتلكت نوعية القدرة نفسها على أن تجعل كلّ شخص في سلام أكثر، وكأنها تُشعّ إلى الخارج بنوع من الغشاوة الملائكية التي تُحيط بكلّ شخص يتواصل معها.

كان «فيكتور فرانكل» أيضاً ناجٍ من المحرقة، وكان إصراره على النجاة من مُعسكرات الإبادة النازية مدعوماً برغبته الملحّة في أن يُخبر قصته إلى العالم. لقد كان أيضاً من المُشرّف للدكتور «فرانكل» أنني طلبتُ من «إماكيولاي» أن يكون عنوان كتابها هو «غادرَت كي تُخبر». إنّ حقيقة كون امرأة من قبيلة «توتسي» قادرة على النجاة من تلك الأيام المئة من ثورة المنجل ضدّ كلّ فرد من قبيلتها كان مُعجزة في حدّ ذاته. لقد شعرَتْ حقيقة أنه كان من واجبها أن تُخبر كلّ تفصيل من محنتها المُروّعة.

إنّ وجود «إماكيولاي» في حياتي في ذلك الوقت كان أيضاً من تلك الأحداث المُرتبة من قِبل قوّة إلهية. كان هنالك رابط روحي لا يُمكن تعريفه تواجد بيننا من اللحظة الأولى التي التقَت فيها أعيننا. كان التدخل الإلهي يعمل، ولذلك «حدث» أن تكون «إماكيولاي» في ذاك الفندق في ذاك اليوم، وكانت فضولية كفاية كي تبقى وتُراقب

توقيع الكتاب من قِبل مُؤلِّف لم تسمع عنه من قبل. لم يسبق لي من قبل أو منذ ذلك الحين أن كنتُ مُتملكاً جداً بهذه الطريقة التي جعلتني أتصرّف وفقاً لشعوري الداخلي. يجب أن أعرفها. يجب أن أُساعدها كي تُصبح معروفة للعموم. يجب أن أضعها في برنامجي التلفزيوني. يجب أن أدعها تُسافر معي، كي يستطيع العالم أن يرى مُعجزة حقيقية في هذه القدّيسة كما أرى.

ما أستطيع رؤيته بوضوح الآن هو أنّ «إماكيولاي» كانت مُوجّهة إلى حياتي كي تجعلني أرى، على نحو شخصي وعلى نحو أقرب، مثالاً حيّاً يتنفّس عمّا بإمكاننا جميعاً إنجازه عندما نذهب إلى الداخل ونستسلم إلى القوّة الإلهية. لقد أصبحَتْ واحداً مع الإله أثناء حبسها في ذلك الحمام. لقد عرفَتْ أنّ الإله كان معها، عندما شاهدَت بالفعل إشارة من الضوء منعتها ورفيقاتها من موت مُحتمّ، وبدأت ملائكة الحبّ والرحمة تخرج من اللامكان كلّما كثفَت تواصلها مع الإله. أثناء الاختباء في الحمام، كانت «إماكيولاي» تعي ثورة القتل التي تجري في بلدها ضد مثلائها من قبيلة «توتسي»، لأنه كان بإمكانها سماع البث الإذاعي خارج نافذه حمامها. مع ذلك، وفي خضم هذا الانتهاك الشنيع، كانت قادرة على أن تُسامح جلاديها وحتى أن تُرسل لهم الحبّ.

لقد جلبت «إماكيولاي» شعوراً جديداً كاملاً من إمكانيات المُعجزات التي تحدث عندما يكون الشخص على محاذاة مئة بالمئة مع مصدر وجوده أو وجودها. لقد أتت رغبتي المُلحة تقريباً في أن أجدها من مصدر إلهي ، وكذلك رغبتي في أن أُساعدها كي تنشر قصتها، وأكتب مُقدّمة كتابها، وأستضيفها في إعلان قناة PBS، وأصطحبها معي أكثر من سنتين خلال اجتماعات التحدّث، كلّها أتت من مصدر إلهي. لقد كانت أيضاً مسؤولة كُلياً عن تحفيزي كي أحترف مُمارسة «اليوغا»، التي كنتُ في حاجة ماسّة إليها، والتي لا أزال أقوم بها بانتظام كجزء أساسي من مُمارستي الروحية الخاصة.

إنّ رواية «غادرت كي تروي» هو أحد أفضل الكتب مبيعاً التي نشرتها دار «هاي هاوس» حتى الآن، بينما استمرّت رسالة «إماكيولاي من الأمل، الحُبّ غير المشروط، التسامح، والإيمان النقي، كي تُؤثر في ملايين الناس حول العالم.

علّقت على جداري هذه المُلاحظة المُختصرة:

«واين» العزيز:

أنت أكثر الناس جمالاً في العالم بأسره! أُحبّك من كلّ قلبي. أستطيع فقط أن أُصلّي من أجل أن يردّ لك الإله ما أعطيتَ من فرح وبركات آلاف الأضعاف. لو عرفتَ فقط مدى البركة التي أشعر بها لأنني عرفتُك. كان عليّ أن أكتب هذا لأنني لم أكن جادةً كفاية في التعبير عن مشاعري».

أُقدّر هذه الملاحظة، وكلّ ما أستطيع قوله هو أنه بإمكاني كتابتها بنفسي وتوجيهها إلى تلك الروح الجميلة التي «غادرَت كي تُخبر قصتها»، أعيد هذه الكلمات إلى «إماكيولاي».



ـ إنه الحادي عشر من أيار، 2005، في اليوم التالي من عيد ميلادي الخامس والستين. إنه العمر التقليدي الذي يُفترض أن أتقاعد فيه، وأمضي بقية أيامي في جوّ مثالي مُستمعاً إلى الطيور مُتفكّراً في نفسي. من المُفترض أنّ عملي الآن قد اكتمل. لا أستطيع حتى التفكّر في مبدأ التقاعد! أتقاعد إلى ماذا؟ أتقاعد من ماذا؟.

أشعر بدفعة داخلية قوية كي أقوم بتغيير هامّ في حياتي، وهو أمر لم أشعر به من قبل. عندما أنظر حولي إلى جبل الأشياء التي كدستها، أشعر بغرابة أنّ كلّ تلك الأشياء حقاً تعود إليّ. إنه شعور فارغ، وأشعر أنني مُحاصرٌ به. إن اخترت التحرّك، كيف بإمكاني أخذ كلّ هذه الأشياء من هنا إلى حيث أُريد الذهاب؟ جلستُ على كرسي الجلد الأزرق حيث أمضيتُ ساعات لا حصر لها أتأمل في السنوات العديدة الماضية، وطلبتُ التوجيه والهداية.

لدي نداء كي أقوم بأمر كبير جداً، شيء ما يتحداني أكثر من أيّ تحد سابق. أُفكّر باستمرار في «إماكيولاي» التي عزت نجاتها إلى إيمانها، واتصالها الواعي مع الإله، وكيف تحمّلت المُعاناة الجسدية والعاطفية أكثر ممّا يستطيع أيّ شخص تخيّله. أعرف أنني لم أُنادى كي أُعاني كما كان قدر «إماكيولاي»، بيد أنني أشعر بإحساس لا يُمكن كبته أنّه الوقت المُناسب كي أقوم بتغيير ضخم في حياتي.

لقد بقيتُ في السنوات الأربع الماضية في «فلوريدا» وخارجها، ولا أزال مُنفصلاً عن زوجتي. أنا لستُ سعيداً أو بصحة جيدة كي أبقى قريباً جداً، وأعلم أنه الوقت

المناسب كي أبدأ الكتابة مُجدداً. بينما أجلس على كرسيي الأزرق مُتأملاً، لاحظتُ شكلاً مألوفاً يتحرّك على نحو مُتكرر عبر شاشتي الداخلية التي تُثير أفكاراً عن إعادة قراءتي لتعاليم «تاو تي تشينغ»، وهي واحد وثمانون بيت شعر قصير، تُقدّم يقظة روحية إلى أولئك الذين درسوا وعاشوا حسب تعاليمها.

قُدم لي النص الروحي الذي يبلغ من القدم ألفين وخمسمئة سنة عن طريق صديقي « ستيوارت وايلد» منذ أكثر من عقد مضى. بيد أنّ «التاو» ظهر على بساط البحث عندي بعد ذلك بوقت طويل وكنتُ أُدرك ذلك. أكملتُ للتوّ قراءة كتاب A Million Little Pieces «مليون قطعة صغيرة» للمؤلف «جيمس فراي»، والذي يحتوي على «التاو تي تشينغ» على نحو أساسي. بينما قمتُ في «لاس فيغاس» في محفل تحدّث بالانضمام إلى أصدقاء في مطعم «التاو»، حيث كان الديكور بأكمله، بما في ذلك قائمة الطعام، ضمن نمط «التاو»، تذكّرتُ أيضاً عندما أخبرني «ستيورات» عن مدى الحكمة المُتضمّنة في ذاك الكتاب الصغير، وكيف شجّعني على أن أدرسه بعُمق، وأخبرني على نحو مُتكرر أنّ هذا الكتاب هو الأكثر حكمة ممّا كُتب على الإطلاق.

أرى الآن رجلاً عجوزاً بمظهر آسيوي، يُخبرني أنني دُعيت كي أبدأ العيش حسب تعاليم «التاو تي تشينغ»، وأنّ هذا سيُعيد بعضاً من صحتي الضائعة وسعادتي. خرجتُ من تأملي العميق، ولديّ يقين بما يجب عليّ فعله.

تذكّرتُ كيف أنّ صديقي ومُعلّمي المجنون والهمجي «ستيورات» أخبرني ذات مرة كيف ترك كلّ شيء امتلكه خلفه فقط عن طريق إغلاق الباب والابتعاد عنه. لقد فكّرتُ سنوات في المُفارقة الكامنة في مثل هذا المشهد. إنّ ترك كلّ شيء يبدو نهائياً جداً، بالإضافة إلى ذلك هناك تعلّق بالأشياء المُتراكمة عبر الحياة. من جهة أخرى، هناك نوع من الحرية في عدم وجود شيء يُعيقك عن أن تنتقل نحو عدم الارتباط، وأن تكون حراً كما تلك الطيور التي من المُفترض أن أستمع إليها الآن بما أنني في سنّ التقاعد. أشعر وكأنني توجّهتُ كي أقوم بهذه النقلة كي أتخلّص من كلّ شيء.

التقطتُ سمّاعة الهاتف واتصلتُ بمُساعدتي الشخصية «مايا»، التي عملَت عندي ومعي منذ أكثر من ربع قرن. أخبرتُها أن تقود إلى حديقة شقتي، التي كانت بمثابة مكتبي

ومساحة من أجل كتابتي مُدّة أكثر من ثلاثة عقود. حالما صعدَتْ إلى الممشى، سلّمتُها المفتاح وقلتُ: «أريدكِ أن تتخلّصي من كلّ شيء أمتلكه، ثمّ أريدك أن تعرضي هذا المكان للبيع».

كانت «مايا» في صدمة. أخبرتني أنه لا بُدّ أنّ هناك عشرين ألف كتاب!، ما الذي ستفعله هي بكلّ هذا الأثاث؟ ملابسي؟ أحذيتي؟ لوحات ذكرياتي على الجدارن؟ الصور؟ جبل من سجلات الضرائب القديمة والأوراق الشخصية؟ أخبرتها: «هاك المفتاح: أنا انتهيتُ من هذا المكان. سأُخبر أطفالي أنّ لديهم أفضلية في أخذ كلّ شيء موجود هنا. تخلّصي من بقية الأشياء. أعطِ كلّ شيء».

حاولَت أن تتحدّث إليّ بالمنطق، بيد أنني عنيد. أنا أتخلّص من جميع تعلقاتي وأتوجّه إلى مكان كتابتي في «ماوي». لقد دُعيت كي أقوم بشيء يتعلّق بتعاليم «تاو تي تشينغ». لستُ مُتأكّداً ما هو، ولكنني أعرف أنني أُخبرت أن أرحل، وأدع الإله يتولّى الأمر.

رحلتُ عن كلّ شيء. إنّ «مايا» مسؤولة عن كلّ أشيائي، وأنا أشعر بشعور قوي وعلى نحو لا يُصدق من الراحة والروعة البسيطة. أتذكّر كيف شعرتُ عندما أخبرني «ستيوارت» أنه ترك كلّ شيء خلفه، فقد كان هناك انفعال في تجويف معدتي، وها أنا أفعل بدقة الشيء نفسه.

في أوقات مُختلفة أثناء الانتقال فكّرتُ في أشياء قد أحتاجها فعلاً. ليست لديّ حتى نسخة عن أطروحة الدكتوراه. لا بأس، فأنا لم أنظر إليها ولا مرة خلال الخمسة وثلاثين سنة الماضية. ماذا عن سراويلي المُفضّلة وأحذيتي وكلّ القمصان الرائعة؟ لقد تخلّصت «مايا» منها جميعاً وقدّمتها إلى مجموعة من الناس يعيشون تحت الجسر في مكان بلا مأوى. أتذكّر ما قد علّمتُه في العديد من كتبي ومُحاضراتي: أتينا من اللامكان إلى هذا المكان هنا مع اللا شيء. نُغادر المكان هنا إلى اللامكان مع اللاشيء. اللامكان، هذا المكان، إنها جميعاً مُتشابهة. إنها فقط مسألة مساحة.

في «ماوي» قرأتُ ودرستُ «تاو تي تشينغ» كلّ يوم. إنه كتاب مليء بالتناقضات. قُم بالقليل. حقّق الكثير. فكّر على نحو قليل، وحقّق إنجازات كبيرة. لا يفعل «التاو» أيّ شيء، ولا يترك أيّ شيء غير مُنجز. جميعنا لا نقوم بأيّ شيء، بدلاً عن ذلك نحن

مَن يجري علينا الفعل. الإله في كلّ مكان. الإله بلا مكان. عرفتُ بطريقة غريبة أنني قد دُعيتُ من قِبل «لاو تزو»، مُؤلّف «التاو» كي أجلب رسائل «تاو تي تشينغ» إلى جمهور القرن الحادي والعشرين.

تحدّثتُ إلى «ريد» في «هاي هاوس» وأخبرتُه أنني سأكتب مقالات إفرادية عن كيفية تطبيق حكمة كلّ من أبيات الشعر والتي عددها واحد وثمانين من «تاو تي تشينغ». ولكن قبل أن أستطيع أن أكتب هذه المقالات، يجب أن أُغلّف نفسي بكلّ بيت من هذه الأبيات. شرحتُ خطتي إلى «ريد»، وقد أعطاني دفعة حماسية.

سأقرأ البيت الأول من «تاو تي تشينغ» في اليوم الأول، ثمّ سأقوم بتأمل عليه، وأطرحه في تفكيري أربعة أيام، وأتشاور مع «لاو تزو». لديّ العديد من الصور له حول مساحة كتابتي: في واحدة منها كان يرتدي ثوباً بسيطاً، في صورة أُخرى يقف مع عصا، وفي صورة ثالثة يقف مُنفرج الساقين مع فأس، بيد أنّ الصورة الأكثر تعبيراً التي امتلكتُها له هي الصورة التي أراها عندما أُغمض عينيّ في التأمل. بعد التفكّر والتأمل في معنى البيت الأول، سأكون صاحياً في اليوم الخامس وأكتب مقالة حول كيفية تطبيق حكمة ذلك البيت.

نويتُ أن أقوم بطقس الأربعة أيام ونصف من أجل كلّ بيت من الأبيات الواحد وثمانين مُكرّساً السنة كلها في عام 2006 من أجل هذا المشروع. هذا ما شعرتُ أنني دعيتُ كي أقوم به. لقد كانت كلّ البشائر التي أتت لي بما يتعلّق بـ «لاو تزو» و«التاو»، تُوجّهني إلى هذه المُهمّة المُمتعة. لن أكتب فحسب عن «تاو تي تشينغ»، بل سأُصبح «التاو» بنفسي وسأطلب من «لاو تزو» في تأملاتي ماذا يجب أن أقول في كلّ من الأبيات الواحد والثمانين. سوف أدعو الكتاب Chanje your thoughts، Chanje your life «غيّر أفكارك، غيّر حياتك».

أنا في مُهمّة تتعلّق بـ«التاو». لقد تركتُ كلّ شيء كنتُ مُتعلّقاً به من أجل أن أُشغل نفسي في هذه المُهمّة الهرقلية في عمر كان يجب عليّ فيه كما أخبرني كلّ شخص، أن أُبطئ من وتيرة الحياة وأُمتّع نفسي. أنا مُبتهج حقيقة مع توقّع مشوب بالتفاؤل. أعرف على الأقل أنّ حكمة «لاو تزو» العظيمة لم يمضِ عليها الزمان ببساطة لأنها كُتبت قبل ألفين وخمسمئة سنة. إنّ كلمة «تاو» هي النسخة الصينية

من كلمة الإله، غير المرئي، الطاقة التي لا اسم لها والمسؤولة عن كلّ الحياة.

استلمتُ كتاباً من شخص عرف أنني أمضي في هذا المشروع، وكان اسم الكتاب Jesus and The Lao Tzu: The pasallel Sayinjs «المسيح و «لاو تزو»: الأقوال المُتماثلة»، من تحرير «مارتن آرونسون». على جانب واحد من الصفحة كانت كلمات «المسيح»، الذي مشى على وجه الأرض بعد مُدّة كبيرة من «لاو تزو»، وعلى الجانب الآخر من الصفحة كانت كلمات «لاو تزو»، تشرح الأفكار نفسها مُستخدمة كلمات مُختلفة قليلاً. إنها حقيقة قديمة، حكمة إلهية، وأنا الآن على وشك أن أبدأ مقطعا جديداً مُمتعاً في حياتي. أنا لستُ مُعلّماً فحسب، ولكنني طالب و مُعلّم للحكمة القديمة. مع مُعلّم غير مرئي عمره ألفين وخمسمئة سنة يقوم بمهمة دليلي.

اتصلتُ بـ«نيكي فيتل» وأعلمتُها عن مشروعي الجديد، وطلبتُ منها أن تُراجع الأمر مع المُدراء التنفيذيين في قناة PBS. أستطيع تخيّل القيام ببرنامج إعلاني يجلب تعاليم «تاو تي تشينغ» إلى غرف معيشة الأمريكيين في الوقت الرئيس. هذا هو النداء الذي يستطيع أن يُؤثر في الملايين من الناس ويبدأ بنقلة تحوّل في وعينا الجماعي.

قامت «نيكي» بترتيبات مع مجموعة الديكور لفيلم Memoirs of a Geisha «مُذكّرات غيشا»، وقد سمحوا لنا أن نستخدم هذه المجموعة من الديكور من أجل عرضي الجديد الخاص. لقد أصبح العرض بعنوان «غيّر أفكارك، غيّر حياتك»، خبطة ناجحة على الفور. كانت تعاليم «لاو تزو» العظيمة في «تاو تي تشينغ» برنامجاً في الوقت الرئيس في منازل ملايين الناس، وفي كلّ مكان، إذ تُبث قناة PBS على الهواء في كلّ سوق صغيرة وكبيرة في «الولايات المُتحدة الأمريكية». لقد صعد الكتاب الذي يحتوي على أبيات شعر ومقالات إلى أعلى لائحة أفضل الكتب مبيعاً في قائمة «نيويورك تايمز».

أستطيع أن أتذكّر بوضوح كبير تلك اللحظة النوعية عندما خرجتُ من ذلك التأمل العميق على كرسيي الجلدي الأزرق في مكتبي في اليوم الذي تلا ذكرى ميلادي الخامسة والستين. إنّ الشيء الذي كنتُ أفكّر فيه بنوع غامض من طريقة عمل اللاشيء قد أصبح واقعي المُطلق. لقد ذهب الخوف من القيام بتغيير جذري وترك العديد من التعلّقات بالعديد من الأشياء، في لحظة يُعبّر عنها البوذيون حسب طريقة «الزن» بلحظة

«ساتوري»، الكلمة التي تعني «الرؤية الفورية لطبيعة الإنسان الحقيقية». لقد زال كلّ الشك، وحلّ محله اليقين بما ستكون عليه خطواتي التالية في حياتي.

عندما سلّمتُ «مايا» مفتاح شقتي وكلّ محتوياتها، تحدّثتُ من معرفة داخلية، تقريباً وكأنني كنتُ مُتوجّهاً كي أتجاوز كلّ مقاومتي وأقوم بما هو مُرتبط بنقلة الانتعاش: let go and let god اترك كلّ شيء ودَعه للإله. لقد كان واضحاً جداً أنّ ما كان عليّ فعله هو أن أترك جذب الأنا القوي وأسمح للروح، أو لـ«التاو» غير المرئي، أن يقوم بما يعرف أن يقوم به على نحو تامّ.

أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنّ ذلك العام من الانغماس في «تاو تي تشينغ»، كان شيئاً يجب عليّ اختباره حتمياً على نحو شخصي، قبل أن أستمرّ في العمل الذي كان مُقدراً لي أن أقوم به. كانت تلك السنة من عيش «التاو»، ثمّ كتابة مقالة تعليم توضيحية حول كيف تُطبّق هذه الحكم غير المحدودة هي السنة الأكثر جوهرية وحساسية بلا شكّ في حياتي كلها.

أنا أنظر إلى الوراء بوضوح أكبر بكثير الآن مع الاستفادة من الإدراك الكامل المُتأخر للأمر، وأستطيع أن أرى أنّ العديد من البشائر المُتمحورة حول «التاو» كانت تُوجّه طريقي من قِبل العقل الكوني الواحد. مرة بعد مرة عندما سيظهر مرجع «التاو» في كتاب، على التلفاز، في السينما، في مطعم، أو أثناء مُحادثة هاتفية، سأتوقّف وأحظى بلحظة تعجّب داخلية: أعلم أنّ «التاو» يظهر مراراً وتكراراً، استغرب ما الذي يعنيه ذلك؟.

كنت أقرأ كتاب «الكيميائي» لمؤلفه «باولو كويلو»، وقد أشار مراراً وتكراراً إلى ما أسماه «البشائر»، والتي هي دلائل من مصدر وجودنا اللامرئي، يجب أن نُعيرها الاهتمام. لقد قال: «بدلاً من التفكير بها على أنها حدث جار ومُستمر، عليك أن تستمع إليها وتدع نفسك تُوجّه، والأكثر أهمية، ترمي الخوف». عندما أخبرني «ستيوارت وايلد» عن الوقت الذي أُرشد فيه كي يخرج من منزله في «لندن» ويترك كلّ شيء خلفه، تركَت هذه القصة انطباعاً لا يُمحى عندي. لقد عرفت أنّه سيأتي يوم عندما سأُدعى أنا أيضاً كي أقوم برحلة هامة كهذه. إنّ صورة ترك كلّ شيء خلفي والانتقال إلى الأمام بثقة مُطلقة لم تُغادرني.

بطريقة ما، فإنّ تركيبة الوصول إلى عمر الخامسة والستين، والتي ترمز إلى نهاية ممر العالم المادي، والحضور المُستمر للبشائر المُرتبطة مع «التاو»، والمترافقة مع ذاك التأمل القوي، كلّ ذلك اندمج كي يطبع على شاشتي الداخلية المعرفة أنه عليّ أن أتصرّف. إنّ العيش حسب تعاليم «تاو تي تشينغ» مُدّة سنة كان أشبه بامتلاك جسد وتفكير كاملين، وغطاء روحي فوقهما. إن كلمة «تاو» هي القوّة المُخبأة التي تجلب عشرة آلاف شيء إلى الوجود، والمُرادف الأقرب لها هو الإله. يُعلّم «لاو تزو» أننا نحصل على وعي الحبّ أو طبيعة «التاو» من خلال ترك التركيز على ظروف حياتنا المادية.

مراراً وتكراراً قرأتُ وشرحتُ وطبّقتُ ما كان يُعلّمه «لاو تزو». إنه بالكلية عن التخلّي عن التعلّقات المُرتبطة بهذا المستوى المادي. بينما كنتُ أقرأ، ثمّ أكتب، وجدتُ نفسي أتخلّى أكثر فأكثر عن أشيائي. لم تكن أبداً مُفاجأة بالنسبة إليّ أنني أُلهمتُ في الأصل أن آتي إلى «ماوي» وأغمس نفسي في «تاو تي تشينغ» عن طريق رغبة لا يُمكن التحكّم بها تقريباً، كي أُحرر تعلقاتي بكلّ ما جمعتُه في العقدين أو الثلاثة عقود الماضية. لقد كانت تلك لحظة نوعية في حياتي، حينما بدأتُ مشروعاً من أجل جلب حكمة «التاو» إلى ملايين من الناس حول العالم وتعليمهم إياها.

اختبرتُ نوعاً من الكتابة الآلية عندما مضيتُ في كتابة المقالات المُختصرة حول كيف تقوم بـ»التاو» الآن. في السنوات التي مضت ومنذ صدر كتاب «غيّر أفكارك، غيّر حياتك» للمرة الأولى، تلقيتُ رسائل من العديد من طلاب «التاو» حول العالم، وعلى نحو خاص في الصين، يُخبرونني كيف توازت هذه المقالات مع نسختهم ممّا تُعلّمه «تاو تي تشينغ». أستطيع أن أرى بوضوح الآن أنه كان قدري الخاص ألا أكتب كتاباً عن حكمة «التاو» فقط، وكيف يُمكن تطبيقها على عالمنا المعاصر، بل أن أقوم بالنقلة بنفسي إلى طريقة في الوجود أكثر تمحوراً حول «التاو».

لقد وجدتُ نفسي أتصرّف بطرق أقل توجيهاً من الأنا، بل في الحقيقة، أُمارس نوعاً من الإنسانية الغيرية المُلهمَة من قِبل كلمات «لاو تزو». كنتُ أعيش على نحو ألطف، وبنوع من السعادة المُستقلة التي لم تكن سمة شخصية مُرتبطة بي في فترة ما قبل

«التاو». لقد وجدتُ نفسي أستمع أكثر وأتحدّث أقلّ، ولاحظتُ الحكمة الكامنة في الطبيعة أكثر بكثير. بدأتُ أرى أنّ كلّ تعلقاتي بالأشياء، الحالة، ثقافتي، وحتى بأولئك القريبين لي كانت تحجزني عن أن أكون حُراً بطريقة «التاو» العظيمة. كنتُ أشعر بتحرر أكبر، وكان الناس يُلاحظون ذلك في كلّ مكان ذهبتُ إليه.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ لحظتي النوعية من التنوير المُفاجىء «ساتوري» في الحادي عشر من أيار 2005، كانت تمتلك تأثيراً بعيد المدى، وأنها لم تحدث من أجلي شخصياً فقط، كما يرغب الأنا عندي أن يُؤمن. كما صرّح مُعلّم «التاو» في البيت السابع والخمسين: «إذا أردتَ أن تكون قائداً عظيماً، عليك أن تتعلّم كيف تتبع «التاو». توقّف عن مُحاولة التحكّم. دَع أمر الخطط الثابتة والمبادىء، وسيحكم العالم نفسه». كلّما تخليتُ أكثر فأكثر، لاحظتُ حقيقة هذا المقطع.

أنا مُتأكّد من أنّ لحظة التنوير المفاجئة «ساتوري» هذه في اليوم الذي تلا عيد ميلادي الخامس والستين، عندما كنتُ مدفوعاً بقوّة كي أتخلّى عن كلّ شيء، وآتي إلى «ماوي» كي أدرس، أعيش، وأكتب عن حكمة «التاو» العظيمة، كانت أمراً مُدبراً من قِبل الذكاء الإلهي الذي استمعتُ إليه ووثقتُ به بطريقة لم أدركها. أستطيع أن أرى بوضوح كبير أنّ السطر الأخير من البيت الأربعين كان يعمل في تلك اللحظة النوعية: «يُولد الوجود من اللاوجود».

إنّ البرنامج التلفزيوني الذي دخل إلى بيوت كثيرة، والكتاب الذي يشرح حكمة «تاو تي تشينغ» العظيمة، والذي قُرأ من كثير من الناس، جميعها الآن **موجودات وُلدت من اللاوجود**. لقد كان اللاوجود الذي لامس روحي في ذاك اليوم من أيار عام 2005، هو الذي سمح بولادة نسخة جديدة مني كُلياً إلى الوجود، وكذلك بتعليم جديد كامل. لقد رأيتُ بوضوح أكبر فأكبر، وأنا في روعة أكثر فأكثر.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



• يعرض تلفزيون PBS برنامجي الخاص على الهواء أثناء سير الحملة الإعلانية في ربيع عام 2008، وهذا يعني أنّ الملايين من الناس في الولايات المتحدة الأمريكية و«كندا» يتلقون حكمة «لاو تزو» من «تاو تي تشينغ» التي يُقدرّ عمرها بألفين وخمسمئة سنة. أنا لستُ جاهزاً كي أبدأ التعهد الصارم بالمضي إمّا بكتابة كتاب جديد، أو إعداد برنامج تلفزيوني آخر في المُستقبل القريب، إذ أنّ تأليف كتاب «غيّر أفكارك، غيّر حياتك» كان مُهمّة هائلة. لقد عشتُ حرفياً كلّ من أبيات «التاو» تلك أثناء كتابة احدى وثمانين مقالة تشرح كلمات مُرشدي القديم «لاو تزو»، قبل المُضي في مُهمّة تلخيصهم في نمط معين من أجل جمهور التلفزيون. أنا مُرهق ولكنني مُحفّز من كلّ شيء، ومن أنّ هذا المشروع الكبير قد جاء إلى حياتي.

سألني «ريد تريسي» المُدير التنفيذي في دار نشر «هاي هاوس»: «هل ستكون مُهتمّاً في عمل فيلم درامي يستند إلى العمل الذي أنتجتَهُ، هل تعتقد أنك تستطيع لعب دور البطولة في الفيلم من غير وجود خبرة تمثيل لديك؟».

أخبرتُه أنني مُهتمّ، ففكرة عمل فيلم هي أمر بقي مُطوّلاً في أعماق خيالي. لديّ بعض الخبرة في التمثيل، وقد مثلتُ دور «يوليوس قيصر» في مسرحية في مدرسة «ماركيت» الابتدائية عندما كنتُ في عمر الثالثة عشر.

كان «ريد» قد اتصل بشاب بارع اسمه Michael Gorjian «مايكل غورجيان» وهو مُمثل مُحترف، وفي الوقت ذاته مُخرج أفلام: في الحقيقة، لقد أخرج مُؤخّراً فيلم

«كيرك دوغلاس». قرأ «مايكل» نصّ فيلم من تأليف «كريستين لازاريان» حيث كان هناك ثلاث قصص محبوكة عن رجل أعمال بارع، وأمّ لطفلين تسعى إلى التعبير عن نفسها في العالم، ومُخرج يُحاول صنع اسم لنفسه. أتت هذه الشخصيات الثلاث في الفيلم معاً في «آسيلومار»، في مركز إيواء في «كاليفورنيا» الشمالية، حيث كان «واين داير» يقوم بسلسلة من المُقابلات من أجل الكتاب القادم. سأُمثل دور نفسي في هذه الدراما، والتي لا يجب أن يكون ذي مساحة عظيمة جداً، لأنني أقوم بهذا بالضبط منذ ثمان وستين سنة وحتّى الآن.

إنّ اعتراضي الوحيد في تقديم مشروع كهذا نابع من حقيقة أنني شاهدتُ عدداً كبيراً من الأفلام التي تستند على الكتب ذات الاتجاه الروحي، وقد أصابتني خيبة أمل دائماً. لقد بدَت غير مُتقنة بعض الشيء في بعض أجزائها، لأنّ الكاتب حاول أن يفترض أنّ المُمثل يجب أن يكون مُحترفاً، وغالباً ما بدا النصّ ضعيفاً، وكان التمثيل غير مصقول، ممّا جعل الفيلم بأكمله ضعيفاً.

شرحتُ لكلّ من «ريد» و«مايكل» أنني لا أرغب أن أكون مُرتبطاً بمنتج نهائي ذي مظهر غير مُلائم. سوف أُقدم على هذا المشروع فقط إذا كان كلّ شيء وكلّ شخص مُرتبط به على مقدرة احترافية عالية. أنا أُصرُّ على أن يكون كلّ الفنانين والفنيين على أعلى مُستوى من الموهبة. عندما أكون في فيلم يستند على المبادىء الروحية للوعي الأعلى الذي كنتُ أكتب وأتحدّث عنه في العقود العديدة الماضية، فيجب أن يعكس المشروع النهائي البراعة التي تُلائم الأفكار الرفيعة للوعي الأعلى وإدراك الإله.

لقد جعلتُ الأمر واضحاً من البداية أنني قادرٌ على أن أقوم بكلّ ما يُطلب مني من أجل أن أصنع فيلماً يصمد أمام اختبار الزمن، ويصنع على نحو كامن تأثيراً ضخماً على كلّ شخص يراه. هذا يعني أنه يحتاج أن يكون بجودة عالية بحيث يضع معايير لصانعي الأفلام المُستقبليين الذين يُريدون أن يصنعوا تقديماً دراميّاً للروحانية المُستندة على الكتابة. لقد وافق الأشخاص الذين يُمولون ويُخرجون هذا المشروع على ذلك.

أُحبُّ النصّ السينمائي، وبعد المُحادثات المُكثفة مع فريق تحضير الفيلم، اقتنعتُ أنّ الفيلم سيكون مُنتجاً جاهزاً وبإمكاني أن أُروّج له بفخر وحماسة. أشعر بالفخر

لأنني أعمل مع العديد من الأشخاص المُختصّين والمُؤهلين على هذا المشروع بينما كنتُ أتوجّه إلى «كاليفورنيا» كي أتعلّم صناعة الأفلام، التمثيل، وتحرير الأفلام. أنا في أواخر الستينيات، ومرة أخرى على وشك أن أسلك الدرب الأقل سفراً، وأغمر نفسي في مُحاولة مهنية من نوع جديد، والذي قد يكون أداة من أجل الوصول إلى أشخاص ليسوا من القراء.

مُؤخراً قرأتُ أنّ عشرة بالمئة تقريباً من الشعب الأمريكي يشترون حوالي «95%» من كلّ الكتب. بينما حوالي تسعون بالمئة من السكان البالغين لا يشترون كتباً على الإطلاق. وعلى النقيض، حوالي مئة بالمئة من الشعب يرتادون دور عرض الأفلام «السينما»، أو يُشاهدون الأفلام في المنزل. هذه الإحصائيات المُقلقة بالنسبة إليّ تُبين أنّ وقتي في كتابة وإنتاج كتب عن التطوير الذاتي والروحانية يعني أنني كنت غير قادر على أن أصل إلى تسعين بالمئة تقريباً من البالغين في «أمريكا». إنّ فكرة التأثير على نحو إيجابي في نسبة كبيرة من السكان الذين هم غير مُتأثرين بعمل حياتي هو احتمال مُثير بالنسبة إليّ.

إنها رغبتي في أن أحصل على عشرة ملايين شخص يُشاهدون هذا الفيلم، المُعنون بإسم «النقلة». هذا الرقم يمثل تقريباً 3.14 بالمئة من سكان «الولايات المتحدة الأمريكية» و«كندا». تذكّرتُ من أيامي وأنا أكافح في الجبر والهندسة أنّ الرقم 3.1416 ، يُسمّى بي «π»، وتذكّرتُ عندما سمعتُ هذه النسبة من السكان فكرة جديدة جوهرية، شبيهة لما يُسمّى في الفيزياء «المرحلة الانتقالية»، وأطلقتُ رسالة إلى الأعضاء المُتبقين من السكان كي يبدؤوا بالانتقال ومُحاذاة أولئك الذين يُشكّلون الكتلة الحرجة المُنحازة مُؤخراً.

في التجارب الفيزيائية النوعية، عندما يكون رقم معين من الإلكترونات في داخل الذرة مُصطفاً بطريقة مُحددة، وتمّ الوصول إلى الكتلة الحرجة، فإنّ الالكترونات الأخرى غير الملموسة تبدأ تصطفّ آلياً مع تلك التي في التجمّع التجريبي. أحببتُ هذه الفكرة: احصل على رقم كبير من الناس في تجمّع كي ينقلوا وعيهم إلى مكان أكثر إدراكاً للإله، وبغضّ النظر عن أيّ قوى خارجية أخرى «مثل القضايا السياسية، حالة الاقتصاد، أرقام البطالة، المُمارسات الثقافية، نماذج الطقس، الحروب، الصراعات،

وغيرها وغيرها»، فإنّ الشعب بأكمله سيُسحب جوهرياً إلى مُحاذاة أكثر روحانية. عندما يبدأ قسم كافٍ منا يختار الوعي الأعلى، سنصل إلى الكتلة الحرجة.

لقد شعرتُ دائماً أنّ التغييرات الجذرية الكبيرة لن تأتي من خلال جهود القادة السياسيين في صنع تغييرات في النظام، بل ستكون من خلال أفراد أكفاء في داخل النظام اختاروا أن ينقلوا وعيهم الخاص، وهذا ما سيُؤثر على الوعي الجمعي بأكمله، دون الارتباط بما يُحاول أيّ شخص أن يفرضه على الأغلبية.

أُحبُّ هذه الفكرة من الانتقال. إنّ التركيز الأساسي لهذا الفيلم سيكون عن الانتقال من «الأنا»، التي تُركّز على الطموح والأشياء المُكتسبة، إلى «المعنى»، حيث الرغبة الداخلية الأولية هي خدمة الآخرين، وخلق عالم يكون فيه إدراك الإله حقيقة عالمية، أكثر من كونه مثالية ميؤوس منها من عدد قليل من الحالمين الروحيين المُتطوّرين جداً.

ستلعب «بورتيا دي روسي» إحدى شخصيات البطولة في الفيلم. بعد عدة أشهر طلبت «بورتيا» وخطيبتها «إيلين دي جينيريس»، مني أن أتولى قُداس حفل زواجهما، والذي من المُخطط له أن يكون في الخامس عشر من آب، مُباشرة في منتصف جدول تصوير الفيلم. وافقتُ بسعادة، وشعرتُ بالحماسة بأن أكون الشخص الذي يُعلنهما شرعياً كزوجين.

وصلتُ إلى «آسيلومار» كي أقضي الأسابيع القليلة التالية غائصاً بعُمق في هذا العالم الجديد الساحر من صنع الأفلام. التقيتُ مع كامل فريق الانتاج، بما فيهم «بورتيا» وبقية الفنانين. كلّ شخص له علاقة بصناعة هذا الفيلم هو مئة بالمئة على اللائحة مع الأهداف الموضوعة بوضوح وعلى نحو قاطع من قبلنا أنا و«مايكل غوريجيان» في اجتماعنا الأولي. أشعر قليلاً بالخوف من احتمال كوني في فيلم مع هؤلاء الفنانين الخبيرين وطاقم الإخراج. بقيتُ أُذكّر نفسي أنني فقط أُمثل نفسي، وأنّ الأمر ما زال تمثيلاً.

إنه اليوم ما قبل بدأ التصوير، وقد رتّب «مايكل» كي يُعطيني درسي الأول والوحيد في التمثيل. أمضينا ساعتين معاً نمشي عبر مشهد خيالي. في نهاية الجلسة شعرتُ أنني واثق من استطاعتي جعل هذا يحدث على مستوى أعلى. مع ذلك، حالما بدأ التصوير، أصبحتُ مُستاءً من إعادة اللقطات، الأمر الذي لا ينتهي والمطلوب لأسباب مُتنوّعة.

كانت الظلال مُظلمةً جداً، وقد اختار مهندس الصوت زقزقة الطيور كمُقدمة، ويُريد المُخرج أن نحصل على اعادة تصوير من أجل الأمان، واستمرّ الأمر. إنّ هذا أصعب من أيّ شيء فعلتُه مُسبقاً.

عندما أتحدّث إلى الجماهير مُباشرة، أمشي ببساطة على خشبة المسرح وأقوم بالطيران في مُدّة الساعات القادمة، أتحدّث من قلبي وأُخبر قصصاً تُشكّل نقطة أُريد صنعها. إذا سعلتُ، أسعل وأمضي في مُحاضراتي. إذا تعثرتُ قليلاً، أجمع شملي وأمضي في الحديث. إذا كان هناك عطل في لاقط الصوت، أو أيّ تشويش من أيّ نوع، يتمّ تصحيحه ونمضي. ليس كما هو الأمر هنا في إعداد هذا الفيلم. على الرغم من أنّ الأمر مُضجر، ولكنه أيضاً مُبهج، وأنا مأسور بكمية الوقت، الطاقة، الخبرة، والحبّ الداخل في سير هذه العملية من صناعة الفيلم.

في اليوم الثالث من التصوير قمتُ بنقلتي الخاصة، وحصلتُ على لحظة نوعية من أجلي. طوال اليومين الماضيين كنتُ أحاول أن أتذكّر أسطري وأبدو طبيعياً، ولكنّ الأمر كلّه بدا مُصطنعاً ومُزيفاً بالنسبة إليّ. لقد كنتُ أقوم بالأمر كما تمّ توجيهي وتشجيعي من قبل الفنانين في الفيلم، بيد أني لم أشعر بالطريقة نفسها التي أشعر بها عندما أكون على خشبة المسرح، أو في مُقابلة تلفزيونية عندما أكون نفسي.

من أجل ذلك قال لي «مايكل»: «واين، انسَ أمر النص، انسَ السطور التي تحفظها، فقط تحدّث إلى الناس الآخرين في هذه المشاهد وكأنك تتحدّث إليهم في حالة مُشابهة للواقع. مهما كان ما تقوله سيكون بالضبط ما نُريده من أجل انهاء العمل».

تركتُ الأمر يمشي بسلاسة، وكأنني كنتُ أقوم به منذ سنين عديدة، تركتُ الإله يتولى الأمر. قلبتُ الأمر إلى جانب أعلى من نفسي، إلى الإله داخلي الذي يعرف بالضبط كيف يكون الأمر، وأبحرتُ عبر بقية الفيلم.

في الرابع عشر من شهر آب، في منتصف الطريق أثناء التصوير، أكملَتْ «بورتيا» جميع مشاهدها، ثمّ سافرتُ إلى «لوس آنجلوس» كي أؤدي حفل الزفاف الأول، كتبتُ رسالة قلبية إلى «إلين» و «بورتيا» سأقرأها لهما في الزفاف. في الخامس عشر من شهر آب، كان المُصوّرون يُحلّقون فوق رؤوسنا في الطائرات الحوّامة، فتجمّع أفراد

العائلة مُباشرة في الطابق الأرضي مع العروسين، وكانت جميع النوافذ مُغطاة كي تمنع أيّ مُصورين سيئي السلوك من اقتحام حفل هذا الزفاف الخاص جداً. أعلنتُ هذين الشخصين المُميزين جداً معاً كزوجين رسميين.

في الصباح التالي طرتُ عائداً إلى «آسيلومار» وأكملتُ الجدول اليومي من اثنتا عشرة إلى أربع عشرة ساعة تصوير. في بداية أيلول كان لدينا تجمّع نهائي مع اكتمال الفيلم. لقد انتهى عملي الآن، وبقي العمل الأكبر في التحرير، ووضع كلّ شيء في صيغة فيلم جاهز، على عاتق المُخرج وطاقم التحرير الخاص به. أنا مُقدّر جداً لكل الأشخاص المُخلصين الذين عملوا الكثير من الساعات كي يجعلوا هذا العمل يُؤتي ثماره. أنا مُتحمّس جداً لهذا الفيلم الذي يُعطي رسالة تجاوز نداء الأنا، ويحثّ المُشاهدين من خلال سلسلة من القصص الدرامية المُتشابكة أن يجدوا هدفهم الخاص.

بعد عدة أشهر، كانت لديّ الفرصة كي أُراجع العديد من التعديلات على الفيلم. إنه الآن مُنتج جاهز بعنوان **From ambition to meaning** «من الطموح إلى المعنى»، وكان من المُخطط أن أقوم بجولة عبر البلاد من أجل تقديم الفيلم إلى الجماهير في مدينة «نيويورك»، «شيكاغو»، «لوس أنجلوس».

سافرتُ إلى هذه المدن الرائدة في صناعة الأفلام مع المُنتج التنفيذي «ريد تريسي»، والمُخرج «مايكل غورجيان»، والصديقة الروحية المُميزة جداً «تيفاني سايا». ركبنا جميعنا في حافلة مأجورة، بيد أنه بقي لديّ اعتراض يخصّ عنوان فيلمنا. قلتُ إنني أُحبّ صناعة الأفلام، وأنني مُتحمّس بشأن ردات فعل الجمهور ووقفات التصفيق. ولكن ما يُزعجني هو العنوان، ولو كنتُ سأقوم به مرة أُخرى، فسأُغيّر العنوان لأنه يُشبه كثيراً عنوان فيلم وثائقي أو مُحاضرة مُباشرة. سأُسميه **The Shift** «النقلة»، والذي هو موضوع رئيس يتكرر خلال الفيلم. علّق «ريد» أنّ الأمر سيكون مُكلفاً لو قمنا بذلك، ولكنه قادر على تحمّل نفقات إضافية كي يُعطيه العنوان الجديد، والذي وافق كلّ شخص على أنه أكثر دلالة على مُحتوى الفيلم.

إنه الآن شهر آذار من عام 2009، وقد أضفتُ لقباً جديداً على سيرتي الذاتية كنجم سينمائي. هل هذه معجزة أم ماذا؟. عندما أنظر إلى الخلف إلى كلّ الأحداث التي كانت

تجمّع من أجل أن أُصبح القوّة الدافعة وراء مشروع الفيلم هذا، أستطيع أن أرى بوضوح أنّ هنالك نوع ما من اليد الإلهية تعمل كي تُحوّله من فكرة إلى حقيقة مُتجسّدة. منذ أن كنتُ صبياً صغيراً عرفتُ أنّ الأفكار «المجنونة» التي تدور في تفكيري، كانت تُعدّ من أجل جمهور أكبر فأكبر. سواء أكان الأمر كتابةً أم تحدّثاً، كان هنالك دائماً وعي داخلي بأن أشارك هذا الأمر مع الكثير من الناس قدر المستطاع.

لقد بدا أنّ هذا المشروع بأكمله يحظى بمُباركة صامتة من قبل قوّة سماوية كانت تُراقب كلّ واحد منا. تمّ تصوير الفيلم على أراضي «آسيلومار» والتي تقع على شاطىء الولاية على مساحة مئة وسبعة فدان من أرض شاطىء البحر المُتنوّعة بيئياً من شبه جزيرة «مونتيري» على ساحل المحيط الهادي، «كاليفورنيا». لقد تجمّع أكثر من تسعين طاقماً للأفلام في هذا الجمال الرائع في «أسيلومار» والتي تعني باللغة الإسبانية «ملجأ قبالة البحر». هناك أرقام كبيرة من الزوار يحضرون العديد من الأعمال المُتنوّعة خلال هذه السنة هنا، وخصوصاً في أشهر الصيف عندما تجمّعنا على هذه الأراضي مع شاحنات كبيرة تحمل الإضاءة، مُعدات الصوت، ومجموعة واسعة من الفنيين ومُوظفي الدعم الذين كانوا مطلوبين من أجل صنع فيلم من هذا العيار. كلّ يوم وبكلّ طريقة بدا كلّ شيء في مكانه بالنسبة إلينا.

في وقت تصويرنا كان هناك مُؤتمر كبير للأشخاص ذوي النزعة الروحانية المُرتبطين بالوحدانية والكنائس العلمية الدينية عبر «أمريكا». لقد رصدني بعض الحاضرين وسألوني هل أرغب بإعطائهم عناوين مفتاحية، لأنّ مُتحدّثتهم المُتميزة كانت مُجبرة على إلغاء مُحاضرتها المُقررة. عندما قُدمتُ للجمهور، كانوا مُتفاجئين بسعادة أنني سأُقدّم لهم مُحاضرة مجانية، مع «ألين دي جينيرس» و«بورتيا دي روسي» الجالسات في الصفّ الأمامي كضيوف شرف من المشاهير. عندما احتجنا زيادة المُمثلين من أجل العديد من المشاهد في الفيلم، كان أولئك الذين في تلك المُحاضرة سعداء جداً بأن يلتزموا معنا في بداية التصوير.

عندما احتجنا غطاء سحابياً، ظهر على نحو سحري. عندما احتجنا أن تتفرّق الغيوم بدا وكأنها تُطيع مُخرجاً تنفيذياً غير مرئي وتتفهّم حاجاتنا. هذه الأنواع من

المُعجزات الصغيرة كانت تُلاحظ باستمرار، ويُعلّق عليها من قِبل كلّ شخص مُرتبط بصنع فيلم «النقلة».

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ صناعة هذا الفيلم كانت موعداً مُنسقاً على نحو إلهي. لقد كنتُ أُحاضر عن مفاهيم الكمّ للكتلة الحرجة، المرحلة الانتقالية، تأثير القرد المئة على مدى عقود، بيد أنّ كلّ ذلك يحدث الآن بنمط مُختلف. من مسافة ما بإمكاني رؤية الحقيقة في فكرة أنني عندما اتّبعتُ مُتعتي، وازيتُ نفسي مع مَن أنا على أني كائن رباني. لقد نشأت البهجة والتفاؤل والشعور بالنعيم الداخلي عندما تأمّلتُ ما عرفتُه حقيقة بأنّ ما عليّ فعله هو إدراك الإله. عندما بقيتُ في تلك الحالة من اتباع نعيمي، أصبح كلّ شيء أخذتُه بلا جهد، وليس ذلك فقط وإنما على نحو أكثر أهمية، كنتُ مدعوماً على نحو كامل من الكون كذلك.

إنّ فكرة خلق فيلم درامي كامل الطول، بإمكانه مُساعدة الناس على الانتقال من مطالب الأنا الأنانية إلى حياة أكثر معنى روحياً، حفّز حماستي بطريقة كبيرة جداً. أكثر من ذلك، فإنّ فكرة الوصول إلى كلّ هؤلاء الناس الذين لم يقرؤوا كتباً أبداً، ويُشكّلون كتلة حرجة يُمكن أن تُساعد في حدوث النقلة عالمياً، كانت فكرة مُثيرة لا أمتلك كلمات كي أصفها. عندما أتبع حماستي مع 'الاستقامة، أعلم أنني حقيقة على المسار الذي قصدتُ أن أكون عليه في هذه الحياة.

إنّ القيام بهذا الفيلم في عمر الثامنة والستين لم يكن فقط مُهمّة جديدة كي أشغل وقتي أو أجذب المُعجبين، ولا بسبب شعور المُتعة، بل كان رسالة إليّ من مصدر وجودي الإلهي الذي قال: «عليك القيام بهذا، فذاتك العليا تطلب هذا. لا يُمكن تجاهل الأمر». أنا أرى بوضوح الآن أنّ حماستي هي الدلالة، إنها أنا.

ما إن ترسّخت هذه الفكرة بثبات في خيالي وشعرتُ بالإثارة، حتى عرفتُ أنني سأكون مدعوماً على نحو كامل من العقل الإلهي الكوني والذي خُلقتُ منه بالأصل. اكتشفتُ ذلك عندما اتبعتُ حماستي، أصبح الأمر أقرب إلى تحويل المشروع بأكمله كي يكون بين يديّ الإله، ومُشاهدة التدفق اللانهائي من المُعجزات المُتزامنة التي تتكشّف على نحو كامل. لقد كان العمل بأكمله في صنع هذا الفيلم يسري بلا جهد،

لأنه سُلم بأكمله إلى قوّة أعلى ترتقي داخلي وداخل كلّ شخص مُشترك في العمل. لقد كُنا نستمع إلى ذواتنا العليا، والتي كانت قابلة للإدراك لأنّ حماستنا قد أُثيرت وتمّ العمل بناء عليها.

عندما أنظر إلى الخلف إلى الطريقة التي قُبل بها فيلم «النقلة» وتمّ مُراجعته بها،أرى بوضوح أكثر وأكثر كيف يدعم الكون الأفكار المُقدّمة في هذا الفيلم. لقد عُرض على الهواء مرات عديدة على التلفزيون المحلي وتلقّى الكثير من التقييمات المُتوهجة. لقد وجد الحياة بنفسه، واستمرّ كي يصنع أثراً على الجماهير حول العالم منذ أن تُرجم إلى العشرات من اللغات الأجنبية. إنّ حماستي الداخلية تصوّرت عشرة ملايين شخص يُشاهدون فيلم «النقلة» ويبدؤون مرحلة انتقالية تجاه كوكب أكثر يقظة روحياً. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ الفيلم في طريقه إلى هذا، وأنني حقيقة مدعوم كُلياً في هذه الرؤية.

أنظر إلى الخلف إلى ذلك اليوم الذي سألني فيه كلّ من «بورتيا» و«إلين» إن كنتُ قادراً على أن أكون الشخص الذي سيُزوّجهم. بعد نداءهما الصادق لي، تذكّرتُ العديد من القصص التي ذكرتُها هنا في هذا الكتاب: صور «رودا»، زميلتي اليهودية في الصفّ في المدرسة الابتدائية، «راي دادلي»، صديقي المفضل في البحرية الأمريكية والذي عُوقب بسبب لون بشرته، المواطنون الغواميون المحرومون من الامتيازات بسبب عرقهم، والكثير الكثير غير ذلك، من الأمور التي لم أذكرها على صفحات هذا الكتاب. لقد دُعيتُ على نحو مُتكرر كي أقف عند بعض القضايا، قبل وقت طويل من أن تُصبح مقبولة من الجماهير.

استجبتُ إلى «إلين» و«بورتيا» بحماس، وتشرّفت أن أُقدّم خدمة في هذه الحجم في حفل زواجهما المُرتقب. شعرتُ بسعادة غامرة وحماسة وتشريف أبعد ممّا يُمكن قياسه، لأنني أقوم بأداء طقوس زفاف هذين الشخصين الرائعين، اللتين اختارتا أن تُخبرا العالم أنهما كانتا في حالة حبّ، وأرادتا أن تُعاملا بذات الاحترام والحقوق كأي اثنين آخرين من الناس، على نحو مُستقل عن توجّههما الجنسي.

لم أكن أبداً قادراً على استيعاب المعاملة غير المُتساوية بين أيّ من أولاد الإله. أعلم

بالتأكيد أنني هنا كي أتعلّم وأُعلّم حقيقة جوهرية كانت جُزءاً من تجربة حياتي الخاصة منذ بداية ظهوري هنا على كوكب الأرض في عام 1940: علينا جميعاً أن نعمل في اتجاه كوننا مُخلصين في امتناعنا عن أفكار السوء المُوجّهة نحو أنفسنا ونحو الآخرين، وأن نرفض ببساطة أيّ حكم، نقد، أو استنكار نحو أيّ شخص أو أيّ جزء من خلق الإله. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ هذا هو جزء من «النقلة» المُتضمّنة في الفيلم.

ليس الأمر مُصادفة أنّ «بورتيا» التي لمعَت في الفيلم، جنباً إلى جنب مع العديد من الفنانين الآخرين الرائعين والمُمتازين، جعلَت الفيلم جاهزاً كي يُساعد عالمنا بأكمله كي ينتقل إلى وعي إلهي مُحبب. لقد قامَت بذلك من خلال الوقوف علناً والزواج من المرأة التي أحبّتها، والتي كانت احدى أكثر المشاهير عالمياً الذين لا يُطلقون الأحكام، الانتقادات، والتي كان لي الشرف أن أدعوها صديقة. هذا ما تحدّث الفيلم عنه. هذا ما كان كلّ من «بورتيا» و«إلين» عليه.

إنّ المُساعدة في صنع هذه النقلة على كوكبنا هو ما يُعرّف حياتي حقيقة. لقد كان هذا أحد أعظم اللحظات النوعية فخراً بالنسبة إليّ، ولم يكن ليأتي تماماً في وقت أكثر مُلاءمة، من مُنتصف صناعة فيلم بعنوان «النقلة».

ملاحظة: لقد صدر فيلم «النقلة» في «أستراليا» بعنوان «من الطموح إلى المعنى».



- بعد بضعة شهور من الفيلم، عدتُ إلى مساحة كتابتي في «ماوي» في خريف عام 2008. عملتُ على موضوع كتاب جديد عن القضاء على نزعة صنع الأعذار، فقد جمعتُ لائحة من أكثر الأعذار شيوعاً والتي أعتقد أنها تُبعد الناس عن عيش مرحلتهم العليا من الإدراك الذاتي. لقد سمعتُ هذه الأعذار طوال الحياة، ولقد وظفتُ هذه الأعذار بنفسي، عندما أخذتُ مؤقتاً مسار اللوم أكثر من تحمّل المسؤولية الذاتية.

أنا أيضاً أقرأ كتاباً منشوراً ذاتياً ومُحفّزاً جداً بعنوان The Biological of belief «بيولوجية الإعتقاد» للمؤلف الدكتور «بروس ليبتون»، عالم الأحياء البارز المُختصّ بالخلايا. لاحظتُ باهتمام أنه كتب: «وصلتُ إلى مُلخّص أننا لسنا ضحايا مُورثاتنا ولكننا أسياد مصائرنا، إنّ أولوية شريط المورثات DNA في السيطرة على حياتنا ليست حقيقة علمية».

كنتُ أستمع إلى مُقابلة على قناة «سي إن إن»، وقد سمعتُ الشخص الذي تُجرى المُقابلة معه يشرح لماذا أوصل نفسه إلى النمط الذي هو فيه. قال بنوع من الواقعية نوعاً ما: «لم أستطع مُساعدة نفسي كيلا أتصرّف بالطريقة التي قمتُ بها، في النهاية، إنها جيناتي الوراثية في DNA، وكلّ أحد يعرف أنه لا يُمكن لأيّ احد أن يُغيّر التركيبة الجينية، فهذا ما وُلدنا به».

أعلم أنني قد عبّرتُ عن مشاعر مُماثلة بنفسي من خلال المُعتقد الخاطىء بأنّ جيناتنا تُشكّل إنسانيتنا في الصميم، وليس بإمكانها على نحو واضح أن تتغيّر بتأثير تفكيرنا، أو أيّ مقدار من قوّة الإرادة. لقد ترعرعتُ في زمن الحتمية الوراثية، وحتى

الآن لم أكن أعتبر أبداً أنني بُرمِجتُ كي أعتمد على عذر عملاق، عندما تتلاشى جميع الأعذار الأخرى.

بعد قراءة كتاب The Biological of belief «بيولوجية الإعتقاد»، شجّعت «ريد تريسي» في دار نشر «هاي هاوس» على أن ينشر هذا الكتاب الاستثنائي. أخبرتُه أنني أُريد أن أجعله جزءاً من برنامجي الخاص على قناة PBS، وأقدّمه للجمهور كاحدى الهدايا المُقدّمة مُقابل التبرعات إلى محطتهم التلفزيونية العامة المحلية، فوافق.

أنا مفتونٌ بفكرة أنّ مُعتقداتنا بإمكانها أن تُغيّر حرفياً جيناتنا الوراثية، وقد أعطى الدكتور «ليبتون» الكثير من الأدلة العلمية كي يدعم هذه الفكرة الثورية. إذا كان بالأمكان تغيير مُخططنا الوراثي بأكمله عن طريق تبديل الطريقة التي نُعالج فيها الحياة، يُمكن حينها اقتلاع كلّ الأعذار البسيطة الأخرى. ماذا لو ترعرعنا على أن نؤمن بحقّ في مقولتي التي أنقلها كثيراً، عن «المسيح»: «مع الإله، كلّ الأشياء مُمكنة»؟ وأنه ما من أعذار مُلحّة أبداً؟.

لقد جمعتُ وصنفتُ لائحة من أكثر الأعذار شيوعاً، والتي سمعتُ عنها عبر السنين كمُعالج، مُحاضر، إعلامي، وأب لثمانية أطفال. بالإضافة إلى أنني ابتكرتُ نموذج انصرفي أيتها الأعذار! الذي يتألّف من سبعة أسئلة استخدمتُها مع الزبائن كي أُساعدهم في رؤية أنّ كلّ هذه الأعذار المُوظفة على نحو مُتكرر هي في الحقيقة طريقة من أجل تجنب المسؤولية والانتقال إلى عقلية اللوم. لقد تلقيتُ مُوافقة من المسؤولين في PBS من أجل تسجيل برنامج دعائي مُدّته ثلاث ساعات يُقدّم هذه الحكمة من أجل الاستخدام في الحياة اليومية. أعلم أنّ هذه الحكمة تعمل، لأنني رأيتُ أشخاصاً ينتقلون خارج الحياة المبنية على الأنماط الاعتيادية، عندما استخدموا هذه الحكمة على نحو جديّ، ولقد وضعتُها كي تعمل في حياتي الخاصة من أجل الغاء أنماط الأعذار التي استخدمتُها منذ أن كنتُ صبياً صغيراً.

إنّ تخليص النفس من ثمانية عشر عذر نمطي مثل سيكون الأمر صعباً، سيكون الأمر خطراً، لا أستحقّ هذا، لا أستطيع تحمّله، أنا لستُ ذكياً كفاية، أنا خائف جداً، والتي يستخدمها كلّ شخص كي يشرح عدم قدرته على انجاز الأشياء بالطريقة المثالية التي

يُحبّ أن يقوم بها، يُمكن أن تكون تجربة تغيير حياة عند استخدام حكمة توقّفي أيتها الأعذار! على نحو مُنتظم. إنها منطقة الأعذار الكبيرة حقيقة والتي تُبقي الناس عالقين ويجب التغلب عليها من أجل الحياة التي أجدها أكثر تحدياً. أشعر في أعماق داخلي أنه بالإمكان القضاء على عادات الدفاع الذاتي التي استمرّت مدى الحياة، وأنا مُتحمّس إلى فكرة تعليم الآخرين كيف يُمكن أن يُنجز هذا الأمر على نحو سهل.

يُخبر العلمُ اليوم العالمَ أنّ مُعتقداتنا الأكثر تعلقاً في الذهن، مثل سيادة تركيبتنا الجينية، ووجود العناصر ذات الجينات الراسخة في العقل الباطن، هي أمور قابلة للتغيير. كتبتُ عن كيفية تغيير عادات تفكير الدفاع الذاتي، وقد طبقتُها على حياتي الخاصة كذلك. تذكّرتُ تجربة تشكّل التقرح على ذراع السيدة بسبب قوّة معتقدها، وكذلك كيف كنتُ قادراً على أن أُشفي نفسي من كيس الشعر من خلال استخدام تفكيري. الآن في كتاب The Biological of belief «بيولوجية الإعتقاد» أقرأ حول كيف يُمكن تدريب طاقة التفكير، كي تتغلّب ليس فقط على الاستعداد الجيني، بل على المُعتقدات وفيروسات التفكير التي ترسّخت في عقلنا الباطن من وقت طفولتنا.

تحدّيتُ نفسي كي أتخلّص من أيّ عذر، بل من كلّ الأعذار، وأرى نفسي أتحوّل من خلال استخدام هذا الوعي الجديد على صعيد العديد من النزعات الاعتيادية في حياتي. كتبتُ بضراوة وحماسة مُتجددة في هذا الكتاب الجديد excuses Begone «انصرفي أيتها الأعذار!»، على الرغم من أنه بدا وكأنه يكتب نفسه. تصرّفتُ كناقل ومُوصّل وسمحتُ لهذه المادة ببساطة أن تعبر من خلالي.

مضيتُ آخذاً حكمة «انصرفي أيتها الأعذار!» على الطريق معي إلى المؤتمرات التي أقوم بها حول العالم. أثرتِ الموضوع أمام الناس على خشبة المسرح، وأرشدتُهم عبر الحكمة، وشاهدتُ بدهشة كيف كانت العادات تبدأ في التلاشي أمام آلاف الناس. لقد قام الرجل الغاضب «بصمام كهربائي قصير» بالتزام أن يتذكّر مصدر وجوده الأبدي اللطيف، وأقلعت المرأة عن التدخين في الحال، وصرّحت بذلك على العلن، وبدّلت فتاة شابة خجولة في الثلاثينات من برمجة عقلها الباطن، والتزمت بحياة من الثقة والتصميم بعيداً عن دور الضحية. كان هناك امرأة تُعاني من اضطراب في الأكل منذ

أكثر من عشرين سنة، وقد بدَت وكأنّها لاجئة من مُخيّم الموت، سمحَت لي أن أُرشدها من خلال الحكمة، والتزمَت بأكل الوجبات الصحية، وقررَت أن تدع عذرها طويل الأمد يُغادر في الحال. لم تعُد بعد الآن شخصاً يُعاني من اضطرابات الأكل.

قفزة إلى شهر حزيران من عام 2009، وقد ظهر البرنامج الدعائي ذي الثلاث ساعات حول كتاب «انصرفي أيتها الأعذار!»، الذي تمّ بثه على الهواء عبر البلاد في كلّ سوق رئيس. لقد شاهد ملايين الناس في «الولايات المتحدة الأمريكية» و«كندا»، مُقدمتي عن هذه المادة حول كيف يُغيّروا أيّ شيء في أنفسهم لا ينسجم مع ما يُريدون أن يكونوا عليه، بغضّ النظر عن مدى عُمق رسوخ هذه السلوكيات، العادات، أو حتى الأمراض مهما كانت. كانت الاستجابة ساحقة. لقد صعد الكتاب إلى أعلى لائحة أفضل الكتب مبيعاً في « نيويورك تايمز »، كما حقق ذلك كتاب الدكتور «بروس ليبتون» «بيولوجية الإعتقاد».

قدّمتُ مُحاضرات حول العالم حول كيف تُطبّق حكمة **«انصرفي أيتها الاعذار!»**، عندما قُدّمَت لي هذه الهدية غير المُتوقّعة كُلياً من الكون، وهي فرصة هجر كلّ الأعذار عند التعامل مع حالة لم أتوقّعها أبداً، أو اعتقدتُ أنها مُمكنة.

بعد ثلاثة أيام من العرض الوطني من برنامجي الخاص على PBS، في يوم الخميس الرابع من حزيران من عام 2009، كنتُ في عيادة الدكتور «كيبلر» في «كيهي، ماوي»، وقد أظهرت بعض فحوصات الدم التي أُجريت أثناء فحص اعتيادي طبيعي، أنني أعاني من سرطان الدم الليمفاوي المُزمن «اللوكيميا»، وهو مرض في الدم ونقي العظم. أعلموني أنه يُعتقد أنّ «اللوكيميا» مرض غير قابل للشفاء، وأنه من المُتوقّع أن يُصبح المرض أسوأ ببطيء.

حالما أنظر إلى الخلف إلى ردّة فعلي الأولى على تشخيص «اللوكيميا»،أرى أنني كنتُ في حالة صدمة. أُخبرت أنّ حياتي ستمرّ بنقلة خطيرة، إذ عليّ أن أبدأ بتحمّل التعرّق الليلي، الكدمات المُتكررة، تعداد الكريات البيضاء المُرتفع، التعب من بين أشياء أُخرى. يتوجّب عليّ أن ألتقي بطبيب مُختصّ بالأورام، وربما عليّ تحضير نفسي من أجل علاج كيميائي مُحتمل وزراعة نقي عظام. أُعيد ترتيب الحياة من أجلي من قِبل فريق

طبي ذي نوايا حسنة، وتمّ تسليمي مجموعة كاملة من الأعذار، التي سأكون قادراً على استخدامها كي أشرح صحتي المتدهورة، ونقص طاقتي، وعدم قدرتي على الاستمرار بالقيام بدعم الناس والمُساعدة في تحويل هذا الكوكب إلى موطن أكثر إدراكاً للإله.

في اليوم نفسه الذي تلقيتُ فيه تقرير تشخيص مرض «اللوكيميا» عندي، التقيتُ بامرأة كانت مُمارسة للتمريض، وكانت تُريد أن تستفيد من دعمي في مُمارسة الطبّ البديل. كانت تستخدم بعضاً من كتبي الأخيرة، وعلى نحو خاص كتاب «قوّة النية» مع مرضاها، وقد جاءت إلى «ماوي» كي ترى إن كان بإمكاني تقديم يد العون لها. عندما أخبرتها في ذلك الصباح أنني تلقيتُ أخبار إصابتي بمرض «اللوكيميا»، قررَت أن تأتي كي تخدمني.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنه لم تكن هناك مُصادفة في لقائنا، في ذلك اليوم بالذات كنتُ أتجوّل وأنا في حالة صدمة. لقد أصبحَت «بام ماكدونالد» طبيبة صحتي التي تُساعدني على إعادة تنظيم عادات طعامي كي أحصل على التوازن الغذائي المُناسب المُساعد في شفاء جسمي. كتبَت «بام» كتاباً مُهمّاً جداً بعنوان The Pes fect Gene Diet «نظام غذاء المورثات المثالي»، والذي كتبتُ فيه فيما بعد المُقدمة، وقد قدّمَتْ بحثها وعملها إلى العديد من الحاضرين في مؤتمراتي خلال السنتين اللاحقتين، لقد كان هذا بحقّ موعداً إلهياً.

لقد أمضيتُ أكثر من سنة كاملة أكتب يومياً، وألّفتُ كتاباً صُمم كي يُساعد الناس أن يتخطوا أعذارهم الأكثر تعنتاً. كنتُ أكتب عن المقدرة على تجاوز أيّ استعدادات وراثية، وإعادة برمجة العقل الباطن كي يتجاوز البرمجة الطفولية المُبكّرة الراسخة، من خلال القضاء على أيّ من الأعذار، بل على جميعها. لقد أجبرتُ الآن أن أُطبّق هذا التعليم ذاته على تشخيص «اللوكيميا» الخاص بي. قلتُ في بداية كتاب «انصرفي أيتها الأعذار!»: «إنّ عنوان هذا الكتاب هو تصريح حقيقي مُوجّه لنفسك يشمل ذلك النظام من التبريرات التي صنعتَها بنفسك. إنّ نيتي أن نجعل كلّ الاعذار تنصرف!».

هناك مقولة لـ«غاندي» لطالما التصقَت بي وهي: «حياتي هي رسالتي»، وقد كانت معي دائماً. لقد أتى كلّ شيء كتبتُ عنه مُسبقاً من خبرات حياتي: تعلّم التغلب على المصاعب، الترفع عن المألوف، تبني الأسباب التي لا تحظى بشعبية، تحدّي السُّلطة،

تجاوز الهجر، التغلب على الإدمان، صراعات العلاقة، قضايا تربية الأولاد، كلّ ذلك قُدّم إليّ من قِبل مصدر أعلى.

في الأشهر القليلة الأولى سمحتُ لنفسي أن تُؤمن بإجراء كيف نتعامل مع الجسم الذي يُعاني من سرطان في الدم ونقي العظم: بدأتُ أعاني من تعرق ليلي خطير، لاحظتُ المزيد من الكدمات الغريبة، وأصبحتُ أتعب بسهولة أكثر. تخلّيتُ عن تمارين «اليوغا» الخاصة بي مُدّة عام تقريباً، وغيّرتُ حياتي المُمتعة والمشغولة على نحو طبيعي إلى حياة من الحذر، بل من الخوف اللاواعي. قرأتُ كلّ المطبوعات التي أُرسلت لي عن «اللوكيميا»، وتبنّيتُ نوعاً ما مقولة أنه مرض غير قابل للشفاء، وسيتفاقم، المأخوذة من الرسائل المُتفشية كثيراً في المطبوعات الطبية.

كنتُ خارجاً أتحدّث على التلفاز عن ضرورة عدم وجود الأعذار من أجل عيش حياة رائعة، وكنتُ أروّج لكتاب كُتب بنية تعليم الآخرين أنّ يمحو أيّ «بل كلّ» الأعذار الصغيرة والكبيرة، وكنتُ ما أزال نوعاً ما وعلى نحو غير واع أتبنّى أعذاري الخاصة، بدلاً من رؤية تشخيص اللوكيميا كهدية تجعلني أفهم لبَّ الحقيقة فيما كنتُ أبحث وأكتب عنه في السنتين السابقتين.

لقد قبلتُ أنه باستطاعتي تغيير المعلومات الجينية حرفياً، وأيدتُ فكرة أنه بإمكاني إلغاء البرمجة المُبكّرة. كنتُ أعلّمُ هذه الأفكار الجوهرية في كتابتي، وفي المُحاضرات العمومية الكثيرة، وعلى ملايين شاشات التلفاز. بيد أني في لحظة مُوجزة أو في لحظتين، نسيتُ أنني وُضعتُ عفوياً في مصنع عذر كبير آخر يُسمّى «لديّ مرض خطير». أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ الحقيقة لا تُصبح مُستقرة حقيقة في عقلنا الباطن حتى نختبرها على نحو مُباشر. كلّ بحثي، كتابتي، مُحاضراتي، مواعظي التي أُلقيها لم تعنِ شيئاً بالمُقارنة مع الفهم الحقيقي لرسالة عيش حياة خالية من الأعذار. إنّ مرض «اللوكيميا» كان هدية، مثله مثل أيّ شيء آخر في حياتي، لقد ظهر بدقة في الوقت المُحدد.

في نهاية عام 2009، وخلال عام 2010 وما بعده، بدأتُ أستخدم هذه الهدية التي سُلمَت إليّ، بطريقة مُفيدة لنفسي ولأولئك الذين كانوا يجعلون أنفسهم مُتاحين أمام تعاليمي. طبّقتُ حكمة «انصرفي أيتها الأعذار!» على نفسي، وفي كتابتي وتحدّثي كذلك.

سألت نفسي الأسئلة السبعة، وكانت إجاباتي المُختصرة لنفسي هي:

الأول: هل عذر السرطان حقيقي؟ لا أستطيع أن أكون مُتأكّداً مئة في المئة أنّ اللوكيميا ستُبطئ حركتي أو تُصبح أسوء. قد يكون العذر حقيقياً وقد لا يكون. من أجل ذلك قررتُ ألا أؤمن بشيء يُمكن أن يكون صحيحاً أو خاطئاً.

الثاني: من أين أتى هذا العذر؟ من الرسائل اللامنتهية عن السرطان التي تغمر المنشورات الطبية، من جزء من المجتمع الطبي الذي يكسب عيشه من خلال علاج السرطان، من الانترنت، من الأشياء التي سمعتُها، وهكذا دواليك. بيد أنّ العذر لم يأتِ مني أو من مصدر وجودي، والذي هو الخير الأبدي والحبّ الإلهي.

الثالث: ما فائدة استخدام هذا العذر؟ إذا كنتُ سأستخدم عذر «أنا مريض»، بإمكاني أخذ الطريق السهل: أستطيع تجنب التعامل مع قدرتي الداخلية الخاصة من أجل الخير والشفاء، أستطيع لوم الغذاء، الهواء، الوالدين، الماء، والحقيقة أننا جميعاً مُجبرون أن نعيش في عالم مُسرطن. أستطيع الحصول على الكثير من التعاطف، وبالتأكيد، أستطيع أن أكون على حق، وهي فائدة عملاقة للأنا الزائفة.

الرابع: ما الشكل الذي ستبدو عليه حياتي إن لم أستطع استخدام هذه الأعذار؟ «هذا السؤال كان الأكثر مُساعدة لي». إذا كنتُ غير قادر على الايمان بأنه عليّ أن أكون بأيّ طريقة عاجزاً بسبب هذا التشخيص، فسأكون مُجبراً على التفكير بأفكار مثل: أنا قويّ بقدر ما أحتاج أن أكون كي أفعل أيّ شيء أختاره. لديّ القدرة الداخلية والاتصال مع الإله كي أُعالج أيّ شيء. أنا شخص نشيط يمتلك كلّ النشاط والحيوية كي أُحقق أيّ شيء أبرمج تفكيري عليه.

الخامس: هل أستطيع خلق سبب منطقي للتغيير؟ نعم، على نحو قاطع. قراري أن أعيش حياة من غير عذر «أنا مريض» يبدو ذي معنى بالنسبة إليّ، إنه قابل للتنفيذ، وسيسمح لي أن أشعر بحال جيدة، وأبقى مُتصلاً مع الإله. «مع الإله، كلّ الأشياء مُمكنة».

السادس: هل بإمكاني الوصول إلى تعاون كوني في إسقاط هذا العذر؟ نعم، مليون مرة، نعم.

السابع: كيف أُعزز على نحو مُستمر هذه الطريقة الجديدة من الوجود؟ أخلق معرفة داخلي تنفي كلّ الشكّ. أعيش من ذاتي العليا وأحترم قدسيتي الأبدية، أقوم بمُحادثات مُنتظمة مع عقلي الباطن الاعتيادي، وأوقف نفسي عندما أكون على وشك جذب عذر «اللوكيميا»، وأستعيض عنه باستجابة واعية تتحاذى على نحو كامل مع التزامي أن أعيش حياة صحية، وأُمارس التأمل أكثر، وأُنقص مستوى الضوضاء في حياتي، وأمضي وقتاً في المُحيط وفي الطبيعة، وأجعل ارتباطي بمصدر وجودي هو علاقتي الأولى في الحياة، وأعمل على الحكمة على نحو مُنتظم.

من هذا المنظور ومن رؤية أكثر وضوحاً، من الواضح على نحو جلي بالنسبة إليّ أنّ كتابتي ومُحاضراتي عن عيش حياة «انصر في أيتها الأعذار!» قد أتى في اللحظة ذاتها عندما قال لي الإله: «هذه فرصة من أجلك كي تجلب حقيقة هذه الرسالة إلى منزلك. تمرّن الآن على ما نقلتُه لك على نفسك، واستمرّ بالتزامك كي تخدم الآخرين بطريقة مُذهلة».

← ←← ←← ←← ←



- إنه الربيع من عام 2011، ولقد عشتُ مع تشخيص إصابتي باللوكيميا قرابة سنتين. لقد كنتُ مريضاً بإشراف طبيبين للأورام، وأُجري فحصاً للدم من أجل تعداد كريات دمي البيضاء على نحو مُنتظم. كنتُ أتّبع نظام الأكل المُحدد والمُراقب من قِبل صديقتي «بام ماكدونالد»، وهي مُمرضة مُتدربة وخبيرة في الطبّ البديل. بقيتُ بعيداً عن «اليوغا» الحارة «بيكرام» في السنة الفائتة بناء على نصيحة أطبائي. كنتُ أُمارس حكمة «انصرفي أيتها الأعذار!» يومياً، وضمّنتُ تشخيص مرض «اللوكيميا» في مُحاضراتي كمثال عن كيفية تعاملي مع هذه الحالة في جسمي. أخذ تلفزيون أخبار العالم ABC هذه القصة وبثّ مقطعاً محلياً عن تشخيص مرضي باللوكيميا الذي بدأ في اليوم التالي بعد عيد الشكر في السنة الماضية.

لقد سمعتُ خبراً من الدكتورة «راينا بيسكوفا»، جرّاحة العيون التي تدرّبت في «ماديرا، كاليفورنيا»: «سأقوم بجولة ثانية إلى «البرازيل» كي أرى المُعالج «جون المُقدّس»، وأُريدك بشدّة أن تأتي كذلك، لا أستطيع على نحو كافٍ إبراز مدى شعوري بأهمية هذا الأمر لك».

لقد كان هناك رجل يُعرف باسم «جون الالهي» يُعالج الناس منذ أكثر من أربعين سنة في مدينة «آبديانيا، البرازيل». لقد أتى الملايين من الناس من كلّ أنحاء العالم إلى هذه القرية الصغيرة كي يتلقوا العلاج من هذا الرجل والذي يُنجز عملياته الجراحية عن طريق كيانات تدخل جسده.

عرفتُ عن «جون الإلهي» وقصص العلاج العجائبية التي انبثقَت من «كازا دي دوم إناسيو» لأنه قبل ثمان سنوات، زارت زوجتي «مارسلين» هذا المكان مرتين وقد طلب منها أن تُساعد في احدى جلساته العلاجية.

لقد فكّرتُ منذ وقت طويل أنني سأُحبُّ الزيارة إلى هناك كي أختبر مُباشرة هذا الإنسان الفريد والمُعجزات التي قرأتُ عنها. لقد جعل هذا الرجل البسيط جداً شيئاً واحداً واضحاً جداً: «أنا لا أشفي أيّ شخص، بل الإله هو الذي يشفي، وفي خيره اللامنتهي يسمح للكيانات أن تشفي وتُقدّم العزاء لإخوتي. أنا فقط أداة في يديّ الإله المُقدّسة». بينما كان الكثيرون يَشُكون في مُعجزة هذا الرجل من «البرازيل»، وصلتُ إلى مكان في حياتي أصبح فيه لديّ عقل مُنفتح على كلّ شيء.

خططتُ أن أنضمّ إلى «راينا» في رحلتها، ولكنني قررتُ ألا أقوم بها بسبب صورة تلوح في ذهني عن المواعيد النهائية لتسليم كتابتي. مع ذلك، كانت «راينا» في مُهمّة من أجل شفائي، وصنعَت ترتيبات مُعقدة من أجلي كي أحصل على تجربة شفاء عن بعد. لقد أخبرتني أنها تقريباً مجذوبة، ومُتأكّدة جداً من حاجتي أن أختبر العلاج الإلهي المُقدّم فقط من هذا الرجل في البلدة الصغيرة «آبدانيا». عبر البريد السريع «فيديكس»، أرسلَت لي أعشاباً مُباركة، وماءً مُباركاً بالإضافة إلى التعليمات. لقد أرشدتني أن أتناول هذه الأعشاب، وأرتدي ملابس بيضاء بالكامل، وأن تُلتقط لي صور من أربع زوايا مُختلفة من أجل أن يراها «جون الإلهي».

بعد إرسال الصور عبر البريد الإلكتروني، أُخبرتُ أنّ العملية الجراحية ستُجرى لي مساء الحادي والعشرين من نيسان عام 2011، والذي يُصادف تاريخ عيد ميلاد أمي الخامس والتسعين. كما تمّ إرشادي، ذهبتُ إلى السرير في الساعة العاشرة من ليلة الأربعاء، ونمت في ملابس بيضاء بالكامل، وشربتُ الماء المُبارك، وقمتُ بالتأمل بسلام.

في الصباح استيقظتُ على مُكالمة هاتفية من «راينا»، والتي خضعَت أيضاً إلى عملية تلقائياً من «جون الإلهي» في «آبديانيا». أعلمتني أنني أحتاج أن أرجع إلى سريري، وأن أنام في مُدّة الأربع وعشرين ساعة القادمة، وأتعامل مع هذا الشفاء عن بُعد بالطريقة

نفسها، وكأنه تمّت إزالة المرارة عندي من جرّاح محلي. سمعتُ تضرّعات «راينا» إليّ، ولكني مع ذلك، لم أُنفذها. شعرتُ أنني بخير وأنه ليست لديّ ذاكرة عن أيّ شيء حدث أثناء تلك الليلة. قررتُ أنني سأذهب كي أمشي تسعين دقيقة الاعتيادية، فرُبّما لم تقدر «الكيانات» أن تجدني من أجل أيّ نوع من الشفاء، بسبب أنّ «جون الإلهي» كان في «البرازيل» حيث يختلف التوقيت سبع ساعات. خرجتُ من الباب ولم أستطع المشي أكثر من خمسمئة ياردة قبل أن أسقط!.

احتجتُ مُساعدة اثنين من أطفالي كي أعود إلى غرفة نومي. ساعداني على العودة إلى السرير وبقيتُ فيه نائماً مُدّة الأربع عشرين ساعة القادمة تماماً كما أرشدتني «راينا». أنا مُتعب وأشعر أنني ضعيف على نحو استثنائي. مع مرور الأيام بدأتُ أشعر بأعراض مريض الإنفلونزا، سعال مع بلغم، وكنتُ قادراً على تناول القليل من الحساء فقط. كان هذا ظرفي أسبوعاً كاملاً. لم يكن هناك تمرين، ولا سباحة، ولا مشي، وكأنني أتخلّص ببساطة من شيء ما غير مرئي لا أفهمه.

أخبرتني «راينا» عبر الهاتف، أنه في يوم الخميس الثامن والعشرين من نيسان، وبالتحديد بعد أسبوع من الجراحة عن بعد، عليّ أن أخضع لإجراء آخر عن بُعد يُسمّى «إزالة الخيوط الجراحية». ليست هنالك خيوط جراحية بالتأكيد، ولن يكون هناك أيّ منها في علاج سرطان الدم. في ليلة الأربعاء السابع والعشرين من نيسان، في الحادية عشرة مساءً، أي السادسة صباحاً من يوم الثامن والعشرين من نيسان بتوقيت «البرازيل» أخذتُ أعشابي المُحددة المُباركة وشربتُ الماء المُبارك من «جون الإلهي»، وذهبتُ إلى السرير مُرتدياً الملابس البيضاء. أنا ضعيف وهزيل قليلاً بسبب عدم تناولي أيّ طعام صلب، ولأني مريض قليلاً من الأسبوع الماضي. استيقظتُ في الصباح التالي أشعر أنني مُختلف كثيراً عمّا شعرتُ به سابقاً.

الشيء الأول الذي اكتشفتُه هو أنّ ساعة يدي الجديدة توقّفت عن العمل. هذا غريب لأنها أداة دقيقة ومن طراز عالمي يضمن ألا تتعطّل أو تُغيّر الوقت. خرجتُ من السرير كي أُحيي ابني وابنتي، وكنتُ مغموراً بشعور الحبّ العميق غير المشروط لكلّ منهما. وصلتُ وقمتُ بضمهما معاً وأخبرتُهما كم أُحبّهما حقيقة. سألني كلّ من «ساندس»

و«سبرينا»: «أبي، هل كنتَ تتناول الأدوية المخدرة؟ لا يُوجد لديك بؤبؤ في عينيك، وعينك اليسرى تبدو مخدوشة».

أشعر وكأنني حبّ صاف، وأنّ نباتاتي هي حبّ صاف. إنّ المُحيط يدعوني كي آتي وأسبح في هذه الجرعة من الحبّ السائل، وأطفالي يبدون كالملائكة بالنسبة إليّ. أشعر أنني قوي، وجائع، ومُبارك كُلياً. ليست لديّ فكرة عمّا حدث في غرفة نومي في الليلة الماضية، كلّ ما أعرفه بالتأكيد هو أنّ العالم وكلّ شخص فيه يبدو مُختلفاً كثيراً عن أيّ شيء اختبرتُه سابقاً.

أنا في حالة من النشوة كلّ يوم الآن بعد تجربة «إزالة خيوطي الجراحية» قبل عدة أيام مضت. ظهرَت فقرة مُزعجة من الاحتكام إلى القضاء ثمّ اختفَت، وكلّ ما أشعر به نحو هذا العدو الذي يتراءى لي هو الحبّ. مشيتُ وسبحتُ بطاقة مُتجددة، وإحساس مُتزايد من التمكين لم أشعر به من قبل في حياتي كلّها، وخاصة منذ تشخيص «اللوكيميا» عندي قبل سنتين.

مضى ما يزيد قليلاً عن أسبوع، إنه الآن العاشر من شهر أيار 2011، وهو عيد ميلادي الواحد والسبعين. أنا في «سان فرانسيسكو» كي أُنهي تصوير فيلم بعنوان My Greatest teachers «مُعلّمي العظيم»، والذي يجري حول كيف وجدتُ موقع قبر والدي في «بيلوكسي، ميسيسيبي»، وكيف كنتُ قادراً على التواصل معه ومُسامحته. أنا في جناحي في الفندق، جالساً في السرير أتأمّل مع ساعات الصباح المُبكّر. فجأة غمرني إحساس قويّ جداً أنني أحتاج أن أكون أداة من أجل سكب الحبّ غير المشروط.

تناولتُ رزمة نقدية من فئة الخمسين دولاراً، وتوجّهتُ خارجاً من فندق «سانت فرانسيس»، وأنفقتُ الجزء الأفضل من عيد ميلادي أُقدّم الحبّ والمال إلى الأشخاص المُشرّدين. قدّمتُ عناقات عاطفية واستمعتُ بإصغاء إلى رجال من غير أسنان، وضيعين بقدر ما يُمكنك تخيّله. وصلتُ إلى سيدات صغيرات ممّن كُنّ يتفحصنَ حاويات القمامة في حديقة ميدان الاتحاد بحثاً عن احتمالية وجود جائزة على شكل علبة مياه غازية فارغة، أو زجاجة ماء بلاستيكية مُستعملة. لم أُلاحظ القذارة، بل رأيتُ فقط تكشّف الإله في هذه العيون الخالية من التعبير. شعرتُ أنني في حالة حبّ كبيرة مع كلّ شخص

لمستُه. قدّمتُ كلّ المال الذي بحوزتي وعدتُ إلى غرفتي في الفندق، وجلستُ على سريري أبكي بامتنان لما كنتُ قادراً على اختباره اليوم. هذا عيد ميلادي الأبرز في أعوامي الاحدى والسبعين.

مضى عشرون يوماً منذ إزالة الخيوط الجراحية غير المرئية، إنه الآن الثامن عشر من أيار. أنا جالس على كرسي التأمل أسمع صوتاً داخلياً واضحاً يقول لي: لا تذهَب إلى المشي اليوم. بإمكانك الآن القيام بتمارين «اليوغا». صُدمت على نحو ظاهر. لقد تجنّبتُ تمارين «اليوغا» الحارة بناء على نصيحة العديد من خبراء الطبّ مُدّة سنة تقريباً. نهضتُ مُباشرة وقُدتُ السيارة نحو استديو «اليوغا» في «مايو»، وأتممتُ جلسة التسعين دقيقة، أقوم بكلا المجموعتين لكلّ وضعية. أنا واهن قليلاً، ولكني مُتحمّس حتّى الصميم من كوني قادراً على أن أقوم بما أحبتُه كثيراً، وهو مُدّة تسعين دقيقة من التمرين المُكثف. لقد عشتُ مُتعتي وتشرّبتُ بطاقة الحبّ الإلهي.

في المقطع الأخير تفحّصتُ باختصار السؤال السادس في حكمة «انصرفي أيتها الأعذار!»: هل أستطيع الوصول إلى التعاون الكوني من أجل الانتهاء من العادات القديمة؟ كلّما أعدتُ تفحّص الأحداث العجائبية التي أدت إلى شفائي مع «جون الإلهي» والكيانات التي تعمل من خلاله، أستطيع الآن أن أرى بوضوح حقيقة جوهرية: عندما ننقل طاقاتنا كي نعيش من خلال طبيعتنا الأصلية، ونُمارس الفضائل الرئيسة الأربعة المُلخصة من «لاو-تزو»، والتي تتضمن: (1) احترام الحياة كلّها، (2) الصدق الطبيعي، (3) اللطف، (4) المُساندة، نُصبح على مُحاذاة مع مصدر وجودنا الواحد، ونتلقّى التعاون الكوني. هذه الفضائل الأربعة ليست عقيدة خارجية، بل هي جزء من طبيعتنا الأصلية.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ تجربتي مع «جون الإلهي» والنتائج العجائبية التي تبعَتْ هذه الأحداث الغريبة كانت جميعها مُهمّة من أجل انتقالي إلى موقع أكثر إدراكاً للاله في حياتي. إنّ الرسالة المألوفة من إنجيل العهد القديم والتي تقول: «مع الإله، كلّ الأشياء مُمكنة»، لا تدَع أيّ شيء خارج الأمر، بما في ذلك شفاء الأمراض التي لا أمل في علاجها.

إنّ إصرار الدكتورة «راينا بيسكوفا» على أن أُواجه الكيانات عبر «جون الإلهي»

كان بحقّ تدخلاً إلهياً. لقد كان مُرتبطاً بالتزامي بالفضائل الأساسية الأربعة عندما قمتُ بالنقلة كي أعيش أكثر فأكثر من منظور «انصر في أيتها الأعذار!». أستطيع الآن أن أرى بوضوح كامل أنّ حضور مرض «اللوكيميا» كان فُرصة من أجلي كي أكون قادراً من خلال مثالي الخاص على أن أتعلّم كيف أعيش من موقع خال من الأعذار ومليئاً بالحبّ الإلهي. عرفتُ أنّ إصرار «راينا» على جعلي أخوض هذه التجربة كان إلهاماً من قوّة أكبر من كلينا. عرفتُ أنّ هذا سيكون حقيقة، لأنّ «راينا» حدَّدَت لي أنه من غير المُمكن بالنسبة إليها أن تتزعزع أو حتى تتجاهل هذه الرغبة المُشتعلة لديها في أن تدعني أختبر هذه الكيانات الشافية مُباشرة.

بعد خمسة أشهر من تجربة علاجي عن بُعد، والحيوية التي استعدتُها من الجراحة الروحية عن بُعد، دُعيتُ إلى معهد «أوميغا» في «راينبيك، نيويورك»، كي أحضر تجمّعاً مُدّته أربعة أيام حيث سيظهر «جون الإلهي» شخصياً. كان هنالك حوالي ألف وخمسمئة شخص كلّ يوم مُرتدين اللون الأبيض فقط، يسيرون في رتل ويمرون عليه، بينما تقوم الكيانات بأنواع مُتعددة من الجراحات الروحية.

لقد توضّعتُ في الصفّ مع كلّ الآخرين من غير أي أولويات خاصة من أيّ نوع. حالما توقفتُ أمام هذا الرجل الإلهي من «البرازيل»، كنتُ فقط فرداً واحداً من خطّ طويل من الناس. نظر إليّ وقال باللغة البرتغالية: «أنت في حال جيدة». هذه الكلمات الثلاث ملأتني بدموع الامتنان والمشاعر العميقة. فيما بعد، جلستُ فيما يُسمّى «غرفة الوقت الحاضر» بدعوة من «جون الإلهي»، وسكِرتُ في طاقة الحبّ التي اخترقَت مركز المُؤتمر بأكمله.

كانت «ديبي فورد»، صديقتي القديمة وزميلتي جانبي في الحجرة في «أوميغا». كانت هناك كي تُجرى لها جراحة روحية من أجل شفاء حالة الضعف والسرطان النادر الذي عاشَت معه سنوات عديدة. كلّ يوم ولعدة مرات بعد دخولها في موضوع الكيانات، كنتُ أذهب إلى حجرتها كي أتحدّث معها عن تجربة شفائي المُذهلة. بقدر ما كانت ضعيفة، بقدر ما رأيتُ في عينيها إحساساً بأنّ شيئاً أعجوبياً حقيقة كان يحدث. لقد كنتُ سعيداً جداً أننا قررنا القيام بهذه الرحلة. كانت مُتعتي الكبرى في مُشاهدة هذه

الروح الجميلة تبدأ بعملية السماح لجسدها بأن يُشفى من تخريبات مرضها.

في الصباح بعد أن سمعتُ كلمات من الكيانات من خلال «جون الإلهي»، دُعيتُ كي أُخاطب فرقة بأكملها من الناس في خيمة ضخمة. كنتُ أنظر إلى الخارج إلى بحر من البياض، وقد أخبرتُهم عن تجربتي وما أُخبرت به في الليلة السابقة، وقد كرّستُ نفسي مُجدداً كي أُشارك هذه الهدية، وأساعد أشخاصاً أكثر كي ينتقلوا إلى موقع إدراك الإله حيث بإمكانهم الاستعانة بالعقل الإلهي الواحد كي يُرسل تعاوناً كونياً إلى طريقهم.

حملتُ مُطوّلاً المُعتقد الذي تعلّمتُه من كتاب A Course in Miracles «دورة في المُعجزات» أنّ هناك حقيقة نوعان من الشعور فقط وهما الخوف والحبّ. عندما نكون في شعور الخوف، فلا مكان للحبّ، وعندما نكون في حالة حبّ، فلا مكان للخوف. عندما أنظر إلى الخلف «بإحساس أوضح» إلى التجربة التي مررتُ بها في الصباح التالي من أجل إزالة الخيوط الجراحية، يُصبح من الواضح لي وعلى نحو جليّ أنّ تلك الكيانات الإلهية الشافية وضعَت نوعاً من الحبّ السّاحر داخل وعيي، ومن خلال فعلها لهذا الأمر، لم يعد هناك مكان للخوف. لم أعرف قطّ سابقاً مثل هذا الشعور بالحبّ تجاه كلّ شخص وكلّ شيء، الشعور الذي أشبع وجودي بأكمله. إنّ كلمة **«لوكيميا»** في حدّ ذاتها كلمة مُثقلة بنذير الشر، ومن المُؤكّد أنني ضمّنتُها بعض القلق المُرتبط مع فكرة وجود خلايا سرطانية تتدفّق عبر دمي.

في اليوم الأول بعد تجربة إزالة خيوطي الجراحية، ذهبتُ إلى ثلاجتي كي أجلب جعة خالية من الكحول، والتي اعتدتُ أن أتناولها يومياً فترة من الزمن. على الرغم من أنني تركتُ شرب الكحول قبل سنوات عديدة، ولكني ما زلتُ أستمتع بطعم الجعة من غير كحول، ولكن في هذا اليوم، أخبرني شيء ما أنّه ليس هذا ما عليّ تناوله. رميتُ ورائي عادة قديمة في تلك اللحظة، ولم تكن لديّ رغبة في أن أُدخِل هذا الشراب في جسمي مرة أُخرى. إنّ تجربة الشفاء عن بُعد قادتني كي أسعى نحو طرق صحية كي أُحبّ وأهتمّ بنفسي، لسبب لا يزال غير معروف، لم تعُد تلك الجعة الخالية من الكحول بعد الآن تتناغم معي كعادة صحية. عرفتُ الآن بالتأكيد أنّ هذه التجربة كانت مُرتبة من قوّة أكبر مني بكثير.

لقد كنتُ أؤكّد دائماً عبارة «أنا مُعلّم»، وهذه التجربة، بالإضافة إلى العديد من الأحداث العجيبة الأُخرى، أُعطيت إليّ من أجل استخدامها كمثال في خدمة ودعم الآخرين. لن أقول بعد الآن أنني «مُصاب باللوكيميا»، العبارة التي طالما قلتُها على نحو نمطي في أيام بداية تشخيص مرضي. بدلاً من ذلك، أبدأُ كلّ يوم بعبارة قالتها الكيانات لي عندما جلستُ أمام «جون الإلهي»: «أنا بخير. في الحقيقة، أنا في صحة تامّة».

لقد تعلّمتُ أن أستخدم كلمة «أنا أكون» باحترام كبير. إنها اسم الإله كما أُوحي إلى «موسى» في سفر الخروج في الجزء الثالث الآية الرابعة عشرة. لا أستخدم أيّ شيء خارجي كي أُعرّف نفسي ومَن أكون، أو ماذا أفعل، ولا أُحدد حالتي الصحية على أساس ما يُشير إليه رقمٌ على نسخة طبية مطبوعة، ومن أجل ذلك، تجنّبتُ النظر إلى تلك الأنواع من التقارير. أشعر أنني قوي، وآكل على نحو صحي، وأتمرّن يومياً، ولديّ تدريب تأمّل يسمح لي أن أبقى على اتصال واعٍ مع الإله.

ما أراه بوضوح أكبر اليوم هو أنه لديّ مُساعدة إلهية، والتي أعتقد أنها حقيقية بالنسبة إلى كلّ شخص. من خلال إزالة الخوف، سمحتُ للحبّ الإلهي أن يملأ وعيي الداخلي، وهذا الحبّ الذي شعرتُ به شخصياً وعلى نحو قوي جداً منذ ذاك اليوم من شهر نيسان عندما اختبرتُ التأثير الكامل للجراحة عن بعد، كان فيه شفائي.

لا أحتاج إلى النظر إلى أيّ مكان كي أُقيّم توكيداتي: أنا بخير، أنا في صحة تامّة. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ حضور «الأنا العليا» الخاصة بي، والتي هي بحقّ ما أنا عليه، يُحدد حالتي الصحية. إنّ عملي هو أن أعيش كلّ يوم في حالة امتنان تجاه حضور هذه «الأنا». أنا هنا أيضاً كي أُعلّم الجميع ممّن سيستمع أنهم أيضاً يمتلكون حضور هذه الأنا الإلهية الخفية، إنها جوهرهم الحقيقي، وعليهم أن يثقوا بها، ويبقون في حالة سامية من تقديرها كلّ يوم.

لقد أخبرنا الصوفيون أنه عندما نمشي في حديقة وندوس على شوكة، علينا أن نتذكّر دائماً أن نقول شكراً لك. من أجل شوكة «اللوكيميا» التي جعلتني أقرب إلى حضور «**الأنا العليا**» الخاصة بي، وإلى عقل الإله المُقدّس الواحد الذي يمتلك كلّ المعرفة، أُقدّم «شكراً لك، من أعماق القلب، شكراً لك، شكراً لك، شكراً لك».

◄◄◄◄◄◄◄◄



- كنتُ أقرأ كتاباً صغيراً خلق نوعاً من وعي الإدراك الذي حدث قبل أربعين سنة عندما قرأتُ لأوّل مرة كتاب الدكتور «ألبرت إليس» **A Guide to rational living** «دليل إلى العيش العقلاني». من خلال المقاطع الصغيرة السبع وعشرين في هذا الكتاب بقيتُ أشعر أنه يُخبرني هناك شيء ذو أهمية كبيرة هنا من أجلك، انتبه ودوّن مُلاحظاتك. كمثال، أحببتُ هذه الكلمات من آخر مقطع: «في الخلق كلّهم، في الأبدية كلّها، في كلّ الأكوان من وجودك اللانهائي، إنّ الحقيقة الأكثر روعة التي تمّ التأكيد عليها في المقطع الأول من هذا الكتاب، أنت إله، أنت تلك الأنا العليا».

هذا الكتاب هو قوّة الوعي للمؤلّف «نفيل غودارد» الذي كتب عشرة كتب بإسم مُستعار «نيفيل». إنه أشبه بمغناطيس في حوذتي، قرأتُه، ثمّ جلستُ وتأمّلتُ كلّ بضعة جُمَل، ثمّ كتبتُ لنفسي بضع مُلاحظات، وحاولتُ أن أضعها جانباً، ولكنها استمرّت تدعوني كي أجمعها مُجدداً. لقد قمتُ بهذه التجربة في مُناسبات عديدة في حياتي، وعندما كان الأمر يحدث، كنتُ أعرف أنّ هناك قوّة تعمل كي تُخبرني أنّ هذا جزء من خطة حياتي، ورسالتي الروحية «دهارما» التي لا أستطيع تجاهلها.

بحلول نوفمبر من عام 2010، كنتُ قد استمعتُ إلى العديد من مُحاضرات «نفيل»، وأنهيتُ أربع قراءات كاملة لكتاب «قوّة الوعي». طلبتُ ثمان نسخ من الكتاب كهدية عيد الميلاد إلى كلّ واحد من أولادي، مُشجّعاً إياهم على اكتشاف هذه الفكرة الجوهرية: «التخيّل يصنع الواقع». طلبتُ منهم أن يُعلموني كيف شعروا حيال الكتاب

بعد أن قرؤوه، وأعطيتُهم احدى أكثر مقولات «نيفيل» تأثيراً: «افترض أنك الآن ذاك الانسان الذي تسعى إليه وأنك افتراضك عنه، وعلى الرغم من أنه زائف، إلا أنه لو استمرّ، فسيتشكّل إلى حقيقة». لقد استجاب كلّ واحد منهم بالرأي نفسه، والذي هو على نحو أساسي: «شكراً والدي، حاولتُ قراءتَه وكان عليّ أن أُعيد قراءته مرات ومرات، ثمّ أضاعني. عميقٌ جداً، مُربكٌ جداً».

بالنسبة إليّ، احتفظَت كلمات «نفيل غودارد» بقوتها كي تشحنني بالحماسة، حيث أنه أكّد بسهولة تامّة أنّ أفكارنا تصنع العالم، وهي تقوم بهذا بالمعنى الحرفي. أشعر أنني مُجبرٌ تقريباً على أن أجعل تعاليمه أسهل وصولاً وأكثر قابلية للفهم بالنسبة إلى العالم المُعاصر. قررتُ أن أكتب كتاباً بعنوان Wisher Fullfilled «أُمنيات مُحققة» وأصنع برنامجاً عاشراً خاصاً كي أُقدّم الأفكار المُعززة التي أشعلها في نفسي. أشعر أنّ هذه الأفكار يُمكن أن تقود إلى «ورُبّما تبدأ» تسريع للنقلة في الوعي الجماعي.

لقد كان طريقي الخاص أن آخذ أفكاراً مُجرّدة نوعاً ما، وغالباً مُعقدة على نحو مُفرط، وأجعلها مُتوفّرة بطريقة مفهومة ومُبسّطة. شعرتُ أنّ هذا ما نقله لي الدكتور «ماسلو» عند موته: تعريف الإنسان العادي على الطاقات المُخبأة من التحقيق الذاتي الكامنة داخل كلّ منا. لقد تُوفي «نفيل» في الأول من تشرين الأول من عام 1972، تماماً إبان الوقت الذي بدأتُ فيه مُستقبل كتابتي. الآن، بعد أربعين سنة من وفاته، ما زالَت العديد من مُحاضراته وكتبه تُوقظ المُحقق النائم داخلي. كتبتُ أربعين كتاباً حتى هذه المرحلة، والأفكار التي قدّمها «نفيل» تهتزّ في داخلي مثل زوبعة تحتاج أن تخرج.

بدأتُ قراءة مُعمقة لإنجيل العهد الجديد، واضعاً اهتماماً خاصاً على كلمات «المسيح»، الذي قدّم الحكمة الإلهية على أننا جميعاً ربانيون. إنّ ذاتنا العليا هي الإله، وهي جوهرنا النقي. أتينا من الإله ونحن ربانيون، وعلينا فقط أن نتغلّب على فيروسات التفكير العديدة، والتعاليم الدينية التي تُريدنا أن نُؤمن أنّ هذا هُراء وكُفر.

لاحقاً غمرتُ نفسي في مُحاضرات «الأنا العليا» للمُعلّم المُتقدّم «ساينت جيرمان»، وشعرتُ بالحماسة تخرج من خلالي عندما أدركتُ أنّ كلمة «أنا أكون» هي اسم الإله كما نُقلَ في سِفر الخروج، وأنه في كلّ مرة أقول فيها هذه الكلمة، فإنني أُشير بها إلى اسم الإله.

قرأتُ كتاب «قوّة الوعي» للمرة الخامسة في أقلّ من ستة أشهر. أنا مُتحمّس كي أضع هذه التعاليم القوية قيد العمل في حياتي الخاصة، ومن أجل ذلك انسحبتُ إلى مكان كتابتي المُقدّس في «ماوي» كلّ يوم وذبتُ فيه. رأيتُ أنّ الهدية الأكبر التي قُدمَت لي في حياتي هي هدية خيالي. من خلال وضع هذه الكلمة وتثبيتها في الخيال على أنها «الأنا العليا» المُدركة للإله، نستطيع أنا وكلّ البشرية إنجاز أيّ هدف. هذا يتطلّب فقط افتراض الشعور الآن بأنّ الأمنية قد تحققت للتوّ. أعلن لنفسي أنني بخير، أنا في صحة تامة، فيستجيب الكون من خلال إرسال الطاقة إليّ، والتي تتوافق مع حالة الأنا العليا الخاصة بي والمعززة بثبات في خيالي.

أنا أعيش في وعي شاطح، إذ تتحرّك يداي عبر الصفحات الفارغة وتملؤها بطريقة لا أعرف كيف ولا من أين. لقد استُخدمتُ كأداة. استمرّت المقاطع بالتدفق، وأنا أُحبُّ هذا الشعور من الكتابة الآلية تقريباً. كتبتُ عمّا أعتبرُه التعاليم الخمسة الأكثر أهمية من عمل «نيفيل»، عمل «يويل، إس آندرسون»، والتعاليم المنقولة من «سانت جيرمان».

في هذه الأثناء، حدثت المُعجزات كلّ يوم. تحدّثتُ إلى مُنتجي «نيكي فيتل»، وحصلنا على الإذن الكامل والمُبارك من المُتنفذين في PBS كي نقوم ببرنامج خاص من ثلاث ساعات. سيُعرض هذا البرنامج عبر البلاد في السنوات العديدة التالية، مُعطياً الملايين من الناس الفرصة كي يكتشفوا ما أنا مُتحمّس جداً من أجل مُشاركته. رفضتُ أن أسمح للخوف من النقد المُحتمل من أُولئك الذين يأخذون نظرة مُختلفة عن الإله، في أن يكون سبب ارجاعي لكلّ شيء إلى الوراء. درستُ كلمات «المسيح» والعديد من آرائه التي تخصّ «الأنا العليا». وضعتُ المادة بأكملها بإخلاص دون حذف لأيّ شيء في تصوير الفيديو الفعلي لبرنامج PBS الخاص العاشر هذا.

مع حلول شهر آذار من عام 2012 كان البرنامج الخاص الجديد «أُمنيات مُحققة» يُبثّ فعلياً في كلّ محطة تلفزيونية في «الولايات المتحدة الأمريكية» و«كندا». لقد جُمعَت أكثر من ثمانية عشر مليون دولار من أجل البث العام في «الولايات المتحدة الأمريكية»، وبذلك يُصبح المجموع الكلي أكثر من مئتي مليون دولار منذ عام 1998، عندما بدأتُ رحلة زيارة كلّ محطة PBS تقريباً أثناء البرنامج الأسبوعي.

صعد كتاب «أُمنيات مُحققة» إلى قمة لائحة «نيويورك تايمز» للكتب الأفضل مبيعاً، واستملتُ طناً من البريد الالكتروني من ملايين الناس الذين أخبروني بالكثير من المُعجزات التي حصلَت في حياتهم من خلال تطبيق رسائل كتابي الروحية.

تلوتُ صلاة صامتة من الامتنان من أجل «نيفيل» المُتألّق. لقد أخذ الترنيمة السادسة من الجزء الثاني والثمانين التي تقول: «أنتم آلهة» على أنها الحقيقة الحرفية لحال الإنسان. استغرقتُ في قراءة كلّ تعاليم «نيفيل»، وعلى نحو خاص تلك التي تتحدّث عن قوّة الوعي، ودرستُ كلمات «المسيح»، ومُحاضرات «الأنا العليا»، وبذلتُ كلّ جهد كي أُبقي كلّ هذه الرسائل الإلهية بسيطة، مفهومة، وقابلة للتطبيق في الوقت الحالي. راقبتُ بفخر كبير ومُتعة شخصية تلك الاستجابة الإيجابية الهائلة لهذه التعاليم التي تدعم الوعي بأنّ الإله ليس مُعتقداً خارجياً، بل هو الوعي داخلنا. مع تلك المعرفة بأننا مُندمجون مع الإله «ما وراء الأنا الزائفة» يُصبح تجلّي رغباتنا ليس فقط مُحتملاً، بل أمراً مضموناً.

أنا فخورٌ جداً ومُبارك كثيراً أنني أمتلك الدافع الداخلي كي أقرأ، أُعيد القراءة، أدرس، وأُطبّق كلمات هذا المُعلّم الواضح والجذاب. لقد التقط «نيفيل» المنطق المُطلق لمبادىء التفكير المُبدع بطريقة لم يهتمّ بها أحد في زمانه. لقد أتاني عمله في السنتين الماضيتين مع الإصرار على أن أُعير العمل انتباهاً، وأدرسه بعناية، وأجعله مُتوفّراً لأوسع شريحة مُمكنة من الجمهور. لقد حمَلت تعاليم «الأمنيات المُحققة» معها القوّة من أجل جعل الجنة على الأرض حقيقة.

لطالما استشهدتُ بالحكمة البوذية «عندما يجهز الطالب، يظهر المُعلّم»، على الرغم من أنها ليست دائماً واضحة في كلّ وقت، ولكنّ جميع تجاربنا في هذه الحياة، حتى تلك المُؤلمة لها هدف حقيقي وضروري في رحلة أرواحنا. اليوم أستطيع أن أرى بوضوح تام أنّ تعاليم «نيفيل» أثرت في نفسي في الوقت الذي بدا مُتناغماً على نحو رائع مع درجة جاهزيتي كطالب ومُعلّم لمبادىء الوعي الأعلى والروحانية.

في بداية أيام كتابتي، كما وضحتُ سابقاً، لم أذكر مُطلقاً كلمات الإله، الروحانية، أو الوعي الأعلى، وكان ذلك بسبب أنني كنتُ أكتب من مكان مُعيّن يُعبّر عن جاهزيتي

الخاصة. لقد كان المُعلّمون الذين احتجتُهم في ذلك الوقت يُساعدونني كي أُوصل رسالتي من التحفيز والتطوير الذاتي إلى الجماهير. بينما كانت درجة جاهزيتي ترتفع، كان كذلك أيضاً يظهر لي مُعلّمون بوعي روحي أكبر.

عندما أنظر إلى الوراء استطيع أن أرى أنّ مهنتي بأكملها قد بدأت عندما كنتُ ذاك الصبي الصغير في الملجأ. استطعتُ أن أرى النقلة تحدث عبر سنيني كلّها في المدرسة الثانوية، وفي الخدمة العسكرية، وكطالب جامعي مُحبّ للاستطلاع، وكمُعلّم مدرسة شاب، وكأستاذ جامعي، ومن خلال أربعة عقود ككاتب للعديد من الكتب، ومُحاضر للملايين من الناس حول العالم. من بعيد، أنظر إلى الأمر برُمته، وأستطيع أن أرى النماذج من أيامي الأولى إلى الآن وأنا رجل في السبعينيات. لقد كانت رحلة طويلة الأمد، وقد أصبح الدافع الكلي مرئي على نحو واضح بالنسبة إليّ الآن. لقد كنتُ غير قادر على أن أرى في وقت كلّ موقف كنتُ فيه، كيف أنّ كل خطوة أدّتْ إلى خطوة أعلى على السُّلّم نحو إدراك الإله.

انتقلتُ من عدم استخدام أو حتى الأخذ في عين الاعتبار كلمات: الإله، الوعي الأعلى، أو حتى الروحانية إلى مرحلة تقديم هذه الأفكار ببطء في مُناسبات نادرة في كتابتي وتحدّثي. انتقلتُ تدريجياً إلى مكان حيث كنتُ مُنفتحاً على اعتبار أهمية الكتابة عن العلاقة مع الإله، واكتشفتُ أنّ الخطوة التالية كانت أن أُشبه الإله أكثر. من خلال مُحاضرات «نيفيل غودارد» و«سانت جيرمان» عن «الأنا العليا»، تعلّمتُ الحكمة المُطلقة من العيش من مُنطلق الأنا العليا، والتي هي من الإله. يالالروعة، يا لها من رحلة!.

مع فائدة التعلّم من الأخطاء، لاحظتُ أنه قبل خمس عشرة سنة من كتابة «الأمنيات المُحققة»، كتبتُ كتاباً بعنوان Manifest yous destiny «ساهم بتجلّي قدرك». كانت تلك درجة جاهزيتي في ذاك الوقت. كنتُ في المراحل المُبكّرة من تحوّلي من كاتب يستند على علم النفس والتحفيز، إلى طالب ومُعلّم للروحانية والوعي الأعلى. بالعودة إلى عام 1996 كنتُ أضع التركيز على أن تحصل على ما تُريده، مُؤكّداً أنه عندما تتعلّم مبادىء التجلّي، فستكون قادراً على القيام بهذا مُستخدماً العناصر التسعة المُهمّة في عملية التجلّي، والتي كانت وما تزال أساسية كي يعيش الفرد حياة يكون فيها قادراً على

جذب كلّ ما يُريده. بعد خمس عشرة سنة، انتقلتُ تدريجياً إلى مساحات وعي الإله.

إنّ نوع التجلّي الذي اكتشفتُه في «أُمنيات مُحققة» يستند على تحقيقاتي الخاصة في أعمال مُحاضرات «الأنا العليا» وعلى نحو خاص تعاليم «نيفيل غودارد». إنّ الأمر ليس عن الحصول عمّا تُريده من خلال التدرّب على مبادىء مُحددة، بل إنّ موضوع «الأمنيات المُحققة» هو أنّ الروحانية ليست تجلّي الأمر الذي تُريده، بل تجلّي ما أنت عليه. عرفتُ الآن أنّ كلّ رغباتي في الأشياء تأتي من وعي الاحتياج والنقص. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنني للتوّ كاملٌ وتامّ، وأنّ عملية التجلّي هي حول أن أُصبح كلّ ذاك الذي نويتُ أن أكون عليه، من خلال المُطالبة بإلوهيتي ورابطي مع مصدر وجودي. إنّ عيش حياة من إدراك الإله هو التجلّي الحقيقي.

أُمعن النظر يوماً بعد يوم في أنّ أفكار السلام والحبّ تجاه كلّ مخلوق هي طريق الوعي الذي يُؤدّي إلى وفرة السلام. هذا ما ما كنتُ سأُضيفه إلى كتابي الأصلي عن التجلّي الذي كُتب قبل خمس عشرة سنة مضت. من خلال التفكير والتصرّف مثل مصدر الإبداع، حوّلتُ رغبة الأنا الزائفة في المزيد والمزيد من الأشياء المادية، ووصلتُ إلى فهم أنني لا أُساهم في تجلّي ما أُريده، وإنما أُساهم في تجلي ما أنا عليه. من خلال البقاء في مُحاذاة مع «التاو» أو الإله، أو العقل الإلهي، حصلتُ على كلّ قوّة مصدر إبداع الكون. إنها ذاتي العليا. إنه الإله، وعندما أعيش بهذه الطريقة، سأكون الأنا العليا.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أيضاً أن افتتاني بتعاليم «نيفيل» ومُحاضرات «الأنا العليا» قد تمّ تدبيره من أجلي من قِبل قوّة أرادتني أن أفهم أنه فقط من خلال الوجود في مُحاذاة وعي الإله يُمكن للإنسان جذب الدليل الروحي من أولئك الذين الذين تركوا هذا البُعد الأرضي. من خلال تجنّب الحكم، النقد، الإدانة، وكلّ أفكار الأذى، تُميّز ملائكة الوعي الأعلى نفسها في الإنسان المُتحفّز معها في الحبّ النقي، ويتعاون الكون من أجل فتح أبواب الوفرة والسعادة الأسمى التي بقيت مُغلقة بشدّة. أرى بوضوح الآن أنه كلّما عاش الإنسان حياة من الحبّ الإلهي، تلقى الدليل والتوجيه على نحو أكبر من المصادر غير المادية.

إنّ الرسالة هنا واضحة بالنسبة إليّ الآن. في الرؤية الأعلى من الروح يتحرّك ملاك يقظ، من أجل ذلك، اِستخدم خيالك بطريقة تُبقيه على نحو كامل في مُحاذاة الحبّ

الإلهي. إنّ الأمر ليس أنّ هذه التعاليم القوية، التي أصبحت خلفية «الأمنيات المُحققة» في عام 2012، كانت غير معروفة أو غير مُتوفّرة بالنسبة إليّ قبل خمس عشرة أو حتى قبل خمس سنوات مضَت، بل إنها دائماً مسألة جاهزية. لقد أصبحتُ أكثر انفتاحاً على أفكار أنّ التوجيه الروحي موجود هنا دائماً من أجلي، وفكرة أنّ الإله ليس مُعتقداً خارجياً، ولكنه عميقٌ داخلي وداخل كلّ شخص عاش في أيّ وقت مضى.

لقد زرع الخالق شيئاً منه داخل البشرية، شعلة من طبيعة نفسه في «الأنا العليا»، التي بإمكانها أن تنمو إلى شعلة من الإدراك أنه في جوهري الأساسي، أنا رباني. كما أنّ جاهزيتي الخاصة تحوّلت إلى قبول ما اعتبرته مُسبقاً مبدأً مُتطرفاً، كذلك بدأ المُعلّمون الذين كنتُ جاهزاً من أجلهم يظهرون بسرعة مُذهلة، وما كان ذات يوم غامضاً ومنبوذاً من قِبلي في مرحلة مُبكّرة في حياتي أصبح محسوساً ومُمتعاً على نحو مُكثف. لقد تطوّر هذا من خلالي بشحن من حماستي إلى كتاب وحلقة خاصة على PBS بعنوان «الأمنيات المُحققة».

من خلال بثّ حلقتي الخاصة العاشرة على PBS على شبكة التلفاز المحلي، المُستندة على تعاليم «نيفيل» ومُحاضرات «الأنا العليا»، كنت قادراً على إحضار «آنيتا مورجاني» على خشبة المسرح كي تُخبر قصة مذهلة عن تجربة اقترابها من الموت، والشفاء المُذهل لاحقاً من سرطان الغدد اللمفاوية الذي وصل إلى أقسى مراحله. أتت قصة «آنيتا» إليّ في الوقت نفسه الذي أصبحتُ فيه أكثر جاهزية من أجل تلقي هذه التعاليم المُؤثرة في التفكير. وصلَتْ هذه المُعلّمة إلى حياتي عندما كنتُ قادراً على مُساعدتها في نشر كتابها Dying to Be me «أموتُ كي أكون أنا»، وقد حظيتُ بميزة كتابة مُقدمة هذا الكتاب.

اكتشفت أنيتا مُباشرة أنها لم تكن مُنفصلة عن الإله، وأنها شُفيَت من الآثار المُخرّبة لسرطان مُنهك تطوّر إلى درجة أنه قُدر لها أن تعيش بضع ساعات فقط. لم يبقَ أحد ممّن كان في هذه المرحلة النهائية من السرطان على قيد الحياة، ومع ذلك عادت «آنيتا» من غير سرطان، كي تُعلّم الآخرين ما تعلّمته أثناء اقترابها من الموت، في حالة الغيبوبة اللاوعية. لقد لامسَت قصتها حياة الملايين من الناس وأصبح كتابها على لائحة الكتب

الأفضل مبيعاً في «نيويورك تايمز». إنها الآن تجوب العالم كي تُشارك مع الجماهير ما تعلّمته وعرفته بالتأكيد وهو أنّ كلّ ما علينا فعله هو أن نُقدّر روعتنا ونعرف في قلوبنا أننا دائماً مُرتبطون بالإله، ومع الإله، كلّ الأشياء بحقّ مُمكنة.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ كلّ الظروف التي حدثت بطريقة مُقنعة، من أجل أن أعرف بأمر تجربة «آنيتا» الاستثنائية على «الجانب الآخر من الحياة»، ورغبتي التي لا ترتوي في ايجادها في «هونغ كونغ»، ومُساعدتها في رواية قصتها، والتأكّد من نشر كتابها، ثمّ احضارها إلى «أمريكا» كي تظهر في برنامجي الخاص على PBS، كان بأكمله مُصمماً من قِبل قوّة أعلى. كان الملايين من الناس قادرين على أن ينتقلوا في تطوّرهم الخاص نتيجة كتاب «آنيتا» والظهور على PBS. لقد احتاجوا أن يروا ويسمعوا من شخص اختبر القوّة التي في داخل كلّ منا، ويُعزز فكرة أننا جميعاً ربانيون.

أنا في روعة من التزامنات الرائعة التي كانت تعمل. في الحقيقة عندما يكون الطلاب مُستعدون، يظهر المُعلّمون وتظهر التعاليم على نحو سحري.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



➡ إنه منتصف شهر حزيران من عام 2011، وقد عدتُ إلى «آسيسي». قبل عدة أشهر رتبتُ مع «ريد تريسي»، صديقي المُقرّب والمُدير التنفيذي في دار «هاي هاوس»، ناشري الحصري على مدى السنوات الاثنتي عشرة الماضية، كي يُروّج لهذه الرحلة التي ندعوها Expesiencing The Misaculous \اختبار المعجزة. أخذنا المسار كي نطير إلى أماكن مُقدّسة في «آسيسي»، «لورديس»، «ميدجوجورجي» بواسطة طائرة خاصة. في كلّ من هذه الأماكن الثلاثة، حيث حدثت مُعجزات قابلة للتحقق، سأقوم بتقديم مُحاضرة مُدّتها ساعتين. لقد سجّل مئة واثنان وستين شخصاً، وهو الرقم الأكبر من المقاعد على طائرتنا المُستأجرة، من أجل رحلة العمر هذه.

هذه زيارتي الثالثة إلى منزل القديس الذي كان مُساهماً كثيراً في تطوّري الروحي منذ أكثر من عشرين سنة مضت، وقد عرفتُ عندما كنتُ أُخطط لهذه الأوديسة الروحية أنه عليّ أن أرجع إلى هنا. إنّ رؤيتي هي أن أعيش فعلاً المثاليات التي حددَت حياة القديس «فرانسيس الأسيسي»، والذي كان قوّة هائلة في حياتي عبر العقود العديدة الماضية.

عندما دخلتُ الفندق، قُدّم إليّ ثوب بني اللون كي أستخدمه، مُصمم كما تصميم ملابس رهبان الفرانسيسكان القديمة «تماما كما ارتدى القديس فرانسيس بنفسه عندما أوجد هذا النظام الروحي منذ أكثر من ثمانمئة سنة». ارتديتُ الثوب ومشيتُ عبر أراضي الفندق هنا في هذه القرية في شمالي «إيطاليا»، وأنا في حالة من الروعة من العودة إلى المكان الذي واجهتُ فيه تلك المُعجزات في الشفاء في التسعينيات. لمستُ ركبتي

على سبيل التذكّر، وقدّمتُ صلاة صامتة من الامتنان تجاه الانسان الذي شاهدتُ مُحياه عندما طلب مني أن أنهض مع «جون غراي بل» المُعلّق على ظهري، وأعطاني العلاج الذي حفظني من إجراء عملية تبديل الركبة.

في اليوم التالي، زارت مجموعتنا «التي تضمّنَت ثلاثة من أولادي»، الأماكن المُقدّسة العديدة التي تدلّ على أنّ شخصاً واحداً استطاع التأثير على كلّ سكان العالم في أكثر من ثمان دول بعد موته في عام 1226. كانت حياة «فرانسيسكو» واحدة وكان لديه فيها رابط عميق مع «المسيح». لقد كان مُقتنعاً أنّ عيش حياة من وعي «المسيح» بإمكانها حرفياً أن تجلب التسامح، الحب، الثقة، الأمل، النور، والفرح إلى العالم حيث يكون الناس قادرين على التخلي عن الانتقام، الكره، الشكّ، اليأس، الشرّ، والحزن.

أنا مُتأثر بعُمق أنني تلقيتُ الإذن كي أُقدّم مُحاضرة في الليلة التالية في جادة مُميزة جداً لم تكن مُتوفّرة من قبل لحدث مثل هذا: كنيسة «سان بيترو»، دير «البينديكتين» الذي وُجد في القرن العاشر. لقد أُعطينا الإذن أيضاً كي نجلب آلة تصوير فيديو واحدة من أجل تسجيل هذه المُحاضرة. بالتأكيد، لعب «فرانسيسكو» دوراً في السماح لي بأن أُقدّم مُحاضرة وأُصوّرها هنا.

وقع تاريخ مُحاضرتي في موعد قلب التوقيت الصيفي في يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من حزيران. في تلك الليلة تمّت تحيتنا من قبل راهب فرانسيسكاني كأيّ شخص دخل الكنيسة بهدوء. لقد ابتسم بمُوافقة عندما تكلّمتُ عن هذه التركيبة المذهلة التي كانت موجودة هنا في «آسيسي» في الوقت الذي كان فيه «فرانسيسكو» ومجموعته من المُخلصين يُحاولون أن يصنعوا تأثيراً على الفساد الذي كان مُستشرياً في التسلسل الهرمي الكاثوليكي في ذاك الوقت.

إنها بيئة مُثيرة، على الرغم من أنها صافية وهادئة على نحو ملحوظ. هناك تمثال لـ«المسيح» على الصليب، وأنا سأتحدّث في غضون لحظات قليلة قرب هذا التمثال القديم. بينما انتظرتُ في أجنحة الهيكل، شعرتُ بارتعاش لا يُشبه أيّ شيء جرّبتُه قبل التحدّث. قبل مُحاضرتي، قدّمني كلّ ولد من أولادي: «سيرينا»، «ساندس»، و«ساجي» على نحو شخصي وبطريقة مليئة بالحبّ. ثمّ أخبرتُ عن تاريخي الطويل مع «سانت

فرانسيس»، وشعرتُ كأنني في حقل طاقة مشحون على نحو فائق. لم أستطع زعزعة فكرة أنه هنا معي.

بينما كنتُ أتجهّز لانهاء مُحاضرتي المُسجلة بالفيديو والتي كانت مُدتها ساعتين، قرأتُ من «نيكوس كازانتزاكي» تلك القصة الخيالية والتي تنتقل بعُمق والمُعنونة على نحو بسيط: «القديس فرانسيس»، وهي تحكي عن تحوّل «فرانسيسكو» من جندي شاب مات تقريباً في السجن، إلى مُتديّن تخلّى عن كلّ شيء امتلكه، وكرّس حياته كي يُصلح كنيسته ويعيش رسالة المسيح دون هوادة. رويتُ هذه القصة من خلال عيون الرفيق الدائم لـ«فرانسيسكو» الأخ «ليو».

لقد قرأتُ هذه الرواية النادرة خمس أو ست مرات، ولطالما حرّكت مشاعر عميقةً داخلي. لقد اخترتُ الآن أن أقرأ اقتباساً قصيراً حيث كان «فرانسيسكو» يُجابه أكثر شيء يخشاه وهو المجذوم، وقد أمره «المسيح» أن يُقبّله على فمه كي يستأصل خوفه من أولئك المُبتلين بالجذام على نحو مُروّع.

عندما قرأتُ القصة أمام المجموعة، غلبتني مشاعري فجأة. تجمّدتُ على خشبة المسرح وفقدتُ القدرة على مُتابعة الحديث. بكيتُ دون تحكّم، وفقدتُ السيطرة على نفسي. أشعر كما لو أنه تمّ الاستيلاء عليّ من شخص آخر. للمرة الأولى خلال أربعين سنة من التحدّث أمام العموم، شعرتُ وكأنني لستُ نفسي. أنا لستُ «واين داير»، الذي يُعطي مُحاضرة تُصوّر كي تكون جزءاً من رحلة روحية مُصوّرة. لقد اندمجتُ مع هذا الكائن الذي كان في داخل وخارج حياتي، أحياناً على السطح الخارجي وفي أوقات أُخرى في أعماق روحي. لقد أصبحنا واحداً.

تدفّقت الدموع إلى أسفل وجهي، وشعرتُ وكأنّ «فرانسيسكو» قد اندمج معي. لم تكن هناك كلمات تصف هذا الشعور. كانت يداي ممدودتين، ووقف الجمهور في الكنيسة ومدّوا ببساطة أيديهم إلي. لقد بقوا معي، وشعرتُ بعناقهم المُحبّ على الرغم من أنه لم يكن هناك لمس أو حتّى حركة. لم يكن هناك تصفيق، لقد اكتملَت المُحاضرة. كنتُ في الوقت نفسه أشعر بحطام عاطفي، ونشوة من السمو كروح من الإله.

اقترب الناس مني حالما مشيتُ خارج الكنيسة وأخبروني أنهم لم يكونوا قط في مثل

هذه المساحة سريعة الخطى، وأنّ أنفاسهم سُلبت منهم في الوقت ذاته. عرفتُ أنّ شيئاً دراميًا قوياً جداً قد اتضح للتوّ. لقد اختبرتُ للتوّ اندماج ذاتي الداخلية مع روح لعبَت دوراً دائماً ولفترة طويلة في تطوّري الروحي والشخصي.

توجّهَتْ المجموعة إلى مطعم، بينما لم أكن قادراً أن أُفكّر بالطعام. رجعتُ بواسطة سيارة أجرة إلى غرفتي في الفندق، حيث تأمّلتُ ساعتين. لم تكن لدي شهية للأكل. أشعر أنني مُنهك، وكأنني عبرتُ من خلال عملية إزالة سموم قوية. كنتُ مستيقظاً طوال الليل أنقل ما حدث في الكنيسة، وحاولتُ أن أتخيّل كيف أنني كمُتحدّث مُحترف موسمي، استطعتُ أن «أختصر ذلك» دون خجل على خشبة المسرح.

هناك تسلسل واضح في الظروف والأحداث التي أدّت إلى تجربتي في كنيسة «سان بيترو» في «آسيسي»، عندما شعرتُ بحضور القديس «فرنسيس» يدخل جسمي ويجعلني بلا كلام ولا حركة أيضاً. حتى ذاك اليوم من الانقلاب الصيفي في عام 2011، كتبتُ وتحدّثتُ كثيراً عن مبدأ الوحدانية ودمج الأرواح عندما يتحقق إدراك الإله. في كلّ من كتبي ابتداءً من كتاب «**سترى الشيء عندما تعتقد به**»، المكتوب قبل أكثر من عشرين سنة، حيث كتبتُ فصلاً كاملاً عن الوحدانية، كنتُ قادراً على أن أتكلّم على نحو معقول عن هذه المواضيع المُعدّة من أجل فئة قليلة. أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنّ العديد من الكتب التي لحقَتهُ كانت مُحاولات مني كي أُوسّع هذه الفكرة التي نرتبط بها جميعنا، وأنّ هذه الفكرة من كونك مُندمج كُلياً مع شريك روحي آخر هي إمكانية حقيقية.

إنّ رؤيتي الأوضح اليوم عندما أنظر إلى الوراء إلى نفسي عند ذلك الهيكل في تلك الكنيسة الرائعة حيث وقف القديس «فرنسيس» ذات مرة، في تلك المدينة العظيمة «آسيزي»، تُصبح نظرتي أوضح اليوم أنني أُخذتُ إلى مكان حيث كان بإمكاني حقيقة أن أختبر الفارق بين الكتابة عن الوحدانية واختبارها على نحو مُباشر. إنّ الأمر أشبه بالفارق بين المعرفة عن الإله عبر كتابات الآخرين، ومعرفة الإله من خلال القيام باتصال واعٍ مع الإله.

لقد كان الوقت المُناسب بالنسبة إليّ كي أرى الصورة الأكبر لرحلة حياتي من كاتب شاب مُتحدّث عن الأمور النفسية، إلى مستوى مُفترض من الخبرة في السعي الروحي،

إلى الوصول إلى المعرفة في نهاية المطاف عن طريق تجربتي الشخصية مع «سانت فرانسيس». لقد كان ذلك حقيقة موعداً مُقدّساً مُرتباً من قبل قوى خفية أيّ كانت، تقوم بأمور سماوية كهذه.

إنّ الأمر قريبٌ من معرفتي المُطلقة اليوم أنّ سنواتي التي قضيتُها في سلسلة من بيوت الحضانة ودور الأيتام في العقد الأول من حياتي قد قُدمت إليّ على أنها الطريقة الوحيدة التي استطعتُ أن أعرف بها حقيقة فكرة الاعتماد على الذات. أنا أنظر إلى تلك السنين المُبكّرة على أنها المسار الذي كنتُ مُوجّهاً كي أجتازه، وخطوات الطفل البدائية الأولى الضرورية التي احتجتُها كي أتعلّم وتكون فكرة الاعتماد على الذات مغروسة بثبات في وعيي. إنّ كتاباتي المُبكرة عن الوحدانية وترابط كلّ الأرواح على المُستوى الروحي كانت خطواتي المُوقتة نحو الإدراك النهائي أنني قادر على اختبار هذه الوحدانية مُباشرة.

كان القديس «فرنسيس» شخصية بارزة شاملة لكلّ الأنماط في حياتي، من الوقت الذي كنتُ فيه صبياً صغيراً مأسوراً بإمكانية وجود حديقة سرية، حتى اليوم الحاضر الذي أصبحتُ فيه مُعلّماً معروفاً بتأثيره الروحي. في نظر الخالق كان عليّ أن أحصل على أكثر من تعارف خاطف مع «فرانسيسكو الأسيزي»، فلم يكن عليّ أن آتي كي أعرف عنه فقط، بل كان عليّ أن أصبح هو. في ذلك اليوم من الانقلاب الصيفي، عرفتُ أبعد من ظلال الشك أننا اندمجنا لحظياً.

لقد استطاع كلّ شخص حضر في الدير ذاك اليوم، أن يشعر بحضور «فرانسيس» كذلك. عندما رأيتُ صوراً لنفسي من عدة آلات تصوير مُختلفة في تلك اللحظة، كان هنالك العديد من المدارات الضخمة المرئية. في الحقيقة، ضمّنتُ واحدة من تلك الصور المليئة بالمدارات العجيبة كإضافة في كتاب أُمنيات مُحققة.

بينما كنتُ أضع اللمسات النهائية على الكتاب، تلقّيتُ رسالة من «بريندا بابينسكي»، التي كانت بين الجمهور في آخر مُحاضرة أعطيتُها في «كندا». كتبَت كي تُخبرني عن ضوء أحاط بي على المسرح خلال مُحاضرتي:

ثم حدث شيء أغرب من ذلك. لقد كنتَ دكتور «واين داير» تتحدّث عن القديس

«فرنسيس» وأمام عينيّ تحوّلتَ. كان جسمكَ مُرتدياً ثوباً طويلاً، وتحوّلت ملامحكَ حيث أصبحتَ القديس «فرانسيس الآسيزي». استمرّ ذلك برهة فقط، ولكنّ الأمر كان قوياً، مُؤثراً، وحقيقياً جداً جداً.

ثمّ حدث شيء أكثر غرابة. بدأت تتحدّث عن «لاو تزو»، وتحوّلتَ إلى صورته! تدلّت جديلة طويلة أسفل ظهرك، وأمكنني رؤية وجهك وقد تحوّل على نحو كامل إلى وجه «لاو تزو». مرة أخرى، استمرّ الأمر لحظة فقط، ولكنّ هذه التجربة ستستمرّ معي إلى الأبد.

بالنسبة إلى الجزء الأساسي من حياتي، وحتى وقت قريب فقط، كنتُ أرفض على نحو مُؤكّد حدث كهذا ليس على أنه مُستحيل فقط، ولكن على أنه وهمٌ كذلك، بيد أني الآن أبصرتُ برؤية أكثر وضوحاً. لقد كنتُ هنا في دير «سان بيترو» في «آسيسي» مرة واحدة سابقاً عندما جاء هذا الرجل القديس إليّ، ورأيتُ في جزء من الثانية طيفاً له يتوسّل إليّ أن أرتفع، وفي ذلك الوقت حصلتُ على شفاء ركبتي المُتضررة والتي رفضَت كلّ الإرشاد الطبي. قبل ذلك، دخل «فرانسيسكو» قلب زوجتي وقلبي كذلك، ولمس أرواحنا عندما جلسنا وتأملنا في الكنيسة الصغيرة حيث عاش ومات. في يوم الانقلاب الصيفي ذاك في عام 2011، شعرتُ نفسي وقد أصبحتُ واحداً مع هذا المخلوق الإلهي لحظات قليلة ثمينة أمام آلات تصوير الفيديو وأمام مئة واثنين وستين من الباحثين الروحيين.

اختبر «فرانسيسكو» علامة جسدية أثناء السنتين النهائيتين من حياته. لقد كان إخلاصه لوعي «المسيح» كبيراً إلى درجة أنه أصبح واحداً مع «المسيح». أرى بوضوح اليوم أنّ الخلاصة الحقيقية للعيش من مكان الحبّ الإلهي النقي غير المشروط هو أن تُصبح واحداً مع مصدر الخلق، وأن تُفكّر وتتصرّف بأسلوب مُخلص كما الإله. عندما يُصبح وجود الإنسان مُشبعاً بالحبّ النقي، كما كان بالنسبة إليّ في زيارتي العجائبية الثالثة إلى «آسيسي»، وأنا أتحدّث عن التأثير الذي أجراه هذا القديس عليّ، رابطاً قصة كيف أنّ «فرانسيسكو» اكتشف أنّ «المسيح» قد أتى إليه على شكل شخص مجذوم، وكيف تغلّب على خوفه من خلال تقبيل ذاك المجذوم على فمه، في تلك اللحظة، وحّدني الحبّ الإلهي مع «فرانسيسكو» وأصبحنا واحداً.

لطالما أحببتُ مُشاهدة الأم «تيريزا» وهي تقول حينما كانت تنظر في عيون أولئك الذين سحبَتهم «حرفياً» من قنوات تصريف المياه: «كلّ واحد منهم هو مسيح مُستتر». علمتُ أننا جميعاً مُتّصلون، وجميعنا واحد.

إنّ الحبّ الإلهي غير المشروط بإمكانه أن يُصبح مصدر قوّة، ويستطيع أن يُقدم للإنسان آلام «المسيح»، ويسمح للإنسان أن يرى تجلي الإله في كلّ شخص، وكما تعلمتُ في تلك اللحظات السّحرية في «آسيسي» والتي سُجلت على برنامج منسوخ على قرص مدمج يُسمّى «اختبار المعجزة»، بإمكان الحُبّ الإلهي غير المشروط أن يُوحّدنا معاً في وحدانية الأرواح بما يظهر فقط على أنها أشياء مُنفصلة.

منذ ذاك اليوم في كنيسة «سان بيترو» مع القديس «فرانسيس»، شعرتُ به معي في كلّ الأوقات. أشعر بالخشوع أمام تلك الفكرة البسيطة أنه بإمكاني أن أمتزج كشخص واحد مع إنسان كهذا، ولو للحظة فقط، بل على الأرجح إلى الأبد.

◄ ◄◄ ◄◄ ◄◄ ◄



- سألتقي مع ثلاثمئة وخمسين شخص من الذين وافقوا على الحضور معي في رحلة إلى البحر المُتوسط، على متن سفينة إكوينوس الرائعة المُخصصة لرحلات المشاهير البحرية. أعلنتُ للمجموعة أنني رتبتُ كي أُقدّم خمس مُحاضرات مُدّة ساعتين لكلّ مُحاضرة في البحر، بينما نُسافر بين «روما»، «سانتوريني»، «استانبول»، «أثينا»، «ميكونوس»، «نابولي»، بالإضافة إلى أنني خططتُ كي أُقدّم مُحاضرة مُدّتها ساعة في موقع منزل «مريم العذراء»، في «إفسوس، تركيا». كان عنوان هذه المُحاضرة الخاصة: «في أعقاب أجدادانا الروحيين» والذي هو أيضاً موضوع هذه الأوديسة.

أثناء الأسبوعين السابقين، قدّمتُ مُحاضرتين للعموم في «سكوتلندا» و«إنكلترا»، حيث أمضيتُ الوقت في التحضير من أجل تاريخ خاص هو الثلاثين من أيلول 2012. في هذا التاريخ كُنّا سنجتمع في البيت الحجري الذي يُعتقد أنه البيت الذي أُخذت إليه والدة «المسيح» من قِبل القديس «يوحنا» بعد صلب «المسيح»، حيث عاشت حتّى معراجها. يُشكّل هذا المنزل الآن مزاراً كاثوليكياً وإسلامياً في آن واحد، ويتربّع على قمة «كوريسوس» في مُحيط «إفسوس، تركيا». ستقدّم مُحاضرتي خارج البيت الحجري حيث المئات، إن لم يكن الآلاف من الناس يمرّون من هنا. سيُسجّل طاقم الفيلم هذا الحدث، كما كانوا يفعلون في جميع المُحاضرات والزيارات إلى تلك المواقع التاريخية في حوض البحر المُتوسط.

كنتُ أُفكّر بالقدّيس الروحي الذي سكن في مكان غير بعيد عن هذا الموقع في

«تركيا»: مولانا «جلال الدين الرومي». لقد كان شاعراً، فقيهاً، خبيراً في علم اللاهوت، والأكثر أهمية أنه كان صوفياً. لقد تشابكَت حياته فعلياً مع القديس «فرانسيس الآسيسي» قرابة تسع عشرة سنة تقريباً، فقد وُلد «الرومي» في عام 1207 وكان في عمر التاسعة عشرة، عندما تُوفي «فرانسيسكو» في عام 1226. على الرغم من أنه قد عاش أثناء القرن الثالث عشر، ولكن في عام 2007 وُصف على أنه «الشاعر الأكثر شعبية في أمريكا».

لقد كنتُ أقرأ وأستشهد لمولانا «الرومي» قرابة ثلاثين سنة حتى الآن. لقد أصبح شخصية مُهمّة جداً في حياتي، وعلى توازٍ مع العديد من المُعلّمين الروحانيين الذين كتبتُ عنهم هنا في هذه الصفحات. في الحقيقة، لقد كنتُ تقريباً مأخوذاً بحياة هذا الرجل الذي يُعتبر قدّيساً في كلّ من عالمي الإسلام والمسيحية، وتُعتبر أهميته في أنه تجاوز الحدود القومية والعرقية.

في بداية الثمانينيات، وباختصار بعد الثورة في «إيران»، تلقيتُ رسالة من امرأة اسمها «مريم» تعيش في «طهران»، وقد قرأَتْ بلغتها الفارسية النسخة المطبوعة مُؤخّراً من كتاب «مناطقك الخاطئة»، وقد جلبَت أعمال «الرومي» إلى وعيي. منذ ذلك الوقت كانت في تواصل مُستمرّ معي من خلال الرسائل من منزلها في «طهران».

مرّت حوالي ثلاثة عقود منذ أول تواصل معي من «مريم» بعد الوقوع في حُبّ الأفكار التي قدمتُها في كتبي السابقة. على الرغم من أنها تعيش في بلاد تحدٌّ جدياً ولا تُشجّع أيّ تواصل مع أشخاص من «أمريكا»، ولكن لديها حبّ عميق ومُلتزم لي وللأعمال التي قدّمتُها عبر ثلاثين سنة أو أكثر. لدى «مريم» شلل أطفال ولادي وقد كانت غير قادرة على أن تقف أو تمشي من عمر السنتين حتى السادسة. في الحُلم أشار طيف أنثوي روحي إلهي إليها كي تقوم وتمشي وقد فعلَت ذلك أولاً في الحلم، ثمّ في حالتها الفيزيائية اليقظة فعلَت ذلك أيضاً.

أرسلَت لي شعر «الرومي»، وحلِمَت بيوم تلتقي فيه مع مَن أسمته «شمس الحب». يبدو أنها طوّرت النوع نفسه من العلاقة معي كما فعل «الرومي» مع المُعلّم الروحي العظيم «شمس التبريزي»، الذي كان مُلهم الكثير من الأشعار من مجموعة «الرومي» الواسعة. في عام 1244 وفي عمر السابعة والثلاثين، التقى «الرومي» بمُعلّمه «شمس»،

وكان هذا اللقاء مُقدراً كي يُغيّر حياته. إنّ الحبّ الذي نشأ بينهما مُدّة أربع سنين من صحبتهما أُعتُبر إلهياً. إنّ محبة «الرومي» لمُعلّمه «شمس» والفجيعة على موته، والذي يُقال أنه ناجم عن مكيدة ولد من أولاد «الرومي»، قد ألهمه حشداً كبيراً من شعر الحبّ الذي تُرجم إلى العديد من اللغات الباقية حتّى هذا اليوم.

لقد تحدّثت حروف «مريم»، وهداياها، ومُكالماتها الهاتفية في فترات مُتباعدة عبر العقود جميعها، عن نوع من تحالف الحبّ المُقدّس بيننا، والذي تجاوز التقسيم العالمي والثقافي الذي يفصلنا. لقد كانت أُمنيتها الأكثر اتقاداً أنه بإمكاننا يوماً ما أن نلتقي شخصياً، على الرغم من أنّ ذلك بدا مُستحيلاً، لأنها ممنوعة من قبل قوانين بلدها أن تحصل على تأشيرة زيارة إلى «أمريكا» الشمالية.

في صباح الثامن والعشرين من شهر أيلول من عام 2012، كانت مجموعتنا تتأهّب من أجل جولة في هذه المدينة القديمة الساحرة، والتي لم أرها منذ أن عشتُ في «كارامرسل» في عام 1974، عندما أُجبرتُ على أن أُقدّم الرشوة من أجل الخروج من «تركيا» بسبب حرب وشيكة الحدوث مع «اليونان» اثر اندلاع الأزمة في «قبرص». كنتُ على وشك أن أركب الحافلة عندما تقدّمَت أمامي امرأة ترتدي غطاء الرأس مع إشارة مكتوبة تقول: «سترى الشيء عندما تُؤمن به». سألَت: «هل تعرف مَن أنا؟».

عندما اكتشفتُ أنها «مريم»، غُمرنا كلانا بالبهجة والفرح. لقد تبيّن أنها استطاعت أن تحصل على تأشيرة كي تحضر إلى «تركيا»، وانتظرَت طوال الليل كي تلتقي بي في هذا الميناء المُزدحم الزاخر بآلاف الزائرين.

كان هنالك شخص واحد من مجموعتنا غير قادر على أن يحضر إلى جولة الحافلة بسبب المرض، ولذلك كان هناك مقعد واحد فارغ. أمضَت «مريم» اليوم بأكمله معي، ومع ابنتي «سيرينا»، وتشاركنا وداعاً دامعاً في نهاية زيارتنا إلى المسجد الأزرق المُذهل.

عدتُ إلى السفينة وتابعتُ تحضيراتي من أحل مُحاضرتي في منزل «مريم العذراء» في «إفسوس». لقد كنتُ مغموراً كُلياً في أعمال «الرومي» و«شمس التبريزي»، وقد انتقيتُ أشعاراً وقصصاً رغبتُ في تضمينها في عرض مُحاضرتي. كنتُ أشعر بحضور

«الرومي» و «شمس» كليهما، وكذلك «مريم» بعد رؤيتها للمرة الأولى بعد سنين طويلة من التواصل، وخاصة أنها مُرتبطة بتعاليم هذين الاثنين من عمالقة العالم الروحيين. لقد ذهبَت هذه التعاليم أبعد من الدين، ومثلَتْ جوهر الحُبّ الإلهي، حيث أرى نفسي الآن طالباً ومُعلّماً لنوع من الحبّ الذي لا يتغيّر ولا يختلف أبداً. إنه ذات الحبّ المُوجّه إلى كلّ البشرية من الإله.

وصلتُ عبر هذه السفينة السياحية الرائعة، وهي مدينة عائمة بالفعل، إلى «أفسس»، ثمّ صعدنا مرة أُخرى في الحافلة. ستُمضي مجموعتنا يوماً كاملاً في المدينة القديمة، والتي تُخفي ما تبقى من مستوطنة العصر الحجري الحديث والتي ترجع إلى ستة آلاف سنة قبل الميلاد، وتحتوي أيضاً على المجموعة الأوسع من الأطلال الرومانية شرق البحر الأبيض المتوسط. إنه مكان ساحر يستحقّ أن تراه وتتذكّر أنه قد تمّ التنقيب فقط عن خمسة عشرة بالمئة منه.

حالما مشيتُ إلى الحافلة، رأيتُ «مريم» مرة أُخرى. لقد غيّرَتْ خططها في أن تطير عائدة إلى «طهران»، وركبَت في رحلة طيران، ثمّ في القطار، ثمّ في الحافلة كي تنضمّ إليّ في هذه الزيارة إلى «إفسس». بالتأكيد أرادت أيضاً أن تحضر مُحاضرتي عن «الرومي» و«شمس»، حيث أنّ مُعظمها كان مجموعاً من المادة التي أرسلتهَا لي منذ حوالي ثلاثين سنة مضَت. فكّرتُ في الوقت، العناء، والكلفة التي مرَّتْ بها «مريم» ونظرتُ إليها ورأيتُ البهجة الخالصة التي كانت تشعر بها من تحقيق حُلمِ حياتها أخيراً في أن تلتقي بي شخصياً.

أنا في حالة صدمة وحماسة. إنّ كون «مريم» تُرافقني وكذلك ابنتي عبر المدينة الأثرية في «إفسس» يجعلني أشعر وكأنني في حلم، والآن ستكون مُحاضرتي عن «الرومي» في منزل «مريم العذراء» معها أمام العموم أمراً مليئاً بالتحدّي والإثارة كذلك. قرأَتْ هذه المرأة أعمال «الرومي» كلّها، بما فيها المُجلدات المثنوية الستة، والتي هي كتابة روحية تُعلّم الصوفيين كيف يصلون إلى هدفهم من الوجود من خلال المُحاذاة الحقيقية مع الإله.

استقلينا الباص إلى قمة جبل «العندليب»، حيث موقع منزل «مريم العذراء» في

حديقة طبيعية. جلس جميع الأعضاء الثلاثمئة وخمسين من مجموعتنا في مكان مُجاور للبيت الحجري، البناء الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي، تُخبرنا الأسطورة أنّ «مريم العذراء» جاءت مع الحواري «يُوحنا» إلى هذا المنزل، حيث عاشت هنا حتّى موتها.

قدّمتُ «مريم» إلى المجموعة، بما فيهم مئات السوّاح الزائرين الذين توقّفوا كي يستمعوا حديثي ويُشاهدوا طاقم المُصوّرين وهم يُسجّلون هذا الحدث. ألقيتُ سلسلة من قصائد «الرومي» و «شمس» وأخبرتُ عن الحبّ الكبير الذي وُجد بين هذه الأرواح الجليلة. ربطتُ قصة «مريم» معي، وكلّ ما فعلتْهُ من أجل أن تكون جانبي في هذه المرحلة. تذكّرتُ قصة «مريم» التي أخبرتني إياها عن سنواتها كضحية شلل الأطفال وكيف أنّ امرأة مُباركة أخبرتها في حلمها أن تنهض وتمشي بعد أكثر من أربع سنوات من كونها غير قادرة على الوقوف حتى.

تذكّرتُ الرؤية التي شاهدتُها للقديس «فرنسيس» عندما كنتُ في «آسيسي» وكيف ظهر مُدّة ثوان قليلة كطيف، وأرشدني أن أنهض وشفى ركبتي اليُمنى المُعتلة في لمحة بصر. نظرتُ إلى يساري ورأيتُ المنزل الفعلي حيث أتت «مريم العذراء»، وتذكّرتُ كيف أنّ «مريم» ذُكرَت ليس في أعمال «الرومي» الشعرية فحسب، بل في القرآن كذلك.

أتممتُ مُحاضرة الفيديو المُسجّلة في مُدّة سبعين دقيقة عن «يقظة أجدادنا الروحيين»، وعلى نحو خاص «شمس» و«الرومي»، اللذين تحدّثا عن نوع من الحبّ الشافي الذي يذهب أبعد من أيّ دين. إنه يوم الثلاثين من أيلول من عام 2012، ذكرى الميلاد «الثمانمئة وخمس» لهذا الرجل الذي أصبح قوّة إلهية في حياتي، وعلى نحو كبير بسبب الحبّ الذي حملَته «مريم» من «إيران» لي، واستمرّت في حمله وصولاً إلى هذا اليوم. أنشدنا «عيد ميلاد سعيد» من أجل «الرومي»، وتقدّمنا نحو منزل العذراء كي نُضيء شمعة ونشعر بطاقة الحبّ التي غلّفَت كلّ شخص من الحضور اليوم.

لقد أمضيتُ قدراً كبيراً من الوقت في الأشهر الأخيرة في «آسيسي»، «لورديس»، «ميدوغوري» والآن في «إفسس»، أي في كلّ أماكن العبادة حيث سُجّلت أطياف أمّ

«المسيح» ووثقت. أنا أتحدّث عن ولادة الرجل الذي ألهمَت تعاليمه عن الحبّ الإلهي الملايين من الناس حول العالم، بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية أو الثقافية. أنا مع «مريم» التي تمّ علاجها من التأثيرات المُدمّرة لمرض شلل الأطفال وهي طفلة مُسلمة بسبب رؤية طيف روحي. لقد كان كلّ شخص من الحضور مُتأثراً بسبب هذه الأمور والعديد من المُفارقات.

صعدنا الحافلات المُخصصة لنا بعد تجربة عجيبة عميقة في بيت العذراء. عُدنا إلى الميناء، وكنتُ في نوبة ألم من التنهد الأكثر دموعاً حين قالت لي «مريم»: «سأحملك معي الآن إلى الأبدية». أعطتني عدداً كبيراً من الهدايا إلى جميع أطفالي، وانهارَت تقريباً بين ذراعيّ عندما احتضنتُها وقلتُ: «وداعاً».

أنت يا مَن تبحث عن الاله بعيداً بعيداً.

إنّ من تبحث عنه، هو أنت، أنت.

إن كنتَ تُريد البحث عن وجه الحبيب.

لمّع المرآة، وحدِّق في ذاك الفضاء.

تلك الكلمات كانت مكتوبة من «الرومي» تحية إلى مُعلّمه «شمس التبريزي». حالما نظرتُ إلى الخلف إلى اليوم الأكثر تأثيراً في «إفسس» آمنتُ أنّ هذه الكلمات التي قرأتُها قبل تقديم مُحاضرتي في منزل «مريم العذراء»، كانت ترمز إلى المكان حيث كنتُ مُتوجّهاً، وليس فقط خلال الرحلة البحرية عبر البحر المتوسط، حيث التقيتُ مع «مريم»، بل خلال حياتي بأكملها كذلك. إنّ الأمر برُمته عن تمييز أنّ الإله ليس شيئاً ما يعيش بعيداً عنا. إذا قُمنا بتلميع المرآة ونظرنا إلى ذلك الفضاء، فما سنكتشفه هو أنّ الإله مُقيم فيما ينعكس علينا.

في الذكرى السنوية الثمانمئة وخمس لميلاد «الرومي»، عندما قدّمتُ مُحاضرتي في تلك البقعة المُقدّسة، لم أكن أقوم بشيء في الثلاثة أسابيع السابقة غير غمر نفسي في الحياة وفي تعاليم كلّ من مولانا «جلال الدين الرومي» و«شمس التبريزي». كان كلاهما زائرين إلى قلبي وروحي، تماماً مثل «إيليس»، «ماسلو»، «سانت فرانسيس»،

«لاو تزو»، وآخرين كانوا في مراحل مُبكّرة في حياتي.

أن أحظى بوجود «مريم»، التي كانت أول من قدّم لي أعمال «الرومي» و«شمس» قبل ثلاثين سنة مضت، حيث ظهرت على نحو غير مُتوقّع كُلياً، ووقفَت جانبي عندما تحدّثتُ وألقيتُ شعر «الرومي»، كان موعداً إلهياً بالنسبة إليّ. لقد بدا ذلك مُهمّاً على نحو خاص منذ أن حدث هذا في الوجود الأرضي الأخير لوالدة «المسيح»، والتي شكَت «مريم» أنها قد تكون مُساهمة في شفائها من شلل الأطفال الذي عانت منه حتّى صارت في عمر السادسة.

أستطيع أن أرى بوضوح اليوم أنّ كلّ هذه «التزامنات» التي اندمجَت في عيد ميلاد «الرومي» في «أفسس» جعلتني أعرف معنى الكلمات المنسوبة إليه في تحية مُعلّمه الذي أحبّه بإعجاب ومن غير شرط. بالنسبة إلى «الرومي»، كان الحبّ هو الدافع إلى لمّ شمل الروح، وهو المعبود والهدف الذي تتحرّك نحوه الأشياء. إنّ الوهم هو أننا منفصلون عن مصدرنا الإلهي. كلّ جهودنا في الحبّ، بالنسبة إلى «الرومي» كي نُصبح أقرب وأقرب إلى طبيعتنا الأصلية. كان ذلك الدرس الأساسي لكلّ من «فرانسيس» و«لاو تزو» كي يندمجا في الوحدانية مع الإله. أن تتخلّى عن مُتطلبات الأنا، وتعيش من مكان الحبّ الإلهي، ذاك الحبّ الذي لا يتغيّر أبداً ولا يختلف، الحبّ الراسخ الذي لا يتزحزح أبداً، كما هو الحبّ عند «المسيح»، «بوذا»، وجميع المُعلّمين الروحيين الربانيين.

أستطيع الآن أن أرى بوضوح أنني كنتُ مُتوجّهاً كي أذهب أبعد حتى من معرفة أننا جميعاً من الإله، وأن أختبر الشعاع الداخلي الذي أتى إلينا عندما عرفنا هذا في النهاية على المستوى التجريبي. وصلتُ إلى مرحلة جديدة من التبصر من كلّ ما كنتُ أقرأه في الأسابيع التي أفضَت إلى الاجتماع مع «مريم» وحديثي عن أعمال هذا المُعلّم الصوفي الرائع الذي تجاوز كلّ الأديان والهويات الثقافية. هذه الرسالة الأساسية كانت وما تزال، أنّ كل شيء في الكون يُطيع قانون الحبّ الإلهي، والذي هو حركة التطوّر والبحث عن الوحدانية مع الإله الذي ينبثق منه.

هذه الأسطر الشعرية تُعبّر عن تعاليم «الرومي» وندائي للحبّ الإلهي:

جبتُ أراضي المسيحية من أقصاها إلى أقصاها.
أبحث في كلّ الأرجاء، ولكنه لم يكن على الصليب.
ذهبتُ إلى المعابد حيث الهنود يعبدون الأوثان،
والمجوس يُنشدون الصلوات إلى النار، ولم أجد أثراً له.
راكبًا بأقصى سرعة، نظرتُ حول الكعبة،
ولكنّه لم يكن في ذاك الحرم المُخصص للصغير والكبير.
ثم حدّقتُ مُباشرة إلى قلبي.
هناك، رأيتُه، لقد كان هنا وليس في أيّ مكان آخر.

«هو» الذي رآه الرومي كانت ذاته العليا، الإله بداخله. ولكن وراء إدراك وجودنا المُقدّس الخاص تكمن الإرادة في أن نكون أداةً لهذا الحبّ، وأن نُشعّ به نحو الخارج إلى جميع مخلوقات الإله. أنا في تحد كي أُحبّ الجميع كما كان «الرومي» في تحد وضعه فيه مُعلّمه «شمس» كي يُحبّ بعيداً عن أيّ ظروف أو أيّ قيود. أن تُحبّ كما أحبّتني «مريم» وأحبّت تعاليمي على مدى ثلاثة عقود من غير أن تراني حتى بعينيها. كانت هذه الكلمات التي كتبَتها لي بعد زيارتنا إلى «تركيا»:

«لم أتوقّف عن البكاء بعد مُغادرتي لك، في طريق عودتي إلى المنزل، في العمل، ليلاً ونهاراً. تتدفّق الدموع من عينيّ حيثما ذهبتُ، ومهما كان ما أفعله. ما من أحد، حتّى أنت، بإمكانه فهم كيف شعرتُ بعد رجوعي. أنا فقط الإله، ومولانا «الرومي».. لقد شكرتني، ولكن أنا التي عليها أن تشكرك على دعوتك لي على المنصة كي يكون لي الشرف أن أقف جانبك وأتحدّث عن مولانا «الرومي»..

«مُرده بُدَم زنه زنده شُدَم».. وكأنما كنتُ ميتًا، فأصبحتُ حيًّا.
«كريه بُدَم خنده شُدَم».. وكأنما كنتُ باكيًا، فأصبحتُ ضاحكًا.
«دولتِ عشق آمدو مَن دولتِ باينده شُدَم».. جاء عالم العشق وغمرني، فأصبحتُ أنا العالم.

مولانا الرومي

«واين»، أشعر أنّ «الرومي» بيننا، لم أقصد فيما بيننا، بل داخلك وداخلي، وقد جعلنا نشعر أننا أقرب من أيّ وقت مضى. هذه ليست مُصادفة. إنّ الحبّ قدرنا.

عندما أنظرُ إلى الوراء إلى الأحداث المُذهلة التي حصلَت في ذاك اليوم، أتذكّر أنّ «مريم» أحبتني أكثر من ثلاثة عقود، في خضم ولادة العديد من أطفالي، أثناء موت والديها، أثناء شفاء أسقامها، وسط التطرف السياسي، عبر الحروب والانفصالات القهرية، لم تتردد أبداً. لقد كانت رسولاً من الإله، وقد جلَبَت «الرومي» و«شمس التبريزي» إليّ، وسمحَت لقلبي أن ينفتح على نوع جديد من الحبّ. ليس الحبّ البشري الذي يتغيّر ويختلف، وليس الحبّ الروحي الذي يختلف ولا يتغيّر، بل الحبّ الإلهي، الذي لا يتغيّر أبداً ولا يختلف.

خلال كلّ ساعاتي التي لا تنتهي في القراءة والتحضير من أجل مُحاضرتي في «إفسس»، لم تكن لديّ أيّ فكرة عن أنّ «مريم» ستظهر في رصيف مُزدحم بينما كنتُ أستقلّ الحافلة. لم تكن لدي أيّ فكرة عندما انشغلتُ في تحضيراتي وبحثي أنني سأكون في منزل «مريم العذراء»، ولم أُدرك حتى أنني سأكون هناك في يوم ميلاد مُعلّم الحبّ الإلهي الأكثر شعبية ومحبّة في العالم.

جلستُ هنا وكتبتُ في حالة من الذهول من كلّ ما حدث في ذلك اليوم. كان كلّ ذلك كي يُعلّمني تلك الكلمات لـ«الرومي»:

حضر الحبّ فصار كالدم في عروقي وجسدي.

لقد أفناني وملأني بمحبوبي.

اخترق المحبوب كلّ خلية في جسمي

لقد بقي من جسمي الاسم فقط، وكلّ شيء آخر كان «هو».

هذا ما أستطيع أن أراه الآن بوضوح. لقد بقي اسمي. إنّ الحبّ هو جوهري. وقد كان قدري أن أُمارس وأُعلّم الحبّ الإلهي.

◆◆◆◆◆◆◆

الخلاصة

رؤية حياتك بوضوح أكبر، الآن!

هنالك العديد من المنافع التي يُمكن أن تحدث لك إذا كنتَ قادراً على أن تتفحص قصتك الشخصية الخاصة من منظور امتلاكك عقلاً مُنفتحاً، ومع نية رؤية كلّ ما يأتي في طريقك برؤية أوضح. في أثناء ربط كلّ الظروف التي كانت نقاط تحوّل أساسية في حياتي خلال صفحات هذا الكتاب، اكتشفتُ بعض الحقائق التي أرغب بمُشاركتها معك كي يُصبح بإمكانك أيضاً أن تتمتع بفوائد النظر إلى حياتك، حينها والآن، من خلال عدسات نظر صافية.

إنّ النظرة الغالبة الواحدة التي كانت لديّ هي أننا جميعاً نعيش في كون يمتلك عقلاً خلف الحياة، وذاك العقل شيء فطري في كلّ مخلوق. هذا العقل الكوني تامّ داخل كلّ منا، وعلينا فقط أن نكتشفه كي يُصبح لنا بكامل قوته وكماله.

أحثكَ على أن تُطبّق نظرة غير مُعاقة على كلّ شيء حصل لك، وعلى كلّ شخص مرّ في حياتك. أنت جزء من القوّة المُبدعة التي هي منشأ كلّ شيء. إنّ الأحداث أو الأشخاص الذين ظهروا في حياتك لم يظهروا بسبب المُصادفة.

عندما تتسلّح بوعي أنّ «المُصادفات» لا يُمكن أن تحدث في عالم مُوجّه من قبل عقل واعٍ وذكي، وأنّ هناك نوع مُعيّن من الهدف مُرتبط بكلّ شيء يصل إلى حياتك بسبب أنّك جزء من منشأ كلّ شيء، عندها تستطيع أن تبدأ بالقيام بما كنتُ أقوم به خلال كتابة هذا الكتاب. ابدأ بإعطاء انتباه أكبر ورؤية كلّ حدث وكلّ ظرف، وعلى نحو خاص تلك التي تنتج من انتقالات حزينة، كدليل وتوجيه من هذا العقل الإلهي الواعي.

على مرّ التاريخ كان هناك الكثير من الأسماء الشائعة لهذه القوّة التي تُلهم الكائنات

البشرية كي يختاروا السير في اتجاه يُثمر الجمال، الحبّ، والحقيقة. هذا العقل غير المرئي أزلي وأبدي معك، وهو يُقدّم شيئاً من أجلك في كلّ لحظة، في كلّ لقاء، كلّ حالة، وكلّ ظرف. هناك شيء أمامك مُباشرة يُحدّق في وجهك، ويُقدّم لك خياراً كي تُمسك المقبض وتصعد متن الطائرة كي تُسافر في اتجاه جديد، أو تتجاهله وتعزيه إلى المُصادفة لا غير. كلّما ازداد تبنيك لسلوك **أستطيع الآن أن أرى بوضوح**، ستنظر بطريقة مُختلفة إلى كلّ جانب من حياتك.

مع ميزة الإدراك المُتأخّر، كنتُ قادراً على أن أرى وأكتب عن هذه النقلات اللحظية التي كانت في طور أن تأخذ مكانها. لم تكن لديّ أيّ فكرة عن مدى صعوبة الوصول إليها حقيقة. بإمكاني أن أرى الآن نسيج حياتي بأكملها على أنه تصميم مُستمرّ. أستطيع أن أرى أنّ هذه القوّة غير المرئية كانت تُقدّم لي ممرات حرة كي أتحرّك في اتجاه هدف حياتي. أنا أحثكَ على أن تنظر إلى الخلف إلى حياتك الخاصة مع مقدار كبير من الاخلاص والانفتاح، كي تستطيع أن تجمع وترى كيف أنّ أولئك الغرباء الذين «ظهروا للتوّ»، أو تلك الأحداث المُهمّة التي ظهرَت، كانت مُقدمة إليك كي تُشجّعك على مُحاذاة هدف حياتك الخاص.

لديك دائماً الخيار بأن **تُغير انتباهك** وتأخذ مساراً غير مألوف أو رُبّما محفوف بالمخاطر. تماماً مثلما تستطيع أن تختار **ألا تُغير انتباهك** وتبقى مع نسخة حياتك المغروسة فيك من قِبل التأثيرات العائلية والثقافية التي تُملي عليك على وجه التحديد ما يجب أن تكون عليه حدودك وتطلعاتك. إنّ الفائدة الحقيقية من النظر إلى الخلف إلى كلّ تلك الأحداث الهامة في حياتك، ورؤية كيف أنّ تلك اليد الخفية للإله كانت هنا من أجلك في ذاك الوقت، ليس من أجل أن تُغيّر ماضيك بأكمله وتنظر إلى المعاني المُخبأة، بل كي تُوقظك فتُصبح شخصاً أكثر وعياً الآن اليوم، وفي اللحظات الحالية من حياتك.

ما أعرفه بالتأكيد هو أنّ هنالك مُعلّمين وتعاليم في كلّ مكان. في كلّ لحظة من حياتنا تُقدّم لنا الفرصة كي نبذل اهتماماً أكبر ونرى الشخص الذي يقترب منا ليس كشخص غريب، بل على أنه شخص ظهر في المكان الصحيح، وفي اللحظة الصحيحة. أن نرى الحدث البائس ليس على أنه «حظي السيء»، بل أن تسأل: «ما الذي يجب أن أتعلّمه

من هذا الحدث، هنا في الحال؟»»، بدلاً من الخوض في فترة طويلة من المُعاناة قبل رؤية لماذا كنتَ على مُحاذاة مع هذا الظرف المُؤسف «كما يبدو ظاهرياً».

عندما أنظرُ إلى الخلف إلى حياتي، لا يكون الأمر صعباً بالنسبة إليّ أن أُلخّص أنه هناك نوع من الخطط التي هي دوماً في حالة عمل، على الرغم من أنها كانت غير معروفة على نحو كبير بينما كانت تتضح. لا يتطلب الأمر جهداً كبيراً بالنسبة إليّ أن أُلخّص أنّ هذه الخطة تُوجّه من قِبل ذات القوّة التي تُحافظ على الكواكب في حالة اصطفاف، وتُفتّح براعم كلّ الزهور، وتَهب الحياة إلى كلّ أنواع الخلق هنا وفي كلّ مكان آخر من الكون كذلك. أنا الآن أُبدي انتباهاً أكبر إلى ما يظهر من أجلي، وأنا قادر على أن أستمع بانتباه إلى أيّ ميل قد يحصل لديّ وأتصرّف بناء على ذلك، حتّى ولو أدّى بي إلى منطقة غير معروفة في نهاية المطاف. أنا أحثّكَ على أن تفعل الشيء ذاته.

قُم بتفحّص نقاط التحوّل الرئيسة في حياتك وانظر بعناية إلى كلّ ما يُسمّى مُصادفات على أنه كان عليها أن تنشأ في ترتيب مُعيّن من أجلك كي تنقل اتجاهك. في تلك اللحظة التي تُفكّر بها على أنها مُصادفة، تحصل على إرادة حرّة وتقوم باختيار. في تلك اللحظة ذاتها كان هناك شيء ما أكبر منك بكثير، شيء ما أنت مُرتبط به دائماً كان يعمل أيضاً. ذاك «الشيء» كان يُجهّز التفاصيل كي يُصبح بإمكانك إنجاز الهدف الذي سجّلتَ مُوافقتك عليه عندما قُمتَ بالانتقال من عالم الروح إلى المادة، ومن اللامكان إلى الآن هنا.

إنّ المُعلّمين موجودون هنا دائماً. بيد أنّ درجة جاهزيتك كي تُعير الانتباه وتستمع بعناية إلى نفسك العليا، وتتصرف وفق ما تُخبرك به ذاتك الحدسية، تُنشّط وعيك لمُعلّميك. اصقل بصيرتك وكُن قادراً على أن تثق بأنّ ما تشعر به داخلك هو ما عليك فعله، بغضّ النظر عمّا قد يقوله أيّ شيء وأيّ شخص حولك عكس هذا القول. هذه هي ميّزة تبني عقلية أستطيع الآن أن أرى بوضوح.

هناك العديد من الاكتشافات التي يُمكن أن تحدث عندما تفتح تفكيرك على إمكانية أنّ هناك عقل إلهي يُحرّك كلّ أجزاء حياتك حولك بانسجام مع قدرتك كي تحصل على إرداة حرة وتصنع خيارات. ستكتشف أيضاً أنّ الرسالة الروحية «دهارما» لحياتك قد وُضعت، وقد تجهّزت داخلها الحقيقة القدرية بأنك حرٌ في أن تقوم بأيّ خيارات.

ستكتشف أيضاً أنّ هذه القوّة الإلهية، أو «التاو»، ليست في الحقيقة أكثر من حبّ نقي غير مشروط. لقد شرح أحد أكثر المُعلّمين احتراماً «كارل يونغ»، هذا التناقض بهذه الطريقة: «في اللحظة نفسها التي تكون فيها مُحرّك القضية في حياتك كي تصنع خيارات، أنت أيضاً حامل الرمح أو أكثر في دراما أكبر بكثير. أنت مُقدر عليك أن تقوم بالخيارات».

هذا الحبّ بلا حدود وغير نهائي، وعندما تعتقد وتتصرّف بطرق تُطابق هذا الحبّ الإلهي، عندها تكون قادراً على جذب التوجيه والدليل من هذا العالم كي يُساعدك على قيادة حياتك في طريق ادراك الإله. في هذه اللحظات من الحبّ النقي أنت قادر على اختبار الأحداث العجائبية. يحدث هذا عندما تكون ملائكة العالم الإلهي للروح قادرة على أن تكون هنا من أجلك، وتُصبح أنت واعياً لوجودهم.

في هذه الأوقات من العطاء المُطلق، أو عندما يكون تركيزك الداخلي على نحو خاص على: **كيف بإمكاني الوصول والخدمة؟** بدلاً من المُتطلبات الأنانية للأنا الزائفة، التي تقول: **ما نصيبي من هذا الأمر؟**، تُميّز هذه الأدلة من الحبّ الصافي نفسها فيك، وتصل كي تضعك في طريقك نحو إعادة الظهور مع طبيعة وجودك الأصيلة مع الإله ومع أدلتك المُوجّهة.

خلال حياتي، عندما كنتُ أُوقف وأكبح الأنا الزائفة عندي، تحدث المُعجزات وأكون مدفوعاً على نحو غير مرئي كي أقوم بنقلة في مسار حياتي. أنا أحثكَ على أن تنظر إلى أحداث حياتك الخاصة، حتى لو عدتَ إلى الوراء منذ أن كنتَ طفلاً وحتّى اللحظة الحالية، وتتفحّص ما كان يحتلّ مكاناً داخلك ويدفعك إلى مسار جديد. ثمّ، وهذا الأمر الأكثر إلحاحاً، أن تُصبح واعياً **لأيّ من أفكارك الداخلية التي تحكم، أو تنتقد، أو تُراعي المصلحة العامة لأيّ من عيال الإله، بما في ذلك نفسك**. عندما تكون قادراً على أن تنقل أفكارك الداخلية إلى الحبّ غير المشروط، حتى تجاه أولئك الذين كانوا مُصنفين على أنهم أعداؤك، ستفتح نفسك نحو الدليل والتوجيه الذي سيدفعك نحو المسار الخاص المُؤدّي بك إلى تحقيق ذاتك وإدراك الإله. هذه ميزة الرؤية بأعين أكثر وضوحاً، إذ يُمكن أن تُساعدك الآن في هذه اللحظة الحالية على الانتقال بعيداً عن المسار المُؤدّي إلى التدمير الذاتي.

عندما تُغيّر الطريقة التي تنظر بها إلى الأشياء، وتبقى في ذاك المكان من الحبّ الإلهي، تبدأ الأشياء التي تنظر إليها بالتغيّر كذلك. بسبب ترددات الحبّ غير المشروط

الذبذبية العليا، أنت تهتزّ في وحدة مع مصدر كلّ شيء، الذي وصلنا إلى أن نُسمّيه الإله. كما وضحتُ مرات عديدة أثناء تأليف هذا الكتاب، مع الإله «مع الحبّ» كلّ الأشياء مُمكنة، وهذا يتضمّن جذب ملائكة الحبّ كي تُرشدك حالاً في هذه اللحظة.

إنّ رؤية حياتك الخاصة بوضوح أكبر يتضمّن أن تُصبح واعياً على نحو تامّ لأيّ شيء ولكلّ شيء يخلق مُتعة في صلب وجودك. إن كان هذا الأمر يُثيرك، فإنّ الوجود الفعلي لتلك الإثارة الداخلية هو كلّ الدليل الذي تحتاجه كي تُذكّر نفسك أنك على مُحاذاة مع جوهرك الحقيقي. عندما تتبع نعيمك، تُصبح الأكثر سهولة في تلقي الدليل والتوجيه من العالم الروحي. هذا ما يُسمّى **التزامن** وهي حالة تشعر فيها تقريباً وكأنك في ترتيب مُتعاون مع القدر.

كانت تلك هي القصة الجوهرية في حياتي الخاصة. عندما استمعتُ بعناية إلى تلك الإشارات الداخلية، بدت وكأنها تقول لي: **هذا السبب في أنك هنا، أنت الآن حقيقة على مُحاذاة مع نفسك العليا، ما من شيء تخشاه، فقط قُم بما تُمليه عليك مُتعتك أن تفعل**، وهذا بدقة ما فعلتُه في تلخيص الأحداث التي بدَت مُختلفة والتي شكّلَت نسيج حياتي حتّى الآن.

في مُعظم أوقات حياتك تمّ تحذيرك من اتباع شغفك الداخلي، لأنك كنتَ مُبرمجاً منذ الطفولة كي تتبع فكرة شخص آخر لما يجب عليك فعله. إنّ عائلتك، بيئتك، دائرتك من الأصدقاء، مُحيطك المباشر، كلّهم تعاونوا كي يُصمموا مسار حياتك. عندما تجاهلتَ تلك البرمجة واتبعتَ ما أملته عليك مُتعتك الداخلية، نجحتَ على الأرجح بطريقة مُقنعة جداً، حتى عندما تمّ انتقادك والحُكم عليك بأنك أناني.

عندما أنظر إلى الخلف إلى العديد من القرارات التي قمتُ بها والتي أخذتني إلى مسار مُختلف جداً، من الواضح أنني كنتُ أصنع تلك القرارات على نحو خاص على أساس ما شعرتُ أنه صحيح، ممّا جعلني أشعر بالتعاطف والحماسة، حتى عندما كانت فرصة الفشل وخيبة الأمل احتمالاً حقيقياً.

انظُر لحياتك الخاصة بوضوح أكبر اليوم، في الحال، مُباشرةً في هذه اللحظة، من خلال رفضك تجاهل ذاك الأمر الذي يُحرّك الشغف والإثارة داخلك. لقد أتيتَ هنا بموسيقى كي تعزفها، ولذلك عندما تبدأ بالتناغم مع ما تسمعه يعزف في تفكيرك

فقط، استمع بانتباه وأوقف نفسك مُباشرة في مساراتك، ولتكُن عندك النية على أن تأخذ الخطوة الأولى في اتجاه تلك النداءات المُتزامنة. إنه نداء ذاتك العليا!. إنها عودة اجتماعك مع مصدر وجودك.

قد لا يبدو الأمر مُهمّاً على الإطلاق لأيّ شخص حولك، وقد يظهر حتى أنه منافٍ للعقل بالنسبة إليك كذلك، ولكن اعلم فقط أنه في النهاية لن يخيب أملك. في الحقيقة، أيّ كان ومهما كان الشيء الذي تحتاجه سيظهر في نهاية المطاف في كماله الإلهي المُفاجيء. حتى وإن لم يبدو أيّ شيء يسير في الاتجاه الصحيح وبدا كآبة وخسارة، ابقَ مع حماستك. صرّح لنفسك كي تكون في حالة إيمان وثقة، تأمّل في رؤيتك، وسيظهر الدعم في النهاية. إنه يخدم حماستك الداخلية بسبب أنه في تلك اللحظات المعروفة لك فقط، أنت في مُحاذاة مع مَن تكون عليه حقيقة.

أثناء حياتك، تماماً كما في حياتي، كان هنالك مُعلّمون مُتميّزون ممّن جعلوا أنفسهم معروفين على نحو مُتكرر. لقد فصّلتُ سابقاً كيف أنّ كلّ من القديس «فرانسيس الآسيزي»، «لاو تزو»، «جلال الدين الرومي»، «أبراهام ماسلو»، «د. ميلدريد بيترز»، «آلبرت إيليس»، والعديد ممّن استمروا في الظهور وقدّموا عروضهم من أجلي على نحو دقيق عندما كانت الحاجة في أشدّها إليهم، وعندما كان واضحاً أنني كنتُ في النهاية جاهزاً كي أتقبل وأُحقق دليلهم الإلهي المُلهِم.

إذا كنتَ قادراً على مُراجعة ماضيك مع وعي مُحبب، ستُميّز العديد من المُعلّمين الذين كانوا هنا من أجلك خلال حياتك الخاصة. لقد كنتَ راغباً بالاستماع إلى بعض منهم وقتها، وأن تتصرّف وفق ما قدّموا لك بسبب مستوى جاهزيتك، وفي أوقات أُخرى كان مستوى جاهزيتك مُتدنٍ بحيث أنك لم تُدرك التوقيت الإلهي لوصولهم أو ظهورهم مُجدداً. ابدأ الآن كي تُصبح واعياً وتُرحّب بالمُساعدة التي تضع نفسها وعلى نحو مُستمر تحت تصرفكَ في حياتك اليومية.

بعد إمضاء الجزء الأكبر من السنة الماضية في مُراجعة العديد من المُعلّمين والتعاليم التي أثرت في المسار العام الذي أخذته حياتي، أستطيع أن أرى بوضوح أنني كنتُ في نوع من التدريب الخفي لدورة مُعلّم روحي مُتقدّم منذ وصولي إلى هنا في أيار من عام

1940، **وكذلك أنت**. جميعنا مُتأصّلون من المصدر ذاته من الحبّ الإلهي. عندما ننمو وننضج، نُعطى جميعنا خياراً حراً في أن نبقى مُرتبطين مع هذا المصدر، أو نجعل الإله خارجاً ونعيش مع مُتطلبات وأهواء أنفسنا الزائفة «الايغو».

إنّ «رالف والدو إميرسون»، وهو مُعلّم آخر من أولئك المعلمين الروحيين كان يطرق على باب وعيي الداخلي منذ أن كنتُ مراهقاً، ورُبّما قبل ذلك حتى، قدّم لنا هذه الملاحظة:

في داخل الإنسان روح الكلّ، الصمت الحكيم، الجمال الكوني الذي يرتبط به كلّ جزء وجزيء على نحو مُتساو، الأحد الأبدي.

نعم، لقد قال في داخلنا. وهذا يعني داخلك **أنت** كذلك. هذا إرثك من مصدر خلقك، وهذا «الأحد الأبدي» يُرسل باستمرار رُسلاً يتشكّلون على نحو خاص من الصمت الحكيم، الجمال الكوني. إنه خيارك أن تتبع أو لا تتبع مُحفّزاتهم الحيوية أو تتجاهلها بسبب عدم جاهزيتك من أجل مشورة كهذه.

تلك المخلوقات من النور والحبّ جميعها حولك، وقد كانت كذلك منذ وصولك إلى هذا الوجود المادي الذي تماهيتَ معه بقوّة كبيرة. لقد تركوا أدلة وبشائر، وأحياناً يكون دليلهم حاذق ومُحيّر، ولكنّهم هناك، وكل ما عليك أن تفعله هو أن تبدأ بالانتباه إلى مشاعرك الحدسية، ثمّ تتصرّف بلا خوف بناء على ما يبدو مُتصلاً معك. كلّما وثقتَ أكثر في هذا الحدس، رأيت الأشياء في مُحاذاة نقية مع رسالتك الروحية الخاصة «دهارما».

امضِ مع ما تشعر به في داخلك، فنبض روحك يُنشّط حماستك، ويدعوك إلى الخطوة التالية من أجل الصعود درجة إلى الأعلى على سُلّم الحياة الذي يُوصلك إلى النور. كما قال «الرومي»: «في الثانية التي خطوتَ فيها إلى هذا العالم من الوجود، وُضع أمامك سُلّم كي يُساعدك في النجاة»، «الترجمة من قِبل «آندرو هارفي»، أنا مُمتنّ له على منحي الإذن كي أُعيد طباعة هذا الاقتباس».

هنالك العديد من الأيدي المُساعدة التي تدعوك كي تتحمّل المسؤولية وتصعد إلى الأعلى من أجل أن تتخلّص من وهم عالم الوجود هذا: المُعلّمون الروحيون، ملائكة

ذاتك العليا، المُعلّمون المُعدّون جيداً، أعضاء الأسرة، الغرباء، حشد من الأحداث، وما ظهر على أنه ظروف عجيبة، كانت جميعها تعمل جدياً كي تُساعدك على أن تصعد إلى الأعلى على السُّلّم المُتأصّل في الوعي العادي، والصاعد إلى العالم العلوي للحياة الاستثنائية والوعي الأعلى. كُن قادراً على أن تدع نفسك تكون مُقتنعة بأن تخطو بلا خوف إلى الدرجة التالية، والتالية، من خلال بذل انتباه أكبر إلى مُوجّهيك.

إنّ مُهمتنا الأساسية هنا في هذا التجسّد المادي على كوكب الأرض هي أن نعود إلى مصدرنا :الأحد الأبدي»، كي نُميّز أنفسنا كمخلوقات من الحبّ والنور، كروح من الإله، «إن استطعنا»، وأن نُمارس التفكير والتصرّف بالطريقة نفسها التي يقوم بها الإله.

إنّ كل نقطة تحوّل أو لحظة تبصّر ساعدتني على أن أصعد ذاك السُّلّم الذي كان موضوعاً أمامي منذ ولادتي، جاءت نتيجة لمعرفة حدسية داخلية أنه عليّ أن أضع تركيزاً أقلّ وأقلّ على الأنا الزائفة لديّ، وعلى أفكارها المُستمرّة في السؤال **ما نصيبي من هذا الشيء؟**. لقد تعلّمتُ أنني كنتُ أريد وأحتاج أن أنتقل نحو التصرّف والتفكير مثل الإله.

إنّ الإله، مصدرنا، التاو العظيم، العقل الإلهي، يدعونا إلى الخدمة، الوصول وترويض المُتطلبات الأنانية للأنا الزائفة التي تُصرُّ دائماً على المزيد من الأشياء، المزيد من الشعبية، المزيد من المُوافقة، المزيد من التميز، المزيد من الفوز، المزيد من التملك.

عندما قمتُ بالنقلة إلى التفكّر في الطريقة الأفضل كي أصل إلى العديد من الناس قدر الإمكان مع رسالة الأمل، اللطف، البهجة، وأهمها الحبّ، والانتقال من الفوائد المادية، شعرتُ بالمُتعة تتسع داخلي. عندها بدى وكأنّ المزيد من المُساعدة المُتزامنة تحضر في الحال وفق نوع من البرامج غير المرئي بالنسبة إليّ.

تفحّص تحرّكك الخاص نحو الرؤية بوضوح أكبر، وعندما تعرف أنك على تقاطع طرق، أو حيث ما يكون طريقان متباينان في غابة، اطلُب المُساعدة. اسع خلف النصيحة نحو التحرّك في الاتجاه حيث تكون الأنا أقلّ، وعامل التحديد أقلّ. اسأل نفسك كيف تُنجز هدف روحك من خلال خدمة الآخرين أولاً.

قد يقول النُّقاد أنّ عمل حياتي هو حول كسب المال، وكسب شهرة لنفسي، وكي

أتمتع بأضواء الشهرة والشعبية. بيد أني أمضيتُ الآلاف وفوقها الآلاف من الساعات جالساً وحيداً على المكتب، أقابل صحائف فارغة من الورق مُنتظراً أن أمتلأ بالأفكار المُدوّية داخلي. بإمكاني القول بكلّ إخلاص إنني لم أنشغل أبداً بهذا النمط المُنعزل من كتابة واحد وأربعين كتاباً مع فكرة في رأسي أنني سأكسب المال، أو أنال الشهرة على كلّ جهودي.

كلّ خطوة صعود على السُلم التي تحدّث عنها «الرومي» أُخذت بسبب أنني سُيّرتُ وحُفّزتُ من قِبل العديد من المُعلّمين المُتعمّقين والتعاليم، بحيث كان من المُستحيل بالنسبة إليّ تقريباً ألا أضع قدمي على الخطوة التالية الأعلى، وألا أسحب بقية أدواتي الجسدية إلى الأعلى نحو وعي أكثر رفعةً وعُمقاً. لقد حدث كلّ ذلك بسبب أنني كنتُ قادراً ومُستعداً كي أصل وأخدم وأُمضي الوقت والطاقة في غرفة بعيدة عن كلّ الإلهاءات، واضع على لوحة من الورق أمامي ما كان يُلحّ على نحو مُطلق بطريقة ما كي يخرج من خلالي «من أجل إصلاح الآخرين» بطريقة لم أحتج أبداً أن أستوعبها على نحو كامل.

مهما كانت الشهرة والثروة التي وصلَت إلى حياتي، فلم تكن بسبب أنني كنت أسعى وراءها. كلّ النتائج كانت بسبب أنني اتبعتُ حماستي بحيوية، ووثقتُ بالدليل الذي ظهرعلى طول الطريق، وبسبب أنّ شيئاً ما داخلي أجبرني أن أقوم بهذا العمل بطريقة عملية. إنه الشيء نفسه الذي دفعني الليلة كي أترك راحة منزلي وعائلتي وأجلس هنا كي أكتب.

كما اعتاد الدكتور «ريدل» أن يُخبرنا بأنّ الأشخاص المُحققين لذواتهم يجب أن يكونوا ما بإمكانهم أن يكونوا عليه. إنهم لا يعرفون كيف يكبتون تلك الرغبات الداخلية المُتقدة التي ببساطة يجب أن يُعبّر عنها. إنّ المُكافآت الخارجية هي فقط عطاءات **تصل عندما يتقدّم الشخص بثقة تجاه أحلامه الخاصة، ويسعى أن يعيش الحياة التي تخيّلها**، وهذا الاقتباس من «هنري ديفيد ثورو»، وهو كما قرأتَ أعلاه واحد من أولئك المُعلّمين الذين ظهروا من أجلي منذ أن كنت صبياً في عمر خمس عشرة سنة أنتظر العقاب على «عصياني المدني» في المدرسة الثانوية.

عندما تنظر إلى الخلف إلى حياتك إلى لحظات التحوّل المفتاحية، عندما كنتَ ضمن نوع من تجربة القمّة وكنتَ مسحوباً في اتجاه جديد. فكّر في روحك وما يعني حقيقةً أن تكون مُحفّزاً من قبل **أفكارك الداخلية**، بدلاً عن استخدام نوع من المقياس

الخارجي الاصطناعي كدليل في حياتك. إنّ الترقيات جميلة، وزيادات الراتب بالتأكيد مُرحّب بها، وساعة ذهبية هي رمز رائع لحياة مُخلصة وطويلة، العلامة على تقرير، أو كأس تذكارية والكثير غير ذلك كلّها علامات خارجية. إنها لا تُهدّىء ولا تُقنع روحك، فروحك ليست محدودة، وليس لديها شكل، ولا بداية لها ولا نهاية، وهي تحتاج أن تتوسّع وتنمو، كي تتجنب أن تُصنف وتُجزّأ.

كلّ خطوة قمتُ بها في حياتي، كانت في اتجاه حرية أكبر تُعطيني القدرة على أن أُقرر من أجل نفسي أين أكون كلّ يوم، وماذا ألبس، وكيف أتحدّث، وكيف ستتقدم كتابتي. تلك كانت وكزات من روحي، الجزء الداخلي الخفي مني غير المحدود والذي يسعى من أجل ذلك دائماً إلى التوسّع.

ابقَ على اتصال وافخَر بالنداء الذي تشعر به عميقاً داخلك. إنّ تجاهل ذلك سيتركك تشعر كأنك سجيناً في جسدك وفي عالمك الخاص. تُصبح روحك بائسة عندما تكون مُقيّدة، أو مُصنفة، أو عندما تُخبر ما بإمكانها وما ليس بإمكانها فعله. تصرخ الروح بأغنية: «لا تُطوّقني في الداخل!».

حالما تبدأ ترى بوضوح أكثر وأكثر ليس فقط كيف ولماذا أخذتْ حياتك كلّ تحولاتها والتفافاتها، ولكن ما الاتجاه الذي ستأخذه من الآن فصاعداً، سترى أنّ روحك لن تُضلك، فالروح حقيقة هي ما أنت عليه، وليس إنجازاتك أو مُمتلكاتك، ولكن ذلك الإحساس الداخلي بالهدف الذي يسعى نحو الاتساع والتمدد.

استمعْ عندما يدعوك هذا الشعور الداخلي في اتجاه مُعيّن، أو عندما يُرسل لك مُعلّماً، أو يُجهّز لك سلسلة مُتزامنة من الأحداث. يبدو الأمر كلّه حماسياً على نحو غريب عندما يحدث بسبب أنّ عالمك الخارجي يندمج أخيراً مع حاجة روحك الفطرية كي تُحافظ على النمو والاتساع. يجب أن تحثك الروح وعلى نحو دائم في هذا الاتجاه لأنها غير محدودة، ويجب عليها أن تُتابع النمو فقط. تلك الروح غير المحدودة لا يُمكن أن تُصنف أو تندرج تحت أيّ نوع من الأنواع من أجل حفظها. إن فعلتَ ذلك سترفض طبيعتها وتُحوّلها إلى عكس اللامحدود وهو المحدود.

عندما أُراجع العديد من النقلات بالغة الأهمية التي أخذت مكاناً في حياتي، أستطيع

أن أرى الآن بوضوح أكبر أنّ مُعظم ما دفعني إلى درجات أعلى على ذلك السُّلّم الذي وصفه «الرومي» على أنه باب النجاة من هذا العالم المادي، كان استخدام خيالي الخاص. عندما استطعتُ الحصول على صورة أوضح لنفسي مُركّزاً على صورة جديدة داخل خيالي، واستطعتُ تدريب نفسي كي أتصرّف وكأنّ تلك الصورة الداخلية حقيقة حاضرة، فإنّ بقية العمل من الحصول عليها كلّها بدا وكأنه تقريباً بلا جهد.

عندما كنتُ في البحرية، أعلنتُ لنفسي **سأحضر الكلية**. في محاولة هربي من حرب الحدود في «تركيا»، رأيتُ نفسي أُغادر طريق البلاد قبل أن تُقدّم الفرصة نفسها فعلياً. خلال التعامل مع مُقاومة ناشري الأول، حصلتُ في خيالي على صورة مُختلفة تماماً عمّا كان في ذهن الخبراء عني وعن كتابي، وكذلك كان الأمر بالنسبة الأعظم من حياتي.

استخدم خيالك الخاص على أنه برنامج عمل داخلي من أجل ما نويتَه كُلياً أن يتجلّى، ثمّ تصرّف **وكأنّ** ذاك الحلم الحالي هو حقيقة حاضرة. كانت هذه استراتيجيتي السرية من أجل تجلّي الحياة التي نويتُ أن أعيشها. أحثك على أن تقوم باستخدام كامل لهذه العملية التي ذُكرت بالتفصيل في كتابي **«أُمنيات مُحققة»**. تفحّص اللحظات ذات الصلة في حياتك الخاصة، عندما شعرتَ بالدافع كي تتحرّك في اتجاه مُعين، آخذاً في عين الاعتبار مدى الثقة التي كنتَ قادراً على أن تضعها في ذلك المكان السّحري المُبدع في داخلك «في خيالك». إنّ كلّ شيء يتواجد الآن في حياتك وفي هذا العالم المادي بأكمله، من المُفترض أن يكون تخيّلاً في بداية الأمر. إذا لم تستطع تخيّله والتصرّف على أنه حقيقة مُنجزة، فلن تستطيع على الأرجح أن تجعله يتحقق في واقعك.

استخدمتُ تعبير **أنا أكون** على أنه تصريح عن الحقيقة، بغضّ النظر عمّا يقوله أيّ شخص عني، أو حتى ما قد تُخبرني آذاني وعيوني أنه حقيقي. **أنا أكون** هو ذات الإسم الذي استخدمَهُ الإله كي يُعرّف نفسه إلى «موسى» وإلى جميع الأجيال المُستقبلية. أُشجّعك على أن تستخدم هاتين الكلمتين كي ترى أولاً في خيالك ما الشيء الذي تنوي أن تراه، قُم بالتجلّي إلى عالمك المادي. أعلن كلّ يوم: **أنا بخير، أنا في صحة تامة، أنا سعيد، أنا الحُبّ، أنا إله**. لا أحتاج أن أنظر إلى الأرقام على التقرير الطبي، أو أسمع رأي أيّ شخص آخر عن صحتي.

هذه القوّة الروحية العظيمة مُتوفِّرة لك. استخدم إسم الإله كتوكيد لك من أجل خلق الحياة التي ترغب بها، من أجل أن تُصبح الشخص الذي نويتَ أن تكون عليه. عندما تصنع تصريحاً مُطلقاً من خلال وضع حضور **أنا أكون** التي تخصّك على نحو مُباشر في مركز خيالك، وترفض أن تستقبل أيّ خيارات أُخرى، تُحقق النتائج التي اعتقدتَ أنك كنتَ تتخيّلها فقط. عندما تتوهم الشعور المُرافق لأُمنيتك وكأنها أُنجزَت للتوّ، فإنّ أمنيتك في نهاية المطاف ستتجسد إلى حقيقة مادية.

استخدم حضور **أنا أكون** من أجل كلّ ما نويتَ أن يتجلّى من اليوم فصاعداً. عندما تقوم بهذا بنزاهة ومعرفة داخلية فلن تسمح للشكّ أو الريب، وستبدأ برؤية كيف تستطيع أن تُمسك زمام حياتك في أيد بشرية. أعِد وصل نفسك مع مصدر وجودك وعِش حياة إلهية مُلهِمة وكأنك مُشارك في الخلق مع الإله.

أحببتُ هذا الاقتباس من «أوسكار وايلد»: «أن تُصبح مُراقباً لحياتك الخاصة، هو أن تتخلّص من مُعاناة الحياة». يُقدّم هذا الاقتباس مفتاح نهاية كلّ المعاناة. كلّ ما عليك فعله هو أن تُصبح مُراقباً لحياتك الخاصة.

أدعو هذا «زرع الشاهد»: إنّ طريقة الخروج بعيداً عن أيّ قلق هي ببساطة أن تبدأ للتوّ بمُلاحظة مَن يقوم ومَن لا يقوم بأيّ شيء. إذا كنتَ حزيناً، فكلّ ما عليك فعله هو أن تُلاحظ مَن يختبر الحزن. الشخص الذي يُلاحظ هو شخص حرّ للتوّ من الحزن. كلّما أعرتَ انتباهاً أكبر ستُلاحظ أنّ الحزن ليس أنت: إنه جزء من طبيعة الإنسان ليس إلاّ، بيد أنك كمُراقب فذلك يعني ببساطة أنك الوجود الساكن الواعي لكلّ ما تُلاحظه.

أنا أزرع يومياً وأدعو الشاهد المُحبب اللطيف كي يستبدل وجودي المُتماهي مع ما أُشاهده. إنّ «مَن أكون» هو جزء غير مرئي بلا شكل من العقل الإلهي العظيم، «التاو»، الإله. عندما لاحظتُ كلّ ما تخيلتُه أمامي، وليس كمُتعلّق به ومُتصل معه، ولكن كمُراقب فضولي ومُهتمّ، أزلتُ مُعاناتي المُحتملة، وتلاشى ارتباطي بالنتيجة، ونُبذت أيّ مُعتقدات لا تستحقّ، وأجبتُ على السؤال **من أكون أنا؟**، كما فعل «مايكل سنجر» على نحو واضح في كتابه المُحفّز «**الروح المُتحررة**»: «أنا الشخص الذي يرى. من الخلف في مكان ما هنا، أنظر إلى الخارج، وأنا واعٍ بالأحداث، الأفكار، والمشاعر التي تمرّ أمامي».

هذا هو المكان حيث نعيش كلانا أنا وأنت. هذا بدقة كيف تصل إلى رؤية حياتك بوضوح أكبر من ذي قبل. لاحِظ فقط، ثمّ لاحِظ مَن يُلاحظ، وذكّر نفسك أنه أنت، وأنه جوهرك الحقيقي.

لقد لاحظتُ من خلال كتابة هذا الكتاب ومُراجعة العديد من العوامل البارزة التي دفعتني إلى درجة أعلى على ذلك السُلّم أنه كلّما تماهيتُ أقلّ مع ما أريد إنجازه، أصبحتُ أكثر حرية بالسماح له أن يتجلّى.

فقط من خلال الجلوس والمُشاهدة على أنني مُراقب مُستمتع غير مُتعلّق، كنتُ قادراً على نحو مُتكرر أن أذهب بعيداً وحتى أبعد من ممّا كنتُ ألاحظه. كلّما شعرتُ أنني أقلّ تعلّقاً بما أردتُ إنجازه في حياتي، وكلّما زاد غرسي لفكرة الشاهد هذه، كنتُ قادراً على أن أنظر إلى المرحلة التالية من حياتي برؤية جديدة أقلّ قلقاً. لقد أحببتُ ما توضّح أمامي، ولكن لم يكن لديّ أيّ تعلق بالنتيجة.

لقد وصلتُ إلى نهاية النظر إلى الخلف إلى حياتي حتى الآن، أنا مُمتنّ أنني كنتُ قادراً على أن أرى بوضوح كبير جداً كيف ولماذا ظهرَت العديد من الأحداث، الظروف، والمُعلّمين كي يُرشدونني على هذا المسار من اكتشاف الذات. طوال حياتي أردتُ أن أشعر بالحماسة من كوني شخصاً سوف ويستطيع أن يصنع تميّزاً في هذا العالم. كان هنالك دليل غير مرئي هنا من أجلي في كلّ خطوة على الطريق، تماماً كما يُوجد من أجلكَ أيضاً.

من أجل الوصول إلى ذاك الدليل، أُشجّعك على أن **تصنع التزاماً بأن تكون على ثقة مُطلقة بذاك السر الذي لا يُوجد في أيّ مكان غير داخلك**. هذا هو السرّ العظيم من الرؤية بوضوح أكبر على الإطلاق، وعيش حياتك من مكان من الشغف والهدف.

مع حبي،

أنا «واين».

لمحة عن الكاتب

الدكتور «واين داير» هو كاتب معروف عالمياً ومُتحدّث في مجال تطوير الذات. إنه مُؤلّف أكثر من أربعين كتاباً، أنتج العديد من البرامج الصوتية والمرئية، وقد ظهر في الآلاف من البرامج التلفزيونية وبرامج الراديو. لقد كانت كُتبه: «**أظهر قدرك**»، «**حكمة العصور**»، «**هناك حلّ روحي لكلّ مشكلة**»، من الكتب الأكثر مبيعاً على لائحة «**نيويورك تايمز**»، وقد ظهرت كتبه: «**الأسرار العشرة للنجاح والسلام الداخلي**»، «**قوّة النية**»، «**الالهام**»، «**غيّر أفكارك، غيّر حياتك**»، «**انصرفي أيتها الأعذار!**» «**الأمنيات المُحققة**» جميعها في برامج خاصة على شبكة الرائي المحلية.

يحمل واين شهادة دكتوراه في الإرشاد التربوي من جامعة «واين ستيت» وكان بروفيسوراً مساعداً في جامعة «سانت جون» في نيويورك.

الموقع الإلكتروني: www.DrWayneDyer.com



الفهرست

أستطيع أن أرى بوضوح الآن

إنها خلاصة تجارب حياة الكاتب الرائع «د. واين داير» عبر سنواته السبعين والتي استنتج فيها أنه لا تُوجد مُصادفات في هذا الكون، وأنّ هذا الكون بأكمله غاية واحدة. لقد رأى «د. داير» بوضوح، أنّ الحكمة تعمل على نحو دائم في حياته. فقد كان يتقدّم بثقة تجاه حلمه الداخلي الخاص، ويعيش الحياة التي تخيّلها لنفسه، ويُحبّ كلّ دقيقة منها، ممّا جعل النجاح يُطارده منذ ذلك الوقت.

لقد كان «د. داير» يشعر في داخله بطاقة لا تقبل التوقّف، تُناديه من الأعماق كي يُصبح مُعلّماً عالمياً في الاعتماد على الذات و الوعي الأعلى، وهكذا حصل. لقد اكتشف أنه من أجل الاستمرار بحزم على الطريق التي يمشي عليها، يجب عليه أن يختبر ويعرف حقيقة الشيء الذي لا يُحبّه، ويُحرر نفسه من كلّ الشكوك عن إمكانية حدوث الأشياء مع بعضها بترتيب ووقت إلهي، ويكون ممتناً تجاه كلّ شيء، وكلّ تحد، وكلّ حالة حدثت معه، ويؤمن أنّ كلّ شيء يظهر في حياتنا من أجل سبب، وأنّ كل شيء كان ويكون وسيكون في قمة الكمال، وأنّ التجارب مهما كانت مؤلمة هي دروس في كلّ لحظة، وأنه يجب الثقة بالمشاعر الداخلية والإيمان أنها تتضمن نوعاً من الإرشاد الإلهي، وأنّ ترويض الأنا المُتبجحة الصاخبة هو تحدي الحياة، التي يجب أن يعيشها الإنسان من موقع رمي الأعذار والامتلاء بالحبّ الإلهي.

لقد اكتشف القوّة الكامنة في فكرة النية، وأنّ الكون يضع الإنسان في مُحاذاة الأشخاص والظروف التي يحتاجها كي يُتابع اتجاهه، وأنّ العيش من الإحساس الروحي الأعلى، والرحمة، واحترام الحياة كلّها، والصدق الطبيعي، واللطف، والمُساندة، من مواصفات الإنسان الذي حقق ذاته، والذي يستطيع أن يُؤثر في كلّ شخص ببساطة من خلال حضوره معه. إنّ الحياة على درب الإله، تعني وضع النفس في مُحاذاة مع طاقة العطاء النقية، والخدمة من غير تردد، وتجاهل مُتطلبات الأنا، وعدم طلب أيّ شيء في المُقابل. لقد كانت كلّ تجاربه تُؤكّد أنه «مع الإله كلّ الأشياء مُمكنة». وأنّ الحبّ جوهر الإنسان. وأنّ قدره أن يُمارس ويُعلّم الحبّ الإلهي.


97899538295


كراكاس - بناية يعقوبيان - بلوك B طابق 3 - شارع الكر
المنارة - بيروت - لبنان - تلفاكس: 009611 . 740110
www.darelkhayal.com E-mail: alkhayal@inco.com.lb